

الجمهورية العربية السورية
وزارة للتعليم العالي والبحث العلمي

مركز دراسات
الاجتماعية والإنسانية والإسكانية



جامعة حلب - فرع
بساتين

المغرب الأوسط في عهد الموحدين

دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية
(534/° - 1139 و 633/° - 1235 و)

يتركب من مؤلفين من جامعة حلب

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
محمد سعيد

إعداد الطالب :
علي عشي

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الصفة | الرتبة | الجامعة |
|---------------|-------|--------|---------|
| ش.ي.نبقت | رئيس | استاذ | حلب |
| محمد سعيد | مقرر | استاذ | حلب |
| اسماعيل ساهدي | عضو | استاذ | حلب |
| سعيد د.الذي | عضو | استاذ | حلب |

السنن الجامعية 1433-1434 هـ / 2011 - 2012 م



كلمة شكر وتقدير

بعد ألكشي أ. فم إني إعداد ز ان شاح أشكش عث

وتعالى عليا أنى وأنى، أعان افلاح في ان ذ ا ألتج

أتمذوتخ ان ض شكشي، وعظييت أ إني أعاري ففاضم انك تس:

ي ض دي مسعه انزي ي ذ ان مظخ ان تج أسش ذ إني شق

ان ث ذ انتم ة مس أفم ع ل دتخ ان ض ع، فحض أتمذش.

ك ألتكش كم ي ساء د لذون ان مظخ ان تج، أخضت ان كش

الانتارت بن غف خضش، ي جامعة المغهح، الأستل الأد ة، ي ظذخ

ز ان شاح ن عكش افشاح "فه أخ ان ض ت ذات.

ك أ بالمساعدة ان تتم بتا فلنك نتح ان ع ح، ف كم جامعات

ان ع، خ اطح جامعة الأميرع ان دس تم غغ ح، أ جامعة جيلالي ان اتظ

ت غذي بلعباس، كهح العلو الانساح ل انضس ج الإسلاميت ش أ،

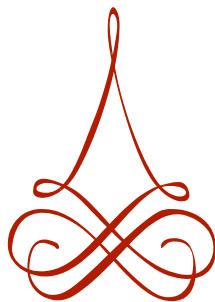
أ جامعة أتكش تم اذت ته غأ.

ك ألتكش كم ي لذون ذ المساعدة ان غش بان شمك، خاصة عمال

يتلخح جامعة م ذ ان خ اتل ش ت اط، ل ك ل انض اح ان هك ح.

فه ي جعا أعى أ لغوتش كش اح

مقدمة



غُرست بذور النهضة العلمية الكبرى، التي نمت وترعرعت على عهد الموحدين، في أيام المرابطين والحماديين، ولما قام المهدي بن تومرت بحركته كان يرمي إلى غاية أبعد من غاية سلفه وهي تجديد الدين، وهذه المهمة تقتضي من التوسع في العلم، فلذلك كانت العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية ألزم للدعوة الموحدية من أختها المرابطية.

فازدهار المعارف وتنوعها، كما يقول عزالدين عمر موسى من سمات العصر الموحد البارزة" فقد استوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة بفضل طابع الدولة العقائدي ... وما وفروا من جو من الحرية أرحب من الجو الذي وفره المرابطون..."⁽¹⁾.

ولقد ساعد أيضا على ازدهار الجوانب الثقافية والفكرية، ذلك الاتحاد السياسي الذي جمع بين المغرب والأندلس، في كيان واحد حتى نهاية عهد الموحدين، كما ساهمت هذه الوحدة في زيادة الرحلة من وإلى الأندلس التي كانت تمثل محل المشيخة الكبرى التي يقوم عندها الدرس وتتجمع لديها الرواية والإسناد⁽²⁾.

الإطار المجالي والزماني للموضوع:

إن مقارنة الإطار المجالي الذي يهمننا في هذه الدراسة، يساهم بقدر كبير في بلورة العمل المنجز، لأنه من خلاله يمكن إبراز المواصفات الأساسية وتبسيطها، كما أن ضبط الحيز الزماني يُمكن من الوقوف عند ثنايا الموضوع ويوضح حيثياته ويجعلها أكثر تماسكا، عبر مقدمات بديهية ثلاث: المقدمة الأولى فتتعلق بالمرتكزات الجغرافية الكبرى لموضوعنا، ونقصد بذلك المغرب الأوسط ومجاله المحدد في ظل الوحدة السياسية للدولة الموحدية، ولعل من المفيد أن نستحضر حدوده الجغرافية ومعاله الطبيعية لأنها البوتقة التي تنصهر فيها الحياة الثقافية والفكرية.

أما المقدمة الثانية فهي الفترة الزمنية المحددة من 534هـ/1139م والتي تمثل بداية المناوشات

الأولى بين المرابطين والموحدين على أراضي المغرب الأوسط-وسنورد ذلك بالتفصيل في الفصل التمهيدي-وهو إيدان ببداية عهد جديد، أما نهاية الموضوع فحددناها بسنة 633هـ/1235م حيث انتزع بنو عبد الواد المغرب الأوسط من السلطة الموحدية ومن خلاله فك الارتباط التاريخي معها وميلاد دولة جديدة هي الدولة الزيانية.

أما المقدمة الثالثة فهي طبيعة العنوان الذي سميت الأوضاع الثقافية والفكرية، حيث وجدنا مصطلح الفكر، هو الأكثر شيوعا في الفترة المحددة زمنيا، ولم نعثر على كلمة ثقافة، إلا في مواقف ومواضع معينة، ولم يكن يقصد بها ما هو عليه الآن، إذ أن مفهوم الثقافة لم يظهر إلا في العصر

(1) أنظر: الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص53-54.

(2) عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها قيمتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، المغرب، 1999، ص21.

الحديث، ورغبة منا في ربط الماضي بالحاضر وإيصال المعنى للقارئ، انطلقنا من الحاضر للوصول إلى الماضي.

أسباب اختيار الموضوع :

لقد حظي المجال السياسي باهتمام كبير من خلال مختلف الدراسات، وهو ما دفعنا إلى التركيز على الجانب الثقافي، و اختيارنا للعنوان "للأوضاع الثقافية والفكرية" هو مزج بن مصطلحين، مصطلح حالي وهو الثقافة، ومصطلح يخص الفترة الماضية التي أدرسها وهي الحياة الفكرية، فكان خطأ تاريخياً بأن نكتفي بالحياة الثقافية لعدم ظهور مصطلح الثقافة في حد ذاته كتعبير للجانب الحضاري في تلك الفترة، وإنما كان المصطلح الشائع هو "الفكر، والمفكر"⁽¹⁾.

وإن الغرض من هذه الدراسة استعراض أهم الأحداث الفكرية، وتقديم نبذة مجهولة من تاريخ وحياة علماء المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، وإخراج مساهماتهم الحضارية والثقافية، التي قدموها من كتب التراجم والمناقب، وإيصالها للأجيال.

ولم تكن رغبتنا في إبراز الدور العام والكلبي الذي لعبته الدولة الموحدية، إنما إرادتنا نابعة من محاولة إظهار ما قدمه المغرب الأوسط لهذه الدولة ولهاته الحضارة، ثم انه لطالما شغلنا بفكرة أساسية ألحّت على تفكيرنا وهي ما دور المغرب الأوسط الثقافي والفكري خلال مرحلة الوحدة تحت لواء دولة الموحدين؟

أما ما جعلنا نختار هذا الموضوع بعينه، فهناك عدة أسباب موضوعية وأخرى شخصية. - فكون أغلب المؤرخين الجزائريين اهتموا بالتاريخ الخاص بالفترة الحمادية أو الزيانية وأهملوا الفترة الموحدية، ربما لكون الفترتين السابقتين و اللاحقة تمتع فيها المغرب الأوسط بالسيادة، عكس الفترة الموحدية التي اندمج فيها مع الوحدة المغربية الأندلسية، فذابت منجزاته وانصهرت في الوحدة الكلية.

1) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2005، ج2، ص349-352.

لم نجد عند علماء العربية والإسلام- في الزمن الماضي - مفهوماً اصطلاحياً للثقافة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في أيامهم، فلم نجدهم ينعنون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مميزة وحين دخلت الثقافة الإسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصف فلاناً بأنه مثقف أو واسع الثقافة، وأصبحت لدينا مؤتمرات ثقافية وندوات ثقافية وكتب وموسوعات ثقافية، وعلى هذا جاء تعريف "الثقافة" بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً على يد المجمع اللغوي الذي عرفها بأنها: "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الخدق فيها". إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، اسطنبول، د ط، د ت، ج1، ص98.

-إضافة إلى اهتمام المؤرخين المغاربة الكبير بهذه الفترة دون إعطاء المغرب الأوسط حقه، فأغلب اهتمامهم منصب على المغرب الأقصى باعتباره مركز الدولة الموحدية ومقر الخلفاء ورغبة منهم في إظهار منجزاتهم دون التركيز على منجزات الآخرين.

- كما أن الدولة الموحدية مغربية الفكرة والدعوة والثورة، عكس بعض الدول التي قامت في المغرب الأوسط لكن على أيدٍ وسواعد أجنبية، أو بتبنٍ لمبادئ وأفكار لرجال أجنب، وكونها لأول مرة في التاريخ يتحد المغرب الأوسط مع الأندلس في دولة واحدة، وتحت راية واحدة.

- ورغبة منا في إظهار القيمة الثقافية والفكرية التي ساهم بها المغرب الأوسط في الحضارة الموحدية وأهم مخلفات وإنتاج علمائه ومفكره، وعكس صورة الجودة العالية التي قدمها للحضارة الإسلامية والفكر الإنساني في قالب من الإبداع، إضافة إلى أسباب أخرى منها :

-كشف اللثام عن كثير من تراث المغرب الأوسط في ظل الوحدة مع الأقطار الثلاثة في العهد الموحد والتأثير والتأثر الحاصل بينهم.

- تسليط الضوء على جهود علماء المغرب الأوسط في جميع العلوم والميادين الثقافية والفكرية المتنوعة وأهم ما خلفوه من إرث حضاري.

- المساهمة ولو بالترز القليل في إثراء التراث الوطني وإحيائه والمحافظة عليه ونقله للأجيال من خلال إظهاره والتركيز عليه، خاصة في فترة يمر عليها أغلبهم من الكرام، لاعتقادنا أن عبء إحياء تراث أي منطقة يقع على كاهل أبنائها بالدرجة الأولى، بحكم انتمائهم إليها، و بحكم عيشهم فيها، إذ أن ذلك يساعدهم -أكثر من غيرهم -على اكتشاف الحقائق من أقرب السبل وأسلمها، وذلك بفضل احتكاكهم بالمنطقة، ومشاهدتهم لآثارها.

- إبراز خصوصية المغرب الأوسط في ظل الوحدة المركزية، وتعايشه مع وحدة بنوية إبداعية فكرية ساهم فيها المغرب والأندلس معا، بالتأثير والتأثر مع المشرق الإسلامي.

- أما السبب الشخصي، فهو إعجابي بدولة الموحدين وما خلفته في كل المغرب والأندلس من آثار وعلوم، كان للمغرب الأوسط نصيب فيها.

ولهذه الأسباب مجتمعة، ولرغبتنا الملحة في الإطلاع على منجزات أسلافنا، عكفنا على إنجاز هذا البحث والدراسة، لعلنا ننفع بها بلادنا وتاريخنا.

وقد كان أمني الكبير أن أوفق يوما ما للمساهمة في الكشف عن خفايا تاريخ هذا الوطن العزيز، فاهتديت أخيرا إلى تناول الجانب الثقافي لفترة منسية من تاريخ المغرب الأوسط.

إشكالية الموضوع :

فحضت الدولة الموحدية على حلم عظيم أرادت أن تحققه بكل عزم وفي كل ميدان، ذلك الحلم هو الثورة على كل شيء، الثورة على الأوضاع السياسية والاجتماعية، الثورة على مناحي التفكير في

العقائد والأحكام والعلوم عامة ، الثورة بالتجديد في كل شيء، وبإعادة صرح الدولة الإسلامية الكبرى قويا شامحا عظيما مهابا (1) فما هي مكانة المغرب الأوسط من كل هذا التغيير، وكيف كان المشهد الثقافي والفكري له في ظل الوحدة التي فرضتها الدولة؟

أما الإشكالية الرئيسية للموضوع فهي هل يمكن اعتبار الحضور الثقافي والفكري في الساحة العلمية الموحدية للمغرب الأوسط إبان هذه الفترة مؤثرا وإيجابيا؟ مقارنة مع نظيرتها الحمادية والزيانية؟ وهذا الإشكال يجرنا إلى طرح تساؤل آخر: لماذا أهمل المؤرخون الدور الخفي والكبير للمغرب الأوسط-سواء السياسي أو الثقافي- خلال الفترة الموحدية؟

ولا يمكن أن نكتفي بسؤال حول مدى مساهمة المغرب الأوسط في إثراء الثقافة والفكر الموحدية؟ وإنما في طرح استفسار آخر، وهو ما هي أهم المؤلفات التي تركها علماء المغرب الأوسط كرصيد معرفي في جميع العلوم؟ وسوف نتساءل أيضا عن أهم الروافد الثقافية والفكرية التي ساهمت في ازدهار الحياة العلمية بالمغرب الأوسط؟ وكيف ربط هذا الأخير علاقاته الثقافية مع مختلف الشعوب؟ ويبدو أن الخيط الواصل بين مختلف الحلقات للإجابة عن هذه التساؤلات هو التنظيم الجيد لسيرورة الموضوع من خلال خطة تبرز مختلف الجوانب الثقافية والفكرية.

خطة البحث:

وقصد الإحاطة بالموضوع وسعيا منا لحل الإشكاليات رسمنا له خطة متناسقة للإجابة عن مختلف التساؤلات من خلال تقسيمها إلى ثلاثة فصول وفصل تمهيدي ضروري للتعريف بالمغرب الأوسط مكاناً وتاريخاً، أي تحديد الإطار الجغرافي للبحث حتى يتم حصر المعلومات التاريخية المقدمة، ومنه ذكر كيفية ارتباط المغرب الأوسط تحت راية الدولة الموحدية ومراحل ضمها له، وأهم التقسيمات الإدارية والتنظيمات التي كان يسير عليها كمناخ لتطور العلوم والفكر.

ثم أفردت **الفصل الأول** للحواضر العلمية والمؤسسات الثقافية في المغرب الأوسط، من خلال تقسيمها له إلى مبحثين مهمين، الأول عن الحواضر العلمية التي نشأت في المغرب الأوسط في ظل الوحدة الموحدية (تلمسان، بجاية، قلعة بني حماد، قسنطينة، وهران، جزائر بني مزغنة، بونة، وارجلان). وتطرق في المبحث الثاني إلى أهم المؤسسات الثقافية السائدة في المغرب الأوسط، من المساجد، والكتاتيب، والرباط، والمدرسة، والمكتبات(العامة والخاصة)

أما في **الفصل الثاني** الذي عنونته بالنشاط الثقافي والفكري، روافده وتجلياته، فقد تناولت فيه مبحثان، الأول بعنوان روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية من خلال التطرق إلى الرحلة وطلب العلم، و المجالس العلمية والفكرية، والإجازة العلمية، واقتناء الأصول القديمة .

(1) محمد بن تاويت: أصداء في الأدب الموحدية، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة

والمبحث الثاني تطرقت فيه لتجليات الحركة الثقافية والفكرية من خلال إبراز كيفية التدريس وطرقه ومناهجه وبرامجه، وانتشار الوراقة في المغرب الأوسط .

وكان **الفصل الثالث** خاصا بالتأليف وأهم العلوم من خلال تقسيمه إلى مبحثين الأول حول العلوم النقلية، من علوم القرآن-كعلم القراءات، وعلم التفسير-وعلم الحديث، وعلم الفقه وعلم الكلام والأصول وعلم التصوف، إضافة إلى العلوم الأدبية كالنثر والشعر والتاريخ والسير. والمبحث الثاني حول العلوم العقلية كعلم الجغرافيا والفلك، والطب و الصيدلة، وعلم الفلسفة والمنطق، وعلم الرياضيات.

وضمنت **الخاتمة**، بمجموعة استنتاجات تعتبر محصلة أهم النتائج التي توصلت إليها، محاولا إبراز كل الحالات التي صادفتها خلال ثنايا البحث.

وأتبعتها بملاحق اقتبسناها من مختلف المراجع والبعض استنتجتها من ثنايا الدراسة محاولا أياها إلى رسومات بيانية توضيحية وجداول، وصور وخرائط، وفهارس للأعلام والأماكن.

المناهج المتبعة:

نظرا لطبيعة الموضوع وتنوع فصوله تنوعت بطبيعة الحال المناهج المستخدمة، لأنه من مقتضيات البحث التاريخي الدقة والابتعاد عن التعميم وتمجيد الأشخاص، و منطلق هذا البحث هو مقارنة تاريخية وفق الأدوات المتاحة في القراءة والتحليل والتحري، حيث وظفنا المنهج الاستقصائي مع شيء من التحليل في الفصل التمهيدي نظرا لعدم توفر معلومات واضحة ودقيقة عن حدود المغرب الأوسط، وكيفية ارتباط جميع أجزائه بالدولة الموحدية، مما تطلب منا استقصاء المعلومات من ثنايا الكتب والمخطوطات لإعطاء صورة أدق عن حدوده الجغرافية، وهو نفس النهج المتبع من خلال الوصول إلى طبيعة التقسيم الإداري وأهم الولاة، باعتبار أن الكتب التاريخية لا تشير إليه صراحة.

كما وظفنا منهج الجمع والوصف والتحليل والإحصاء بدرجات مختلفة، في بقية فصول البحث وأثناء عرضنا أدوار علماء المغرب الأوسط وفقهاؤها خلال الفترة الموحدية وأهم العلوم التي نبغوا فيها، لأنه عندما تغيب المادة التاريخية يكون الميل للاستقراء والاستنباط مع الاستعانة بأدوات الإحصاء والمقارنة، ثم تركيب هذه الجزئيات لنقف على معنى تاريخي متماسك، وتفسيرات مقنعة.

وقد قمنا بمحاولة جمع كل علماء الفترة، وأهم المصادر التي تتحدث عنهم، ثم مزجناه بمنهج الوصف للبيئة التي عاشوا فيها وتأثيرها على توجهاتهم سواء السياسية أو الدينية، وأهم صفاتهم الخلقية والتربوية والعلمية، محللين لأفكارهم وآرائهم، مبرزين لكل منجزاتهم الفكرية، وحاولنا من خلال المنهج الإحصائي إنجاز تمثيلات بيانية لعدد العلماء وأهم مخلفاتهم العلمية.

كما وظفت في بحثي هذا مجموعة مهمة من المصادر واستعنت بعدد لا بأس به من المراجع، فقد أتاحت لي خاصة مصادر التراجم كالصلة والتكملة وعنوان الدراية وبغية الرواد والتشوف الفرصة

للغوص في ثنايا الموضوع من خلال نقلنا إلى الزمن المطلوب وعيشي حيشياته، أما أهم المراجع التي أعانتني فهي كتب الحضارات ككتاب المنوي حضارة الموحدين، وكتاب حسن علي حسن الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، إضافة إلى المراجع المتخصصة في كل علم كعلم القراءات والحديث والعلوم الأدبية وغيرها، وسنورد دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع.

صعوبات البحث

لقد واجهتني خلال إعداد الموضوع عدة صعوبات حاولت التغلب عليها من خلال البحث والتنقيب والاستعانة بالمشرف الذي وجهني لما فيه تجاوزا لها.

ولاشك أن أول ما يلاقه الباحث في مجال تاريخ وحضارة المغرب الأوسط من عقبات في سبيل انجاز بحثه مسألة المصادر المتخصصة في هذه الفترة وفي هذا القطر، إضافة إلى الصعوبات الخاصة بالموضوع في حد ذاته منها:

- 1 - أن طبيعة الموضوع جعلتني أعمل غالبا في عدة فنون في أوقات متقاربة، وهي الفقه واللغة والتصوف والعلوم العقلية، وهذا فيه شيء من التشتيت للذهن وتفرق للمعلومات.
- 2 - قلة ما يمكن اعتباره مادة علمية واضحة المعالم عن المغرب الأوسط في عهد الموحدين لغلبة مركز الدولة على بقية الأقطار.
- 3 - صعوبة تحديد الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط في ظل الوحدة المغاربية الأندلسية تحت شعار واحد ودولة واحدة، وما زاد في الصعوبة هي الحدود الجنوبية التي كانت من الصعب تحديدها بدقة في جميع الدول المتعاقبة، منذ الدولة الرستمية.
- 4 - صعوبة تتبع توالي الولاة على كل من بجاية وتلمسان، نظرا لاختلاف المصادر، وتعدد الروايات، إضافة إلى كثرة المعارك التي ساهم هؤلاء الولاة فيها في ولايات غير ولاياتهم أو تحويل بعض الولاة من ولاية لأخرى.
- 5 - الاختلاف بين بعض كتب التراجم حول تواريخ الوفاة أو الميلاد لبعض علمائنا مما يصعب المهمة ويطيل عملية الإثبات بالنسبة للتاريخ الحقيقي.
- 6 - استمرار حياة بعض العلماء والفقهاء ليعاصر عهد دولتين سواء الحمادية والموحدية، أو الموحدية والزيرية مما يجعلني في حيرة من أمري إن كان بالإمكان اعتباره من أعلام الفترة الموحدية.

7 - كما اصطدمت بصعوبة إحصاء علماء المغرب الأوسط الذين عاشوا في الفترة الموحدية، خاصة إذا كان أصلهم من المغرب الأقصى أو تونس والأندلس، لهذا ارتأيت أن أعرج على ذكر كل فقيه وعالم مر على المغرب الأوسط وترك فيه تراثه أو درس به وبالتالي ترك طلبه ساهموا في نشر أفكاره .

تلك بعض الصعوبات التي واجهتني عند كتابة هذا البحث، أحببت الإشارة إليها، من أجل أن يقدر القارئ هذه المحاولة اليسيرة مني للخوض والتخصص في غمار المغرب الأوسط، فليلتمس لي العذر حينما يجد بعض الهفوات، إذ هو عمل بشري، فلن يخلو من الخطأ والنسيان، والكمال لله وحده. وفي الختام أتوجه بأعلى كلمات التقدير وأسمى تحيات الاحترام، وخالص شكري وعرفاني وامتناني إلى الدكتور الكريم "الأستاذ مزهودي مسعود" الذي كان لي خير العون والرفيق، وفتح لي صدره، واقتطع لي من وقته، وشجعني على المضي قدما مذ كنت طالبا عنده في السنوات الأولى من الجامعة، فأرشدني بتوجيهاته القيمة ومنحنى تجربته الطويلة وخبرته العريضة في هذا الميدان حتى ظهر هذا البحث في صورته الحالية.

دراسة المصادر والمراجع

إن البحث في التاريخ الفكري للمغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية ليس أمراً سهلاً، فالمصادر التاريخية المباشرة في الغالب منها لا تفيد بالكثير منه، نظراً لتركيز مؤلفيها - في الغالب - على النواحي السياسية والعسكرية - وهي وإن أتت بشيء فإنها على سبيل الإيجاز والتلميح، مما يعطي الصدارة من الناحية المرجعية بالنسبة إلى مثل هذا البحث - إلى كتب التراجم والشخصيات، وكذا كتب الفتاوى والنوازل التي غالباً ما يستفاد من تراجم بعض شخصياتها، أما كانت تدرس في مسجد أو مدرسة وأنواع هذه الدراسة، وطرق تدريسها.

وإن جمع المادة العلمية لمثل هذا الموضوع يقتضي إماماً واسعاً جداً بمختلف المصادر الثقافية والفكرية لهذا اعتمدت في إنجازها على عدد من المصادر منها المطبوع ومنها المخطوط على قلتها، واستفدت من المراجع سواء الكتب منها أو المقالات، أما مراحل العمل بالمراجع والمصادر، فقد صنفتها ورتبتها حسب أهميتها كما يلي:

1- المخطوطات

لقد استعنت ببعض المخطوطات رغم قلتها نظراً لعلاقتها الوطيدة بالبحث ومنها:
مخطوط "الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة" لأبي عبد الله محمد بن أبي العباس الأموي، المعروف بابن النقاش، وهو صاحب شرح على مرشدة ابن تومرت، واستفدنا منه توضيحه لاهتمام الناس بالمرشدة وانكباب فقراء و متصوفة مدينة تلمسان على حفظها، والتبرك بها.
ومخطوط "المجموع"، لمحمد بن مرزوق الخطيب (ت 780هـ/1378م)، ورغم أنه عاش الفترة الزيانية إلا أنه أفادنا بالحديث عن بعض البناءات السائدة في تلمسان وتحدث عن المدرسة، كموروث سابق لهذه الفترة، وعن كل الملحقات التي تتبعها كالجناح الخاص لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل منهم.

إضافة إلى مخطوط حديث "درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام" لصاحبه محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (ت ق 14هـ/19م) ورغم أنه متأخر جداً إلا أنه اعتمد على مخطوطات قديمة محلية من منطقة توات، حيث أفادني في استبيان وصول الدعوة الموحدية إلى هذه المنطقة وبالتالي تحديد حدود المغرب الأوسط في عهد الموحدين.

ومخطوط "الاغتباط بتراجم أعمال الرباط" لأبي عبد الله، محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي (ت 1345هـ/1926م)، ورغم أنه مخطوط حديث إلا أنه أفادني في الإطلاع على كيفية استدعاء عبد المؤمن للعلماء والمدرسين والفقهاء والقضاة، من كل البلاد، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم، وكيفية عقد ندوات علمية أسبوعية في قصره.

2- كتب الطبقات و التراجم والشخصيات

إن طبيعة الموضوع ساهمت في الرفع من شأن بعض المصادر ووضعها في مصاف المصادر الأساسية، على حساب المصادر التاريخية وعلى رأسها كتب التراجم والشخصيات، حيث تعتبر كتب التراجم مظان ما أبحاث عنه، فهي تحوي ترجمة وافية عن حياة شخصيات مهمة من المغرب الأوسط وأهم منجزاتها، ومؤلفاتها، ورحلاتها، ومختلف علاقاتها بما فيها التصوف، فعليها العمدة خاصة في تراث هؤلاء الشخصيات وآثارهم، وهي أكثر المصادر التي اعتمدت عليها مقارنة بالبقية، نظرا لطبيعة الموضوع، حيث أبرزت هذه الكتب حياة ونشاط العلماء والفقهاء وأهل التصوف والصلاح، ورسدت كل مخلفاتهم، ومن أهم هذه الكتب التي استفدت منها في هذه الناحية :

"التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي" ، لصاحبه ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى) (ت 628هـ/1230م) حيث ترجم للعديد من الزهاد من المغرب الأوسط وأمدنا بمعلومات مهمة عن عوامل الانعزال والابتعاد عن الدنيا، وعن كرامات العديد من المتصوفة في تلمسان وبجاية، وإسهامات هؤلاء في ازدهار الحياة العلمية والفكرية، كما لا ننسى أنه كان قاضيا من قضاة الموحدين⁽¹⁾ وهذا يعزز قيمة معلوماته.

وكتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م)، وهو تكملة لصلة ابن بشكوال، يضم مجموعة هامة من التراجم لعلماء الأندلس و المغرب الأوسط الذين رحلوا نحو الأندلس أو العكس، مرتبة حسب حروف الهجاء، وتكمن أهميته في ذكر أهم العلوم والآداب التي نبغ فيها هؤلاء العلماء وأهم آثارهم الفكرية والمشايخ الذين تعلموا عليهم، ويعتبر ابن الأبار من العلماء الذين دخلوا بجاية ومكث بها مدرسا، منذ سنة 635هـ/1237م، فهو على دراية كاملة بالمشهد الثقافي والفكري بالمغرب الأوسط.

إضافة إلى كتاب "وفيات الأعيان وأنباء الزمان" لأبي العباس أحمد بن خلكان (ت 681هـ/1282م) وهو معاصر للدولة الموحدية فترجم لخلفائها تراجم طويلة نسبيا مستفيدا خاصة من روايات الرحالة المغاربة، كما أمدنا بمعلومات هامة عن العديد من العلماء والفقهاء الذين هاجروا إلى المشرق، والأندلس وأهم مؤلفاتهم وتراثهم العلمي والأدبي.

ومن كتب التراجم المعتمدة في البحث كتاب "المغرب في حلى المغرب" لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م)، وهو يقع في جزئين يحتويان تراجم لبعض الشخصيات

(1) محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص22.

البارزة في الأندلس من الأمراء والوزراء والكتاب والشعراء، وحتى الغرباء عن الأندلس من الضفة الأخرى كالمغرب الأدنى والأوسط، مما ساعدنا على إعطاء صورة حسنة عن هذه الشخصيات وعن بعض مؤلفاتهم العلمية.

إضافة إلى كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، (ت 703هـ/1303م) وهو تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت 403هـ/1061م)، وكتاب "الصلة" لابن بشكوال (ت 578هـ/1182م) وهو يضم تراجم لرجال الأندلس والوافدين إليها من المشرق والمغرب، ويقع في تسعة أجزاء، إلا أن بعض أجزائه تعرضت للضياع، والأجزاء المعتمدة في البحث هي السفر الأول والرابع والخامس والسادس والسفر الثامن، وقد تضمن تراجم لعلماء من الغرباء على الأندلس وبالضبط من المغرب الأوسط رحلوا نحو مدن الأندلس للاستزادة من العلم وتركوا رصيذا معرفيا مهما، أو تراجم لرجال مهمة أندلسية هاجرت إلى العُدوة. وأهم مصدر أفادني كثيرا في دراستي هو كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م) فهو أهم مصدر اعتمدنا عليه لأنه يضم تراجم لفقهاء ومتصوفة وشعراء وأدباء، ولا يمكن لأي باحث في هذه الفترة الاستغناء عنه كونه يحتوي الكثير من الآراء النقدية ويكشف عن الازدهار العلمي والفكري والأدبي الذي بلغته بجاية في القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد ذكر الغبريني سبب تأليفه للكتاب بقوله "لما كان طلب العلم الديني فرضنا على الكفاية حيناً ومتعينا في الحال، ولم يكن بد في تحصيله من تلقيه عن الرجال"⁽¹⁾.

ومنهج المؤلف في تأليف الكتاب تاريخي بالدرجة الأولى، انحصر في ترجمته لمشاهير المائة السابعة ببجاية، سواء الأصليين الذين ولدوا ونشأوا بها، أو الوافدين عليها من شتى الأقاليم والحواضر الأخرى، وقد ترجم الكاتب لما يقرب من إحدى عشر شخصية، منها ما هو متعلق بالبجائيين، ومنها ما يتصل بهم وهم أكثر، وبخاصة من مدينة جزائر بني مزغنة وتلمسان ووهران وقسنطينة والقلعة وغيرها، وثانيها تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها، وذلك بعد التدهور السياسي الذي أصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الأموية سنة 430هـ/1038م، وثالثها تراجم الغرباء الوافدين عليها من المشرق، وعددهم قليل، وقد أفادني كثيرا بذكر علماء المائة السادسة، أو بداية المائة السابعة، وهي الفترة المدروسة من خلال قوله "وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة، ذكر الشيخ أبو مدين والشيخ أبو

1) الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

علي المسيلي والفقير أبو محمد عبد الحق الاشيلي رحمهم الله لقرب عهدهم بهذه المائ ة لأهم كانوا في أعقاب المائ السادسة للتبرك بذكرهم، ولانتشار فخرهم"⁽¹⁾.

وبالتالي يمكن أن نبين ما استفدته من عنوان الدراية:

- الجانب الديني: كل تراجم الكتاب تدور حول الفقهاء الذين كانت تزدان بهم بجاية، حيث شاع في هذه الفترة الزمنية الفقه المالكي، رغم محاولة الدولة الموحدية لفرض المذهب الظاهري.
- الجانب الصوفي: من خلال ذكره لأهم المتصوفة والزهاد، مبرزا التصوف بنوعيه السني والفلسفي، أما السني فهو الذي سار متقيدا بالقرآن والسنة النبوية والاهتمام بالتعبد والزهد، أما التصوف الفلسفي فهو يخص المتصوفة الذين يدرسون نظريات المعرفة والوصول إلى الحقيقة الإلهية بالمقاييس العقلية .
- الجانب الأدبي: من خلال التعريف بأشهر أدياء وشعراء بجاية، ومنهم المدائح النبوية، وصفات الرسول (ﷺ) ومعجزاته، إضافة إلى أشعار الطبيعة والزهديات، ومختلف الرسائل الإخوانية.

ومصدر آخر لا يقل أهمية عن عنوان الدراية وهو "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، تأليف أبي زكرياء يحيى بن خلدون (ت 780هـ/1378م) وقد أفادنا جزؤه الأول، الذي يعتبر مصدراً مهماً جداً من خلال سلسلة الأعلام التي يقدمها لنا من فقهاء تلمسان وأحوازها، خاصة عن علماء الفترة الموحدية، إلا أن ما يؤخذ عليه الاختصار الشديد في ذكر حياة هؤلاء الفقهاء، وإغفاله لتاريخ وفاة الكثير منهم.

وكتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب (779هـ/1374م) الذي ترجم فيه لأعلام غرناطة، وضمنه بعض تراجم المغرب الأوسط، ممن دخلوا غرناطة بها، أو بعض الغرناطين الذين هاجروا إلى المغرب الأوسط، مع ذكر نشاطهم العلمي وأهم تأليفهم.

وكتاب "الديباج المذهب" لابن فرحون برهان الدين (799هـ/1395م) الذي يعد من أهم المصادر التي ألفت في ترجمة رجال المذهب المالكي، حيث استفاد منه البحث في الكثير من الشخصيات

التي برزت في المذهب المالكي من علماء المغرب والأندلس، خاصة في عصر المذهب المالكي في عهد الدولة الموحدية.

(1) الغريبي: المصدر السابق، ص55.

وكتب أخرى ككتاب "الوفيات" لابن قنفذ القسنطيني (ت 809هـ/1406م) رغم ما أورده من اقتضاب في ترجمة الرجال،

أما مصدر "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لصاحبه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الملقب المديوني التلمساني (ت 1014هـ/1605م) فهو مصدرا مهما لتاريخ المغرب الأوسط الثقافي، خاصة مدينة تلمسان، رغم تأخر صاحبه نوعا ما عن الفترة التي ندرسها، وقد أنهى تأليفه سنة 1011هـ/1602م⁽¹⁾

وقد ترجم فيه لواحد وثمانين ومائة (181) من الأعلام والفقهاء والمفسرين والمحدثين وغيرهم، وذكر ستمائة وستة وثلاثين 636 مؤلفاً من المؤلفات التي ألفها علماء تلمسان أو درسوها للطلاب، وقد اعتمد على مصادر أخذنا منها أصلاً كالديباج لابن فرحون وعنوان الدراية للغبريني وبغية الرواد ليحيى بن خلدون.. وغيرها.

ورتب ابن مريم تراجمه حسب حروف الهجاء، وقد تفاوتت تراجمه في الطول تفاوتاً كبيراً، فبعضها لا يزيد على سطر واحد بينما خصص ابن مريم لبعض العلماء عدة صفحات من كتابه نذكر منها على سبيل المثال، إحدى التراجم بلغت عشرين صفحة، وهي ترجمة الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان، وما يجب التنبيه إليه أن ابن مريم ترجم لبعض الأعلام من فقهاء المالكية ممن لم تكن لهم علاقة مباشرة بتلمسان كخليل بن إسحاق والإمام عرفة والبرزلي، كما لم يكثر المؤلف من إيراد الشعر إلا قليلاً.

بالإضافة إلى جملة من المصادر المتأخرة نوعاً ما، ككتاب "جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس"، لأبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي (ت 1025هـ/1616م)، والذي عرف فيه بعلماء فاس، وخصص قسماً للغرباء الوافدين إليها من فقهاء المغرب الأوسط وغيره، كما للمؤلف كتاب آخر هو "درة الحجال في أسماء الرجال"، تناول فيه التعريف بالعديد من الشخصيات والفقهاء خاصة من المغرب الأقصى وبعض الوافدين عليه من المغرب الأوسط.

وكتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكي (ت 1032هـ/1627م) فيعتبر إلى جانب كتاب الديباج المذهب موسوعة لتراجم علماء المذهب المالكي، وبالتالي أفادنا في التعريف بأغلب علماء المغرب الأوسط باعتبارهم كانوا على المذهب المالكي وكتاب "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" لصاحبه أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ/1631م) ومن خلال استطراده لبعض التراجم قدم لنا معلومات قيمة عن الحياة العلمية والفكرية، وعن أعمال ومخلفات بعض الفقهاء والشيوخ.

1) ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة التعاليمية، الجزائر، 1908، ص314.

إضافة إلى كتب بعض المتأخرين خاصة من علماء المالكية ككتاب "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لابن مخلوف (ت1350هـ/1931م) وكتاب "تعريف الخلف برجال السلف" لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت1361هـ/1942م).

3- كتب البرامج والمعاجم

مثل كتاب ابن الأبار (ت658هـ/1260م) المعنون "بالمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي"، حيث قدم فهرساً كبيراً لكل شيوخه، وبالتالي استفدنا منه من خلال ذكره لبعض الفقهاء والعلماء الذين درس على أيديهم، وأصلهم من المغرب الأوسط، مع ذكره لأهم الكتب التي حملها عنهم.

و"برنامج شيوخ الرعيبي" (ت666هـ/1267م)، الذي أفادنا في التعريف بحياة بعض الفقهاء والعلماء الذين درس على أيديهم الرعيبي، من علماء المغرب الأوسط، وأهم ما درس على أيديهم إضافة إلى "برنامج الغبريني" الذي أفردته في نهاية كتابه عنوان الدراية، و "برنامج التجيبي" (ت730هـ/1329م) وبرنامج "ابن جابر الوادي آشي" (ت749م/1384م) و"برنامج المجاري" (ت862هـ/862م) الذي قدم لنا صاحب التحقيق معلومات عن تعريف الفهارس وأنواعها وتطورها، كما ترجم لنا حياة بعض العلماء والفقهاء ومنهم شيوخه بتلمسان، وكذلك الشأن بالنسبة "لفهرس ابن غازي" (ت919هـ/1513م) وفهرس "أحمد المنجور" (ت929هـ/1522م).

4- كتب الرحلات و الجغرافيا .

كانت سندا قوياً في ثنايا البحث من خلال معاينة الرحالة للأماكن ومعايشة الأحداث، كما زودتنا بمعلومات قيمة عن الجوانب المعيشية والثقافية والفكرية ومنها:
كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف (ت560هـ/1164م) استفاد منه البحث في الفصل الأول أثناء التعريف بمختلف الحواضر، حيث عاش هذا الرحالة الفترة الموحدية وصال وصال مختلف الحواضر وقدم لنا وصفاً دقيقاً عن حالها.
أما مصدر "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مجهول عاش خلال الفترة الموحدية وقد كان حياً سنة (587هـ/1191م) أي حضر فترة حكم يعقوب المنصور، كما يحتمل أنه كان أحد رحلات الدولة، أو البلاط نظراً لحصوله على بعض الرسائل الرسمية، كما تدل التفصيلات التي يمدنا عن جغرافية مدن المغرب أنه ينتمي إليها، وقد أفادنا الكتاب كثيراً خاصة في التقسيمات الجغرافية بالنسبة للمغرب الأوسط، وكذا التعريف بأهم حواضره، زيادة عن المعلومات التي يقدمها عن بعض الحملات العسكرية

خاصة ضد بني غانية، وكذا يقدم لنا معلومات هامة عن سفارة ابن منقذ رسول صلاح الدين إلى الخليفة المنصور.

إضافة إلى "رحل ابن جبير" تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" لصاحبه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الشاطبي، (ت 614هـ/1217م) الذي أفادنا في العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب وعن طريق الحج، وكذا عن هجوم ابن غانية، ومعلومات متفرقة عن بجاية وغيرها من مدن المغرب الأوسط.

وكتاب "رحلة التجاني" (ت 717هـ/1317م) التي أفادني خاصة في الفصل التمهيدي من خلال تتبعه لمدن المغرب الأدنى وكيف فتحها عبد المؤمن بن علي، وكيف تعرضت لحملة ابن غانية، كما تطرق إلى التنسيق الحاصل بين قرقوش وابن غانية زمن صلاح الدين، وكيف انفصل شرق المغرب الأوسط عن الموحدين وأصبح تابعاً للحفصيين.

ورحلة العبدري محمد بن محمد (ت 720هـ/1320م) المسماة "الرحلة المغربية" والتي اتجه من خلالها إلى الحجاز سنة 866هـ/1289م، مارا بالعديد من حواضر المغرب الأوسط وبالرغم من تجنيه في بعض الأحيان إلا أنه ترك لنا معلومات مهمة عن أهم الحواضر ومعلومات مهمة عن الحياة العلمية والثقافية بتلمسان وبجاية.

وكذلك كتاب "الروض المعطار" للحميري، (ت 727هـ/1327م) الذي أفادنا في الفصل الأول والخاص بالحواضر الثقافية في المغرب الأوسط خلال العهد الموحد، من خلال توضيح لجغرافية كل منطقة وظهورها ومختلف أنشطتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وكتاب "رحلة القلصادي" لأبي الحسن علي القلصادي (ت 891هـ/1486م) وتسمى بتمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، وأهميتها تكمن في أنها مثال رائع في الرحلات العلمية، كما أفادتنا في التعريف بمدن المغرب الأوسط التي مر بها وكذلك ببعض الشيوخ، وبمعنى الفهارس والإجازة.

إضافة إلى كتب المتأخرين كـ "صف إفريقيا" للحسن الوزان المدعو ليون الإفريقي (ت بعد 957هـ/1550م) وتعتبر رحلته هذه جزءا من كتابه "الجغرافيا العامة" الذي ألفه سنة 933هـ/1526م وقد أفادنا هذا الكتاب خاصة في تحديد المدارس التي أنشأها الموحدون، وكذلك الحدود العامة للمغرب الأوسط ووصف بعض حواضره.

وكتاب "إفريقيا" لمارمول كرنجال (ت أواخر ق 10هـ/16م) الذي يبدو أنه استفاد من كتاب الوزان كثيرا حيث يبدو نسخة طبق الأصل عنه، ويحيد عنه إلا في بعض التفاصيل.

5- كتب النوازل والفتاوى الفقهية .

كفتاوى البرزلي القيرواني (ت 841هـ/1438م) التي أصدرها بعنوان "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، حيث أفادني كثيرا في إثبات ظاهرة ابن تومرت وعبد المؤمن، وموقف المالكيين منها ومن تحريق كتب الفروع، كما أفادني في التعريف ببعض طرق التعلم السائدة في المغرب الأوسط إبان الفترة الموحدية باعتباره يجمع فتاوى العديد من الشيوخ منهم من عاصر هذا العهد.

وكتاب "المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ/1509م)، وكان هذا الكتاب مهما للدراسة بفضل ما تضمنه من فتاوى تعود بعضها إلى الفترة الموحدية، كما عاجلت الحياة العامة للمغرب في نفس الفترة (كالتعليم والحج...) وتناولت بعض آراء الفقهاء في المذهب الظاهري.

إضافة إلى بعض المصادر ذات الأهمية التربوية، حيث اعتمدت على بعض المصادر المتقدمة أو المتأخرة عن الفترة التاريخية للموضوع، وهذا لا يقدح في صلاحيتها للتعبير عن واقع تعليمي تمتد جذوره إلى الفتح الإسلامي، فتغير الدول، أو الأوضاع السياسية لا يعني بالضرورة تغيرا في المناهج والتقاليد المدرسية، خصوصا إذا علمنا أن التأثيرات الموحدية لم تمتد ولم تتغلغل في الطبقات الشعبية. ومنها كتاب "آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون (ت 256هـ/869م)، الذي أفادني كثيرا في طرق التربية وكيفية التدريس والتعامل مع الطلبة، وأهم المواد والمناهج.

ورسالة القابسي أبو الحسن علي (ت 403هـ/1012م) المعنونة "بالرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"، حيث قدمت لنا طرقاً هامة للتعامل مع الطلبة، في ضوء الشريعة الإسلامية.

بالإضافة إلى "رسالة في القضاء والحسبة" لمحمد بن أحمد بن عبدون النجيب (ت ق 6هـ/12م) التي نشرها ليفي بروفنسال في كتاب عنوانه "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، وقد أفادتنا في الطرق التربوية كونها تخص الفترة المدروسة بالضبط.

6- كتب التاريخ

أما كتب التاريخ التي اعتنت بالدولة الموحدية فهي لم تقدم لنا المعلومات الوافية عن الجانب الثقافي والفكري، بل أعانتني على بلورة الفكرة وترابطها تاريخيا، أي أخذ صورة عامة واضحة متسلسلة تاريخيا عن أهم الأحداث، وعلاقتها بالشخصيات التي ساهمت في الناحية الثقافية، وإن كانت تعنى غالبا بالنواحي السياسية والعسكرية، غير أنها تجود علينا في كثير من الأحيان - بفضل استطرادها - بمعلومات قيمة لا نكاد نعثر عليها في غيرها، أو نتيجة المحن التي تعرض لها بعض الفقهاء على يد الحكام السياسيين، ومن هذه الكتب:

كتاب "أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين" لأبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق (ت بعد 550هـ/1165م)، وهو من المصادر الهامة التي تحدثت بتفصيل عن سيرة المهدي وابتداء أمره بالمغرب، وهو المصدر الوحيد المعاصر لدعوة المهدي، فلقد كان البيدق تلميذا للمهدي ومرافقا له في رحلاته ويعمل على خدمته، وقد كتبه على الأرجح ما بين سنتي 547-550هـ/1152-1155م، وانتهى في تسجيل الأحداث عند سنة 547هـ/1152م، ويجعلنا نميل إلى القول بأن تسجيل الأحداث التي تعرضت لموت عبد المؤمن وبيعة ابنه يوسف كانت من وضع غيره⁽¹⁾، وقد اعتمد عليه مصدران آخران هما ابن القطان في كتابه نظم الجمان، وكذلك ابن عذارى في كتابه البيان المغرب وتكمن أهميته في التعريف بالجوانب الثقافية والعقلية والتفكيرية لابن تومرت، وذكره لبعض كتاب الدولة، وبعض رسائل المهدي إلى قبائل الموحدين والمرابطين، كما أفادنا كثيرا في الفصل التمهيدي عند التعريف بالارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بالموحدين .

كتاب "المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين"، لمؤلفه ابن صاحب الصلاة "عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي"، المتوفي أواخر المئة السادسة للهجرة" وهو من أهم مصادر تاريخ الدولة الموحدية، وذلك نظرا لمعاصرة مؤلفه لأحداث الدولة ومعابنته لها، بالإضافة إلى أن ابن صاحب الصلاة كان من بين كتاب الموحدين كما يذكر ذلك عن نفسه، الأمر الذي جعله يعتني بهذا الجانب، ويورد العديد من الإشارات المهمة عن المؤلفين والكتّاب، ولم يبق منه إلا مخطوط واحد يخص الجزء الثاني الذي يغطي المرحلة ما بين 550هـ/1155م و578هـ/1182م، أي السنوات الأخيرة من عهد عبد المؤمن وجل عهد يوسف الأول، كما يمتاز الكتاب بوصفه الدقيق للأحداث والأماكن، مما جعله مصدرا مهما عن الحياة الاجتماعية والثقافية إلى جانب تناوله الجانب السياسي، والكتاب غني بالرسائل الديوانية ذات الطابع الأدبي، كما يتضمن

1) ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص62.

الكتاب ديواناً من الشعر شارك فيه العديد من الشعراء، وأفادنا كثيرا في الفصل التمهيدي ، عند محاولتنا لشرح كيف تم ضم المغرب الأوسط إلى الحركة الموحدية.

ومن بين المصادر المهمة جدا والغنية بالجانب الثقافي، والفكري كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لمؤلفه عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م)، وهو مصدر ضروري جدا لعصر الموحدين، لأنه نشأ في كنف هذه الدولة وعاصر بعضها من أحداثها، حيث حرره خلال عهد يوسف الثاني، ورغم ما يعاب عنه بتناوله العهد الموحدى بنوع من السطحية سياسيا، واعتماده على ذاكرته الخاصة التي أصابها الوهن، إلا أنه نخدم البحث كثيرا في جوانب مساهمة الخلفاء في الحياة الثقافية والفكرية، بالإضافة إلى قيمة هذا المصدر الأدبية من خلال إيراده لمجموعة من الأشعار مما ساعدنا في اكتشاف المستوى الثقافي لهذه الفترة.

كما يعتبر كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" لأبي حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان الكتامي (كان حيا سنة 650هـ/1252م) من بين المصادر المهمة في هذا البحث، الذي عاصر أواخر خلفاء الموحدين، وهو يعتبر قطعة من موسوعة ضخمة في تاريخ المغرب والأندلس ضاع جملها، ويتضمن الجزء السادس المتبقي أخبار ثلاثة وثلاثين سنة من 500هـ/1106م إلى غاية 533هـ/1138م، لكن هويثي مرندا يعتبره الجزء الثامن⁽¹⁾ وتكمن أهميته التاريخية في نقله من بعض المصادر المفقودة ككتاب "فضائل المهدي" لأبي القاسم المؤمن، وكتاب المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب لليسع بن عيسى بن حزم الغافقي، أما أهميته بالنسبة للموضوع فقد ترأس طلبة العلم بمراكش ، ونال بخدمه السلطان دنيا عريضة، وذكر العديد من الأشعار والمظاهر الحضارية الثقافية لدولة الموحدين، وما يؤخذ عنه الغلو في رفع شأن آل عبد المؤمن، حتى أنه عد يعقوب المنصور في جملة شيوخه الذين ضمنهم برنامجه .

ومن المصادر الأساسية والتاريخية، التي تدمج ضمن الحوليات وهو كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، في جزئه الرابع والخاص بالموحدين والذي اكتشف مؤخرا، فهو يعتبر مصدراً مهماً جدا لكونه يقدم لنا صورة واضحة ومفصلة عن الأوضاع السياسية للدولة الموحدية، وحياة بعض الخلفاء، ولا يغفل تقديم الإشارات الثقافية والأدبية، ونصوصا لها أهمية كبيرة في الجانب الثقافي والفكري، وما يعاب على هذا المصدر وجود بعض الاختلاف أو التحريف في القصائد، وربما يكون في الغالب راجع إلى النسخ، كما أفادنا بصورة كبيرة في الفصل التمهيدي نظرا لطابعه السياسي والعسكري.

(1) أنظر: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمر، مطبعة النجاح الجديدة "مطبعة الزمن"، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص20. ويعود في جهة أخرى يصفه بأنه الجزء الثالث عشر، ص22.

وكتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع الفاسي (كان حيا سنة 726هـ/1326م)، أي عاش في العصر المريني، وأسلوبه جيد وهو أسلوب فقيه متوسط المعرفة بعلوم اللغة، أما عباراته فتختلف باختلاف الملقين والرواة الذين ينقل عنهم ولا ينسب إليهم كلامهم في أغلب الحالات، لهذا يوجد فيها البليغ والمتوسط والركيك، وطريقته في كتابة القرطاس ليست طريقة الحوليات، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول، واستفدت منه في موضوعي ما يتعلق بذكره للوفيات وبعض الشخصيات الفكرية والثقافية والسياسية لدولة الموحدين، إضافة إلى ما قدمه في الجانب السياسي عن حملات عبد المؤمن العسكرية على مدن وحوضر المغرب الأوسط.

وكتاب "الحلل الموشية" لمجهول (كان حيا سنة 783هـ/1381م)⁽¹⁾، وقد استفدنا منه كثيرا في الجانب الثقافي من خلال إيرادته لأشعار مختلفة، وتوضيح لمستوى بعض الشخصيات المطلوبة، كما زودنا بمعلومات قيمة في الجانبين التاريخي والسياسي لكيفية سقوط دولة المرابطين وظهور دولة الموحدين رغم ميله الواضح للدولة اللمتونية⁽²⁾.

ومن بين المصادر التاريخية التي لا بد أن يعتمد عليه أي باحث وهو "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، أو تاريخ عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) حيث قدم لنا معلومات غزيرة ومهمة عن أيام الدولة الموحدية، وكيف استطاعت ضم المغرب الأوسط وأهم أحداث تعيين ولاية تلمسان وبجاية وذلك في جزئيه السادس والسابع .

ولا يمكن أن نهمل كتابه "المقدمة" الذي عالج مواضيع عديدة وبطريقة رائعة حيث استفاد منه البحث في التعريف بمختلف العلوم والفنون وطرق التعليم .

إضافة إلى كتب بعض المشاركة كابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" الذي أمدنا بمعلومات هامة سياسية وعسكرية عن أهم مراحل ضم مدن المغرب الأوسط، وكذا كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير رغم قلة الاستفادة منه، وكتاب أب و شامة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1267م) "الروضتين في أخبار الدولتين" حيث قدم لنا معلومات عن العلاقات الثقافية مع المشرق خاصة منها سفارة ابن منقذ من قبل صلاح الدين .

1) وقد حاول الدكتور عبد القادر بوباية نسبة هذا الكتاب المجهول المؤلف إلى مؤلف معلوم وهو أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سمالك المالقي الغرناطي (ت ق 8 هـ)، وقد صدر بهذا التحقيق والانتساب عن دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، سنة 2010.

2) حققه محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، صدر عن دار الغرب الإسلامي، 1985.

7- الوثائق الرسمية

لو لم يكن الموضوع ثقافياً وذا طابع فكري لكانت مرتبة الوثائق الرسمية في الخانة الأولى نظراً لأهميتها التاريخية، ولكن في الجانب الفكري نجد فيها نزراً قليلاً من الإشارات الخاصة بذلك، ومنها: "مجموع رسائل موحدية"، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية الذي اعتنى بإصداره ليفي بروفنسال سنة 1941 وهي من المصادر المساعدة على فهم الأوضاع الثقافية وخاصة منها ذات الطابع الأدبي. إضافة إلى "مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية"، نشرها أحمد عزاوي، وهي مفيدة جداً خاصة في تبيان كتاب الدولة المؤمنية ومستواهم الثقافي والأدبي.

8- المراجع الحديثة

لم يظفر المغرب الأوسط بدراسة خاصة خلال الفترة الموحدية، وهذا حسب علمي المتواضع، رغم كثرة الذين عالجوا التاريخ الموحد، ضمن التاريخ العام للمغرب، بداية من كتاب "الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى" لأحمد بن خالد الناصري السلواوي (خ 1315هـ/1897م)، وما أورده عن تاريخ الموحدين وبعض الإشارات عن إنجازات خلفاء الدولة الثقافية والفكرية منها، ويعد كتاب الأستاذ عبد الله عنان "دولة الإسلام في الأندلس"، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، من المراجع الهامة جداً في بحثنا رفقة كتاب المنوني "حضارة الموحدين"، وكذا كتاب "الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"، عصر المرابطين والموحدين لحسن علي حسن. وكتاب "باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان"، للكاتب الحاج محمد بن رمضان شواش، وكتاب "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض حيث جاء بتراجم مختصرة حيث جمع 741 ترجمة، ورتبها حسب حروف الهجاء مع ذكر مصادره ومراجعته في الهامش، و "كتاب العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية"، لعمار هلال والذي أُرشدنا إلى أهم العلماء ومساهماتهم وتنقلاتهم، وكتاب لخضر بولطيف "فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي" وغيرها من المراجع المهمة.

9- المراجع الأجنبية والمترجمة

وقد استفدت كثيراً من كتاب أشباخ يوسف "تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين"، وكتاب أمبروسيو هويثي ميراندا "التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية"، خاصة في الجانب السياسي والعسكري، أي في الفصل التمهيدي.

إضافة إلى كتابي بوروية: ABD AL – MU' MIN flambeau des almohades و

Ibn Tûmart

10- الرسائل الجامعية .

إضافة إلى بعض الرسائل الجامعية ، سواء داخل الوطن أو خارجه، أفادتني من خلال الإطلاع على آخر الانتاجات البحثية والدراسات المعمقة الأكاديمية.

ونذكر منها رسالتي محمد مغراوي "العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحدين" و "خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية" ، ورسالة بلقاسم فيلاي "التعليم والدعوة الموحدية" وغيرها من الرسائل التي أعانتي في ثنايا الموضوع.


11 - المقالات والدوريات

في الحقيقة أن الرجوع إلى المصادر برمتها يعد من الصعوبة بمكان، لولا ما أسهم به باحثون ومؤرخون مغاربة من أبحاث ومقالات على صفحات المجلات، وأحيانا أخرى في كتب مطبوعة كانت لي عوناً وسندا في استكشاف بعض القضايا التي قد يكلف التنقيب عنها الشيء الكثير، وقد استفدت كثيرا من العديد منها خاصة في تقديم أفكار جديدة، ونظرة مغايرة عن القراءات السابقة، وهي كثيرة لا يمكن ذكرها الآن، إلا أنني سأشير إلى اثنين منها: الطاهر بونابي " نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط" وعثمان الكعاك " تلمسان ونشأة الدولة الموحدية" .


إضافة إلى ما ساهمت فيه بعض القواميس والمعاجم في شرح بعض المصطلحات والمفاهيم. وعموما هذه أهم المصادر التي اعتمدت عليها وقد أكملتتها والحمد لله منتظمة على نسقها من المهم إلى الأهم وحصل المراد منها والمرغوب، وبالله أعتصم وأستعين وهو خير عاصم ومعين وأياه أستهدي الصواب.



فصل تمهيدي



ارتقاء المغرب الأوسط بالموحدين وتسيير الإداري

- أولاً: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في كل الوحدة.
 - ثانياً: الارتقاء التاريخي للمغرب الأوسط بدولة الموحدين.
 - ثالثاً: المغرب الأوسط والتسيير الإداري الموحدي.
- 

نظرا لأهميّة المدخل من الناحية البحثية والفكرية ، إذ يجهد لبنة مهمة في التعريف بثنايا الموضوع ، وزرع أرضية ملائمة للقارئ وربط الأحداث وتسلسلها حتى نلم بكل ثناياه ومناخه، لأنّ الحركة الفكرية والثقافية تعتبر نتاجا لسيرورة من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، ارتأينا أن نستهل ذلك بفصل تمهيدي يشرح كل الأحداث.

لقد عم سلطان الموحدين جميع تراب الشمال الإفريقي من البحر المحيط غربا إلى طرابلس وبرقة شرقا ومن جبال الشارات "البرانس" بأقصى شرق الأندلس إلى تخوم صحراء إفريقيا الكبرى ⁽¹⁾، فهو أكبر سلطان وأعظم مملكة شهدتها الإسلام في الغرب الإسلامي.

كما للموحدين أكثر من سبب لكي يتقدموا شرقا ويضموا أملاك المغرب الأوسط لدولتهم، وأولها وحدة أمنهم باعتبارهم دولة ناشئة، وضعف الدولة الحمادية في التصدي للقبائل العربية والمهجوم النورماندي.

ورغم صعوبة تحديد المغرب الأوسط جغرافيا، في ظل الوحدة المفروضة سياسيا وتنقل القبائل من منطقة لأخرى لسبب أو لآخر وامتزاج بعضها بالعنصر العربي إلا أننا سنحاول حصره من أجل إبراز المنجزات، والتعريف بشخصيات هذا القطر.

أما من الناحية الإدارية يجب التمييز بين نوعين من الإدارة الموحدية: الإدارة المركزية والإدارة الإقليمية ذلك أن النوعين اختلفا في نشأتهما والتغيرات التي طرأت عليهما، فبينما بدأت الإدارة المركزية بنظم قليلة تكاثرت وتطورت مع مر الزمن نتيجة الحاجات العملية، كانت الإدارة الإقليمية وريثة نظم الولايات المفتوحة (تلمسان⁽²⁾، بجاية، مراكش، القيروان)

1) يذكر عبد الواحد المراكشي امتداد الدولة الموحدية بقوله "فملك -أي عبد المؤمن- في حياته من طرابلس المغرب إلى السوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس، وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته" المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص162. كما يذكر مؤلف مجهول أن حدود كلمة التوحيد - أي يقصد وصول كلمة الموحدين - إلى بلاد الصحراء متصلة من طرابلس إلى مدينة غانة وكوكو. أنظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ص111.

2) تلمسان بكسرتين فسكون مركبة من تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين أي تجمع بين التل و الصحراء .يجي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، 1980، ج1، ص85، أما عند أخيه عبد الرحمن تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين أي تجمع بين البر والبحر على لغة زناتة.ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة ، ط1، بيروت، لبنان، سنة 2000، ج7، ص102 كما يعود يجي ابن خلدون ليين معنى آخر لها بقوله فالبعض ينطقها تلسان وهي مركبة من "تل" ومعناها لها، "وشان" ومعناها شأن أي لها شأن.المصدر السابق، ج 1، ص85؛ وعبد العزيز لعرج، وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية، 2007، ص9-12.

أولاً: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في نصل الوحدة.

امتاز المجال الجغرافي بالتغير الشديد في حدود الدول، بل إننا في الكثير من المراحل التاريخية نجد أنفسنا أمام وحدة جغرافية لبلاد المغرب، إضافة إلى التركيبة القبلية لمجتمع المغرب الإسلامي خاصة في العهد الموحد، حيث حدث تمازج كبير وتنقل واسع للقبائل العربية والبربرية. لهذا يجب قبل الخوض في مناقشة مسألة المجال الجغرافي يبدو من المفيد التنويه إلى أن هناك أمرين يجب أخذهما بعين الاعتبار أثناء محاولة رسم الحدود بين المركز "عاصمة الخلافة" والمحيط "المغربين الأدنى والأقصى" باعتبار حدودهما بداية لحدود المغرب الأوسط.

الأمر الأول ذو بعد ثقافي حضاري له ارتباط بالشروط الاجتماعية والثقافية بحيث كانت الخلافة المركزية في مراكز تحاول قدر الإمكان إخفاء وإذابة الانتماء الجغرافي في إطار الوحدة الأم من خلال استدعاء بعض القبائل "كقبيلة كومية سنة 557هـ/1161م"⁽¹⁾ أو تحويل البعض منها كقبائل بني مرين من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى⁽²⁾، أو حتى الأدنى، أو استدعاء العلماء والكتاب لتولي مهام في العاصمة المركزية، وهذا ما ساهم في إذابة المغرب كله في بوتقة واحدة حتى مع الأندلس.

الأمر الثاني له ارتباطات بالناحية السياسية حيث حاولت الخلافة الموحدية تعيين الولاة على مختلف الأمصار والأقاليم مركزياً مع الحرص على تعيينهم من الأسياد "لقب السيد" أو ذو علاقات متميزة مع بيت بني عبد المؤمن⁽³⁾، وبالتالي كان أغلب الولاة أصلهم من المغرب الأوسط خاصة خلال

1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص201-202.

2) بنو مرين: هم فخذ من زناتة وهم ولد مرين بن وتاجن بن ماخوخ بن جيج بن فاتن بن يدر بن يحنف بن يصلين بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن شحيج بن واسين بن يصلين بن مسرى بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن حانا بن يحيى بن تمزيت بن ضريس وهو جالوت ملك البربر، ابن رحيح بن مادغيس الأبتن بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عرب الأصل. ابن أبي زرع: الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دتح، دار المنصور للطباعة، دط، الرباط، المغرب، 1972، ص14.

يرجح صاحب الذخيرة السننية سبب هجرة بني مرين إلى المغرب الأقصى لحرب بين بني عبد الواد وبين بني مرين بسبب امرأة، إضافة إلى خلو المغرب الأقصى من الناس بعد موقعة حصن العقاب، وإهمال الأراضي واهتمام خلفاء الموحدين بالملذات وانشغالهم عن العمل في الفلاحة. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص25-26.

3) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي الندرومي، ولد بقرية تاجرة بناحية بني عابد قرب مدينة ندرومة وعلى نحو ثلاث أميال من هنين مولده يتراوح بين 487هـ/1094م و500هـ/1106م، وكان والده المسمى بعلي أو يعلو قاضياً حسب بعض المؤرخين، وصانع الأوالي حسب بعضهم الآخر، ويحاول البعض رفع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وقد تعرف على ابن تومرت وبدأ معه رحلة إنشاء الدولة، حيث تولى قيادتها سنة 524هـ/1126م، بعد وفاة المهدي، ليستطيع تكوين إمبراطورية تمتد من الأندلس إلى أعماق الصحراء ومن ليبيا إلى البحر المحيط، وتوفي سنة 558هـ/1162م. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص139-

السنوات الأولى، أي أن تحديد المغرب الأوسط يتطلب الإلمام بالجانب الجغرافي والسياسي، باعتباره في هذه الفترة مصطلح جيو سياسي.

لذلك يجب الاقتراب منه أكثر والخوض في أدق التفاصيل السياسية والجغرافية وحتى الثقافية للوصول إلى استنتاجات حاسمة يمكن أن نتحدث من خلالها عن الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية.

إذن كيف يمكن أن ترسم حدود المغرب الأوسط في ظل وحدة سياسية تحت الحدود الحقيقية التقليدية وحتى الجغرافية المتعارف عليها؟.

هل يمكن أن نعتبر حدود المغرب الأوسط هي نفسها الحدود الموروثة عن الدولة الحمادية؟ أم نعلمد على الحدود التي كانت في نهاية الدولة الموحدية أثناء انقسامها؟ أم نحاول المزج بين الحدود المتعارف عليها قديما وحديثا باعتبار وجود وحدة حقيقية وتقسيم افتراضي فقط؟.

ويمثل ضبط المجال الجغرافي وتحديد طبيعة الوعاء الثقافي والفكري اللذين نشطت ضمنهما الحركة العلمية ، ضرورة ملحة ، لأنه يعكس مستواها وطبيعة أفكارها التي تلونت بالعادات والتقاليد وبالطابع المحلي⁽¹⁾.

يقسم ابن سعيد(685هـ/1287م) المغرب إلى سبعة أقاليم، منها إقليمان في المغرب الأوسط، وهما الإقليم الرابع، وفيه الجزء الأول ويشمل تلمسان، والجزء الثاني وفيه بجاية⁽²⁾.

ويؤكد الغبريني(ت704هـ/1305م) في أثناء حديثه عن الفقيه محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت675هـ/1277م) استعمال مصطلح المغرب الأوسط، عندما قال عن الفقيه " لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله"⁽³⁾.

-
166. للمزيد عن هذه الشخصية انظر عزالدين ميدون: عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري، مؤسس الدولة الموحدية، سلسلة إصدارات الجمعية الموحدية، ندرومة، أعمال ملتقى 1998، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص9-36، وصالح بن قرية: عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991؛ و Rachid Bouruiba. ABD AL – MU' MIN flambeau des almohades .SNED.1982.PP 12-57.
- 1) الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص100.
- 2) أنظر: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982، ص140.
- الجزء الأول ويبدأ من جزر السعادات الأربع وفيه سبتة ومراكش وتلمسان وصولا إلى جبال ونشريس، والجزء الثاني يبدأ من مدينة تنس وبجاية وقسنطينة وبونة وصولا إلى مدينة بترت وتونس، والجزء الثالث يبدأ من جزيرة جربة إلى الاسكندرية، أما الجزء الرابع فهو يبدأ من بحيرة تنيس شرق دمياط إلى مدينة الموصل. ابن سعيد: المصدر السابق، ص137-158.
- 3) أنظر: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رباح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1981، ص88.

وهذا دليل على أن بجاية ⁽¹⁾ كانت ضمن الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط حتى في الفترة الحفصية. أبو الفداء(ت732هـ/1331م) فيقسم المغرب إلى ثلاث أجزاء بقوله "وبلاد المغرب ثلاث قطع الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى وهو من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا... والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق"⁽²⁾.

كذلك ابن خلدون(808هـ/1405م) يحدد المغرب الأوسط بديار زناتة وكل قبائلها وبطونها، وقاعدتها اليوم تلمسان، بالإضافة إلى ديار زواوة وهوارة وكتامة الممتدة على إقليم بجاية وقسنطينة ⁽³⁾ وهذا يصعب على الباحث في ميدان التاريخ الثقافي والفكري تأطير عمله ضمن إطار جغرافي واضح نظرا لتنقل تلك القبائل وانتشارها على مساحات واسعة، مما يسبب في التغير المستمر في حدود المجالات الجغرافية المحددة.

ويشير الطاهر بونابي إلى أن هذا التمييز بين المغربين الأقصى والأدنى يدل على أن المغرب الأوسط ضارب في العمق الممتد من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، ومن البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا⁽⁴⁾.

عموما يمكن الحديث عن حدود تقريبية من الناحية الشرقية حددها الزهري(كان حيا سنة 541هـ/1154م): "وكذلك غربي هذا الصقع -أي مقاطعة إفريقية- في البر مدينة مليانة وزواوة وقسنطينة وقلعة بني حماد ومدينة برشك"⁽⁵⁾

كما يصف المراكشي(ت647هـ/1249م) المعاصر للفترة الموحدية -عندما تغلب عبد المؤمن على بجاية- بقوله: "...حتى أتى مدينة بونة وهي أول حد بلاد إفريقية..."⁽⁶⁾ ويضيف قوله "فحد بلاد

(1) بجاية بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياه وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين (454-481 هـ/ 1062-1078م) في حدود سنة 457 هـ/ 1064م كانت قديما عبارة عن ميناء ثم بنيت المدينة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، صادر، بيروت، 1977، ج1، ص339. كما يسانده ابن الأثير في تاريخ بناء بجاية بتحديد سنة 457 هـ/ 1064م. أنظر: الكامل في التاريخ، تحقيق خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصدر، دت، ج8، ص349. و يقول ابن خلدون في تسميتها "وفي سنة 460هـ/1067م، افتتح الناصر جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسمها الناصرية، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية". أنظر: المصدر السابق، ج6، ص231-232 ومن الواضح أن بجاية أخذت اسمها من القبيلة التي كانت تسكنها.

(2) أنظر: تقويم البلدان، اعتنى به رينود و البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص122.

(3) أنظر: العبر، ج6، ص134.

(4) أنظر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص33.

(5) أنظر: كتاب الجغرافية، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دت، ص107.

(6) أنظر: المعجب، ص144.

إفريقية مما يلي المغرب المدينة المعروفة بقسطنطينية الهواء، وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعته⁽¹⁾، وأيد ذلك ابن سعيد بأن أول سلطنة إفريقية على البحر مدينة بونة⁽²⁾ كما أكد "أن بجاية قاعدة المغرب الأوسط"⁽³⁾ أي أن بجاية جزء من المغرب الأوسط.

وأوردها التجاني (717هـ/1317م) عندما تكلم عن مصطلح المغرب الأوسط في أثناء حديث عن بجاية وأحوازها⁽⁴⁾، كذلك حيث كانت بجاية تابعة للمغرب الأدنى سياسيا. وبالتالي يمكننا أن نرسم خطا افتراضيا عموديا يبدأ من بونة ويصل إلى قسنطينة كحد للمغرب الأوسط من ناحية الشرق، حيث يحدده المراكشي بطول خمس مراحل من خلال قوله "ومن مدينة بونة إلى مدينة قسنطينية التي هي أحد حدي إفريقية خمس مراحل"⁽⁵⁾.

أما بخصوص الحدود الغربية فيحددها المراكشي دائما بقوله "...وحد عمَلِ المغرب عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم، من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة مكناسة الزيتون..."⁽⁶⁾ أي أن إقليم تلمسان كان جزءا من المغرب الأوسط، رغم ما أضيف له من مدن تابعة للمغرب الأقصى، كوجدة وتازا، مما تسبب في نزاع بين المرينيين (616هـ/1219م-869هـ/1406م) وبني عبد الواد (633هـ/1235م-924هـ/1518م) بعد تفكك الدولة الموحدية⁽⁷⁾.

ويدعم الإدريسي (ت 560هـ/1165م) اعتبار تلمسان نهاية المغرب الأوسط بتأكيده أن "تلمسان قفل بلاد المغرب"⁽⁸⁾، كما حدد صاحب الاستبصار (كان حيا سنة 587هـ/1191م) أن تلمسان تقع ضمن حدود إقليم المغرب الأوسط، الذي جعلها عاصمة لهذا الإقليم، وجعلها تمتد إلى حدود وادي ملوية غربا، وبذلك تكون المدن التي تقع شرق هذا النهر، وشمال جبال درن الشرقي، تابعة لهذا الإقليم، ويضم مدينة وجدة إلى غاية تازا⁽⁹⁾.

كما ذهب في منحاهم ابن سعيد عندما بدأ بوصف المغرب الأوسط باعتباره الإقليم الرابع "...أعدل الأقاليم وأحسنها حيوانا ونباتا، وهو أوسط الأقاليم السبعة، الجزء الأول... ومنه أرشقول

(1) أنظر: المعجب، ص 250.

(2) أنظر: كتاب الجغرافية، ص 142.

(3) نفس المصدر والصفحة.

(4) أنظر: الرحلة، تقدم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981، ص 343.

(5) أنظر: المعجب، ص 252.

(6) نفسه، ص 181؛ و هو بكتز: النظم الإسلامية في المغرب، في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، ط 2، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص 69.

(7) قدور أحمد: المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،

1987-1988، ج 2، ص 308.

(8) أنظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قسم المغرب العربي، تحقيق محمد حاج صادق، د ط، الجزائر، 1983، ص 102.

(9) أنظر: المصدر السابق، ص 176؛ والزهرري: المصدر السابق، ص 113؛ وقدور أحمد: المرجع السابق، ج 2، ص 323.

فرضة تلمسان"⁽¹⁾ وأما أبو الفدا فيتحدث عن تلمسان ووهران ويصفهما أهما آخر المدن في المغرب الأوسط والمحاذية للمغرب الأقصى"، ومن فاس إلى تلمسان عشرة أيام، ومن تلمسان إلى وهران على البحر مرحلة، وهي آخر المغرب الأقصى من جهة المغرب الأوسط"⁽²⁾.

ليؤكد ذلك ابن خلدون من خلال قوله "هذه المدينة -أي تلمسان- قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن"⁽³⁾.

ويذهب في هذا المنحى المؤرخ مارمول بقوله: "ومملكة تلمسان...يحدها غربا مملكة فاس، إذ يفصل بينهما نهران، أحدهما يسمى زيز والنهر الآخر ملوية... وتمتد هذه المملكة إلى مصب نهر آخر يفصل هذه الإمارة عن جيغل آخر مدينة بحرية بإقليم بجاية"⁽⁴⁾.

ليعود ابن خلدون عندما يتحدث عن قبيلة بني ومانو وبني يلومي⁽⁵⁾ -التي سيكون لها دور في حروب عبد المؤمن مع المرابطين- التي تتركز على الحدود مع المغرب الأقصى يصفهم بقوله "وموطنهم جميعا بالمغرب الأوسط"⁽⁶⁾، ورغم صعوبة اتخاذ القبائل كدليل للضبط الجغرافي نظرا لتنقلهم المستمر فإن ذلك لا يعني عن الاستعانة به، ويدعم طرحنا هذا المؤرخ هويثي مراندا عندما يكتب عنوان "الحرب في المغرب الأوسط" حيث يبدؤها بالحديث عن قبيلة بني ومانو⁽⁷⁾. (لاحظ الملحق رقم 1)

كما أن ابن خلدون نفسه يرجع ويبين حدود المغرب الأقصى ولكن هذه المرة جغرافيا -حدود المغرب الأقصى الشرقية هي بداية حدود المغرب الأوسط من ناحية الغرب- بقوله "فأما المغرب الأقصى فهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق، إلى آسفي حاضرة البحر المحيط... وأما نهر ملوية فهو آخر المغرب الأقصى..."⁽⁸⁾ ويجعل الزهري مدينة وجدة ومدينة تازا ضمن إقليم تلمسان⁽⁹⁾.

1) أنظر: كتاب الجغرافية، ص 140.

2) أنظر: تقويم البلدان، ص 129.

3) أنظر: العبر، ج 7، ص 102.

4) أنظر: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1984، ج 1، ص 291. وأما نهر ملوية فمساحتها من خروجه إلى أن يقع في بحر الروم مائة وعشرون فرسخا. الزهري: المصدر السابق، ص 140.

5) هما قبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الأولى، ولم نقف على نسبهما إلى جانا، إلا أن نسبتهما متفقون على أن يلومي وورتاجن الذي هو أبو مرين أخوان وأن مديون أخوهما للأم، ذكر غير واحد من نسبتهما، وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب، ويوجبون لهم العصبية له، وبنو ومانو في الجهة الشرقية عن واد مينا وبنو يلومي بالعدوة الغربية منه، وكانوا في كثير من الحالات في عداوة مستمر. ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص 74-75.

6) أنظر: المصدر نفسه، ج 7، ص 74-75.

7) أنظر: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمر، مطبعة النجاح الجديدة "مطبعة الزمن"، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 120-121.

8) أنظر: العبر، ج 6، ص 133.

9) أنظر: كتاب الجغرافية، ص 113.

لقد خرج بملخصه أحد الباحثين في تحديد المغرب الأقصى من الناحية الشرقية "أن الحد الشرقي للمغرب الأقصى في عهد الموحدين كان يوجد ضمن إقليم تلمسان"⁽¹⁾.

أما الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط في العهد الموحد، فمن الصعب تحديدها، سوى من خلال الاستنتاجات والمقاربات، حيث يعتبر الجغرافي الزهري مدينة وركلان كحد تبدأ منه الصحراء الكبرى⁽²⁾.

يذكر ابن خلدون أن حدود المغرب بصفة عامة هي مدينة وركلان⁽³⁾ أما يوسف أشباخ فيقول "وعدت دولة الموحدين أعظم من دولة المرابطين، وكانت تحد عندئذ من الجنوب بالصحراء الكبرى"⁽⁴⁾.

وقد كانت وركلان التي تعتبر إقليمًا إباضية، من أملاك الموحدين، نظراً لأهميتها الاقتصادية، باعتبارها ممر نحو السودان الغربي والأوسط في تجارة الذهب والرقيق⁽⁵⁾ حيث يحدثنا الدرجيني عن وصول دعوة الموحدين بقيادة رجل يدعى "العتروسي" فاستجابوا لها والدخول في طاعتهم⁽⁶⁾.
أي أن دعوى الموحدين قد وصلت في عهد الفقيه أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوردجاني (500-570هـ/1106-1174م) وهو ما يوافق عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1129-1162م) وابنه أبي يعقوب يوسف (558-580هـ/1162-1184م)⁽⁷⁾.

كما عثرنا في مخطوط يتحدث عن إقليم توات وسبب التسمية، حيث يسهب في تفسيره وشرحه الشيخ سيد البكري (ت القرن 14هـ/19م) إذ يقول "في سنة 518هـ/1124م غلب المهدي الشيعي

(1) قدور أحمد: المرجع السابق، ج2، ص 306.

(2) ويحدد في موضع آخر المسافة بين ساحل بحر الروم ومدينة وركلان بخمسة وثلاثون يوماً وهي ثلاثمائة وخمسون فرسخاً. أنظر: الجغرافية، ص137.

(3) أنظر: العبر، ج6، ص134.

(4) أنظر: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1996، ج 2، ص 49-50.

(5) ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1990، ص62.

(6) أنظر: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، ط 2، د ت، ودار نشر، ج 2، ص 315. عكس ما قاله الدكتور عز الدين موسى: في كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي "ولا يُعرف-أي الموحدين- أنهم دخلوا وركلان" دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 2003، ص 41، ربما لعد إطلاعه على الكتب الإباضية.

(7) إبراهيم بحاز: صور من الإباضية في عهد الموحدين، مجلة الحياة، جمعية التراث، غرداية، العدد 2، 1999، ص 149.

أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ولد بتنمل بالمغرب في شهر رجب سنة 533هـ/1138م، وتولى السلطنة بعد وفاة أبيه عبد المؤمن مؤسس الدولة، في جمادى الآخرة سنة 558هـ/1162م، وقد واجه في بداية حكمه بعض الاعتراضات من إخوانه الأكبر سنًا ولكنها زالت سريعًا، جرح في معركة شنترين الشهيرة بالأندلس، فمات في 18 ربيع الآخر 580هـ/29 يوليو 1184م. ولمزيد من المعلومات أنظر: المعجب، ص 166-185.

سلطان الموحدين على المغرب، فبعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات، فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات -أي أهل إقليم نبات التوت- لأن السلطان قبله منه في المغرب⁽¹⁾ وإن دل هذا القول على شيء فهو يثبت وصول الدعوة الموحدية إلى إقليم توات، مما يمكننا من رسم خط افتراضي لحدود المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدية من الجنوب وهو الخط المستقيم الممتد من إقليم وركلا إلى إقليم توات.

غير أن الباحث لي تورنو في حديثه عن قبائل بني مرين، يفند ذلك بقوله "...وهذا يدل في جملة ما يدل على أن إمبراطورية الموحدين في المغرب الأوسط لم يتجاوز سلطانها المنطقة الساحلية المعروفة بالتل"⁽²⁾.

ويظهر من خلال كل هذه الإشارات التي ذكرها الجغرافيون والمؤرخون أنه لم تضبط حدود المغرب الأوسط بصورة واضحة المعالم رغم اختلاف بعض الآراء، لكنه يمكننا من حصر دائرة البحث في مجال معين.

إذن على العموم تبقى المسألة كلها نسبية، باعتبار مختلف الشروط المحيطة من سياسة واقتصاد وتاريخ وكلها تتدخل في تحديد ورسم معالم المغرب الأوسط الجغرافية، كما يمكن الوصول إلى نتيجة، وهي أن خضوع المغرب والأندلس لسلطة سياسية واحدة "السلطة الموحدية" سمح للمغرب الأوسط بالاستقرار وكسب أكبر قدر ممكن من المساحة بفضل المسالمة مع الجيران "المغرب الأدنى والأقصى" نظرا لطبيعة الدولة والحدود المفتوحة.

1) محمد بن عبد الكريم البكري: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، ورقة 6. ولا يستبعد وصول دعوة المهدي إليها لأنه نظم نفسه منذ سنة 514هـ/1120م بمنطقة إجليل الجنوبية (إيكلي هرغة) التي أعلن منها مهدويته سنة 515هـ/1121م؛ البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص52-53؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص38-39. فدخلت دعوته مرحلة التوسع بالسلاح مما يرجح امتداد دعوة المهدي إلى منطقة توات التي لها خط افتراضي مواز لإجليل.

2) أنظر: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 2، الدار البيضاء، 1998، ص90.

ثانيا : الارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بدولة الموحدين .

إن الأحوال التي تروىها لنا مصادر الموحدين عن ظروف وإرهاصات بداية الدعوة، يجب أخذها بحذر ، وعدم الاعتماد عليها كندراس للتعرف على المناخ السياسي السائد، والمساهم في بلورة العمل الفكري الموحد.

ويعد البيدق(ت555هـ/1160م) رفيق ابن تومرت أحد رواة هذه الظروف، حيث يكشف عن مدى ما كان عليه المغرب أيام الحماديين، و المرابطين من البعد عن تيارات الحرية الفكرية، التي كان يتميز بها المشرق الإسلامي، والتي اغتترف من مناهلها العذبة محمد المهدي بن تومرت⁽¹⁾، ثم لم يقف به الأمر عند الحدود العلمية، فقد اكتسب آراء وأفكارا جديدة في السياسة، إذ جال في أنحاء الخلافة الفاطمية التي كاد يمزقها الخلاف بين السنين والشييعين، وعاش في أحضان الخلافة العباسية، وهي تقترب من نهايتها، فلمس بنفسه ما عليه العالم الإسلامي من ضعف ووهن⁽²⁾.

لنتساءل هنا هل يمكن الحديث عن كيفية الارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بالدولة الموحدية بالطريقة الكلاسيكية المعروفة؟ أم عن تحول مستمر في المواقع بين المغرب الأوسط، والصراع الدائم مع المغربيين الأدنى والأقصى⁽³⁾ حيث كانت هنا الغلبة للمغرب الأقصى، ولكن بأيادٍ ذهبية بيضاء من المغرب الأوسط "عبد المؤمن وأبنائه"؟

1) أنظر: أخبار المهدي، ص 29، ص31-32، ص40-44، ص46-48، ومجهول: الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص104-105.

المهدي بن تومرت: أصله من هرغة من بطون المصامدة، يسمى أبوه عبد الله وتومرت، وكان يلقب في صغره أيضا أمغار، وهو محمد بن عبد الله بن وجليل بن بامصال بن حمزة بن عيسى، وذكر بعض مؤرخي المغرب أنه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا ابن سفيون بن الكلديس بن خالد، وزعم الكثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي إدريس الأكبر. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص301.

2) المصدر نفسه، ج6، ص302. كما التقى ابن تومرت في جولته العديد من العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الإمام الغزالي حيث أكد العديد من الباحثين هذا اللقاء

mart, 2^eEd, Alger ,S.N.E.D ,1982, p27.ûBourouiba ,Rachid :Ibn T

بينما ينفي البعض هذا اللقاء من أساسه كجوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص124.

3) اعتبر أندري جوليان حركة الموحدين هي مقاومة للمدرسة الفقهية العتيقة، ولم يكن انتصارهم سوى فوز قبائل الجبليين على الرجل الصحراويين وانتقاما متأخرا حققتة زناة المستوطنون بالمغرب الأوسط على صنهاعة. أنظر: المرجع نفسه، ص123.

ألا يمكن أن نعيد تصحيح التاريخ واعتبار الدولة الموحدية دولة مغرب أوسطية، أو نصبح نطلق عليها بالدولة المؤمنية فقط نسبة إلى عبد المؤمن وأبنائه، لتوضيح الدور الكبير للمغرب الأوسط في قيام الدولة وحضارتها؟ .

كان حضور المغرب الأوسط في حياة الدولة الموحدية منذ الخطوات الأولى لداعتهم المهدي بن تومرت، من خلال نزوله على قسنطينة قادمًا من تونس، حيث نزل عند الفقيه عبد الرحمن المليي، وكان أميرها سبع بن العزيز⁽¹⁾، ثم اتجه من قسنطينة إلى بجاية، ونزل بها بمسجد الريحانة، وكان يحث الناس دائما على الخير وينهى عن المنكر، وبنى مسجدا في ملالة⁽²⁾، لتدريس الطلبة، وهناك التقى بعبد المؤمن بن علي (ت558هـ/1162م)⁽³⁾، فاصطحبه في رحلته نحو المغرب مارا بمتيجة، ثم مليانة، ثم نحو وانشريس، أين التحقت بهم شخصية أخرى سيكون لها وزن مهم فيما بعد وهو عبد الله بن محسن الوانشريسي المكنى بالبشير، ليواصلوا السير نحو الشلف، ثم إلى تلمسان، ومنها نحو وجدة⁽⁴⁾، ولا تهمنا كثيرا الأحداث التي جرت في المغرب الأقصى وظهور أمر الدعوة الموحدية لبعد الوقائع عن المغرب الأوسط.

لقد انتظر عبد المؤمن بن علي مدة عشر سنوات بعد وفاة المهدي⁽⁵⁾ وذلك قبل أن يشرع في فتح شرق المغرب سنة 533-534هـ/1139م، بعد أن انتصر في العديد من المعارك ورأى الفوضى التي وصلت إليها بلاد المغرب بسبب القبائل العربية، وكذا الغزو النرماندي⁽⁶⁾، كما تأكد عبد المؤمن أنه

(1) البيدق: المصدر السابق، ص30.

(2) ملالة قرية صغيرة عظيمة الأهمية تبعد 7 كلم جنوب بجاية وهناك التقى عبد المؤمن بن علي والونشريسي، وتعاهدا على بناء الدولة. عثمان الكعاك: تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975، ص121.

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 127-128؛ وابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان (الجزء السادس منه فقط)، تحقيق محمد علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 1990، ص176؛ ومجهول: الحلل المشوية، ص106؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص173؛ وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972، ج5، ص48؛ وابن عذارى: البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1985، ص80؛ والسلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، ج2، ص73.

(4) البيدق: المصدر نفسه، ص37-40؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص74.

(5) اختلف المؤرخون في ضبط تاريخ وفاته حيث يذكر البيدق أنه يوم الأربعاء، وقيل الخميس 25 رمضان من عام 524هـ. البيدق: أخبار المهدي، ص64. بينما يحدده ابن أبي زرع بيوم الخميس 25 رمضان 524هـ أو الثالث عشر من رمضان. أنظر: الأنيس، ص180-181؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص87 بينما يحددها ابن القطان بيوم الاثنين، 14 رمضان 524هـ. أنظر: نظم الجمان، ص167.

(6) روبرا برونشيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص32. ويعتري الفترة التي تبدأ من 528هـ إلى 533هـ الكثير من اللبس والتناقض عند البيدق الذي خاتمه الذاكرة كثيرا فنسب قيادة جيش المرابطين إلى تاشفين بن علي غير مرة في الفترة التي كان فيها تاشفين واليا على الأندلس. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص111.

لا يمكن تحقيق النصر على المرابطين بالإمكانات التي تتوفر عليها في المغرب الأقصى لهذا قرر البحث عن دعم زناتة ومنها قبيلته الأصلية كومية لهذا قرر القيام بحملة نحو الشمال⁽¹⁾.

ثم خرج عبد المؤمن وابنه أبو محمد عبد الله بجيش حيث سار نحو الشمال⁽²⁾ في حملته الطويلة الأعوام⁽²⁾ (لاحظ الملحق رقم 02).

عندئذ غادر عبد المؤمن الريف وتوجه إلى ناحية بادس -على الحدود مع المغرب الأوسط- ثم منها إلى ناحية تلمسان، أين دخل ندرومة بلاد كومية، فدخل أهلها في الدعوة الموحدية سلما، نظرا للقرابة مع عبد المؤمن بل وحصل على الدعم اللامشروط من أبناء قبيلته، ثم قام باستعراض قواته⁽³⁾.

وأرسل سرايا في جهات مختلفة منها نحو ساحل وهران، وكذا تلمسان⁽⁴⁾، حيث قسم الجيش إلى ثلاث فيالق وضع على رأس الأول عبد الرحمن بن زكو الذي قام بهجوم مباغت على وهران، وعاد على إثرها محملا بالغنائم، ووضع على رأس الثاني إسماعيل يكيك الذي شن غارة على قبيلة بني وانون، بينما وضع على رأس الثالث يوسف بن وانودين الذي هاجم قبيلة مديونة بمنطقة تلمسان⁽⁵⁾.

وفي مطلع 538هـ/ صيف 1143م عين تاشفين بن علي الموجود بتلمسان الربرتير⁽⁶⁾ على رأس قوات مرابطية لمعاقبة بني ومانو، غير أن هؤلاء تمكنوا من الفرار والتوغل في الجبال مع قوات موحدية وزناتية⁽⁷⁾، ولما لاحظ تاشفين بن علي انضمام عدد من شيوخ مسوفة وزناتة إلى قوات الموحدين، بعث

1) هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 113.

2) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 16؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 186 حيث دامت سبع سنوات إذ بدأت في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسائة إلى إحدى وأربعين وخمسائة. الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط 2، تونس، 1966، ص 7؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 93؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 113؛ وعزا لديني عمر موسى: المرجع السابق، ص 42.

3) يتحدث عبد الواحد المراكشي عن زيارة أخرى قام بها عبد المؤمن إلى مسقط رأسه بعدما أصبح خليفة. أنظر: المعجب، ص 163.

4) حيث بعث إليهم عبد المؤمن قائد ه يوسف بن وانودين، الذي هزم القائد المرابطي على تلمسان محمد بن يحيى ابن فانو وقتله بوادي الزيتون. البيدق: المصدر السابق، ص 81-82.

5) البيدق: المصدر نفسه، ص 82؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 19؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 113. ومديونة قبيلة من إحوة مغيلة ومظماطة، من ولد فاس، ومواطنها منطقة تلمسان. ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 165.

6) الربرتير **EL Reverter**: فارسا نصرانيا وهو روبرتو القطلوني قائد جند الروم أو النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي أيام علي بن يوسف بن تاشفين، وقد قتل في معركة سنة 539 هـ/ 1144م. عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1990، ج 2، ص 147 وقع في أسر علي بن ميمون قائد الأسطول المرابطي فأسلم فخدم للسلطان علي بن يوسف بن تاشفين. البيدق: المصدر نفسه، هامش، ص 71. أما هويثي ميراندا فيشير أنه كان منفيا في بلاد المرابطين من قبل الكونت رامون بيرينغر الرابع بيشلونة. أنظر: المرجع السابق، ص 108.

7) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص 75؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 19 بوصول عبد المؤمن إلى هذه المنطقة التي ينتمي إليها بدأ ميزان القوى في صراعه ضد المرابطين يميل لصالحه خصوصا بعد أن خضعت له قبيلة بني ومانو -من زناتة المغرب الأوسط- ذات الثقل الكبير بالمنطقة. هويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 113.

برسائل إلى أنحاء دولته يطلب فيها إرسال إمدادات عسكرية، فوصلته من سجلماسة وكذا بجاية التي وصل منها فيلق كان على رأسه ظاهر بن قباب قائد صنهاجة بني حماد، كما وصلته قوات من الأندلس ، فجمعها تاشفين بن علي بمراكش في استعراض كبير⁽¹⁾.

واستطاع عبد المؤمن قتل البربرتي⁽²⁾ قائد جيش المرابطين بالتواطؤ مع قبيلة جزولة التي خانته⁽³⁾ وأوقع بالزناتيين في سيرات سنة 539 هـ/1144 م⁽⁴⁾، ثم وضع مخيمه في منطقة الصخرتين⁽⁵⁾ بهدف محاصرة تلمسان، فرد عليه تاشفين بن علي بوضع مخيمه في حصن سطفيسيف⁽⁶⁾، فوقعت ولمدة شهرين كاملين مناوشات يومية بين الطرفين، انتهت بهزيمة تاشفين بن علي و لقائد جيش بجاية المرابطي⁽⁷⁾.

بعدها أدرك تاشفين بن علي خطورة ترك مخيمه في سطفيسيف المجاور لتلمسان، قرر تركها والاتجاه إلى حصن بوهران ليواصل من هناك محاربة الموحدين وذلك في نفس السنة 539 هـ/1144 م⁽⁸⁾ وأرسل ولي عهده إبراهيم إلى مراكش⁽⁹⁾.

في تلك الأثناء وقعت انشقاقات داخل الجيش المرابطي، مع جو كبير من التشاؤم، رغم مدة الإقامة بوهران التي لم تتجاوز الشهر الواحد⁽¹⁰⁾، كما انضم المغراويون وبنو مرين إلى عبد المؤمن، و

1) مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 131؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 20.

2) أو الزبرتي عند ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 307.

3) البيهقي: المصدر السابق، ص 84-85؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص 264؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 20؛ ومجهول: المصدر نفسه، ص 130-132؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 94. ويقدم لنا ابن خلدون رواية أخرى عن مقتله حيث قاد البربرتي حملة ضد بني سنون وزناتة السهل الخاضعين للموحدين، وأنه بعد أخذ غنائمهم وأثناء عودته اعترض طريقه الموحدون وقاموا بقتله وصلبه. أنظر: المصدر نفسه، ج 6، ص 307-308.

4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط 3، بيروت، لبنان، 1983، ج 4، ص 98؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 326؛ وإبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط 3، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ج 1، ص 261. مدينة سيرات الموجودة بغرب المغرب الأوسط على الحدود مع المغرب الأقصى. ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 307، ج 7، ص 74.

5) جبل الصخرتين: هو جبل مطل على تلمسان حيث ضريح الشيخ أبي مدين الغوث وضريح الصالحة لالة ستي، وقرب مدينة المنصورة التي بناها بنو مرين. البيهقي: المصدر السابق، هامش ص 39؛ وابن غازي: الروض الممتون في أخبار مكناسة الزيتون، د تح، مطبعة المامونية، ط 1، الرباط، 1952، ص 8.

6) سطفيسيف: هو واد يجري شمال تلمسان ويصب في نهر يسر، يعرف اليوم بواد الصفصاف. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، د ت، د ط، ص 77.

7) البيهقي: المصدر نفسه، ص 85-86؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 308 وقد أرسل عامل بجاية حمادي ميمون أثناء ذلك برسالة إلى عبد المؤمن يخبره بأخذه بعقيدة الموحدين ويعدّه بتسليم بجاية عند مجيئه وهو ما تم بالفعل. هويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 124.

8) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 21؛ ومجهول: الحلل الموشية، المصدر نفسه، ص 132.

9) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 308؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 124.

10) البيهقي: المصدر نفسه، ص 86.

الموحدون من الوصول إلى حصن تاشفين ومحاصرته وإضرار النار فيه، فهلك في 27 رمضان سنة 539هـ/1144م وهو يحاول النجاة بفرسه ليلاً⁽¹⁾.

وواصل عبد المؤمن وقائده أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي حصار وهران⁽²⁾، حتى جهدهم العطش فترلوا جميعاً على حكم عبد المؤمن في عيد الفطر من نفس السنة⁽³⁾ وقتل خاصة تاشفين بن علي وأهله وهم حوالي ثلاثمائة نفر من خدم وحشم وجند غير نظامي⁽⁴⁾.

وكانت تلمسان على هذا العهد مقسمة إلى مدينتين، القديمة وتدعى أكادير —في الجهة السفلى— والثانية شيدها يوسف بن تاشفين وتدعى تآكرات⁽⁵⁾، وهي التي كانت توجد بها المؤسسات الإدارية والحامية العسكرية⁽⁶⁾، حيث فتح عبد المؤمن تآكرات دون مقاومة⁽⁷⁾، ثم حاصر أكادير ودام حصارها مدة سبعة أشهر من شوال 539هـ إلى ربيع الثاني 540هـ/1145م⁽⁸⁾، وقاد دفاع المدينة فقيه يدعى عثمان، وكان عبد المؤمن قبل إتمام فتح أكادير قرر التوجه إلى فاس التي التحأ إليها المرابطون

1) حيث وصلت إمدادات بحرية من مدينة ألمرية بقيادة محمد بن ميمون، وكان تاشفين يحاول التسلل إليها ليلاً أثناء الحصار واندلاع الحريق، غير أنه سقط فرس تاشفين ويدعى ريجانة في أحد الخنادق مما تسبب في وفاته في ليلة القدر سنة 539هـ/1144م. البيذق: المصدر السابق، ص87؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص21؛ ومجهول: الخلل المشوية، ص133 ويورد عبد الواحد المراكشي خطأ مقتل سنة 540هـ/1145م. أنظر: المعجب، ص143 أما بن خلدون فيقع في تناقض في تحديد تاريخه حيث يجعله أحياناً 539هـ/1144 وأحياناً 541هـ/1146م. أنظر: المصدر السابق، ج6، ص308؛ والزركشي: المصدر السابق، ص8؛ وهويشي ميراندا: المرجع السابق، ص125.

2) مجهول: المصدر نفسه، ص133؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص43.

3) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص22؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (طبعة دار الثقافة)، ج4، ص125-126؛ و عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص143؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص187؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص308؛ و الزركشي: المصدر نفسه، ص8؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص95.

4) مجهول: المصدر نفسه، ص34. ويذكر ابن عذارى أنه عند الهزاع أهل وهران قام عبد المؤمن بقتلهم واستئصالهم عن آخرهم. المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص22. غير أن هويشي مرندا يشير إلى أن سبب الاستسلام بعد أربعة أيام من مقتل تاشفين ليس العطش، ولكن بسبب انهيار معنوياتهم. المرجع نفسه، ص126.

5) تقع في الجهة العليا من تلمسان القديمة وسماها المرابطون بتآكرات التي تعني المعسكر والمحلة باللغة الصنهاجية. ابن أبي زرع: الأنيس، هامش، ص186. وهي حصن في الجبل المطل على هنين من ناحية الشرق. ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص166.

6) هويشي مرندا: مرجع نفسه، ص126.

7) يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص170، ص176. عند اقتراب عبد المؤمن من تآكرات خرج أعيانها وطلبتها لطلب العفو، غير أن السفاح الموحد يواصل قتل عدد من سكانها على مرأى من عبد المؤمن، ثم هاجموا تآكرات وقتل من كان فيها. ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص23؛ وابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ج6، ص309؛ و ابن أبي زرع: الأنيس، ص188؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص95.

8) ابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ج6، ص309؛ و ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187 و يخلط المؤرخ الأشيري الذي ينقل عنه ابن عذارى بين فتح وهران وتلمسان، بحيث يجعل سقوط هذه الأخيرة بيد الموحدين في 30 رمضان 539م/1134م. البيان المغرب، المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص22. وهذا التاريخ هو في الحقيقة تاريخ احتلال وهران. هويشي مرندا: المرجع نفسه، ص127. كما يذكر محقق بغية الرواد أن تاريخ فتح أكادير هو شوال 541هـ/1146م. يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص176.

الفارون من وهران وتكرارات⁽¹⁾، فكلف يوسف بن وانودين -عضو أهل الخمسين وأحد الأوائل في الدعوة الموحدية- مواصلة حصار أكادير مستخدماً كل التقنيات من السلا لم والأبراج المتحركة، وكان فتحها عنوة في ربيع الثاني 540هـ/1145م⁽²⁾.

فيما نقل بعض المؤرخين أنه لم يزل محاصراً لتلمسان -أكادير- تلقى البيعة من عاملها المرابطي اللمتوني "يحيى بن إسحاق أنكمار" وبقرها تلقى بيعة أهل سجلماسة⁽³⁾، ثم قصد فاس سنة 541هـ/1146م للقضاء على كل التمردات في المغرب الأقصى⁽⁴⁾، فاحتل فاس، ومراكش، ثم صعد إلى الأندلس، وقام بإنشاء مدينة رباط الفتح، فخلص الأمر لعبد المؤمن عام 544هـ/1149م⁽⁵⁾ مما جعله يرسل في بعض الأحيان سرايا كما حدث في سنة 544هـ/1149م حيث ملك الموحدون مدينة مليانة⁽⁶⁾.

وفي سنة 546هـ/1151م عزم عبد المؤمن بن علي على فتح إفريقية⁽⁷⁾ وبقيّة مدن المغرب الأوسط، وكان يجهز العساكر في سرية تامة، وأرسل إلى كل المدن التي في طريقه إلى بجاية، ليكونوا على استعداد للتحرك متى أشار عليهم بذلك في مهمة سرية دون أن يعرفوا الوجهة ولا الزمن المقصود

1) البيذق: المصدر السابق، ص88؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص23.

2) عندما رأى أهل أكادير مهاجمة الموحدون لتكرارات وقتل من بها دفع سكاكها إلى إقفال أبوابها ومقاومة الحصار إلى آخر رمق. هويثي مرندا: المرجع السابق، ص127. وعندما تأكد عثمان من أن الموحدين لن يبرحوا مكائهم حتى يدخلوا أكادير، أرسل من يفاوضهم، وتم الاتفاق على فتح الأبواب، ولكن ما إن دخلوها حتى حولوها إلى مجزرة بقتل أهلها وسبي حريمها، وبلغ عدد القتلى مئة ألف أو أزيد حسب ابن اليسع المعاصر للأحداث -وهو رقم مبالغ فيه- مجهول: الخلل الموشية، ص135.

وصف الوهراني الخليفة عبد المؤمن بأنه "مؤيد من السماء، خواض للدماء... حكم سيفه في المعمم، وأعمه في رقاب الأمم" منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان، القاهرة، 1968، ص11؛ وعن العنف الدموي الذي اتهمته به الدولة الموحدية عامة وعبد المؤمن خاصة، أنظر محمد الغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، دار جذور للنشر، ط1، الرباط، 2006، ص71-89، وص155-177.

3) ابن عذارى: المصدر نفسه (طبعة دار الثقافة)، ج4، ص126؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص309؛ والزركشي: المصدر السابق، ص8؛ والإيلاني: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط2، الرباط، المغرب، 2008، ص164؛ وإبراهيم حركات: المرجع السابق، ص261.

4) البيذق: المصدر نفسه، ص88؛ وعزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص43.

5) لمعرفة جميع أعمال عبد المؤمن بعد توجهه إلى فاس اثر الانتهاء من فتح وهران لاحظ البيذق: المصدر نفسه، ص88-104؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص25-45؛ ومجهول: المصدر نفسه، ص137-148؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص186-193؛ وعزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص43.

6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص191؛ والتجاني: المصدر السابق، ص343. لكن ذلك يبدو غير صحيحاً حيث أن مليانة سقطت مع الحملة الكبيرة لاحتلال بجاية و الجزائر سنة 547هـ/1152م.

7) ابن أبي زرع: الأنيس، ص193.

حتى أن الناس ظنوا أنه يريد عبور البحر إلى الأندلس⁽¹⁾ فاتخذ طريقه عبر ملوية وتلمسان، ثم دخل مدينتنا الجزائر سنة 546 هـ/ 1151م صلحا⁽²⁾، فالتجأ أميرها القائم إلى والده "يحيى بن عبد العزيز بن المنصور" بجاية⁽³⁾ (لاحظ الملحق رقم 03)

ثم تملك عبد المؤمن المدينة في نفس السنة⁽⁴⁾، وفي 24 جمادى الأولى 547 هـ/ 27 أوت 1152م، لم يشعر الملك الحمادي على بجاية "يحيى بن عبد العزيز بن المنصور" بتحريك الجيوش الموحدية نحو مملكته، وقد تعددت الروايات التي تناقلتها كتب التاريخ عن قائد المعركة التي دارت بين الحماديين والموحدين، وكذا المكان الذي التقى فيه الجيشان⁽⁵⁾، إلا أن الروايات جميعها اتفقت على غلبة الجيش الموحدى بسهولة، لكثرتة عدة وعتادا، وسقطت مدينة بجاية في ظرف يومين⁽⁶⁾ تفرق بعدهما جيش "يحيى بن عبد العزيز بن المنصور" وهرب برا ثم بحرا، وانتشرت بعد ذلك الجيوش الموحدية

1) البيذق: المصدر السابق، ص 105-106؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص 148-149؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 193؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 382؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 107؛ وعبد النور إبراهيم: إسهامات القيروان وبجاية في البناء المعرفي الإسلامي، ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول "الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي" 21-22 نوفمبر 2011، دار قاعة للنشر، باتنة، الجزائر، ج 1، ص 55. ويرجع المؤرخون توجه عبد المؤمن إلى الناحية الشرقية أي ملك المغرب الأوسط وبني حماد إلى رغبته في تخليص إفريقية من الوضعية السيئة التي آلت إليها بسبب دخول العرب الوافدين عليها من مصر وتدخل النورمانديين الذين استولوا على المهديّة وبعض نواحيها. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 315؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص 151؛ و إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 261.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 193؛ و ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 315.

3) حيث يذكر أنه عند احتلاله للجزائر وجد هناك الحسن بن علي صاحب المهديّة التي احتلها النورمان وهو من بني زيري، وقام هذا الأخير بتحرير عبد المؤمن على احتلال بجاية حسدا لابن عمه يحيى ورغبة لخروج الملك من يده ليتساوا في ذلك. أنظر التجاني: المصدر السابق، ص 343؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص 108؛ وهويثي مرندا: المرجع نفسه، ص 152؛ و إبراهيم حركات: المرجع نفسه، ص 262.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 193. أما عبد الواحد المراكشي فيذكر أنه تملكها سنة 540 هـ/ 1145م. أنظر: المصدر السابق، ص 144.

5) صاحب الحلل الموشية يذكر أنه كانت هناك مراسلات بين عبد المؤمن بن علي، ووزير صاحب بجاية وهو ميمون بن حمدون، مما جعل هذا الأخير يفتح أبواب المدينة سلما له وفر يحيى بن العزيز منها. أنظر: المصدر نفسه، ص 149. وأيده في هذا الطرح ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 46. وقد ذكر البيدق قبل ذلك أن يحيى بن العزيز تدخل في الصراع الذي كان قائما بين المرابطين والموحدين سنة 539 هـ/ 1144م حيث أمد تاشفين بن علي بجيش يقوده ميمون بن حمدون، وانهم هذا الأخير مما جعله يقبل دعوة التوحيد. أنظر: المصدر نفسه، ص 86. فبذلك دخل عبد المؤمن بجاية ولم يتعرض إلى مال أهلها، ولا غيره حيث استأمنه بني حمدون فأمنهم. ابن الأثير: المصدر نفسه، ج 9، ص 382. و قد كافأه عبد المؤمن ومجموعة من التجار والطلبة حيث عين عدد منهم في مناصب مهمة. هويثي مرندا: المرجع السابق، ص 152.

6) يذكر ابن خلدون أنه اعترضت جيوش صنهاجة الموحدين في منطقة أم العلو، لكنهم هزموا بسهولة. أنظر: المصدر نفسه، ج 6، ص 315.

في أنحاء بجاية⁽¹⁾، على أن دخول الموحدين إلى القلعة كان عنوة حتى أنهم قتلوا بها ما يناهز ثمانية عشر ألف شخص⁽²⁾.

أما فيما يتعلق بالأمير الحمادي "يحيى بن عبد العزيز بن المنصور" فاتجه إلى مدينة بونة ثم إلى قسنطينة في ذي القعدة من عام 547هـ/ فبراير 1153م⁽³⁾، أما ابن خلدون يذكر أنه ركب البحر إلى أخيه "الحارث ببونة" فاستنكر عليه تركه للبلاد وخروجه عنها، فتركه واتجه صوب أخيه "الحسن" بقسنطينة، وتحصن هناك⁽⁴⁾.

فكتب عبد المؤمن شيوخ قسنطينة يحثهم على الإقتداء ببجاية والاستسلام، ويعددهم في المقابل بالغاء الضرائب غير الشرعية⁽⁵⁾ (لاحظ نص الرسالة في الملحق رقم 04)

فدخلوها في 10 شعبان 547هـ/ 10 نوفمبر 1152م⁽⁶⁾، واعتقلوا يحيى بن عبد العزيز، فتقبل دعوة عبد المؤمن، وصحبهم إلى بجاية أين أقام بها عبد المؤمن لمدة شهرين حيث هادتها وفتح أحوازها وعين عليها طلبة الموحدين—أي ولائهم ووزراءهم—⁽⁷⁾، وعين عبد المؤمن ابنه عبد الله واليا على بجاية⁽⁸⁾.

1) البيهقي: المصدر السابق، ص 106-107. كان قائد الجيوش الحمادية هو ميمون بن حمدون، والتقى فقط مقدمة جيش عبد المؤمن وهي تزيد عن عشرين ألف فارس، فانهزم أهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن ببجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين، وتفرق جميع عسكر يحيى بن العزيز، وعن خيانة بني حمدون، أنظر مجموع رسائل موحدية، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها، أفريقيا لفي برونسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص 20؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 193؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 382؛ و عبد النور إبراهيم: إسهامات القيروان وبجاية، المرجع السابق، ج 1، ص 55.

2) حيث قاد الجيش الموحدى عبد الله بن عبد المؤمن فاستباح من كان بها وأضرم النار في مساكنها وقتل أميرها جوشن بن عبد العزيز أخي يحيى وكذا الشيخ الدحاس سيد قبيلة أثيج العربية وقتل بها ثمانية عشر ألفا وامتألت أيادي الموحدين من الغنائم والسي. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 316؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 108؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص 152. والبعض يوصلها إلى عشرين ألف شخص. إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 262.

3) البيهقي: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص 107؛ وعبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 144؛ وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 193. أما التجاني فيذكر أنه كان يريد التوجه إلى برقة ومنها إلى بغداد نحو الخليفة العباسي. الرحلة، المصدر السابق، ص 344.

4) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 316؛ والتجاني: المصدر نفسه، ص 344؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص 108؛ و عبد النور إبراهيم: المرجع نفسه، ج 1، ص 55.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 144؛ ومجموع رسائل موحدية، المصدر نفسه، ص 17-22؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص 108.

6) روبر برونشيك: المرجع السابق، ج 1، هامش، ص 33.

7) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 194. ويذكر التجاني أن عبد المؤمن عفا عن يحيى بن العزيز وكذا عن والي قسنطينة الحسن بن العزيز. أنظر: الرحلة، ص 344.

8) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت، لبنان، السفر الثاني، 1987، ص 113. وكان ذلك سنة 551هـ/ 1156م حيث لم يكن سن عبد الله حين عينه تجاوز الخامس عشر أو السادسة عشر، ولما بويع أخاه يوسف بن عبد المؤمن بالخلافة رفض مبايعته واشترك في العصيان مع أخيه السيد محمد صاحب قرطبة، ولكنه لم يلبث أن أعلن الولاء والتوبة معا وتوجه عبد الله إلى مراكش لإعلان البيعة. ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص 170؛ وابن أبي زرع: الأنيس،

كان سقوط القلعة سببا في إثارة القبائل العربية من الأثنج ورياح وزغبة وغيرها⁽¹⁾ وذلك بسبب طردهم من الأراضي التي استولوا عليها سابقا في ظل ضعف الدولة الحمادية، وقد جهز عبد المؤمن لقتالهم جيشا جعل على قيادته صهره عبد الله بن واندين، فهزمه العرب وقتلوه⁽²⁾ فحشد عبد المؤمن وابنه عبد الله قوته فنشبت معركة كبيرة بسطيف دامت ثلاثا⁽³⁾، هُزم فيها العرب شر هزيمة وقتل المع زعمائهم فلجأوا للاستسلام والدخول في الطاعة في ربيع 548 هـ/ يونيو 1153 م⁽⁴⁾.

بعد أن تكللت حملة عبد المؤمن على المغرب الأوسط بالنجاح قرر العودة إلى مراكش واصطحب معه يحيى بن عبد العزيز وأنزله قصرا بديعا بها، وكان يكرمه ويحترمه⁽⁵⁾، لأن الموحدين أبناء عمومة للصنهاجيين⁽⁶⁾ فلا يستغرب أن يعيش يحيى الحمادي في المغرب بعد انتصار الموحدين معززا مكرما إلى أن وافته المنية⁽⁷⁾.

وواصل عبد الله بن عبد المؤمن غزواته بضم كل شرق المغرب الأوسط كمدينة بونة التي ضمها إلى أملاك الدولة سنة 551 هـ/ 1156 م وقبضوا على عاملها الحارث وقتلوه لأنه استنجد بالنورمانديين⁽⁸⁾، ويعتبر الاستيلاء على بونة بمثابة ضم كل أملاك المغرب الأوسط للدولة الموحدية وإيدان لبداية عهد جديد.

لكن ما إن استتب له الأمر في المغرب الأقصى ومراكش، توجه عبد المؤمن مرة أخرى نحو الشرق لطرده النورمانديين، من المهديّة وتونس، وكان ذلك الفاتح من شوال سنة 553 هـ/ 26 أكتوبر

-
- ص 209. لكن هويثي مرندا يورد أن الذي تمرد مع عبد الله هو عثمان صاحب قرطبة وأن عبد الله توفي مسموما في الطريق. أنظر: المرجع السابق، ص 211؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج 3، ص 11.
- (1) مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 71.
- (2) البيهقي: المصدر السابق، ص 107-108؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 108؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص 153؛ ومصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص 72.
- (3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 316. أما البيهقي فيجدها بيوم وليلة. أنظر: المصدر نفسه، ص 108. وأما مصطفى ضيف فيذكر أنه دامت أربعة أيام. المرجع نفسه، ص 72.
- (4) مجموع رسائل موحدية، ص 29-34؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص 108.
- (5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 382؛ وإبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 262. وقد قتل من الأمراء المخلوعين من بني حماد الأمير جوشن بن العزيز في القلعة، وأخوه الحارث في عنابة نظرا لمقاومتهم الموحدين. روبر بارونشيك: المرجع السابق، ج 1، هامش، ص 35.
- (6) وفي تلك الفترة كانت أواصر القرابة محترمة، وقد ذكر ابن خلدون أنه خلال إحدى غزوات صنهاجة الحمادية في المغرب الأقصى، قامت أميرة مرابطية كانت مدينتها محاصرة تطلب العفو باسم القرابة الدموية بين الشعيين الصنهاجيين، وقد قبل المنصور الحمادي طلبها بشهامة. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 234.
- (7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 382.
- (8) مجهول: الحلل المشوية، ص 154؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 348-349.

1158م⁽¹⁾، حيث مر على تلمسان، أين انضم إليه عاملها ابنه السيد أبو حفص، وبعدها انتقل إلى بجاية حيث انضم إليه عاملها وابنه الآخر السيد عبد الله، ثم على بونة التي استرجعها من النورمان⁽²⁾، ثم وصل إلى مشارف تونس سنة 554هـ/1159م⁽³⁾ وبالتالي أعاد ضم كل أملاك المغرب الأوسط وفرض الأمن⁽⁴⁾.

وبالتالي لأول مرة في تاريخ الغرب الإسلامي توحدت تلك البلاد على يد البربر⁽⁵⁾، كل هذه الأحداث تجربنا عن نهاية عهد الدول الإسلامية البربرية المستقلة التي دام إشعاعها السياسي أكثر من سبعين سنة، فصارت إحدى أقاليم الدولة الموحدية، كما تبوّأنا بظاهرة الوحدة الكلية ولأول مرة بين المغرب الإسلامي الكبير مع العدو الأندلسية.

لكن علي بن غانية اللمتوني⁽⁶⁾ لم يدع الأمور تهنأ حيث قام باحتلال بجاية ومحاوله استئصال شأفة الدولة الموحدية الغاصبة حيث احتل بجاية في شعبان 580هـ/13 نوفمبر 1184م⁽⁷⁾، فولى على بجاية أخاه يحيى بن غانية ومولاه رشيد الرومي، وسار يحتل المدن الواحدة تلو الأخرى فاستولى على الجزائر،

-
- 1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 161؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 76. أما الزركشي فيجعلها في 12 رجب 554هـ/1159م. أنظر: المصدر السابق، ص 11.
 - 2) مجهول: الحلل الموشية، ص 154.
 - 3) هويثي مراندا: المصدر السابق، ص 173. لكن ابن أبي زرع نقلا عن ابن جنون ذكر أنه دخل تونس على منطقة الزاب وهو مستبعد. أنظر: الأنيس، ص 198.
 - 4) روبرار برنشفيك: المرجع السابق، ج 1، ص 32.
 - 5) روجر لي تورنو: المرجع السابق، ص 59.
 - 6) ينتسب بنو غانية إلى أمهم غانية، وكان المرابطون ينسبون أبنائهم إلى أمهاتهم بسبب تعدد الزوجات تميزا لهم داخل البيت الواحد، وهناك من يرى أنه متى كانت الأم ذات حصال شريفة ومكانة سامية بين القوم نسب الأولاد لها تشريفا لهم، وهذا كله يدل على المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع التارقي، ويرى بعض المؤرخين أن أصل أمهم يعود إلى مملكة غانة لذا عرفوا بهذا الاسم، ويحتمل أن يكون اسما بربريا، وبنو غانية ينتمون إلى قبيلة مسوفة البربرية، وكانت مضارها تمتد في الصحراء بين سحلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب أي ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريطانيا، وكانوا معدودين بطن من بطون صنهاجة. مراجع عقيلة الغناي: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاربيونس، بن غازي، ليبيا، 1988، ص 167-183؛ وواعظ نورة: أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007-2008، ص 5-6.
 - 7) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 189؛ ومجهول: الاستبصار، ص 131. ونجد بعض المصادر تشير إلى تاريخ 19 صفر 581هـ/21 ماي 1185م. ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 175-176؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 332-333؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص 15. أما المرجح هو التاريخ السابق أي 580هـ/1184م ويستدل على ذلك بما كتبه ابن جبير في رحلته عن وصول أخبار استيلاء الميورقي على بجاية في 8 شوال أي بعد سقوطها بحوالي شهرين، وليس من المعقول أن لا تصل إليه أخبار الغزوة إلا بعد 9 أشهر. أنظر: الرحلة، دار صادر، بيروت، 1959، ص 310؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 41؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج 3، ص 149.

وولى عليها ابن أخيه طلحة⁽¹⁾ ثم استولى على مليانة وولى عليها بدر بن عائشة، ثم على قلعة بني حماد، ثم سار إلى قسنطينة ونازلها لكنها استعصت عليه⁽²⁾.

وبدا أن دولة المرابطين بتحالفهم مع العرب سوف تبعث من جديد معتمدة هذه المرة على العصبية العربية وليس على العصبية اللمتونية⁽³⁾.

غير أن الخليفة المنصور أمر بتجهيز حملة برية قوامها اثنا عشر ألف جندي على رأسها ابن عمه السيد أبو زيد بن أبي حفص⁽⁴⁾، كما قام الموحدون ببعث رسائل إلى أهل المدن المحتلة يعدونهم بالأمان والصفح، فقام الأهالي بالوثب على بني غانية⁽⁵⁾، ففي الجزائر وثب الأهالي على حامية بني غانية وقبضوا على عاملهم يحيى بن طلحة⁽⁶⁾، ثم ما لبث أن وصل الأسطول الموحدى فدخلها، وبلغ ذلك عامل بني غانية على مليانة فحاول أن يفر تحت جناح الظلام، لكن أهلها اقتفوا أثره وقبضوا عليه وقتلوه بعد معركة طاحنة بالشلف⁽⁷⁾.

وما إن لحق الأسطول الموحدى بجاية سنة 581هـ/1185م حتى ثار الأهالي على بني غانية وفتحوا الأبواب لجيش الموحدى وعمت حالة من الفوضى العارمة وكثر السلب والنهب⁽⁸⁾، وبعدها سقطت بجاية في يدهم وفر علي بن غانية إلى أخيه يحيى الذي كان محاصرا لقسنطينة حتى كادت تسقط

-
- 1) مجهول: الاستبصار، ص 131؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدى)، ص 176؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ص 326؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 14؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 313؛ وعبد الله عنان: المصدر السابق، ج 3، ص 149.
 - 2) مجموع رسائل موحدية، ص 170؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 193؛ ومجهول: الاستبصار، ص 131؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدى)، ص 176؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ص 326-327؛ وابن قنفذ: الفارسية، في مبادئ الدولة الحفصية، تقدم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص 103؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 314؛ وواعظ نورة: المرجع السابق، ص 17.
 - 3) مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص 78.
 - 4) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدى)، ص 178؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 314.
 - 5) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 193؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدى)، ص 177؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ص 327. لقد كان أحد أجداد بني غانية وهو أبو علي يحيى الموسوي من أوائل الداخلين في طاعة الدولة المرابطية، كما كانت تربطهم علاقة مصاهرة، فقد تزوج ابنه علي الأميرة غانية اللمتونية إحدى قريبات أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فولدت منه محمد ويحيى الذين عاشا تحت رعاية يوسف بن تاشفين وكنفه، ثم توفي علي فتزوجت أمهم غانية القائد المرابطي محمد بن الحاج اللمتوني، وعاش محمد وأخوه تحت رعاية زوج أمهما في الأندلس وولى يحيى على مدينة بلنسية، كما ولى علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي محمد بن علي بن يحيى الموسوي المعروف بابن غانية على جزيرة ميورقة، فعبر محمد إلى ميورقة ومعه أولاده عبد الله وعلي وإسحاق والزبير وإبراهيم وطلحة. مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص 167-183؛ وواعظ نورة: المرجع نفسه، ص 5-8.
 - 6) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدى)، ص 178؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 315.
 - 7) ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 327.
 - 8) مجموع رسائل موحدية، ص 170؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدى)، ص 178؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 327. ومن المرجح أنهم استعادوا بجاية في شهر ماي 581هـ/1185. مهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 316؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 38.

في يده⁽¹⁾، ففك الحصار عنها وفر قبل وصول الموحدين إليها نحو نقاوس والأوراس ثم الصحراء، ليعود ويلتف ويحتل مدينة أشير⁽²⁾.

وبعد أن تمكن الموحدون في النهاية من استرجاع أشير وقتل علي بن غانية سنة 583هـ/1187م⁽³⁾، توغل أخوه وخليفته يحيى بن غانية في صحراء الجريد بتونس وتحالف مع قراقوش الغزي الأرميني⁽⁴⁾ مملوك تقي الدين شاهنشاه أخو صلاح الدين الأيوبي⁽⁵⁾.
وبقي ابن غانية في مناوشات ومعارك مع الموحدين في إفريقية وطرابلس⁽⁶⁾، إلى غاية عودتهم نحو الجنوب الغربي حيث وقعت معركة بين جيش الميورقي يحيى بن غانية وجيش الموحدين بقيادة السيد أبي الحسن بين قسنطينة وبجاية، سنة 596 هـ/1200م، فانهزم هذا الأخير شر هزيمة⁽⁷⁾ فتمكن ابن غانية من احتلال بسكرة، وتبسة وبونة سنة 598 هـ/1202م⁽⁸⁾.

-
- 1 ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 179؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 327؛ وابن قنفذ: المصدر السابق، ص 103.
 - 2 ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 181؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 327؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 317.
 - 3 هرب علي بن غانية جريحا حيث مات في خيمة لعجوز أعرابية. مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص 82.
 - 4 قراقوش الأرميني هو شرف الدين قراقوش التقوى مملوك تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين الأيوبي وهو شخصية أخرى غير هاء الدين قراقوش الأسدي وزير صلاح الدين ونائبه ومملوك أسد الدين شيركوه. مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص 187-188، ص 199؛ ومصطفى أبو ضيف: المرجع نفسه، هامش، ص 80. وقد أفرد عزالدين عمرو موسى، مقالة بعنوان الصلات السياسية بين المشرق والمغرب في عهد الأيوبيين والموحدين، خلص فيها أن قراقوش قام بعمله هذا بدافع شخصي، وكسبا للاعتراف كان يخطب لصلاح الدين وتقي الدين، وعندما كتب لصلاح الدين بأن بلاد المغرب "سائبة على تعبيره" تبني صلاح الدين أعماله، كما أنه لا غرابة بأن يأمره بالتعاون مع الميورقيين، وخاصة أهم عباسيون. عزالدين عمرو موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص 23-24.
 - 5 ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 181؛ وابن قنفذ: المصدر نفسه، ص 103-104؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 327؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 103-104، ص 112؛ وابن قنفذ: المصدر نفسه، ص 104؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 352؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 38-39.
 - 6 انهزم الموحدون في موقعة عمرة سنة 583هـ/1187م بين قفصة التونسية من أعمال الزاب الكبير بالجريد. ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 187؛ والتجاني: المصدر نفسه، ص 136-139، ص 162، ص 244. ثم عاد الموحدون وانتصروا في موقعة الحمة سنة 583هـ/1187م واستعادوا كل مدن الجريد. عقيلة مراجع الغناي: المصدر نفسه، ص 218-219.
 - 7 ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 187؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 329؛ ومصطفى أبو ضيف: المرجع نفسه، ص 84-85؛ وواعظ نورة: المرجع السابق، ص 37.
 - 8 ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 187، ص 238؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 333؛ والزركشي: المصدر السابق، ص 17؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج 1، ص 39.

كما احتل يحيى بن غانية بجاية سنة 599هـ/1202م، وبسط نفوذه عليها لمدة سنتين⁽¹⁾ حيث أعد الخليفة الناصر⁽²⁾ حملة كبيرة لمواجهة برا وبجرا في شهر جمادى الثانية سنة 601هـ/12 فبراير 1204م، واستطاع تحرير هذه المدن وكل مدن إفريقية⁽³⁾ ثم ولى الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص جميع بلاد إفريقية سنة 603هـ/1206م، وأعطاه صلاحيات واسعة⁽⁴⁾ وارتحل إلى المغرب ماراً بتلمسان، ثم نحو فاس ومراكش⁽⁵⁾ وأثبت الوالي الجديد جدارته من خلال هزم ابن غانية في عدة معارك⁽⁶⁾.

لكن اليأس لم يدخل نفسية ابن غانية الذي أعاد الكرة هذه المرة بالهجوم على ولاية تلمسان وبالضبط على مدينة تيهرت، حيث تغلب على عاملها أبو عمران يوسف وقتله سنة 605هـ/16 يوليو 1208م⁽⁷⁾ لكن عاد وهرب إلى الصحراء مرة أخرى، واستغل وفاة الخليفة الناصر

-
- 1) محمد بن الشماخ: الأدلة البينة النورانية في مفاحر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 49؛ والسعيد عقبة: الحياة العلمية والفكرية بجاية خلال القرن السابع هجري / 13 م من خلال كتاب عنوان الدراية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008-2009، ص 5.
- 2) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالناصر حكم سنة 595هـ/1199م بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور، في عصره لم يشهد إنجازات كالتي شيدها أبوه ، وانحزم أمام الفونسو الثامن في معركة حصن العقاب قرب جيان ، في يوم الاثنين منتصف صفر 609هـ/1212م، توفي سنة 610هـ/1213م. ولمزيد من المعلومات أنظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 219-231.
- 3) مجموع رسائل موحدية، ص 250-259؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدية)، ص 243-244؛ وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 232؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 334؛ والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 125-126. حيث استرجع الموحدون تونس والمهدية وتاجرا وقابس كل المدن التي أخذها ابن غانية. الزركشي: المصدر السابق، ص 17-18؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 110، ص 147؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 394-400؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 40.
- 4) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدية)، ص 284-285؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 374؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص 18. أما ابن أبي زرع فيجعلها سنة 602 هـ/1205م. أنظر: الأنيس، ص 233 هويثي ميراندا: المصدر نفسه، ص 401؛ وروجر لي تورنو: المرجع السابق، ص 82.
- 5) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدية)، ص 249؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 334. ويقدم صاحب الروض القرطاس كرونولوجية مغلوبة عندما يؤكد أن يحيى بن غانية اعترض الناصر على ضفتي نهر الشلف سنة 604 هـ/1207م وكان يقود حسبه جيشا جرارا، هزم به الخليفة الناصر. ابن أبي زرع: الأنيس، ص 233.
- 6) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدية)، ص 290. وأهمها معركة شبرو بناحية تبسة حيث انصر جيش ابن أبي حفص على يحيى ابن غانية في 30 ربيع الأول سنة 604هـ/24 أكتوبر 1207م. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 334-335، ص 374؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص 19؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 404؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج 1، ص 46.
- 7) الحميري: المصدر نفسه، ص 127؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدية)، ص 253؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 375.

سنة 610هـ/1213م⁽¹⁾، ليعود في الظهور من جديد من خلال احتلاله لبسكرة سنة 618هـ/1220م، لكن الموحدين بقيادة أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن سرعان ما استرجعوها سنة 620 هـ/1222⁽²⁾.

بتولي الخليفة العادل وتعيينه أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي"الوالي السابق لإفريقية مكان ابن عمه أبو زيد" سنة 623هـ/1226م كان إيذانا ببداية إفريقية في التفكير بالانفصال⁽³⁾، حيث استبد أحد أبناء الوالي على إفريقية وهو أبو زكريا يحيى سنة 625هـ/1228م حيث سب نفسه بالأمر⁽⁴⁾، وما إن شعر بالقوة حتى زحف على قسنطينة وبجاية سنة 628 هـ/1230م وقبض على واليها السيد أبو عمران بن السيد أبي عبد الله الخرصاني بن يوسف العشري وعين عليها ابنه أبا يحيى⁽⁵⁾، كما قبض على شيخ قسنطينة ابن علناس الصنهاجي⁽⁶⁾ بل ولاحق ابن غانية حتى مدينة ورقلة حيث لقي هذا الأخير حتفه هناك سنة 631هـ/1234م واستولى أبو زكرياء على الجزائر وعلى الزاب ووصل حتى منطقة الشلف⁽⁷⁾.

كما استغل ضعف السلطة المركزية في مراكش والصراعات الدائرة بين بني عبد المؤمن وبعض الولاة في المغرب الأوسط، على غرار أبو سعيد عثمان بن يعقوب-أخ أمير المؤمنين إدريس المأمون-والي تلمسان حيث أساء التصرف مع بني عبد الواد⁽⁸⁾ وأثقل كاهل السكان بالضرائب، ولم ينقذ الموقف

1) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 265؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 241؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص426.

2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص376؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص47.

3) الزركشي: المصدر السابق، ص 21؛ وابن قنفذ: المصدر السابق، ص 106-107؛ وابن غازي: المرجع السابق، ص 14؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص446-447؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص48.

4) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 293. لكن ابن خلدون يحددها بسنة 626 هـ/1229م. أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص381؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص 23؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج 1، ص 49-50؛ ومراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص280.

5) ابن قنفذ: المصدر نفسه، ص109.

6) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص382. لكن الزركشي يورد اسم أبو عبد الله اللحياني ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص. أنظر: تاريخ الدولتين، ص 25-28 أما ابن قنفذ فيورد الوالي هو أبا عمران بن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور. أنظر: المصدر نفسه، ص108؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص51.

7) يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص199؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص382-383؛ والزركشي: المصدر السابق، ص28؛ وابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، مصر، ط 1، 2001، ص9؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص51.

8) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص 99 وبني عبد الواد هم فرع من زناتة الطبقة الثانية وهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزحيك بن واسين بن ورسيك بن جانا. أنظر: المصدر نفسه، ج 7، ص97. أما يحيى ابن خلدون فيقول بأنهم فخذان أحدهما بنو عبد الواد، وهذا عرفوا تغليبا وأصله عابد الوادي، رهبانية عرف بها جددهم من ولد

سوى شخصية قوية هو "جابر بن يوسف" كبير قوم بني عبد الواد، بفضل مرونته ومواقفه الجريئة ضد الوالي، وتفوقه على جيش بن غانية⁽¹⁾، مع إرساله الولاء والطاعة للخليفة الموحد، فثبته الخليفة حاكما شرعيا على إقليم تلمسان سنة 627 هـ/1230م⁽²⁾، ومنذ ذلك بقيت في أيدي بني عبد الواد، حيث خلفه ابنه "الحسن بن جابر" لتظهر شخصية قوية هو يغمراسن بن زيان الذي بويع سنة 631 هـ/1233م⁽³⁾ ليعلن انفصاله بتلمسان عن الدولة الموحدية سنة 633 هـ/1236م وبدأ يستقل بشؤون المغرب الأوسط في عهد الخليفة عبد الواحد الرشيد بن المأمون⁽⁴⁾.

وهكذا تفككت الإمبراطورية التي سعى لتكوينها عبد المؤمن، رغم الانطباع الجيد الذي تركته من خلال فترة من الوحدة والقوة، إلا أن شعوب المغرب لم تكن قد اكتسبت بعد عادة العيش معا⁽⁵⁾.

سحيج ابن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكيا بن ورسيع بن مادغيس الأبتري بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أنظر: المصدر السابق، ج1، ص186.

1) ذكر يحيى بن خلدون أن الحسن بن حيونا لكومي المعابدي عامل وطن تلمسان نافر بني عبد الواد وأساء حوارهم، ثم أغرى السيد أبا سعيد عثمان والي المدينة بالقبض على كبارهم، ففعل واعتقلهم بدار النارج من القصر القديم لكنه شفع لهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي شيخ مترجلة لمتونة، وهذا ما دفعهم إلى اغتيال الحسن بن حيون واعتقلوا أبا سعيد عثمان، فخلا الجو لجابر بن يوسف زعيم بني عبد الواد الذي بايع المأمون فثبته هذا الأخير على حكم تلمسان. أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص199؛ ويحيى بوعزيز: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 6، 1975، ص13.

2) يحيى ابن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص200؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص99.

3) ابن الأحرر: المصدر السابق، ص30؛ ويحيى ابن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص200.

4) ابن الأحرر: المصدر نفسه، ص30؛ ويحيى ابن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص204-205؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص106.

5) روجر لي تورنو: المرجع السابق، ص62.

ثالث : المغرب الأوسط والتسييس الإداري الموحد.

لم يكن تنظيم الدولة الموحدية، التي تضم المغرب وجزءا من الأندلس بالأمر الهين بالنسبة لعبد المؤمن وخلفائه، هذا من ناحية: أنه يجب توحيد عدد كبير من الإمارات المستقلة، ومن ناحية أخرى أن المؤسسات التي أعطاها المهدي إلى المجتمع الموحد، لا تناسب إمبراطورية بهذا الوسع⁽¹⁾.
امتاز العصر الموحد بالاعتناء بالجانب الإداري، حيث أقام الموحدون إدارة محكمة، وبرعوا في جانب التخطيط والتنظيم، ويعتبر ذلك من أسباب نجاح الحركة الموحدية، ثم الدولة بعدها، ومن مظاهر التجديد الذي شكل عنصرا من الطابع الثلاثي الموحد (العظمة، الدين، التجديد)⁽²⁾.
خلال هذه الفترة استكمل المغرب الأوسط تشكله التام كوحدة إدارية مقسمة إلى عمالتين "ولایتين" هما بجاية وتلمسان، فأصبح جزءا هاما من كيان الدولة الموحدية ليس من باب الانتماء السياسي فقط بل حتى الحضاري (الثقافي والفكري)، بل عاش بكل جوانبه التغيرات والتطورات التي استحدثتها الدولة الموحدية واندمج في ظل وحدة تامة محاولا أن يكون متميزا من خلال علمائه وإسهاماته بل وقيادته للدولة وعلى رأسها خلفاؤها من بني عبد المؤمن الكوميين.
كان الخلفاء الموحدون يمثلون أعلى سلطة في دولتهم ويحملون لقب "أمير المؤمنين"⁽³⁾ يساعدهم موظفون كبار في شكل أفراد كالوزراء والكتاب والقضاة، أو في شكل هيئات مثل هيئتي العشرة والخمسين، أو ما يعرف فيما بعد باسم الأشياخ⁽⁴⁾.

-
- 1) عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص319.
 - 2) محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص13؛ والطاهري عبد الحق: بنية الحكم الموحد ووسائله، دكتوراه في التاريخ الوسيط، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط، 2004-2005، ص269.
 - 3) وهو مقتبس أصلا عن عمر بن الخطاب كما تذكر الرسالة رقم 18 التي أوردها أحمد عزوي في رسائل موحدية، مجموعة جديدة، مطبعة النجاح، ط 1، الدار البيضاء، 1995، ج 1، ص 112. وأول من تسمى به في الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي سنة 528هـ/1133م. ابن أبي زرع: الأنيس، ص 187. واعتبره جورج مارسيه تحرر من الوصاية المشرقية ونهاية احتكار المشاركة لهذا اللقب. بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، دار المعارف، الإسكندرية، ص288.
 - 4) يتكون المجلس الاستشاري من جماعة العشرة، وجماعة الخمسين، فجماعة العشرة تم تكوينها مباشرة بعد البيعة. مجهول: الحلل الموسية، ص107-108. ويقول عنهم عبد الواحد المراكشي بأن عددهم عشرة وهم الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته ثم جعل منهم الخمسين. أنظر: المصدر السابق، ص133. ويتحدث البيدق عن سبعة عشر شخصا كانوا أول من بايع المهدي. أنظر: المصدر السابق، ص34-35. أما المؤرخين المتأخرين يرون أن جماعة الخمسين تشكلت بعد جماعة العشرة، غير أن هذا بجانب الصواب على اعتبار أن هذه الهيئة تم تشكيلها في وقت لاحق وبالضبط عند انضمام هنتاتة إلى هرغة من أجل تقديم الدعم له في إنجليز. هويثي مرندا: المرجع السابق، ص93؛ وهويكتر: المرجع السابق، ص123-124. وعموما مجلس الخمسين يتكون من القبائل المؤسسة لحركة الموحدين أي تلك القبائل التي ساندت المهدي بعد استقراره في تملل. روجر لي تورنو: المرجع السابق، ص36.

فعندما كانت الدولة الموحدية في بدايتها في حاجة إلى الأشياخ ذوو العصبية فقد ولاهم عبد المؤمن ليكونوا عوناً له في ضبط أطراف الدولة ، أما بعد أن أعلن الحكم الوراثي وأصبح حكمه مطلقاً فقد عين أبناءه ولاة على الأقاليم ، وهو خطوة نحو تركيز الحكم الوراثي ⁽¹⁾، فالدولة المترامية الأطراف كهذه لا بد من أن تقسم إلى ولايات يكون على رأسها سياسيون مخلصون، ولهذا عمد عبد المؤمن إلى أشياخ مصمودة الذين يتوفر فيهم على الأقل الإخلاص، ولما استتب له الأمر قرر أن يجعل على رأس الولايات رجالاً أكفاء سياسياً وثقافياً وإخلاصاً ⁽²⁾.

من المعلوم أن عبد المؤمن ينتسب إلى قبيلة كومية البترية، التي كانت تستوطن المغرب الأوسط وقد حدث أن بعض أقرباء ابن تومرت وهم آيت ومغار-أبناء الشيخ- ⁽³⁾ فكروا في اغتيال عبد المؤمن بحجة أنه لا ينتمي إلى المصامدة، ولكنهم قتلوا مكانه شيخاً يدعى أبا إبراهيم، وكان قد أشعر عبد المؤمن بخيبتهم وبات في خيمة عبد المؤمن، بينما اختفى هذا عن خصومه، ثم اعتقل المتآمرون وقتلوا بأمر عبد المؤمن، ومنذ أن قرر عبد المؤمن أن يحتمي بقومه من كومية، فاستقدمهم سرا، وكان عددهم يبلغ أربعين ألفاً، فاتخذ منهم بطانته وحراسه ⁽⁴⁾.

كما كانت ولايات الدولة الموحدية في طور ازدهار الدولة نفسها الموروثة عن الدول التي ضمتها إلى سلطاتها، إذ أن ولاية إفريقية هي مملكة بني باديس في المهدية بالإضافة إلى المناطق التي فتحها الموحدون إلى الشرق منها في ذلك طرابلس، وولاية بجاية هي مملكة بني حماد نفسها، وأما ولايات المغرب الأقصى فهي ولايات المرابطين ذاتها باستثناء سلا التي جعلها الموحدون ولاية قائمة بذاتها ⁽⁵⁾. وعمدت السلطة الموحدية إلى تقسيم الغرب الإسلامي إلى ولايات وأقاليم كي يسهل بذلك التحكم في إدارة شؤونه السياسية والعسكرية، وعددها ثمانية من بينها المغرب الأوسط الذي قسم إلى ولاية تلمسان، ثم أضيفت ولاية بجاية سنة 551هـ/1156م ⁽⁶⁾ لتفصل عنه إفريقية كولاية مستقلة في

1) الطاهري عبد الحق: المرجع السابق، ص293.

2) محمد طمار: تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص72.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص164.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص201؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص127؛ وإبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص267.

5) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص178.

6) ابن القطان: المصدر السابق، هامش ص206؛ والزرکشي: المصدر السابق، ص12. قسم الموحدون في البداية المغرب إلى سبع ولايات

هي: فاس، سجلماسة، تلمسان، الصحراء، أما سبتة وطنجة تكونان إقليمًا واحدًا، إضافة إلى إقليم الريف. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط 1، مصر، 1980، ص127. كما كانت الأندلس باعتبارها قطراً من أقطار الدولة الموحدية الكبرى تنقسم إلى عدة ولايات أو عمالات هي الغرب "شلب وأحوازها" وباجة ويابرة، وبطليوس، وماردة وأحوازها، وإشبيلية، وكانت أعظم رقعة وتشمل على قواعد شريس وشذونة وقرمونة، وهناك إقليم قرطبة وأحوازها وجيان وأحوازها وغرناطة، وتشمل على عدة مدن رئيسية وإقليم مالقة وأحوازها وكانت عمالتها تضم أحياناً إلى سبتة والجزيرة الخضراء. محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص339، ج2، ص461.

عهد الخليفة المنصور، بداية من سنة 583هـ/1187م ويعين عليها أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حفص بن عبد المؤمن⁽¹⁾ وكانت إمارة أو ولاية إفريقية عظيمة المساحة تمتد من أنطابلس -برقة- في ليبيا إلى قسنطينة في المغرب الأوسط⁽²⁾. (لاحظ الملحق رقم 05)

اتسمت التنظيمات الموحدية بالإبداع والتطور عبر أطوار الدولة، وبالتكيف مع أهداف ومتطلبات كل طور، كما عرفت تغيرات جوهرية بين عهدي ابن تومرت وعبد المؤمن، مع العلم أن ابن تومرت هو واضع الأسس التنظيمية الموحدية⁽³⁾ وعبد المؤمن طورها لتتلاءم مع اتساع الدولة⁽⁴⁾. حيث في عام 550هـ/1155م قرر عبد المؤمن إنشاء مركز تربوي إداري فريد من نوعه لتخريج الطلبة والإداريين، لهذا طلب من كل مدنه إرسال مجموعة من الشبان لتكون لمدة ستة أشهر، فبلغوا ثلاثة آلاف شاب⁽⁵⁾، وكان منهم أبناء عبد المؤمن الثلاث عشر، الذين تخرجوا كلهم بلقب الحفاظ، فخطط لتعيينهم على رأس الولايات والمناطق والمراكز الحساسة⁽⁶⁾. كان الوالي أو السيد في اصطلاح الموحدين، يعتبر أكبر موظف في هذه الولايات الكبرى، يعينون غالبا من طرف الخلفاء في العاصمة مراکش، وكان الخليفة يختارهم من ذوي التجربة في العمل وبعد تكوينهم على شؤون الإدارة والسياسة قبل تولي الوظيفة وهؤلاء الأسياد من بني عبد المؤمن⁽⁷⁾ كما يساعدهم "الطلبة"⁽⁸⁾، والحفاظ⁽⁹⁾، والقضاة والأمناء⁽¹⁰⁾، وكان الأشياخ في الولايات يمثلون الجهاز

1) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، ص176.

2) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص322.

3) بالرغم من أن ابن تومرت جاء بتنظيم لم يسبقه إليه أحد، أظهر من خلاله قدرته التنظيمية الكبيرة، فلا يستبعد أنه استفاد من التنظيمات القبلية التي كانت قائمة في المجتمع المصمودي البربري خاصة، إلا أن وجه الجدة والإبداع في هذا التنظيم أكثر من الموروث. هوبكتز: المرجع السابق، ص123-124؛ وابتسام مرغي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، 1985، ص81.

4) عبد الحق الطاهري: المرجع السابق، ص269.

5) مجهول: الحلل الموشية، ص150-151؛ وهويشي ميراندا: المرجع السابق، ص163.

6) مجموع رسائل موحدية، ص61-67؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص415؛ وهويشي ميراندا: المرجع السابق، ص164.

7) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص104؛ وابن الأثير: المصدر نفسه، ج9، ص415.

8) هم أعلى مكانة من الحفاظ بل إن الوالي كان يعد أحد كبار الطلبة، لهذا تكون صيغة الرسائل الموجهة من مركز الخلافة إلى الولايات "إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة..." وقد يقصد بالطلبة قادة الجيش. رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص227؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص77-78.

9) الحفاظ يقومون بعمل صاحب الشرطة والمحتسب فمن مهامهم رفع المستحذات ومحق الرسوم التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب وما لا تجيزه السنة والكتاب ومن ذلك الحد على الزنا وشرب الخمر. المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص218.

10) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص226-231.

الاستشاري⁽¹⁾ لهيئة الطلبة وعلى رأسهم الوالي، وهذه سنة وضعها عبد المؤمن عند تعيين أبنائه الطلبة على الولايات، حيث وجه مع كل منهم شيخا قصد المشورة⁽²⁾، وفي حالات قليلة كانت تجمع إدارة ولايتين متجاورتين تحت نظر وال واحد⁽³⁾.

هذه الإدارات المحلية في عواصم الولايات -أي نقصد ولايات المغرب الأوسط، وهي بجاية وتلمسان- مقسمة بنفس تقسيم العاصمة مراكش من حيث الموظفين والخدم ورؤساء الجند والطلبة والحفاظ والقضاة، أي أنها كانت تؤلف حكومات محلية⁽⁴⁾، وكان نظام الاتصال بين العاصمة والولايات يتم بواسطة البريد الذي صحح نظامه عبد المؤمن⁽⁵⁾، كما قسمت كل ولاية إلى أقسام إدارية صغيرة كان على حكمها أحد الحفاظ⁽⁶⁾.

ونجد المراكشي يتحدث عن ولايات المغرب الموحد، في عهد الخليفة يوسف، فيقسمه من حيث الخراج بقوله "كان يرتفع إليه خراج إفريقية، وجملته في كل سنة وفر مائة وخمسون بغلا، هذا من إفريقية وحدها، خلا بجاية وأعمالها، وتلمسان وأعمالها، والمغرب .."⁽⁷⁾.

لقد كانت سلطة الأسياد وغيرهم من العمال محدودة نسبيا، وخاصة في بداية الدولة وقوتها فقد كانوا يمنعون حتى من تنفيذ الأحكام الخطيرة للإعدام دون استشارة الخليفة، وقد يتعرض الوالي والعمال-من عهد عبد المؤمن إلى عهد الناصر- للمحاسبة⁽⁸⁾.

عموما يمكن حصر مهمة الوالي في الجانب الأمني بالمقام الأول، ثم المهام التنموية للدولة ولولايته من خلال توسيع وتطوير التجارة، والقيام بإنشاء وتوسيع العمران، وتشجيع الحياة الثقافية والفكرية⁽⁹⁾، أي أن مهمة الوالي تتمثل في حفظ الأمن الداخلي بالقضاء على التمردات، كما يمد يد المساعدات المالية وحتى العسكرية للولايات المجاورة في حالة تعرضها للغزو الخارجي، فكثيرا ما كان ولاية بجاية يمدون يد المساعدة لأهالي قسنطينة، بالإضافة إلى إشرافه على بناء الحصون والقلاع، كما له الحق في إبرام

1) بخصوص هذه الهيئات راجع البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 30-35؛ ومجهول: الحلال المشوية، ص 108؛ والمعجب، ص 133؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص 93؛ وهوبكتز: المرجع السابق، ص 123-124؛ وروجر لي تورنو: المرجع السابق، ص 36.

2) مجهول: المصدر نفسه، ص 151؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 415.

3) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 177.

4) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص 642.

5) أنظر الرسالة رقم 25. رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 1، ص 124-126.

6) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 177.

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 181؛ وهوبكتز: المرجع السابق، ص 68.

8) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 2، ص 229؛ وأحمد عزراوي: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحد والمربيني، طبع دار ربا نيت، ديور الجامع، ط 1، الرباط، المغرب، 2010، ص 14.

9) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 2، ص 231-232؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 184-185.

اتفاقيات وعقود تجارية، وقد يقوم بتعمير الولاية من حيث البنية التحتية اللازمة لها ، وكان الولاة يخضعون للمراقبة والمحاسبة الدقيقة من قبل الخلفاء⁽¹⁾.

لذلك كان الخلفاء الأوائل يشرفون على تعيين الهيئة الإدارية والاستشارية المساعدة للولاة في ولايتهم، وهذا ما نلمسه في قول ابن عذارى في معرض حديثه عن تعيين عبد المؤمن بن علي لأبنائه على الولايات إذ يقول: "...ولي السيد الأعلى أبو حفص مدينة تلمسان، وتوجه معه أبو محمد صهر الخليفة، وعبد العزيز بن عياش الكاتب... وتوجه السيد الأسمى أبو محمد عبد الله إلى بجاية..."⁽²⁾. وفي حالات قليلة يقوم نائب الخليفة -يستخلفه على مراكش أثناء غيابه في حملة عسكرية أو غيرها- بتولية بعض الولاة كما فعل أبو الحسن بن عم المنصور الموحد بتولية أحد الولاة على تلمسان وذلك في سنة 585هـ/1189م⁽³⁾.

أما طريقة تعيين الولاة فقد كانت ترجى وفق مراسيم معينة، حيث كان قبل أن يقع الاختيار على وال من الولاة، كان الخليفة يقوم باستشارة من حوله في ذلك الاختيار وقد تجلّى ذلك حين استشار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أخاه في اختيار والٍ لبجاية سنة 561هـ/1165م، يقول ابن صاحب الصلاة "نظر الأمير أولا بمشاورة أخيه السيد الأعلى أبي حفص في حديث بجاية وأنظارها إذ كانت دون وال"⁽⁴⁾.

وعلى العموم كان تعيين الولاة في مرحلة التأسيس من أشياخ الموحدين وسلالة الحكام السابقين في الحقبة التي سبقت إعلان الحكم الوراثي، ولم يرد ذكر إلا لوال واحد من أبناء عبد المؤمن، وفي مرحلة الازدهار وإعلان الحكم الوراثي كان خمسة وسبعون بالمائة من الولاة من "السادة" وفي مرحلة الضعف تساوت تقريبا نسبة تعيين السادة والأشياخ⁽⁵⁾.

1) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 185؛ وأمينة بوتشيش: بجاية دراسة تاريخية وحضارية، بين القرنين 6 و7 هجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007-2008، ص41.

2) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 11؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 50؛ ومجهول: اللؤلؤ الموشية، ص151؛ وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص203، 194؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص415.

3) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص83.

4) ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص217؛ وحسن علي حسن: المرجع نفسه، ص135.

5) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص182.

1 - ولاية تلمسان

- شهدت الحياة السياسية والإدارية بتلمسان تذبذبا ونزاعات، وفوضى أحيانا، بسبب سوء تسيير حكامها وولائها من جهة أخرى، فتولى عليها مجموعة من الولاة كانوا يتغيرون حسب تغير الخلفاء، وعموما يمكن ترصد تطور هذه الولاية وأهم عمالها (لاحظ جدول الولاة في الملحق رقم 06).
- قام عبد المؤمن بتعيين أبنائه على الولايات في سنة 549هـ/1154م فعين ابنه السيد أبا حفص عمر على تلمسان وأحوازها⁽¹⁾ خلفا لسليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي الذي كان مكلفا فقط⁽²⁾ وأصبحه أبا محمد عبد الحق بن واندين، ومن الكتاب الفقيه عبد الملك بن أصبغ بن عياش⁽³⁾ وبعث معهم أشياخ الموحدين كمستشارين⁽⁴⁾.
- وقد توفي أبو حفص سنة 571هـ/1175م إثر الطاعون الذي ضرب المنطقة⁽⁵⁾ فعين الخليفة يوسف بن عبد المؤمن السيد موسى بن عبد المؤمن، لكنه لم يلبث طويلا فعين وال جديد هو أبو علي الحسن بن عمر بن عبد المؤمن⁽⁶⁾ ثم عزله وعين السيد أبا زكريا بن عمر بن عبد المؤمن إلى غاية 580هـ/1184م⁽⁷⁾، فخلفه الوالي السيد أبو إسحاق بن عبد المؤمن عم المنصور إلى غاية سنة 584هـ/1188م أثناء عودة المنصور من غزوة قفصة، حيث غضب عليه وعزله ولم يلبث كثيرا حتى مات⁽⁸⁾، ثم تولى أبو الحسن بن عمر بن أبي حفص منذ 585هـ/1189م⁽⁹⁾ حيث أضيفت إليه بجاية فترة قصيرة⁽¹⁰⁾، إلى 604هـ/1207م أين عزله الخليفة الناصر⁽¹¹⁾ بسبب مرض وكبر أبا الحسن⁽¹²⁾،
-
- 1) البيذق: أخبار المهدي، ص76، 110؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص151؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص316.
 - 2) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص23. وقيل خلفا ليوسف بن وانودين. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص309.
 - 3) مجهول: الخلل الموشية، ص151؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص110.
 - 4) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص113؛ وابن القطان: المصدر السابق، هامش ص206؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص50، حيث تخرج ثلاثة عشر من بنيه من مدرسة الحفاظ فولاهم الولايات، وهي خطوة لتثبيت الحكم الوراثي أكثر. مجهول: المصدر نفسه، ص150.
 - 5) مجهول: المصدر نفسه، ص158.
 - 6) البيذق: أخبار المهدي، ص110؛ ومجهول: المصدر نفسه، ص151؛ ورسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، ص124؛ وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص132.
 - 7) عز الدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص321.
 - 8) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص198. قيل بسبب حسده للمنصور والتناول عليه وتسفيهه أرائه. حسن علي حسن: المرجع نفسه، ص143-144.
 - 9) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص201.
 - 10) المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص108-109؛ وعز الدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص323.
 - 11) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص253.
 - 12) نفسه، ص252.

أسندت تلمسان إلى والي سجلماسة مؤقتا وهو أبو الربيع سليمان لكنه سرعان ما توفي سنة 604هـ/1207م⁽¹⁾ فولى عليها الوالي أبا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن⁽²⁾.

لكن أبا عمران تعرض لاغتيا ل من قبل ابن غانية في نفس العام من سنة 605هـ/1208م، فعين الخليفة مكانه السيد أبا زيد بن يوجان⁽³⁾، وبقي في منصبه إلى تولي الخليفة المأمون حيث بايعه سنة 624هـ/1226م مما جعله يثبته في منصبه⁽⁴⁾ لكنه رجع وعين عليها أبا سعيد عثمان بن يعقوب المنصور، لكنه أساء التصرف مع بني عبد الواد⁽⁵⁾، مما جعل بني زيان يثورون عليه فعزله وعين مكانه محمد بن أبي زيد بن يوجان 630هـ/1232م⁽⁶⁾، لكن ذلك لم يمنع بني عبد الواد أن يعلنوا الانفصال بتلمسان، مع الإبقاء بالولاء الاسمي للموحدين، وهو بداية عهد جديد من ظهور الدول المستقلة بغرب المغرب الأوسط.

كان الخليفة المنصور إذا وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاةهم وولاةهم، فإذا أتوا خيرا قال: "اعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن امرؤ منكم إلا حقا"⁽⁷⁾. كما قام الخلفاء الموحدون بمراقبة عمل الولاة، حيث يستدعونهم إلى العاصمة لمحاسبتهم على أعمالهم، حيث فعل ذلك الخليفة الناصر الموحد في سنة 604هـ/1207م حين استدعى العمال والكتاب لمحاسبتهم، يقول ابن عذارى "ونظر بعد استقراره في مراكش إثر رجوعه من إفريقية في وصول العمال إلى الحضرة بأعمالهم وكتابهم المقيدين لأشغالهم، فبادر من عين الوصول لما أمر به ووصلوا مستعدين على ما حد به فشرع في تصفح بعضها"⁽⁸⁾.

وعموما نستنتج أنه عندما كانت شؤون الدولة الموحدية منحصرة لدى الأسرة الحاكمة شهدت أوج ازدهارها لأن الناس كانوا ينظرون لولاية أبناء عبد المؤمن باحترام ويعتبرونهم رمز الطاعة، لكن بعد

(1) ديوان الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله: تحقيق محمد بن تاويت وآخرون، منشورات كلية الآداب، الرباط، دت، ص 13؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص328.

(2) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص335.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص 127؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 253؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص104.

(4) الزركشي: المصدر السابق، ص22؛ وهويشي ميراندا: المرجع السابق، ص460.

(5) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص99. وبني عبد الواد هم فرع من زناتة الطبقة الثانية وهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزحيك بن واسين بن ورسيك بن جانا. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص97. أما يحيى ابن خلدون فيقول بأنهم فخذان أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا عرفوا تغليبا وأصله عابد الوادي، رهبانية عرف بها جدهم من ولد سحيج ابن واسين بن يصلين بن مسري بن زكيا بن ورسيع بن مادغيس الأبتري بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. بغية الرواد، ج1، ص186.

(6) عز الدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص327.

(7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص203.

(8) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص251؛ وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص139.

مشاركة عناصر أخرى أبناء الخليفة حكم الولايات بدأ الطابع الأخلاقي يضمحل مما سمح بالفوضى واستغلال النفوذ وإهمال شؤون الرعية⁽¹⁾.

كما كان لتعيين السادة على رأس الولايات دورا مزدوجا، إذ بقدر ما أسهم تعيينهم في عصر الازدهار في تركيز حكم أسرة بني عبد المؤمن في الأقاليم وفي القضاء على استبداد أشياخ الموحدون بحكم الولايات، بقدر ما أضر وجودهم على رأس الولايات في فترة الضعف بوحدة الدولة ضررا بليغا، حيث وجد بعض الأسياد الولاة الطامعين في الخلافة في جنود الولايات ومواردها سندا مكنهم من الاستقلال بمناطقهم، وإعلان الخلافة، فبدأت الولايات البعيدة تنفصل الواحدة تلو الأخرى⁽²⁾.

أما من حيث الجانب الثقافي فقد اهتم الولاة بالعمل والمعرفة ومنهم من اشتهر بالشعر وتقريب الكتاب، بل كان هو أيضا شاعرا بليغا، السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، الذي لقبه ابن سعيد "بسلطان المغرب الأوسط"⁽³⁾، فقد كان واليا على بجاية ثم تلمسان في عهد المنصور، وربما في بداية عهد الناصر⁽⁴⁾.

(1) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص40.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص 167-169؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 187؛ وعبد الحق الطاهري: المرجع السابق، ص294.

(3) أنظر: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، مصر، دت، ج1، ص427.

(4) ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص13؛ وبغدادى غربي: المرجع السابق، ص55-56.

2- ولاية بجاية

بعد أن آلت بجاية إلى أملاك الموحدين تبعت لفترة قصيرة الولاية القديمة تلمسان، لكن سرعان ما عين عليها الخليفة عبد المؤمن السيد أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن⁽¹⁾، وأصبحه أبا سعيد يخلف بن الحسن⁽²⁾، وكان ذلك بعد انتهاء عمليات الموحدين من أجل فتح إفريقية سنة 555هـ/1160م⁽³⁾ حيث ظل المسؤول الرئيسي عن شؤون إفريقية صاحب بجاية الوالي السيد أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن⁽⁴⁾ إلى وفاته سنة 560هـ/1164م⁽⁵⁾.

وفي جمادى الأولى من السنة التالية 561هـ/1165م عين عليها الخليفة يوسف أخاه السيد أبو زكرياء يحيى بن عبد المؤمن⁽⁶⁾، وسيظل بولايته إلى سنة 566هـ/1170م حين قدم مراکش بالعرب الراغبين في الجهاد من الأعراب في الأندلس⁽⁷⁾، لكنه توفي إثر الطاعون الذي ضرب المدينة سنة 571هـ/1175م⁽⁸⁾، فخلفه الوالي السيد سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن إلى سنة 576هـ/

-
- 1) البيدق: أخبار المهدي، ص 76؛ و عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 145؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص 151؛ والغريبي: المصدر السابق، ص 140. وقد اتهمه بعض المؤرخين بفساد الأخلاق وشرب الخمر، كما عرف باختلال الرأي وكثرة البطش وحبه لنفسه. عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 166.
 - 2) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 145؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 194؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 316؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 110.
 - 3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 198. يحدد ابن خلدون بسنة 554هـ/1159م. أنظر: المصدر نفسه، ج 6، ص 226-227.
 - 4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 415.
 - 5) حيث رفض مبايعة أخيه يوسف، واكتفى هذا الأخير بمراسلته في محاولة لإقناعه بذلك، ونجح بعد سنة ونصف من التردد بالانتقال إلى مراکش لمبايعته لكن بعد بضعة أيام على مغادرته بجاية فاجأته المنية. ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 170؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 84؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 319. وتوفي بجبل زكار بمليانة ودفن به عام ستين وخمس مائة. ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص 5. ويشير هويشي مراندا أن أخويه يوسف وعمر دبرا مؤامرة لاغتياله فقامت بتنفيذها إحدى حواريه، والتي استعملت في ذلك قماشاً مسموماً. أنظر: المرجع السابق، ص 213.
 - 6) ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص 217. وكانت ترافقه حاشية تضم عددا من المنحدرين من أهل العشرة، بالإضافة إلى الحفاظ والجنود. هويشي مراندا: المرجع نفسه، ص 218؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج 3، ص 20؛ وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 132.
 - 7) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 1، ص 124.
 - 8) مجهول: الحلل الموشية، ص 158. ظهر الطاعون في المدينة في أول شهر ذي القعدة 571هـ/1175م، وبلغت ضحاياه نحو مأتي شخص يوميا ومات أربعة من السادات إثره منهم السيد أبو عمران، ثم أخوه السيد أبو سعيد، فأخوهما السيد أبو عبد الله، ثم أخوهما السيد أبو زكريا والي بجاية والعديد من أشياخ الموحدين، ودام مدة عام من الزمن. عبد الله عنان: المرجع نفسه، ج 3، ص 94-95.

1179م⁽¹⁾، ثم عين الخليفة عليها أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن إلى غاية وفاة الخليفة يوسف
580هـ/1183م⁽²⁾.

إذن نجد الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن انتهج نفس الطريقة في تعيين إخوته وأبنائه على
الولايات، إذ يقول ابن عذارى "...ونظر الأمير أولا مشورة أخيه أبي حفص في ولاية بجاية وأقطارها
وجمع جهاتها وأقطارها، إذ كانت دون وال، وعلى حالة إغفال فاختراروا لها من الإخوة السيد أبا زكريا
يحي بن عبد المؤمن فتوجه إليها من الحضرة غرة جمادى الأولى من سنة إحدى وستين في جملة متعينة من
أبناء الحفاظ والموحدين..."⁽³⁾.

كما لم يغير خلفاء عبد المؤمن طريقة التعيين للولاية إذ قام يعقوب المنصور(ت 595هـ/
1198م)⁽⁴⁾ بتعيين ثلاثة من أبناء عمومته⁽⁵⁾ كولاية، ثم سار على نهجه الخليفة الناصر، فقد أبقى قريبه
في منصبيهما⁽⁶⁾.

ومن الوزراء الإقليميين -أي المساعدين للولاية - عبد الحق بن واندين وزير عامل تلمسان وهو
عمر بن عبد المؤمن، وكذا الوزير يخلف بن الحسن وزير عامل بجاية⁽⁷⁾.

لكن الخليفة الجديد المنصور وعين أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن واليا على إفريقية⁽⁸⁾ سنة
580هـ/1183م⁽⁹⁾ وعين مكانه على بجاية عمه أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، وقد
تمتعت بجاية في عهده بشبه استقلال⁽¹⁰⁾ والذي وقعت في عهده بجاية في يد بني غانية⁽¹¹⁾، وبقيت في

1) عزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص322.

2) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص19.

3) ابن القطان: المصدر السابق، هامش، ص208؛ وهويشي ميراندا: المرجع السابق، ص218.

4) أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله ثالث خلفاء الموحدين، خلف والده أبو يعقوب يوسف. في الحكم من 580هـ/1184
حتى وفاته في مراكش عام 595هـ/1199م، تميز عهده بالمشاريع الكبيرة وهزم ألفونس الثامن القشتالي، في معركة الأرك في 18
يوليو 1195/591هـ بعد هذا النصر اتخذ لقب "المنصور بالله". ولمزيد المعلومات أنظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق،
ص184-219.

5) هم أبو زيد عبد الرحمن في بجاية ثم تونس، وأبو عبد الله، وأبو الحسن.

6) روبر بارونشيك: المرجع السابق، ج1، ص40-41.

7) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص323.

8) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص192.

9) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص19.

10) ديوان الأمير أبي الربيع: المصدر السابق، ص6 لهذا سماه ابن سعيد سلطان المغرب الأوسط. ابن سعيد المغربي: المغرب، ج1،
ص427.

11) حيث فر إلى أخيه نحو تلمسان التي كان واليا عليها أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن، ثم توجه بعد ذلك إلى مراكش حيث
التقى الخليفة يعقوب. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص192؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص326-327؛ وابن
الأثير: المصدر السابق، ج10، ص131؛ وهويشي ميراندا: المرجع نفسه، ص312.

يدهم لمدة ستة أشهر عين عليها أخاه يحيى بن غانية⁽¹⁾، وفي هذا الظرف كلف المنصور السيد أبا زكريا بن عمر بن عبد المؤمن تسيير أمور بجاية مؤقتا⁽²⁾، وقد مر على بجاية في ظرف 21 سنة أربعة ولاة، حيث اتسمت أوضاعها على عهد الخليفة يوسف خاصة بالاستقرار، عكس عهد الخليفة يعقوب المنصور، الذي شهدت في عهده هجومات بني غانية⁽³⁾.

فكان الخلفاء الموحدون يغيرون الولاية حسب الأحداث، وحسب الظروف إضافة إلى قدراتهم السياسية والتسييرية⁽⁴⁾، وربما كان هذا الإجراء المقصود منه هو إحلال عناصر جديدة تتميز بالولاء والإخلاص للخليفة الجديد مكان عناصر خدمت في ظل خليفة سابق⁽⁵⁾.

بعد استرجاع بجاية من ابن غانية سنة 581هـ/1184م، تولاهما مدة أبو زيد عمر بن أبي حفص، لكن الخليفة يعقوب المنصور استوزره وعين مكانه على بجاية أخاه أبا عبد الله بن أبي حفص سنة 582هـ/1185م⁽⁶⁾.

ثم عين عليها محمد بن أبي سعيد الجنيسي مؤقتا، ورجع وعين عليها وال آخر هو السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص سنة 584هـ/1188م⁽⁷⁾، وبقي بها إلى غاية وفاة المنصور، وتولي الخليفة الناصر الذي عينه مرة أخرى على بجاية سنة 596هـ/1199م⁽⁸⁾، وبقي بها إلى أن توفي سنة 604هـ/1208م⁽⁹⁾.

ليعود وينصب عليها أبا عبد الله بن يغمور الذي بقي إلى 623هـ/1226م، حيث خلفه يحيى بن العطاس التتمالي بن أخي العادل⁽¹⁰⁾، وبايع هذا الأخير الخلفية الجديد المأمون مما جعله يثبتته في منصبه سنة 624هـ/1226م⁽¹¹⁾، لكنه رجع وعين أبا عمران بن السيد أبي عبد الله الخرصاني أحد أحفاد

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 192؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 326؛ وابن الأثير: المصدر نفسه، ج 10، ص 131؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 312؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج 1، هامش، ص 40.

2) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 323.

3) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص 19.

4) المرجع نفسه، ص 39.

5) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 142.

6) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 327.

7) المصدر نفسه، ج 6، ص 328.

8) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 237. أما عز الدين عمر موسى فيقول أن الوالي هو السيد أبو زيد الحسن بن السيد أبي حفص. أنظر: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 324.

9) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص 335.

10) الغبريني: المصدر السابق، ص 228. وقد أورد اسمه يرموز عوض يغمور. روبرار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، هامش، ص 48. وذكر ابن خلدون الوالي الجديد على بجاية يحيى الأطاس التينملي. أنظر: المصدر نفسه، ج 6، ص 379.

11) الزركشي: المصدر السابق، ص 22؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج 1، ص 48.

يوسف بن عبد المؤمن، والذي سقطت بجاية في عهده بيد الحفصيين سنة 626هـ/1228م⁽¹⁾، وبذلك انقطعت الدعوة المؤمنية من شرق المغرب الأوسط، ليصبح تحت إمرة الدعوة الحفصية⁽²⁾.

وعليه فإن النظام الإقليمي في الولايات الموحدية-وعلى رأسها المغرب الأوسط، المقسم إلى ولايتين هما بجاية وتلمسان- كان تقريبا نسخة طبق الأصل للنظام المركزي في العاصمة مراکش، إذ كان الخليفة يعين لكل وال وزيرا إقليميا وكاتبا خاصا به⁽³⁾.

كما نلاحظ أن صلاحيات الولاة لم تبق كما كانت، فقد اتسعت في فترة ضعف الدولة، أو في بعض الولايات البعيدة حتى في عهد القوة⁽⁴⁾ ويدل على ذلك ما فرضه الشيخ عبد الواحد الحفصي على الخليفة الناصر الموحيدي (595-610هـ/1198-1213) من شروط لقبول ولايته على إفريقية، إذ اشترط عليه حرية التصرف في اختيار الكاتب والوزير والقاضي ورؤساء الجند⁽⁵⁾، كما اختص كاتب الوالي أحيانا بالجمع بين الكتابة والوزارة لمستخدمه من ولاة بني عبد المؤمن⁽⁶⁾.

لقد اختص الولاة الموحدون كل واحد منهم بكاتب أو مجموعة من الكتاب يعملون على خدمته والكتابة عنه، واختلف عددهم في بلاط الوالي حسب حاجة الإدارة إلى ذلك⁽⁷⁾، فقد كان أبو حفص عمر بن عبد المؤمن والي تلمسان⁽⁸⁾، كاتبا بليغا استوزره أبوه، وصدرت عنه عدة رسائل من إنشائه⁽⁹⁾، إلا أنه اختص به بعض أعلام الكتاب ومشاهيرهم، وعلى رأسهم الفقيه الكاتب أبو الحسن عبد الملك بن عياش، ومحمد بن إبراهيم بن خيرة، والكاتب أبو القاسم بن المواعيني⁽¹⁰⁾.

واشتهر من ولاة المغرب الأوسط السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص بن عمر، فقد حلاه ابن سعيد بقوله: كان من أجل بيته قدرا وأطيبهم ذكرا وأسفحهم يدا وأمنعهم سندا، وكان مألفا للشعراء والأدباء، ومدحه هناك ابن الفكون، ثم ولاه الخليفة بعد ذلك تلمسان، وبني بها المباني⁽¹¹⁾.

1) لكن الزركشي يورد اسم أبو عبد الله اللحياني ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص. المصدر نفسه، ص 25-28؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص 5. أما ابن قنفذ فيرد الوالي هو أبا عمران بن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور. أنظر: المصدر السابق، ص 108.

2) لأن الدعوة الموحدية مؤمنية وحفصية. ابن قنفذ: المصدر نفسه، ص 108.

3) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 323.

4) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 2، ص 229.

5) الزركشي: المصدر السابق، ص 18؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 331-332.

6) بغدادى غربى: خطة الكتابة على عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006-2007، ص 53.


7) بغدادى غربى: المرجع نفسه، ص 54.

8) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 113؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 50.

9) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 1، ص 23.


10) بغدادى غربى: المرجع نفسه، ص 55.

11) المقرئ: المصدر السابق، ج 3، ص 108-109؛ ومحمد طمار: المرجع السابق، ص 77.



الفصل الأول

الحواضر العلمية والمؤسسات
الثقافية في المغرب الأوسط



أولاً : الحواضر العلمية

ثانياً : المؤسسات الثقافية

استعادت الثقافة بالمغرب الأوسط نشاطها في العهد الموحد، في ظل الوحدة السياسية، فظهرت حواضر مهمة بلغت العشر، في كل من تلمسان وبجاية ووهران وقسنطينة وقلعة بني حماد و بونة وجزائر بني مزغنة، وورجلة وهذا فضلا عن بعض المراكز الأقل أهمية خلال هذه الفترة، مثل أشير، وزواوة⁽¹⁾، و مازونة و بسكرة، و تاهرت...

يقول ابن خلدون: "إن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت، مثل البصرة والكوفة، إلا أن الله قد أдал منها بأمصار أعظم من تلك، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق، ثم إلى القاهرة، وما إليها من المغرب، فلم تنزل موفورة وعمراها متصلا وسند التعليم بها قائما"⁽²⁾.

ورغم استمرار الحواضر العلمية⁽³⁾ الأولى في المغرب الإسلامي "كفاس"، و"بجاية"، و"القيروان"، إضافة إلى المراكز العلمية المشرقية، كدمشق وبغداد، وبصفة خاصة "القاهرة" المملوكية، التي كانت محور ارتكاز سياسي، وملاذا آمنا للكثير من الشخصيات المغربية البارزة، حيث وجدوا في بلاط السلاطين الرعاية و الحظوة على غرار، الرحالة ابن جبير (ت 614 هـ/1217م)⁽⁴⁾.

أما الحواضر الأم التي حوت أقطاب العلم في المغرب الأوسط، وشهدت ازدهارها العلمية، وتلاوات كالكواكب العلمية في مختلف أنحاء المغرب الأوسط الموحد، هي تلمسان وبجاية، بفضل

1) سميت بزواوة لكثرة جمعهم، إذ أن معنى زواوة بلغتهم جمع الشيء فهو زاو، وأزوي تعني جاء ومعه غيره، وهي إشارة إلى اتحادهم وتحالفهم أمام الأخطار، أو هي تصحيف للاسم لبربري قواوا أو زواوا نسبة لأحد أبناء يحيى بن تمزيت بن ضريس، ويدعى زواو ومنه أخذت القبيلة تسميتها وهي من البتر. مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين (6-9 هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 50-51.

2) أنظر: المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادى، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2005، ج2، ص 353. اعتبر ابراهيم حركات أن أهم عنصر سلبى في الثقافة المغاربية هو أنها لم تكن متاحة للجميع أو لأكثر عدد ممكن، مهما كان من التغطية الكبيرة التي قامت بها على الخصوص، الرباطات والزوايا، فضلا عن جهود السلطات المركزية، وفي جميع الأحوال لم تصل التغطية إلى مستواها في الأندلس، حيث كانت نسبة الأمية متدنية جدا بينما هي في المغارب مرتفعة جدا، لأن المراكز الحضارية والعمراوية بالأندلس متقاربة ومستواها الحضاري غير متفاوت بشكل كبير. مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ج1، ص 55-56.

3) والحاضرة لغة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار والبادية يمكن أن يكون اشتقاق اسمها من بدا يبدو أي برز وظهر ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه وأهل الحضرة وأهل البدو والحاضرة والحاضر الحي العظيم أو القوم المجتمع... وحاضرة صفة طائفة أو جماعة يجتمعون إلى مكان ما. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت، ج2، ص 907.

4) عرفت رحلته باسم "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" أو برحلة ابن جبير.

العلم والدين، محور هذا الحراك، إضافة إلى التجارة، حيث نادرا ما تجدد مدرسة أو زاوية أو رباطا يخلوا من كتب العقائد.

فنشطت العلوم الدينية كالفقه والحديث وعلم الكلام، والعلوم اللغوية والتصوف والطب، انتشارا الجامع العلمية في هذا العصر كالربط والزوايا والمساجد والمدارس العسكرية لتخريج الجند البارعين، وكثرت دور العلم والمعرفة في أغلب المدن المغربية والأندلسية، وأنجبت كل حاضرة رجالها وفطاحل من الأدباء والشعراء والفقهاء والمفكرين⁽¹⁾.

ساعد في نمو وازدهار الحواضر العلمية انتشار مراكز علمية ومؤسسات ثقافية مهمة كان لها الدور الكبير في إبقاء المشعل الثقافي متقدما، وأعني بالمراكز العلمية المساجد أولا، فقد ظل المسجد دائما على امتداد التاريخ الإسلامي هو المركز الأهم للدراسات العلمية والثقافية إلى العهود التي نعيشها، وقد تتبعها كتاب، وزوايا، ثم بعد ذلك المدارس وربما كان إنشاء المدارس ابتداء أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع كما سنعلم فيما بعد، ثم بعد ذلك المكتبات.

كما ساهم في ظهور الحواضر العلمية انتشار التعليم في وسط مجتمع المغرب الأوسط وطبقاته وفتاته، لأن التعليم أساس نهضة الشعوب والأمم، فكان بهذه الحواضر نوعان من التعليم: الاحترافي، والتعليم التطوعي الشعبي، فكان هذا العامل جديرا جدا بتطوير العملية التربوية التعليمية، مما سمح بازدهار مراكز علمية هامة وحواضر فكرية⁽²⁾.

عموما ظهرت شبكة مزدهرة لحواضر ثقافية، متعددة المشارب، ميزتها التوجه الديني والمذهبي الواحد خاصة في المغرب الأوسط عكس، حواضر العهود السابقة، فقد نجد منها ما كان على الاعتزال وبعضها على مذهب الشيعة وبعضها على مذهب الخوارج، وبعضها على شعائر ومعتقدات زائغة - ولكن تحت مظلة الموحدين - أصبحت جميعها على تعدد أهوائها تحمل ثقافة واحدة. كما ارتبطت حواضر المغرب الأوسط في ظل الوحدة بمراكز ثقافية أخرى بالأندلس والقيروان، وحتى مع المشرق الإسلامي - ولعل السبب الرئيسي في ذلك تعدد مذهب ابن تومرت مؤسس الدولة -

1) صفية ديب: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، بين القرن 6-7هـ/12-13م، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011، ص 42-43.

2) عبد العزيز فيلاي: تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد 3-4، أبريل-ماي 2011، ص 9.

أولاً : الحواضر العلمية.

مثلت الحياة العلمية مظهراً مهماً من مظاهر الحضارة الموحدية، وقد كانت هناك عوامل وراء ازدهار الحركة العلمية، كان أولها انتشار المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب الإسلامي عموماً، والمغرب والأوسط خصوصاً.

الحواضر العلمية في المغرب الأوسط متعددة وكثيرة، ومن أبرزها: بجاية، وتلمسان، والقلعة، وقسنطينة، ووهران، ووركلا، وجزائر بني مزغنة، في الفترة الأخيرة.

فانتابت المدن المغربية والأندلسية حركة علمية نشطة، خلال العهد الموحد، باعتبار الوحدة السياسية التي تمت، فقد كانت مراكز كعبة العلماء والفلاسفة، و فاس بعدها مباشرة في الترتيب⁽¹⁾، لتأتي بعدها مدن أخرى في المغرب الأوسط لا تقل عنها أهمية واجتذاباً للعلماء كتلمسان وبجاية.

كما تبين لنا ذلك كتب البرامج والفهارس، الحياة التعليمية والثقافية في هذه الحواضر العلمية، بذكر المراكز النشيطة في نشر العلم، من خلال كثرة الشيوخ، وتوفر المدارس، وتركز فهارس القدامى بالدرجة الأولى، كما تبين لنا البرامج والفهارس أهم التجمعات العلمية للشيوخ في العدوتين⁽²⁾، وأهمها على الإطلاق فاس ومراكش وتلمسان وبجاية، حيث يجتذب بريقها مختلف فئات العلماء والطلبة، لما يتوافر فيها من ظروف الحياة أولاً، ولما تحظى به من ظروف التهيؤ المشجعة لذلك.

فكان كلما مر العلماء بعد رحلة الحج على حواضر المغرب الأوسط، إلا واستقروا بها ودرسوا بمساجدها، اختصاصات شتى، وأملوا مؤلفاتهم على طلبتها، ومثال ذلك الفقيه عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (ت 628 هـ/1230م) الذي كان قاصداً البقاع المقدسة، فمكث ببجاية متفرغاً للتدريس والتأليف ونشر العلم⁽³⁾.

لن نبالغ إذا قلنا بأن كل مدن المغرب الأوسط ومناطقه كانت مراكز يؤمها الطلاب، والمتعطشون للمعرفة، حيث يجدون بغيتهم في حلقات المساجد والمدارس التي انتشرت في المدن والقرى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، غير أن بعضها كان لا يقدم غير دراسة متوسطة المستوى، تتطلب البحث والرحلة والتنقل إلى أماكن وحواضر أخرى أكثر مستوى ورفعة علمية.

¹ عبد القادر عثمان: الموحدون بإفريقية إلى سنة 627 هـ، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991-1992، ص245.

² عبد الله المراتب الترغي: فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تيطوان، المغرب، 1999، ص424.

³ الغبريني: المصدر السابق، ص193. كما كانت العودة من الحج بحراً أيضاً تمر على بجاية. ابن جبير: المصدر السابق، ص277؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص101.

على أن بعض هذه المراكز الحضرية كان لها الأثر السياسي في إغراء القادمين إليها من الأندلسيين الذين وفدوا عليها كبجاية وتلمسان، خدمة للدولة الموحدية، باعتبارهما حاضرتين كانتا تمثلان مركز ثقل مهم سياسيا من خلال اعتبارهما ولايتين رئيسيتين في الدولة، وقد يكونوا مجرد عابرين استقر بهم المقام للحظة في هاتين الحاضرتين، فطال أو قصر بهم المقام، أو ممن طوحت بهم ظروف الأندلس القاسية⁽¹⁾، فترلوا إلى المغرب الأوسط لاجئين يبحثون عن مستقر آمن.

ولم تنل العواصم الثقافية القديمة في المغرب الأوسط مكانتها خلال العهد الموحي حيث فقدتها لصالح مراكز علمية أخرى برزت بدور فاعل في الساحة السياسية والفكرية، ومن بين هاته المدن التي فقدت مكانتها نجد مدينة أشير، وتاهرت، حيث لم تنل عناية عبد المؤمن وخلفائه⁽²⁾ ربما بسبب تجاهل الدول التي جاءت بعد الرستميين لها باعتبارها مدينة الخوارج، أو لتعارضها العقدي مع مبادئ تلك الدول، غير أن عبد المؤمن وخلفاءه نشروا بتاهرت مبادئ الموحدين ونشطوا تحفيظ القرآن الكريم⁽³⁾.

إن تلمسان وبجاية، وهما من حواضر المغرب الأوسط السياسية والفكرية تمثل كلتاهما، في نظر الجغرافيين المسلمين طرفا المغرب الأوسط، فبجاية تمثل البداية، وتلمسان تمثل النهاية أو القفل على حد تعبير بعض الجغرافيين المسلمين⁽⁴⁾.

كما أن في كثير من الأحيان، كان العلماء يختارون بجاية أو تلمسان للإقامة، ويختارونهما أيضا لثوهم الأخير⁽⁵⁾ فتبعت تلمسان وبجاية على صدارة تاريخ المغرب الأوسط أكثر من ثلاثة قرون، ازدهر خلالها الفكر وأخصبت الحضارة، وتطور العمران وانتعش الاقتصاد والتجارة؛ فاستهوت العديد من رجالات الفكر والدين والسياسة، وجلبت الرحالة والجغرافيين والمهاجرين ، فكانتا بحق همزة وصل لتواصل ثقافي بين المغرب الأقصى والأدنى ، خلال فترة كانت فيها الوحدة هي الغالبة.

وليست نهضة بجاية وتلمسان العلمية من مآثر الموحدين ل وحدهم، فقد كانت ذات شهرة عالمية فائقة في عهد الحماديين، والمرابطين⁽⁶⁾، كما برزت حواضر أخرى كان بها إشعاع علمي مهم مثل قسنطينة، وهران، وجزائر بني مزغنة، وقلعة بني حماد، وبونة، ووركلا.

1) مثل ما حدث خلال ظروف الفتنة الحادثة أواخر دولتي المرابطين، و عهد ملوك الطوائف .

2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص105.

3) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص286.

4) (ي.ع) لقبال: زناة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، 1975، ص91-92.

5) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، سلسلة الفن والثقافة، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص100.

6) عبد الله علي علام: المرجع نفسه، ص286-287.

أ- تلمسان⁽¹⁾

استمرت الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي والأندلس عموماً خاصة في العهد الموحد، وبالمغرب الأوسط خصوصاً، بالنمو والازدهار في كل ميدان، وظهر العلماء في كل فن، فشهدت الدولة الموحدية حركة فكرية نشيطة، أدت إلى ازدهار المدن وتطورها ثقافياً وعلمياً، فانعكس ذلك بظهور حواضر ومراكز علمية مهمة، منها تلمسان وبجاية.

ولم يكن قدوم العلماء إلى عدوة المغرب مقصوراً على من انتقاهم الخلفاء للتدريس بالمؤسسات العلمية، أو المساجد الكبرى فالعلماء المشهورون، استهوتهم مناصب التدريس الشاغرة في المساجد والمدارس والزوايا المنتشرة في كبريات المدن الموحدية، كبجاية، وتلمسان⁽²⁾.

فقد كانت مدينة تلمسان مشتتة للعلم والمعارف، وخزاناً للعلماء والفقهاء، ومنيراً للدعوة الإسلامية، وعاصمة للزهد والتصوف الإسلامي، ومزاراً كبيراً لطلاب العلم وأصحاب الرحلة في طلبه، ومحجاً للأولياء الصالحين ومريديهم، لأخذ التصوف ولبس الخرقة⁽³⁾.

وبلا شك أعطت تلمسان دفعا قويا لتكوين علاقات متينة مع غيرها من المراكز الفكرية، سواء تأثيراً أو تأثراً، مما جعلها دائمة الحراك الثقافي تأخذ وتعطي، مساهمة في النمو المضطرد في الحركة الثقافية بالمغرب الأوسط إبان الفترة الموحدية فأصبح تلمسان مشعة لا في الغرب الإسلامي فحسب بل في كل العالم الإسلامي.

لم تحمل المدينة اسم تلمسان إلا في مصادر القرن الثالث للهجرة⁽⁴⁾، ولا ندري من استعمله لأول

1) تقع تلمسان في سفح جبل بني ورنيد المار جنوباً و يسمى قائلتها بالصخرتين و ينحدر منه فخر سطيف المار بشرقها ليلتقي بنهر يسر ثم بنهر تافنا. البكري: المصدر السابق، ص76. وتلمسان تحريف لصيغة جمع وهو تلمسان أو تلمسين بكسر فسكون ومفردة تلماس ومعناه جيب أو ينبوع، فيكون اسم تلمسان مدينة الينابيع، وأحاديث اسم فينيقي، دخل هذا الاسم في لغة البربر ومعنى أحاديث يجيم مصرية الجرف أو الهضبة ويقف هذا وموقعها. محمد بلفراد: تلمسان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26 جويلية-أوت، 1975، ص299.

2) صفية ديب: المرجع السابق، ص100-101.

3) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص7. كما كانت تلمسان منذ القدم تتبنى فكرة المذهبية المستقلة بدءاً بالنحلة الصفرية ممثلة في أبي قرة اليفريني، ثم الشيعة العلوية، ثم الحركة السننية المرابطية، وصولاً إلى المهدوية التومرتية. موسى لقبال: المرجع السابق، ص92.

4) ذكرها ابن عبد الحكم (ت 257 هـ / 870م) حينما تكلم عن موسى بن أبي خالد مولى معاوية بن حديج سنة 123 هـ. فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص96 كما ذكرها يعقوبي المتوفى سنة 284 هـ / 897 م باسم تلمسان وقال بأنها "المدينة المشهورة بالغرب وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة. البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص192. كما جاءت الكلمة بصيغة تلمسين عند. وذكرها ابن حوقل (ت 367 هـ / 977م) باسم تلمسان وبأنها مدينة أزيلية ولها سور من آجر حصين. صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص88.

مرة، في حين احتفظ بلفظ أقادير⁽¹⁾ ليطلق على المدينة القديمة في الجهة الشرقية من تلمسان، ويصفها الإدريسي بأنها "مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقه وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور⁽²⁾".

تأسست مدينة تاجررات أو تلمسان الجديدة من قبل يوسف بن تاشفين⁽³⁾، سنة (473هـ/1081م) وعرفت الحركة الفكرية بها نشاطا منذ عهد المرابطين، فأصبحت تلمسان مقرا لولايتهم في المغرب الأوسط إذ شيّدوا القصر وجعلوه مقرا للتواصي، وبنوا المسجد الأعظم أو الجامع الكبير، وجعلوا لها خمسة أبواب، وأصبحت تلمسان حاضرة من حواضر الغرب الإسلامي وقاعدة المغرب الأوسط⁽⁴⁾.

كما يقول عنها البكري (ت 487 هـ/1094م) "و لم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمة الله عليه..."⁽⁵⁾

وتلمسان⁽⁶⁾ كما يصفها الإدريسي (ت 560 هـ/1165م) الذي عاش في القرن السادس هجري أي عاصر الموحدين، بقوله هي مدينة أزلية-ويقصد مدينة أكادير-⁽⁷⁾، ولها سور حصين،

1) معنى كلمة أقادير حسب اللهجة المحلية الحصن أو الصخرة المنيعه وهي مشتقة من أغادير، أي جدار المدينة الحصين، ومن هنا تسمى المدينة بمدينة الجدار. نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7 إلى 10 هـ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص 3. ويذكر الوزان (ت 957 هـ/1550م) أن تلمسان مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة لم يذكر التاريخ مؤسسها وكل ما يقال أنها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتد إثر تخريب أرشكول. وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص17.

2) أنظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، دت، ص248.

3) بناها يوسف بن تاشفين غرب المدينة القديمة أغادير، واتخذها معسكرا له لهذا سماها تاجررات وتعني المحلة أو المعسكر بلسان صنهاجة. حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2011، ج4، ص37؛ وعبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1993، ص37، ويحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985، ص33. وهي التي تمثل اليوم وسط مدينة تلمسان ومركزها الجامع الأعظم المرابطي والساحة المحاذية له. نصر الدين بن داود: المرجع السابق، ص5.

4) البكري: المصدر السابق، ص76.

5) أنظر: المصدر نفسه، ص77. إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص133-139.

6) وهذه المدينة يسميها القدامى تيميسي، ويجعلها بطليموس في الدرجة الثالثة عشر وخمسين دقيقة طولاً، والثالث والثلاثين وعشر دقائق عرضاً، وتسمى تلمسان بلغة البلاد، وتقع على بعد سبعة فراسخ من البحر في جهة الجنوب، ويرجع تأسيسها إلى قبيلة مغراوة من قبيلة زناتة، ولم تكن إذ ذاك إلا مدينة صغيرة بمثابة قلعة ضد أفارقة الصحراء، ثم اتسعت بعد ذلك. مارمول كرنخال: إفريقيا، طبع دار المعرفة، الرباط، 1989، ج2، ص298. لا يصدق القول بأن مؤسسي أقادير أو تلمسان هم الرومان لأنها أقدم منهم بكثير والمؤسسون الحقيقيون لها هم بنو يفرن الزناتيون. يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص91؛ وابن خلدون: العبر، ج7، ص24، ص102؛ ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ص17.

7) أحاديير أو أقادير أو أغادير مدينة بناها بنو يفرن الذين كانوا يقطنون هذه المدينة. ابن خلدون: العبر، ج7، ص24، ص102. وقال عنها يحي ابن خلدون وتلمسان تعرف بأجادير. أنظر: المصدر السابق، ج1، ص91. كما سماها الرومان باسم بوماريا والذي يعني البساتين. نصر الدين بن داود: المرجع السابق، ص3؛ ومحمد بلفراد: المرجع السابق، ص299. يصفها الزهري بأنها مدينة

الوثائق، وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور، وإحدى المدينتين بناها المرابطون، وهي تافراوت، ثم وصفها بالخصب ورخص المعيشة وكثرة الخيرات، وقال عنها لم يكن في عصره بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرق منهم حالا⁽¹⁾. ويضيف الجغرافي المجهول (كان حيا سنة 587هـ/1191م) "ومدينة تلمسان مدينة علم وخير، ولم تزل دار العلماء والمحدثين..."⁽²⁾.

تدعى تلمسان أيضا مدينة السور أو الجدار لكونها محاطة بأسوار كبيرة وطويلة قليلا ما نجد مثلها في العالم الإسلامي، حتى أن ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) نقل في معجمه مزاعم خاطئة عن جدارها حيث يقول: "...ويزعم بعضهم أنه -تلمسان- البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن"⁽³⁾.

وتقع تلمسان المشهورة حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنان وأربعون دقيقة، كما يصفها ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) بأنها مشهورة... والأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها..⁽⁴⁾، وقد وصف يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م)، مؤرخ ملوك بني عبد الواد، تلمسان بقوله: "اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسيط أطول من شرق إلى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين تطل منه على فحص أفيح معد للفلاح"⁽⁵⁾ ويضيف قائلا "ولها خمسة أبواب: قبلة باب الجياد، وشرقا باب العقبة، وشمالا باب الحلوي، وباب القرميدين، وغربا باب كشوطة"⁽⁶⁾. إلا أن أبو الفداء (ت732هـ/1331م) يبالغ فيذكر لها ثلاثة عشر بابا⁽⁷⁾، وأطنب لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1378م) في وصفها قائلا: "تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه، وحواليه من الدوحات حشمة

عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة وهي كثيرة الزرع والضرع، ولها أعمال كثيرة، وهي دار مملكة... وأهلها ذو طرف وأدب. أنظر: المصدر السابق، ص113-114.

(1) أنظر: المصدر السابق، طبعة (مكتبة الثقافة الدينية)، ج1، ص238. وأعاد الحميري (ت727هـ/1327م) ذكر الأوصاف السابقة مع تأكيده على أهمية تلمسان بقوله: "تلمسان قاعدة المغرب الأوسط... وهي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة..." أنظر: الروض المعطار، ص135.

(2) أنظر: الاستبصار، ص177.

(3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص95؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص4؛ ويحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص90. ويؤكد ابن خلدون كل هذه المزاعم لأن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب وبنو إسرائي لم يمتد ملكهم إلى المغرب، العبر، ج7، ص102.

(4) أنظر: كتاب الجغرافية، ص140.

(5) أنظر: البغية، ج1، ص86.

(6) أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص90.

(7) أنظر: تقويم البلدان، ص137.

وأعلاجه، عبّادها يدها وكهفها كفها، وزينتها زياتها، وعينها أعيانها، هواها المقصور بها فريد، وهوؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد، حجبها أيدي القدرة عن الجنوب، فلا نحول فيها ولا شحوب⁽¹⁾.

أما محمد العبدري (ت 720هـ/1320م) فقد وصفها في رحلته قائلاً: "تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية، جميلة المنظر، مقسومة بإثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها أسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة، ولا بأس بأخلاقهم"⁽²⁾، ويذكر الحميري القبائل التي تستوطنها بأنها قبائل زناتة... ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة⁽³⁾.

كما امتدحها المقري (ت 1041هـ/1632م) بقوله "وقد تخرّج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضب، ويكفيها افتخاراً دفن وليّ الله سيدي أبو مدين بها، وهو شعيب بن الحسين الأندلسي، شيخ المشايخ، وسيد العارفين، وقدوة السالكين..."⁽⁴⁾.

ويعود سبب ازدهارها الفكري والثقافي إلى عدة عوامل منها موقعها الجغرافي الرابط بين الشرق والغرب والأندلس، والشمال "التل" والجنوب، فهي عقدة المواصلات لطرق القوافل التجارية بين التل والصحراء، كما تعد منبت ومحط أنظار العلماء والمفكرين وطلاب العلم، كما أنها محطة لعبور قوافل الحجاج الذين يغدون ويروحون بين بلدان المشرق من جهة وبلدان المغرب والأندلس من جهة أخرى⁽⁵⁾.

وإذا كان خط التطور الفعلي لمدينة تلمسان بدأ مع المرابطين، متجهة معهم إلى التحول التدريجي إلى مركز حضاري كبير، فإن هذا الخط واصل سيره ليلبغ مستوى عالياً من الازدهار في العهد الموحد، ضاهى في ذلك المراكز العلمية الإسلامية الكبرى كالقيروان وفاس وقرطبة⁽⁶⁾ كما أن تلمسان كانت ولاية مهمة من ولايات الدولة الموحدية، وقرية إلى المركز "العاصمة مراكش" وهذا ما جعل الخلفاء الموحدين يستدعون علماءها لاستعمالهم في مختلف الوظائف الإدارية والقضائية⁽⁷⁾.

1) نقلا عن المقري: المصدر السابق، ج7، ص135.

2) أنظر: الرحلة المغربية، تحقيق بن حدو، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، 1964، ص9.

3) أنظر: الروض المعطار، ص176.

4) أنظر: نفح الطيب، ج7، ص136.

5) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص6-7.

6) عبد العزيز لعراج: تلمسان، عمراها وعمارها الدينية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد3-4، أبريل-ماي، 2011، ص24.

7) عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975، ص137.

وأنا لا أوافق في اعتبار استدعاء الفقهاء والعلماء مثبط للتطور الفكري على قوله "وكان من شأن هذا الوضع بطبيعة الحال أن يقيد

تطور الحياة الفكرية بتلمسان في عصر الموحدين، ويحد من ازدهارها، ويجعلها تابعة إلى حد بعيد للحياة الثقافية السائدة

بمراكش". نفس المرجع والصفحة والعكس على نقيض ذلك حيث أن الاحتكاك بمختلف العلماء والفرق والمذاهب والأفكار ساهم في

تطوير الحياة الفكرية وزرع المنافسة، بل والإطلاع على ما أنتجه الغير وعدم التقوقع داخل تلمسان.

فبذلك هيأت تلمسان مناخا ملائما للموحدين، لكي تتبوأ مركزا إقليميا هاما له وزنه السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي، ومكانة مرموقة في المغرب الأوسط منذ الاستيلاء عليها⁽¹⁾.

لقد ضمها عبد المؤمن بن علي سنة 534هـ/1139م وخرّبها نتيجة الحرب، ثم رجع وأعاد بناءها وتعميرها⁽²⁾ حيث شرع أبو الحسن علب بن عمر عام 561هـ/1170م في تجديد السور، ولم ينته منه سوى سنة 580هـ/1184م على يد أبي عمران موسى⁽³⁾ فتزايد التوسع العمراني بها موازاة مع تزايد النشاط التجاري من جهة و انتشار التعريب و الثقافة الإسلامية من جهة أخرى لهذا أبقوا عليها كمقر لولايتهم و مركز إشعاع و أعطاهما عبد المؤمن الأولوية كمركز ثقافي⁽⁴⁾ نظرا لما آلت إليه المدينة من تطور و ربما لكونها قريبة من مسقط رأسه بتاجرا⁽⁵⁾.

فجعل الموحدون تلمسان مقر ولاية المغرب الأوسط، فشيّدوا قصرا ومقرا للوالي، ورمّوا وبنوا المسجد الأعظم سنة 536هـ/1141م وأصبحت المدينة تستقطب العلماء والأدباء، كما لقيت نفس العناية المدن الموحدية الأخرى من خلال إنشاء أسوارها لتحقيق حصانتها⁽⁶⁾.

كما اعتنى بها عبد المؤمن بصفة خاصة، وعناية خلفائه من بعده، فقد جدد عبد المؤمن مسجد تلمسان الجامع، وبنى لنفسه بها قصر المشور سنة 540هـ/1145م⁽⁷⁾.

وعقد بها مجالس العلم، ونشر التعليم الإلجباري، وربما يكون سبب اعتناء عبد المؤمن بتلمسان، هو أن هذه المدينة تضم كثيرا من بطون زناتة وكومية" عشيرته الأقربين" كما كانت سوقا يعرض فيها والده بضاعته، وكانت تلمسان من الحصون الموحدية الهامة، كما كانت مركزا هاما لنشر دعوتهم بالمغرب الأوسط⁽⁸⁾.

1) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 8-9. لكن العبدري يظهر تحاملا واضحا من خلال ما ذكره في رحلته عن تلمسان بقوله "ومبانيها مرتفعة ولكنها مساكن بلا ساكن ومنازل بغير نازل، ومعاهد أقفرت من متعاهد... وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد وغاضت أثماره فازدحم على التماذي... وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا من يتعلّق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس. أنظر: المصدر السابق، ص 10، ص 11. لكن في الحقيقة غير ذلك حيث كانت تلمسان -رحلة العبدري سنة 688هـ/1289م- في العهد الزياني قمة في التطور والازدهار العلمي، وأكد هناك لبس فيما قال، أو حدثت له حادثة هناك جعلت قلبه يتحامل عليها بهذا الشكل.

2) ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 104.

3) محمد طمار: المرجع السابق، ص 73.

4) عبد الحميد حاجيات: تلمسان، ص 37.

5) تاجرا أو تاجرة المدينة التي ولد بها عبد المؤمن وتعني بالبربرية الحوض والجفنة، وهي تقع في داخل جبال وفي منتصف الطريق بين هنين المرسي ومدينة ندرومة القاعدة العلمية لعبد المؤمن. الحميري: المصدر السابق، ص 125؛ وعثمان الكعك: المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، جامعة الدول العربية، 1984، ص 121.

6) عبد الحميد حاجيات: تلمسان، ص 37.

7) ابن زرع: الأنيس، ص 189.

8) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 287.

فبذلك شهدت تلمسان خلال العهد الموحدى تطورا هائلا في الحضارة والعمران، حيث صرف ولاية الموحدين السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها وتحسينها، فشيّد بها الوالي أبو عمران موسى بن يوسف عددا من الأبنية سنة 556 هـ/1261م وأحاطها بسياحين، وفعل على غرار أبو الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن، خاصة عندما ظهر الثائر الميورقي عام 581 هـ/1185م واكتسح المغرب الأوسط وهدد تلمسان عدة مرات وأحدث بها تخرّيبات⁽¹⁾.

فأصبحت تلمسان في العهد الموحدى معدن العلماء والأعلام، والأولياء المشاهير، نجابة في الدرس والعبادة، تشهد بذلك المزارات المحبوبة من مختلف الأقطار⁽²⁾، فكانت في طليعة المراكز العلمية بالغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، منافسة بذلك مراكز أخرى في المغرب الأقصى و العدوّة الأندلسية، وظهرت أهميتها في الدراسات الفقهية من خلال جلة من العلماء منهم الفقيه علي بن أبي قنون (ت577 هـ/1181م)⁽³⁾ و الفقيه ميمون بن جبارة (ت584 هـ/1188م)⁽⁴⁾، والفقيه عبد الله بن محمد الفهري (ت644 هـ/1246م)⁽⁵⁾ وغيرهم.

كما برزت المدرسة التلمسانية في التفسير من خلال عدة علماء مفسرين بلغوا درجة مهمة منهم عثمان بن صاحب الصلاة (582 هـ/1186م) وهو شارح كتاب "الأحكام الصغرى في الحديث"، لعبد الحق الإشبيلي المشهور بابن الخراط⁽⁶⁾ ومحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي (ت بعد 654

1) يحي بوعزيز: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975، ص7.

2) يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ص34.

3) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1989، ص294-295؛ وابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر فرانسيسكو قوديرا، مطبعة روكس، مدريد، 1886م، السفر الثاني، ص685. كما يلقبها بيهتون. ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ص159. والحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2، ص253.

4) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق (طبعة مدريد)، السفر الثاني، ص396؛ وابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق ومراجعة محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص294؛ وشكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج3، ص183.

5) الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص421.

6) محمد بن جعفر الكتاني: الرسالة المستطرفة، لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، كتب مقدماتها ووضع فهارسها محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، ط5، 1414 هـ/1993، ص178-180؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص418.

هـ/1256م⁽¹⁾، الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ⁽²⁾ حيث ألف كتابا مهما في تفسير القرآن⁽³⁾.

هذا ما جعل لتلمسان القابلية لاستقبال كل جديد من مختلف العلوم، فلم يكن يظهر فيها، أو في غيرها أي علم جديد، إلا وكان لها منه أو فيه نصيب، ففي علم الحديث برزت فيه تلمسان بشكل لافت، نافست فيه حتى الحواضر المشرقية، من خلال مجالسها العلمية ومختلف العلماء الذين خرجتهم، أو الذين كانت بيت ضيافة لهم، فوجدوا فيها خير الحسن والاستقبال، فأفادوا واستفادوا من الزخم المعرفي والعلمي السائد بها، ونذكر منهم أبا عبد الله الفازازي اليجعشني التلمساني (ت 621هـ/1224م)⁽⁴⁾ ومحمد بن عبد الحق اليفرني (ت بتلمسان عام 625هـ/1227-1228م)⁽⁵⁾ و عثمان بن صاحب الصلاة (ت 582هـ/1186م) السابق الذكر الذي كان له باع طويل في عدة علوم⁽⁶⁾.

وبعد مجيء ابن تومرت (ت 524هـ/1129م)، الذي عني بالأصول⁽⁷⁾ وبالتأويل العقلي، أكبر من عنايته بالفروع، وبظواهر النصوص وحرفيتها، برزت تلمسان كحاضرة علمية تختص في علم أصول الكلام، خاصة لقرها من المغرب الأقصى والعدوة الأندلسية التي ازدهر بها هذا العلم، فبرز بها عدة علماء منهم الحسن بن أبي زُكُون التلمساني (ت 553هـ/1158م)⁽⁸⁾ ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي استقر أخيرا بتلمسان، حيث توفي عام 610هـ/1214م⁽⁹⁾ ومن الذين تأثروا بطريقة أبي الحسن

1) ابن أبي العيش: التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد الهياوي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط1، الرباط، المغرب، 2008، مقدمة المحقق ص31.

2) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

3) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.

4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص751.

5) ابن الزبير: غرباء القسم الثاني من صلة الصلة، نشر محمد بن شريفة، بذييل السفر الثامن من الذيل والتكملة، لابن عبد الملك، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ص508. بينما يذكره ابن عبد الملك باليعمري في الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص317. لكن إذ أدخلنا في اعتبارنا أن محقق صلة الصلة نبه على أنها وردت "النفري" في النسخة المخطوطة، وأن محقق الذيل والتكملة رجح أن تكون "اليفرني" اعتمادا على ذلك تدعم اقتناعنا بأنها اليفرني. بولطيف لخضر: الفقيه محمد بن سليمان اليفريني الكومي الندرومي، صورة من واقع المشهد الثقافي في حاضرة تلمسان، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، جامعة وهران، الجزائر، 2011، ص104-105.

6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص171.

7) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص72-73.

8) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص25.

9) المقرئ: المصدر السابق، ج2، ص379، 505، ج5، ص231.

الأشعري، و مقالات الغزالي وإمام الحرمين⁽¹⁾، محمد بن علي بن رمامة (567 هـ/1171م)⁽²⁾، وعلي بن أبي قنون "كنون التلمساني" (ت 577 هـ/1181م)⁽³⁾.

عموما المغرب الأوسط وتلمسان خصوصا خلال الفترة الموحدية اعتمدوا على دراسة موطأ مالك بن أنس (ت 179 هـ/795م)⁽⁴⁾ ودراسة كتب الحديث الأخرى كصحيح مسلم (ت 261 هـ/867م) وكتاب صحيح البخاري (ت 256 هـ/869م)⁽⁵⁾.

كما لا ننسى المشاركة الفعالة للحاضرة تلمسان خلال الفترة الموحدية ولو بقسط في علم القرآن وقراءاته المختلفة، وبرز فيها عدة علماء ساهموا في فرض قراءة ورش عن نافع، وبالتالي ترسيخ المذهب المالكي والتصدي لمختلف المذاهب الأخرى خاصة الظاهري منها الذي مال إليه بعض خلفاء الدولة الموحدية، ونذكر من علماء تلمسان في القراءات الفقيه المقرئ أبو بكر بن سعادة الاشيلي التلمساني (ت 600 هـ/1203م)⁽⁶⁾ وأبو نصر فتح بن عبد الله المرادي (ت أوائل القرن السابع الهجري) أحد تلاميذه شيخ تلمسان علي بن عبد الكريم، وكان من جله المقرئين بالمغرب⁽⁷⁾ إضافة إلى عالم مقرئ كبير هو أبو محمد المجاصي عبد الله بن عبد الواحد البكاء، توفي سنة 641 هـ/1234م⁽⁸⁾.

إضافة إلى ازدهرت علوم اللغة في تلمسان في الفترة الموحدية، ووجدت مدارس نحوية تفردت بآراء خاصة، في مسائل الإعراب وغيره حيث يقول عبد الله كنون "فهذه مدرسة تلمسان التي سيختلف أهلها مع مدرسة فاس، في مسألة صرف أبي هريرة... وهذه مدرسة طنجة التي توجه أسئلة نحوية لمدرسة اشيلية..."⁽⁹⁾.

وهذا يبين ما وصلت إليه الحاضرة تلمسان في المجال اللغوي والشعري والأدبي من خلال تسجيل الحضور حتى في البلاط الموحدية مثل محمد بن أحمد السلمي التلمساني (كان حيا 557 هـ/1162م)

1) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 20.

2) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 371؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص 327؛ وعادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، ط 4، 1983، ص 152-153؛ وعمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين 9-20م / 3-14 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 147.

3) كان حيا في آخر عشر الثمانين وخمسائة، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسائة. ابن الأبار: المعجم، ص 294.

4) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، بيروت، 1986، ج 2، ص 139؛ وابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص 370.

5) ابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص 372.

6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 129؛ والجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2006، ج 2، ص 251-252.

7) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 420.

8) ابن مريم: المصدر السابق، ص 121؛ والمقرئ: المصدر السابق، ج 5، ص 229-231.

9) عبد كنون: النبوغ المغربي، في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1961، ج 1، ص 126.

(1) له في الشعر، وقد كتب لولاية بلده، وربما لولاية تلمسان كذلك (2) ومحمد بن عبد الحق اليفرنى (ت625هـ/1227-1228م) (3) ولمحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م) (4) الاشيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ (5).

على أن نشاط مركز وحاضرة تلمسان في هذه الحقبة قد غذاه أيضا كثير من الأندلسيين الذين استقروا بها حيناً من الدهر، فشغلوا دروسها، وكونوا جانباً من الهيئة التعليمية، وأسسوا مجالس علمية هامة، نتج عنها مشيخات، للكثير من العلماء، وكتب التراجم غنية بذكرهم، منهم أبو بكر بن سعادة الاشيلي (ت600هـ/1203م) (6) و أبو عبد الله الفزازي (ت621هـ/1224م) (7) ومحمد بن أحمد السلمي (كان حياً سنة 557هـ/1162م) (8) وغيرهم كثير سنذكرهم في أبواب أخرى .

-
- 1) هو أبو بكر محمد بن أحمد السلمي، من بني سفيان أعيان لقنت-ميناء أندلسي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهو مرسى مدينة مرسية. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 459. وبها نشأ وتعلم، ثم ارتحل إلى تلمسان وسكنها، وكان على قيد الحياة بها عام 557هـ/1162م، حسبما ذكره ابن الأبار في التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص210-211.
 - 2) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1993، ج2، ص274. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص459.
 - 3) السملالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1998، ج4، ص184؛ والزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2006، ج6، ص186.
 - 4) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.
 - 5) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.
 - 6) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252.
 - 7) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص751؛ والمقري: المصدر السابق، ج4، ص468.
 - 8) أبو سعيد: المصدر نفسه، ص274؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص459.

ب- بجاية⁽¹⁾

بما أن الثقافة عطاء الأجيال بعضها لبعض، وإن كان بحثنا حول الحياة الثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 6 و7 هجريين، إلا أن الحركة الثقافية خلالها إنما هي عطاء القرون السابقة، خاصة في بجاية الحمادية والحركة العلمية التي عاشتها هذه المدينة والتي كانت من أزهى عصورها، فاحتفظت بجاية الموحدية بالموروث الفكري والعلمي لتطوره وتصبغ عليه طابع الثقافة الموحدية .

ورغم أن بجاية لم تكن في منتصف القرن الحادي عشر، حسب البكري، سوى ميناء صغيرا محتشما يسكنه الأندلسيون⁽²⁾ لكن في نفس السنة التي أنهى فيها البكري تأليفه (1067-1068م) شهدت هذه البلدة المغمورة انبعاث حياة جديدة باختيار موقعها من طرف أمير قلعة بني حماد الناصر، وهو نتيجة من نتائج الحملة الهلالية⁽³⁾.

كما يصف الإدريسي المعاصر للفترة الموحدية بجاية بقوله "بجاية مدينة على البحر، لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو، وهي في وقتنا هذا عاصمة المغرب الأوسط وأهلها مياسرة تجار وبها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد"⁽⁴⁾ ويسانده العبدري بقوله "بأنها مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية وبحرية، وثيقة البنيان عجيبة الإيقان رفيعة المباني، موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب"⁽⁵⁾.

1) بالإضافة إلى ما قدم في الفصل التمهيدي عن أصل تسميتها يقول عنها الحميري "وهي محدثة بناها ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي الطويل المعروفة بقلعة حماد، وكان سبب بنائها أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية... فلما جاء المنصور بن علناس (481-498 هـ/1088-1104 م) إلى تلك القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا بلادهم... فطلب موضعا بين فيه مدينة لا يلحقه فيها العرب، فدل على موضع بجاية... فبناها المنصور وسماها المنصورية... وبينها وبين قلعة حماد أربعة أيام... ورأيت في خبر آخر أن الناصر بن علناس صاحب القلعة هو الذي بنى بجاية وصيرها دار ملكه ولهذا تسمى الناصرية وأظن ذلك سنة سبع وخمسين وأربعمائة. أنظر: المصدر السابق، ص 81. ومن خلال بعض الدراسات حول بجاية اتضح أن تاريخ تأسيسها بداية من 457 هـ/1064 م وانتهوا منها سنة 460 هـ/1067 م وللمزيد عن ذلك لاحظ: بعيزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

وبجاية تلفظ بالفرنسية بوجي، وقد سمي الفرنسيون الشمعة بوجي نسبة إلى مدينة بجاية، التي كانت تشتهر بهذا النوع من الشموع،

كما كانت تصدر شمع النحل إلى جنوه بجنوب إيطاليا، حيث توجد مصانع هامة للشمع. وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص 14.

2) البكري: المصدر السابق، ص 82. لكن مارمول كرنخال يعتبرها قديمة جدا تعود إلى العهد الروماني حيث كان بها عشرين ألف من الدور العامرة، وقد جعلها بطليموس عند اثنين وعشرين درجة طولاً وعند اثنين وثلاثين درجة عرضاً. أنظر: المصدر السابق، ج 2، ص 376.

3) روبرار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 410.

4) الإدريسي: المصدر السابق، ص 116.

5) أنظر: الرحلة المغربية، ص 23.

ويضيف الإدريسي حول المدينة "وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين وهي التي تنسب دولة بني حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد"⁽¹⁾

وبالتالي فبجاية عاصمة المغرب الأوسط ومدينة عظيمة على ضفة البحر، هي قطب لكثير من البلاد⁽²⁾، كما يدعم قوله صاحب الاستبصار "وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة، قد أحاطت بها والبحر منها في ثلاث جهات"⁽³⁾ وهي قاعدة المغرب الأوسط حيث الطول اثنتان وعشرون درجة والعرض أربع وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة، ولها نهر في نهاية من الحسن على شاطئيه البساتين⁽⁴⁾. لقد برزت بجاية بفضل موقعها الاستراتيجي الذي شكلته هذه المدينة بالمغرب الأوسط حيث كانت تتوسط عدة مدن مهمة كبونة وقسنطينة وجزائر بني مزغنة وقلعة بني حماد، كما كانت محطة تجارية⁽⁵⁾ ومعبّر للرحالة والحجاج والعلماء للتوجه نحو الشرق أو الأندلس والعودة منها⁽⁶⁾.

يحدد عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) بأن المسافة من قسنطينة إلى بجاية خمس مراحل على الرفق، وبجاية هذه دار ملك بني حماد الصنهاجيين سابقا⁽⁷⁾.

كما وصفها لنا حسن الوزان (حي سنة 957هـ/1550م) "بأنها مدينة عتيقة بناها الرومان، وتناهر كوانينها ثمانية آلاف في القسم المسكون منها، إذ لو امتلأت دورا لفاق عدد كوانينها أربعة وعشرين ألفا"⁽⁸⁾ وان دل عدد الكوانين فيدل على التركيز السكاني الكبير بها لأنها منطقة جذب للإقامة، ويضيف الوزان دائما بقوله "ودورها كلها جميلة وفيها جوامع كافية ومدارس يكثُر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة..."⁽⁹⁾.

لهذا تملك الدهشة والإعجاب عبد المؤمن الموحي، عندما شاهد الناصرية، فأرسل صناعه لتعلم السيفساء، وهكذا تبقى بجاية مثلا فريدا في التألق ومن أغنى مراكز الحضارة في ذلك العصر⁽¹⁰⁾ وقد كان ببجاية أسواق كثيرة منها السويقة التي كانت تقع بالغرب من باب تاطنت، والتي مر بها

(1) أنظر: نزهة المشتاق، ص 117.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص 80.

(3) أنظر: المصدر السابق، ص 129.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، ص 142.

(5) السعيد عقبه: المرجع السابق، ص 3.

(6) ابن جبير: المصدر السابق، ص 277.

(7) أنظر: المعجب، ص 253.

(8) حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 50؛ ووزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص 44.

(9) حسن الوزان: نفس المصدر والصفحة.

(10) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص 64.

الخليفة الموحدى عبد المؤمن رفقة وجهاء دولته، فأمر بشراء جميع دكاكين تلك السويقة، وأوقفها عليهم، وأمر لأصحابها بمال كثير⁽¹⁾.

هذا كانت بجاية مواتية من حيث موقعها الجغرافى، ونشاطها الاقتصادى، ومناخها الطيب على طلب العلم والمعرفة، أين كان يجد بها القاصدون متعة الإقامة، وراحة العقل، وطمأنينة القلب، مما كان يساعدهم على التأليف، فاشتهر بها الكثير من المتصوفة ورجال الفلسفة، وعلماء الكلام⁽²⁾. كما بقيت بجاية قبلة للعلماء ومحج للفقهاء في العهد الموحدى⁽³⁾ وليس أبلغ من قول ابن تومرت لعبد المؤمن عند لقائهم الأول في بجاية "العلم الذى تطلبه بالمشرق، قد وجدته بالمغرب"⁽⁴⁾ وهنا يقصد به شخصه أولاً، وازدهار بجاية بالعلماء ثانياً.

ومما حافظ على ازدهارها، أن الزحف الهلالي لم يصل إلى الشاطئ، فقد توقف الزحف أمام حاجز جبال القبائل الكبرى، واندماج الشعبين الكبيرين لم يحصل إلا بعد زمن طويل، من دون اصطدام⁽⁵⁾، فحافظت بجاية على تراثها وعلمها، بل أصبحت المنافسة لتلمسان وفاس ومراكش في العهد الموحدى.

يدعم هذا القول ما وصفه العديد من الكتاب والرحالة لبجاية عاصمة المغرب الأوسط في القرن السادس، عهد الأمراء الموحدين، لما لها من نشاط تجارى، وبرى وبحري، ورفاهية وازدهار، ومن نشاط ثقافى أساطينه علماء من المغرب الكبير، وأعلام وفدوا إليها من الأندلس كقول أبي مدين شعيب، عندما وقعت من نفسه موقعا حسنا حتى قال فيها بأنها "تعين على طلب الحلال"⁽⁶⁾ وقضى بها خمسة عشر عاما يدرس بعض كتب التصوف وذلك بزواية أبي زكريا الزواوي بحومة اللؤلؤة⁽⁷⁾، فقال عنها الغبريني "كان الناس بها على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد"⁽⁸⁾.

-
- 1) عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص253؛ وأمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص69.
 - 2) عبد النور إبراهيم: إسهامات القيروان وبجاية في البناء المعرفى الإسلامى، ضمن أعمال الملتقى المغاربى الأول "الإسهامات المغاربىة في البناء المعرفى الإسلامى" 21-22 نوفمبر 2011، دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، ج1، ص54.
 - 3) ابن القطان: المصدر السابق، ص176.
 - 4) مجهول: الحلل الموشية، ص106؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص302-303؛ والسلاوى: المرجع السابق، ج2، ص74؛ وروجر لي تورنو: المرجع السابق، ص24.
 - 5) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص82.
 - 6) ابن سعد: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق محمد أحمد الديباجى، دار صادر، ط1، بيروت، 2011، ص395؛ والمقرى: المصدر السابق، ج7، ص140.
 - 7) عيسى ميقارى: سيد العارفين وشيخ المشايخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسى التلمسانى، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4 أبريل-ماي 2011، ص139.
 - 8) أنظر: عنوان الدراية، ص85.

فأصبحت بجاية واحدة من أهم الحواضر الثقافية والفكرية بمنطقة المغرب الأوسط، إذ كانت عامرة بالفقهاء والأدباء، كما تعد من أكبر مراكز العلوم الإسلامية واللغوية على غرار ما يوجد منها بالمشرق والأندلس، فقد كان يهاجر إليها باستمرار رجال من أولى العلم والأدب للاستزادة من علوم الدين والحديث واللغة⁽¹⁾.

فبجاية كانت من حواضر المغرب الأوسط التي كان لها نصيب من النمو والتوسع العمراني، فيذكرها العديد من المؤرخين والشعراء أنها كانت تكسوها مبانٍ في غاية الإبداع والجمال⁽²⁾ حتى أضحى في تلك الحقبة تنافس مدن العراق والشام في العمارة، فهاهو الشاعر القسنطيني الحسن بن الفكون (كان حيا سنة 602 هـ/1205م) الذي زار بجاية في أوائل القرن 6 هـ/12م يؤكد ذلك بقوله:

دع العراق وبغداد وشامها فالناصرية ما من مثلها بلد⁽³⁾
لقد ضم الموحدون مدينة بجاية سنة 547 هـ/1152م⁽⁴⁾ بدون أن توفر لهم ما كانت هذه الحملة تصبوا إليه من استقرار وهدوء فأعاد الموحدون حملة أخرى سنة 554 هـ - 555 هـ/1159-1160م وأفضت إلى ضم كل أملاك الحماديين إليهم بل وحتى حدود إفريقية⁽⁵⁾ وبقيت تحت إمرتهم إلى غاية استيلاء بنو غانية عليها⁽⁶⁾ في 6 شعبان 580 هـ/12 نوفمبر 1184م⁽⁷⁾ حيث أجبر قائدهم علي بن إسحاق أهلها على مبايعته⁽⁸⁾ إلا أن الموحدين استرجعوها في السنة الموالية 581 هـ/1185م⁽⁹⁾

(1) عبد النور إبراهيم: المرجع السابق، ج1، ص43.

(2) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص62.

(3) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص129؛ ورشيد مصطفىوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد1، محرم 1391 هـ/مارس 1971، ص81.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص308؛ و روبر برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص32.

(5) روبر برنشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص32.

(6) واعظ نورة: المرجع السابق، ص5-6.

(7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص189؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص95- ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص139-140. أما ابن خلدون فقد حدد تاريخ ذلك ب 19 صفر 581 هـ/21 ماي 1185م. العبر، ج6، ص254؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحديين)، ص176.

(8) ابن أبي زرع: الأنيس، ص95؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص326.

(9) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص193؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحديين)، ص179؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص255-256.

وفي سنة 599هـ/1202م أعاد بنو غانية الإغارة على بجاية بقيادة يحيى بن غانية، حيث بسط نفوذه عليها سنتين من الزمن إلى أن استردها الناصر الموحدى سنة 601هـ/1024م ونصب عليها عبد الواحد بن حفص جد الحفصيين⁽¹⁾.

لقد ذكرتُ دور الميورقين أو بني غانية"الما لهم من آثار حمة على الحياة الثقافية والفكرية من خلال إرغام العديد من الفقهاء على مبايعتهم⁽²⁾ والدخول في طاعتهم، كما تسببت في عرقلة الكثير من الأنشطة التربوية كالدراسة، وحتى الرحلة العلمية، وكذا الحج⁽³⁾ وبذلك انعكست آثار ثورة بني غانية على كل الجوانب بما فيها الجانب الفكرى، لكن بعد انقضاء فتنة الملتهمين عادت بجاية على ما عليه من ازدهار وتقدم.

يؤكد ذلك الغريبي عند تعريفه بالفقيه عمارة بن يحيى (ت ق 6 هـ) بأن عمران بجاية الموحدية قد تجاوز بكثير السور الحمادي حيث كان الناس يتزلون إلى حومة المذبح لشراء السبي⁽⁴⁾ كما يوضح ذلك في موضع آخر بأن أهل بجاية يدفنون موتاهم خارج بجاية برابطة المتمني⁽⁵⁾ وإن دل ذلك على شيء فهو يبرز اتساع بجاية وازدهارها كحاضرة كبيرة بالسكان خلال العهد الموحدى من خلال كثرة أبوابها⁽⁶⁾. أما يدل على أهمية بجاية كحاضرة كبرى وكعاصمة لولاية موحدية هو العدد الضخم من العلماء الذين ترجمهم أبو العباس الغريبي في كتابه عنوان الدراية، في مختلف العلوم والفنون⁽⁷⁾ وحسب رواية أبي حامد الصغير، الحسن بن محمد المسيلي فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس هجري⁽⁸⁾.

وقد حدثنا العبدري في الرحلة المغربية، حيث بدأت رحلته سنة 698هـ/1298م، فقال في معرض الحديث عن بجاية"وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة...وثيقة البناء عجبية الإتقان...ولها جامع

1) ابن الشماخ: المصدر السابق، ص 49 .

2) كما فعلوا مع الفقيه أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي الذي يعرف بأبي حامد الصغير. الغريبي: المصدر السابق، ص 68. و محمد بن عبد الحق الاشبيلي (ت 581هـ/1185م) الذي استوطن بجاية، وكان الموحدون قد عرضوا عليه القضاء، فأبى فلما غزا بنو غانية بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين سنة 580هـ/1184م سارع لتأييدهم، وتولى القضاء لهم، فحقن عليه الموحدون وراموا سفك دمه، فعصم الله دمه وتوفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية. ابن أبي زرع: الأنيس، ص 95؛ والغريبي: المصدر نفسه، ص 75.

3) ابن جبير: المصدر السابق، ص 277.

4) الغريبي: المصدر نفسه، ص 76.

5) نفس المصدر والصفحة.

6) روبرار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 412.

7) عبد القادر بوباية: طرق التدريس في المغرب الإسلامي، فاس وبجاية نموذجاً، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد 1، 2011، ص 53.

8) الغريبي: المصدر السابق، ص 85.

عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها، وموضوع بين سحرها ونحرها" (1)، كما قال "وهذا البلد بقية قواعد الإسلام، ومحل جلة من العلماء الأعلام" (2).

كانت تشتمل على واحد وعشرين حيا، واثنين وسبعين مسجدا، وقد أصبحت مركزا ثقافيا هاما، فقصده عدد مهم من الشعراء والكتاب والعلماء المصطلعين في جميع مجالات المعرفة، أين أقام بها العالم الصوفي الأندلسي "سيدي بومدين الغوث" المدفون بتلمسان، حيث درّس ببجاية وقتا من الزمن، وكما مكث بها مؤسس دولة الموحدين "ابن تومرت" (3).

كما يكشف لنا برنامج الغريبي عن الأجواء العلمية التي كان يعيشها مركز بجاية، وعن مجالس الدروس القائمة بها، وأنواع العلوم التي تدرس آنذاك، فتحدثنا عن الهيئة التعليمية التي نشط معها هذا المركز خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (4) وتجاوزت فهرسته هاته في حديثه عن علماء بجاية حتى القرن الخامس الهجري، ميرزا شيوخ، أشياخه ومعلميهم، وتكشف لنا الكثير من الأنشطة العلمية التي كانت تعيشها هذه الحاضرة العلمية التقليدية - الموروثة عن بني حماد - وتعرفنا على مجتمعات الشيوخ الذين تعاطوا التعليم بها وترسم لنا أبحاثهم، واهتماماتهم الثقافية، وهو بين حديثه عن هذا الشيخ أو ذاك يتعرض لذكر ما تعرفه بعض المراكز الحضارية الأخرى كتلمسان، وغيرها (5). فقد استفادت بجاية من أبنائها الأبرار، ومن رجال العلم والأدب الذين دخلوا إليها قادمين من المشرق وصقلية ومدن الأندلس، وقاموا بتدريس العلوم الإسلامية والعربية بها، فنشأت بذلك العديد من الآراء الفكرية، التي ساهمت في نشر الثقافة وتوسيع رقعتي العلم والمعرفة بها، منذ خلفت العاصمة القديمة للدولة الحمادية، القلعة (6).

بهذا برزت الحركة العلمية في الحاضرة بجاية بروزا واضحا، وظهر خلالها أعلام، خاصة في الدراسات القرآنية والحديثية، بروزا لم يكن بنفس الحجم الذي كان قبل ذلك، فكان لبجاية الحظ الأوفر بوجود طائفة من أعلام الدارسين لكتاب الله وقراءته وتفسيره، ونلمس هنا الدور الذي قامت به

(1) أنظر: الرحلة المغربية، ص23.

(2) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص100.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص176؛ وعبد النور إبراهيم: المرجع السابق، ج1، ص53-54.

(4) الغريبي: المصدر السابق، ص307.

(5) المصدر نفسه، ص309؛ وعبد القادر بويابة: المرجع السابق، ص53-54.

(6) عبد النور إبراهيم: المرجع نفسه، ج1، ص43.

الدولة الموحدية في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصلين: الكتاب والسنة، ونبذ ما سواهم من أقوال وآراء⁽¹⁾. إن الازدهار الشامل للحياة الثقافية ببجاية جعل منها أحسن الحواضر التي عرفها المغرب الأوسط، وظلت ببجاية رافلة في حلق السعادة في عهد الموحدين منذ عام 547هـ/1153م أين استولى عليها عبد المؤمن بن علي وخلع السلطان "بجي" من على العرش، ونصب مكانه أحد أبنائه، وأصبحت ببجاية منذ ذلك الحين عاصمة إقليم بأكمله⁽²⁾. قال الشيخ أبي علي المسيلي⁽³⁾ "أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتياً"⁽⁴⁾ وهذا يدل على أن العطاء السابق في القرن الخامس الهجري خلال الدولة الحمادية قد استمر في القرنين اللذين يليانه، فبقيت ببجاية من المراكز العلمية التي كان لها الشأن الكبير في نشر العلم وفي خدمة العلماء وطلاب العلم بهذه المدينة.

لُجِد في مقدمتهم الفقيه عبد الحق الاشبيلي البجائي (ت 581هـ/1185م)⁽⁵⁾، وكان فقيها مالكياً⁽⁶⁾ حافظاً عالماً بالحديث⁽⁷⁾ و علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحراي التجيبي (ت 637هـ/1239م)⁽⁸⁾ الذي قدم إلى ببجاية⁽⁹⁾.

ونذكر كذلك شخصية مهمة مشاركة في كل العلوم تقريباً هو ابن دحية السبتي (ت 633هـ/1235م)⁽¹⁰⁾ نزير تلمسان وبجاية⁽¹⁾ حيث كان يقول إنه حفظ صحيح مسلم كله⁽²⁾ وهذا يدل على أن ببجاية أصبحت قبلة للعديد من العلماء، بسبب المنافسة ورواج العلم بها، كما ساعدتها الوحدة

1) إسماعيل الخطيب: الحياة الثقافية في سبتة في القرن السابع الهجري، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، جمعية الثقافة الإسلامية تطوان، المغرب، 1979، ص 100.

2) عبد النور إبراهيم: المرجع السابق، ج 1، ص 53.

3) هو فقيه مالكي (ت 581 هـ/1185م) حافظ، متكلم، من القضاة، أصله من مدينة المسيلة كان يسمى أبا حامد الصغير نشأ ببجاية، وهو من أصحاب الولي المتصوف الشيخ أبي مدين التلمساني. الغبريني: المصدر السابق، ص 66.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص 85.

5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985، ج 20، ص 466-467.

6) أحمد بابا التنبوكتي: نيل الابتهاج بتطيرز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط 1، طرابلس، 1989، ص 279.

7) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، بيروت، 1996، ص 277؛ وخالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالمغرب الإسلامي، من النشأة إلى نهاية القرن 7 هـ (جذورها آثارها،

مناهجها)، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، ط 1، الرباط، المغرب، 2006، ج 1، ص 205-207.

8) ابن العماد: شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط 1، 1991، ج 7، ص 330. لكن الغبريني في نهاية ترجمته أورد تاريخ آخر هو 638هـ/1240م. أنظر: المصدر نفسه، ص 155.

9) نفسه، ص 146؛ والمقري: المصدر السابق، ج 2، ص 189.

10) الشيخ الفقيه المحدث المتقن، النحوي، اللغوي، التاريخي، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي. الغبريني: المصدر

السابق، ص 228. الداني، السبتي ولد سنة 547هـ/1152م بالأندلس، وتوفي في 14 ربيع الأول سنة 633هـ/1235م بالقاهرة، ودفن بسفح المقطع. المقري: المصدر السابق، ج 2، ص 104.

السياسية التي كانت قد حققتها الدولة الموحدية، إضافة إلى كونها همزة وصل بين شرق الدولة وغربها، وقاعدة كبرى خاصة للقسم الشرقي للدولة الموحدية توازي تونس والقيروان، كما أنها معبر بحري مهم للمتجه من الأندلس أو المغرب الأقصى للحج أو للرحلة أو للتجارة.

أما الفقه فقد برز فيه علماء مالكية كبار تحدوا توجهات الدولة السياسية والدينية وحافظوا على هذا المذهب منهم الفقيه الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة البجائي (حيا سنة 585هـ/1189م)⁽³⁾ و علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرايبي التجيبي البجائي (ت 637هـ/1239م)⁽⁴⁾ والفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675هـ/1276م)، ولد ببجاية وقرأ بها⁽⁵⁾.

في هذا الصدد ترجم الغريبي لمائة وخمسين عالما من علمائها، أو من من استقروا بها⁽⁶⁾، كما يعتبر المسجد رمز الحاضرة، فقد تباغت بجاية كثيرا بجامعها الكبير، المعروف بمسجد أبي زكرياء الزواوي الذي يقع بحومة اللؤلؤة، خارج باب المرسى، وكان هذا المسجد موجودا في القرن 6هـ/12م يتردد عليه أبو مدين شعيب الأنصاري (ت 594هـ/1197م)، ولا ندري اسمه خلال هذه الفترة⁽⁷⁾.

(1) الغريبي: المصدر نفسه، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط 18، بيروت، لبنان، 1955، ج4، ص1420.

(2) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص280.

(3) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص143؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص241-242.

(4) الغريبي: المصدر نفسه، ص154، والمقري: المصدر نفسه، ج2، ص387؛ والتنبوكي: المصدر السابق، ص318.

(5) الغريبي: المصدر نفسه، ص85؛ والتنبوكي: المصدر نفسه، ص280.

(6) ووزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص100.

(7) الغريبي: المصدر نفسه، ص59، ص82، ص135؛ رزويي زينب: مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين

السابع والتاسع الهجريين (13-15م)، مذكرة ماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009-2010، ص50-

ت- قلعة بني حماد

يقول عنها البكري (ت 487هـ/1094م) "قلعة أبي طويل هي قلعة كبيرة ذات مناعة وحصانة، وتمصرت عند خراب القيروان - أي سنة 448 هـ/1056م - انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم - يقصد القرن الخامس هجري - مقصد التجار، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة"⁽¹⁾.

أما الإدريسي (ت 560 هـ/1165م) المعاصر للدولة الموحدية فيقول عنها "ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا، وأحسنها قصورا ومساكن وخصبا"⁽²⁾ ويذكرها أحد الجغرافيين المعاصرين له كذلك، ضمن أهم مدن المغرب الأوسط وهو الزهري (ت بعد 541 هـ/1154م)⁽³⁾.

و القلعة أسسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، إلى الشمال من مدينة المسيلة وتتفق كل المصادر بأن تاريخ تأسيسها كان عام 398 هـ/1007-1008م⁽⁴⁾ باستثناء ياقوت الحموي (ت 626 هـ/1228م) الذي قال عنها "هي مدينة متوسطة بين أكم لها قلعة عظيمة على قمة جبل يسمى تاقربوست، وتشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية، وهي قاعدة بني حماد وأول من أحدثها هو حماد في حدود سنة 370 هـ/980م... وليس لهذه القلعة منظر ولا رواء ولها شجر مشمر كالتين والعنب في جبالها وليس بالكثير ويتخذ بها لبايد الطيلقان جيدة، وبها الأكسية القلعية الصفيقة النسج، الحسنة المطرزة بالذهب ولصوفها من النعومة والبصيص، بحيث يتزل مع الذهب بمزلة الإبريسم، ولأهلها صحة مزاج ليس لغيرها"⁽⁵⁾.

(1) البكري: المصدر السابق، ص 49. أما الجغرافي المجهول فيقول "قلعة أبي الطويل وهي قلعة بني حماد، وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم" أنظر: الاستبصار، ص 167. والأكيد بقوله مدينة قديمة أزلية يقصد قلعة أبي الطويل التي بنيت بجوارها قلعة بني حماد.

(2) أنظر: نزهة المشتاق، ص 109.

(3) أنظر: كتاب الجغرافية، ص 107.

(4) الإدريسي: المصدر نفسه، ص 109، ص 117. وتسمى بقلعة أبي الطويل بينها وبين المسيلة 12 ميلا، وبينها وبين بجاية مسيرة أربع أيام. الحميري: المصدر السابق، ص 469-470؛ والبكري: المصدر نفسه، ص 49؛ ومجهول: الاستبصار، ص 167.

Amara Allaoua : La Qal'a des Bani Hammad , l'histoire d'un déclin , archéologie islamique, 11, (2001), p p.91-110.

(5) أنظر: معجم البلدان، ج 4، ص 390.

أما ما يبين أنها كانت من أهم مدن المغرب الأوسط خلال العهد الموحدى-رغم تبعيتها إداريا لعمالة أو إقليم بجاية-احتلالها من قبل ابن غانية سنة 580هـ/ 1184 م⁽¹⁾ لكن سرعان ما استرجعها الخليفة المنصور.

وبها القصور والمساجد، وبقيت منافسة لبجاية، بعد تأسيسها، لكن تراجع دورها في العهد الموحدى، مقارنة ببجاية، حيث تراجعت عمرانها وحضاريها وسياسيا⁽²⁾، ونُسب إلى القلعة عدد كبير من العلماء، والفقهاء والأدباء، خلال العهد الموحدى، منهم علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (ت 551هـ/1156م)، من كبار فقهاء الشافعية⁽³⁾ وإبراهيم بن حماد، أبو إسحاق القلعي (ت ق 6هـ/12م) الفقيه المالكي⁽⁴⁾، وبعض الفقهاء المخضرمين الذين عاشوا الفترة الموحدية والحفصية منهم محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور، وقيل ابن المنصور، القلعي (ت نحو 665هـ/1270م)⁽⁵⁾ والفقيه المالكي عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (669هـ/1271م)⁽⁶⁾، والعالم النحوي محمد بن الحسن بن علي بن ميمون أبو عبد الله، التميمي القلعي (ت 673هـ/1274م)⁽⁷⁾ والفقيه الشافعي محمد بن علي بن جعفر القلعي المعروف بابن الرمامة (ت 567هـ/1171م) والمؤرخ المشهور أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي القلعي (ت حوالي 628هـ/1230م) صاحب أخبار بني عبيد وسيرتهم⁽⁸⁾، وغيرهم سنذكر كل واحد منهم في العلم الذي اختص فيه .

كما نشطت الدراسات القرآنية والحديثية بقلعة بني حماد خاصة، وبرز خلال القرن السادس الهجري جماعة من الأعلام القلعيين المفسرين والحديثين بدراستهم وكتاباتهم فيها ونشرها بين الطلبة والناس، أذكر على سبيل المثال محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي (ت 581هـ/1185م)⁽⁹⁾.

-
- 1) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، مصدر سابق، ص176؛ وابن خلدون: العبر، ص326.
 - 2) رايح بونار: هامش، عنوان الدراية، ص188.
 - 3) ابن العماد: المصدر السابق، ص263؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص267.
 - 4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر ابن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا الشرقية، 1919، ج 1، ص212؛ وابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص68.
 - 5) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص488؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص267-268.
 - 6) الغبريني: المصدر نفسه، ص93؛ والتنبوكي: المصدر السابق، ص216.
 - 7) الغبريني: المصدر نفسه، ص94؛ والحفناوي: المرجع نفسه، ج2، ص359-360.
 - 8) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، السفر الثامن، ص323.
 - 9) الغبريني: المصدر نفسه، ص140.

ث- قسنطينة⁽¹⁾

لم تلعب قسنطينة⁽²⁾ إلا دورا ثانويا منذ بداية الفتح حتى العهد الفاطمي⁽³⁾، ثم نمت وازدادت أهميتها خلال العهد الحمادي والموحدي⁽⁴⁾ وتؤيد كتب الجغرافيين والكتابات المعلومة التي يزودنا بها المؤرخون، وتبين لنا نمو المدينة، هذا وإن لم تذكر، مدينة قسنطينة في كتب الجغرافيين العرب الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي وهم ابن خرداذبة (ت 272 هـ/885م) في كتابه المسالك والممالك، وكذلك لم يذكرها ابن الفقيه الهمداني (ت 290 هـ/903م)، صاحب مختصر كتاب البلدان، وابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر، ت بعد 291 هـ/903م) في كتابه الأعلام النفيسة⁽⁵⁾.
كما ذكرها المقدسي (ت 379 هـ/989م) صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وهو جغرافي عاش في القرن العاشر وسمها القسطنطينية، ولاحظ أنها "مدينة جاهلية على يومين من المصر"⁽⁶⁾ أي القيروان.

ويبين البكري الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، الأهمية التي أخذتها قسنطينة التي يلقبها باسم قسنطينة، وموقعها المنيع، فقال: "قسنطينة مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن، قد أحاطت بها، تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار تفسيره سود وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد، قد عقد في أسفله

1) قسنطينة: بضم أوله، وفتح ثانيه ثم نون، وكسر الطاء، وباء مثناة من تحت، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة، وهاء: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد... وتزاور عنها قلعة بني حماد ذات الجنوب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص349. أو قسطنطينة: بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين، وسكون المثناة من تحت ونون وهاء، وعند بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نون وحينئذ بضم السين وسكون النون. أبو الفداء: المصدر السابق، ص138.
2) كانت تسمى سيرتا أو قرطة وقد تأسست خلال العهد النوميدي منذ القرن 3 ق م، وأعطاه الإمبراطور قسطنطين اسمه في سنة 313 م. روبرت برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص418. لم تبرز هذه المدينة في الفترة التي تلت الفتح الإسلامي، ولم يكن لها دور يذكر في القرون التالية. الطاهر الطويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، من منتصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الهجري الخامس، نشر المتصدر للترقية والثقافة والعلمية والإعلامية، ط 1، الجزائر، 2011، ص258. وكما ذكره ابن حوقل ضمن المدن المتوسطة الحجم رفقة سطيف والمسيلة وميلة. أنظر: صورة الأرض، ص93.
3) يذكر مارمول أن اسمها قدم وهو عند بطليموس نوميديا الجديدة، ويحدها من جهة الغرب إقليم بجاية عند موقع جيجري، وتحده من الشرق البلاد التي تسمى بإفريقية وفي الجنوب تشمل الجزء الذي يمر بها من جبل الأطلس وتمتد ما وراءه إلى نوميديا وجيتوليا، ويحدها شمالا البحر المتوسط وخليج نوميديا ما بين جيجري ومصب مجردة عند بتورت. أنظر: إفريقيا، ج3، ص5.
4) يذكر الدكتور عبده العزيز فيلاي والدكتور بحاز: لقد انحطت مدينة ميلة وانحط شأن سكانها على عهد الموحدين والخفصين، الذين اتخذوا من مدينة قسنطينة بديلا عن ميلة، فكما طغت ميلة على قسنطينة منذ الفتح حتى العهد الحمادي أي ما يقارب من ستة قرون كاملة، فلقد رأينا كيف أن قسنطينة طغت وهيمنت على ميلة بعد ذلك. أنظر: مدينة ميلة في العصور الوسطى، دار البلاد للاتصال والخدمات، قسنطينة، 1998، ص68.
5) رشيد بورويبة: قسنطينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص55.
6) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1909، ص30.

قنطرة على أربع حنايا ثم بنى عليها قنطرة ثانية، ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاثة حنايا، ثم بنى فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر إليه إلى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه"⁽¹⁾.

لقد كانت مساحة قسنطينة كبيرة ضاربة إلى الساحل، حتى مدينة القل، حيث يقول عنها صاحب كتاب الجغرافية: "...وفي شرق بجاية القل، وهي فرضة مشهورة في ساحل قسنطينة الهوى، وبينهما أربعون ميلا، وموضع قسنطينة في جنوبها، حيث الطول ست وعشرون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنان وعشرون دقيقة، ولها نهر ينصب في خندقها العظيم... وهذه المدينة على آخر سلطنة بجاية"⁽²⁾.

بهذا فلها موقع مهم جدا حيث أنها مدينة داخلية بعيدة عن أي هجوم بحري، كما أنها تتوسط الطرق التجارية الرابطة بين القيروان وبسكرة، كما أنها محاطة بحماية طبيعية"الواد المحيط بها" وصعوبة تضاريسها، كما أنها تبعد عن القل على مسافة يومين، وعن بجاية مسافة ستة أيام، منها إلى مجانة يومان وأكبر من ذلك بقليل تبعد عنها قالمة"⁽³⁾.

كما يجزينا البكري أيضا عن سكان قسنطينة وعن أهميتها التجارية قائلا: "ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلة، وهي لقبائل من كتامة، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة"⁽⁴⁾، حيث أصبحت في هذا العصر -أي الحمادي- من أهم حواضر المغرب الأوسط، وستعرف ازدهارا أكثر في معمارها الديني، خاصة المساجد في القرن السادس هجري"⁽⁵⁾.

ويصفها الإدريسي (القرن الثاني عشر/السادس هجري) الذي عاش الفترة الموحدية"بأنها عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب"⁽⁶⁾.

ويضيف الإدريسي (ت 560 هـ/ 1165 م) أنها قسنطينة الهواء، وقال وهو يتحدثنا عنها: "وليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قامة إلا من جهة باب ميلة وللمدينة بابان، باب ميلة في الغرب وباب القنطرة في الشرق" ويذكر الإدريسي أن هذا الباب الأخير يؤدي إلى جسر قديم يستعمل كقنطرة ماء، وأن المقبرة كانت موجودة بالقرب من باب ميلة"⁽⁷⁾.

(1) أنظر: المغرب، ص 63؛ ورشيد بورويبة: قسنطينة، ص 55. ويظهر أن هذا الواد قد جف الآن ولا أثر لمياهه.

(2) ابن سعيد: الجغرافية، ص 142.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، ص 121-123.

(4) أنظر: المصدر نفسه، ص 63؛ ورشيد بورويبة: قسنطينة، ص 55.

(5) الطاهر الطويل: المرجع السابق، ص 260.

(6) أنظر: نزهة المشتاق، ص 121.

(7) نفسه، ص 122؛ ورشيد بورويبة: قسنطينة، ص 55.

كما يبين ذلك جغرافي ورحالة آخر هو ياقوت الحموي (ت 626 هـ/1228م) أن حولها مزارع كثيرة وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكأ...وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن، قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار...⁽¹⁾.

إضافة إلى ما ذكر عنها عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م) بأنها حد المغرب الأدنى أو ما يعرف بإفريقية هو قسطنطينية الهواء، وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعته، والمسافة بينها ومدينة أنطابلس-برقة-خمس وخمسين مرحلة⁽²⁾، ويضيف العبدري في رحلته وبين قسطنطينية والبحر مرحلتان أو أكثر من ذلك قليلا⁽³⁾.

ويفيدنا بوصف الجسر الذي ذكرناه، ويبين الثروة ناحية قسنطينة قائلاً: "إن في كل دار مطمورتان، وثلاث وأربع منقورة في الحجر ولذلك تبقى الحنطة...في مطامرها مائة سنة لا تفسد"⁽⁴⁾. لكن العبدري دخلها خلال رحلته المعروفة، وتأسف لحاله بقوله: "جبر الله صدعها...وهي مدينة عجبية حصينة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة...وبها للأوائل آثار عجبية ومبان متقنة الوضع غريبة وأكثرها من حجر منحوت، وقد دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر أحاط بها كما يحيط السوار بالمعصم"⁽⁵⁾.

كما يذكر الجغرافي المعاصر له بأن قسنطينة مشهورة في هذه الفترة، وهي مدينة عامرة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول...وهي حصينة في نهاية من المنعة، لا يعرف بإفريقية أمنع منها، وليس لها في المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس...وهي من عجائب العالم، قد دخلتها مرارا وتأملت آثارها، وهي على نظر واسع وقرى كثيرة عامرة أهلة، وهي كثيرة الخصب والزرع⁽⁶⁾، ويسميتها جغرافي آخر عاش في القرن الثامن هجري -أي بعد تفكك الامبراطورية الموحدية- بقسنطينة حيث يقول: "بها نهر يصب في خندقها العظيم ويسمع لذلك دوي هائل، ويرى النهر في قعر الخندق مثل ذوابة النجوم لشدة ارتفاع قسنطينة"⁽⁷⁾.

1) أنظر: معجم البلدان، ج 4، ص349.

2) أنظر: المعجب، ص250.

3) أنظر: الرحلة المغربية، ص29. ورغم أنه يعود ويتحامل مرة أخرى عليها وعلى علمائها ربما لغرور في نفسه بقوله "ولم أر بها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون العلم أرب سوى الشيخ أبي علي حسن بن القاسم بن باديس. أنظر: نفس المصدر والصفحة.

4) نزهة المشتاق، ص 122.

5) الرحلة المغربية، ص29.

6) الحميري: المصدر السابق، ص 480.

7) أبو الفداء: المصدر السابق، ص139.

لقد دخلت قسنطينة في أحضان الدولة الموحدية سنة 547هـ/فبراير 1153م⁽¹⁾ استقبلت قسنطينة للأمير الحمادي يحيى، الذي لجأ إليها بعد فتح بجاية من قبل الجيوش الموحدية، فتخلى له أخوه الحسن عن منصبه، وقام الأخوان بتنظيم الدفاع عن قسنطينة⁽²⁾.

وهناك رسالة بعثها عبد المؤمن إلى موحدي تلمسان في سنة 547هـ/1153م تروي لنا تفاصيل حملة الموحدين على قسنطينة، ومن بين المعلومات التي تفيدنا بها، هي أن الأمير الحمادي يحيى بن العزيز، بعد المعركة الدامية، التي انتهت بانتصار الموحدين، قرر أن يبعث وفداً إلى بجاية ليتفاوض مع عبد المؤمن، وكان هذا الوفد يحتوي على أحد إخوة يحيى، قد يكون الحسن، مع شيوخ من قبيلة صنهاجة وشيوخ قسنطينة، فاستقبله الخليفة الموحدي استقبالا حسنا، وهكذا فتحت المدينة أبوابها لعبد المؤمن بعد رجوع الوفد إلى قسنطينة⁽³⁾.

أصبحت قسنطينة في عهد الموحدين أقل أهمية مما كانت عليه في العهد الحمادي، حيث أصبحت تابعة لإقليم بجاية، ولكنها كانت مع ذلك مسرحاً لأربعة أحداث هامة:

فالحدث الأول كان نزول عبد المؤمن بالقرب من قسنطينة في ناحية غنية المراعي اسمها وادي النساء، عندما رجع من غزوة إفريقية، فاستقر بها عشرين يوماً، ومن ذلك المكان بعث ابنه، أبا محمد، وأبا حفص على رأس جيش يحتوي على ثلاثين ألف جندي ليحارب بني هلال بإفريقية لأنهم بعدما وعدوه بالسير إلى المغرب الأقصى في صحبته، خانوه عند وصولهم إلى مضيق جبل زغوان⁽⁴⁾.

أما الحدث الثاني، حصار المدينة من طرف علي بن غانية، الذي كان قد استولى على بجاية، ففشلت هذه العملية لأن سكان قسنطينة بقوا أوفياء للموحدين وكبدوه خسائر كبيرة، قال ابن قنفذ⁽⁵⁾ "أشرف علي بن إسحاق بن غانية المايورقي على أخذ قسنطينة بقطع الماء عنها، ولجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف، فسأل الله المطر فترل، وكانت حملة عظيمة في الوادي فخرقت سد الميورقي ولم يقدر على قطعه"⁽⁵⁾.

وكان الحدث الثالث، الزيارة التي قام بها الخليفة الموحدي المنصور إلى قسنطينة وهو في طريقه إلى إفريقية على رأس جيش مكلف بقمع ثورة ابن غانية⁽⁶⁾.

1) البيدق: أخبار المهدي، ص 107؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 144؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 193.

2) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص 53.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 144؛ و مجموع رسائل موحدية، ص 17-22؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 108.

4) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص 62.

5) ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 103؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 193.

6) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص 62.

أما الحدث الهام الرابع فهو إقامة الناصر، ابن المنصور وخليفته بقسنطينة قبل أن يسير لمحاربة ابن غانية، وأثناء إقامته بالمدينة، نظم الشاعر أبو علي حسن بن علي الفكون⁽¹⁾ قصيدة تشريفا له⁽²⁾. لكن احتلها الأمير الحفصي الأول أبو زكريا في سنة 628 هـ / 1230م و ذلك بعد مدة قصيرة من إعلانه الاستقلال عن السلطة الموحدية، وقبض على شيخها ابن علناس الصنهاجي⁽³⁾ ضمت قسنطينة في سنة 633هـ/1235م إلى ناحية بجاية التي كان على رأسها أبو يحيى بن أبي زكرياء، وكانت هذه الناحية تضم، بجانب بجاية، الجزائر، وبونة، والزاب "بسكرة"⁽⁴⁾.

ويبرز مكانة قسنطينة كحاضرة ثقافية لها وزنها، بروز بعض العلماء الذين أجتهدوا خلال العهد الموحدى ومنهم المحدث أحمد بن خلف بن يعيش الأزدي، أبو العباس القسنطيني (كان حيا سنة 537هـ/ 1142م)⁽⁵⁾، والنحوي عبد الله بن محمد بن عبد الغفار، بليغ الدين أبو محمد، القسنطيني (ت خلال القرن 7هـ/13م)⁽⁶⁾.

كما انتصب قائما بقسنطينة، جامعها الكبير، ولعب دورا ثقافيا مهما، ويعود عهده إلى يحيى بن العزيز آخر ملوك بني حماد (515-547هـ/1121-1152م)، بناه سنة 530هـ/1135م⁽⁷⁾، وبالتالي ازدهر في العهد الموحدى⁽⁸⁾.

-
- (1) هو حسن بن علي بن عمر القسنطيني أبو علي، الشهير بابن الفكون، كان حيا سنة 602 هـ / 1205م، شاعر المغرب الأوسط في وقته، من أهل قسنطينة، رحل إلى مراكش، ومدح خليفة بني عبد المؤمن الغبريني: المصدر السابق، ص 280؛ والعبدي: المصدر السابق، ص 30-35.
- (2) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص 62.
- (3) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 382. لكن الزركشي يورد اسم أبو عبد الله اللحياني ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص. أنظر: تاريخ الدولتين، ص 25-28 أما ابن قنفذ فيرد الوالي هو أبا عمران بن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور. أنظر: الفارسية، ص 108؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، ص 51.
- (4) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص 63.
- (5) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 261.
- (6) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط 2، القاهرة، مصر، 1979، ج 1، ص 263؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط و توكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 2000، ج 17، ص 300-304.
- (7) عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، ط 1، الجزائر، 1980، ص 280.
- (8) رزويو زينب: المرجع السابق، ص 52.

جزائر بني مزغنة⁽¹⁾

لم يتعرض لها الجغرافيون في الفترات الأولى بعد الفتح الإسلامي، حيث لم يتحدث عنها اليعقوبي، الذي زار جل بلدان المغرب الإسلامي سنة 208هـ/823م، ولم يتعرض لها كذلك ابن خردزبة (270هـ/888م) في كتابه المسالك والممالك، ولا ابن الفقيه الحمداي (ت 290هـ/902م) في كتابه البلدان، ولا ابن رسته (ت 289هـ/901م) في كتابه الأعلاق النفيسة⁽²⁾.
لقد أخذت مدينة الجزائر تسترجع مكانتها وتفرض دورها العمراني في عهد الدولة الصنهاجية، حيث أعيد تجديد بنائها على يد بلكين بن زيري بن مناد سنة 339هـ/960م⁽³⁾ واستعادت مكانتها أكثر خلال الدولة الحمادية والمرابطية بسبب وجود أسطول بحري للدولة⁽⁴⁾، حيث أنشئ خلال القرن 5هـ/11م جامعها الكبير من قبل يوسف بن تشفين المرابطي⁽⁵⁾.
وتؤيد المصادر ذلك حيث زار محمد بن تومرت سنة 513هـ/1119م وهو عائد إلى المغرب قبيلة الثعالبة التي كانت تستوطن المنطقة، وساعد الثعالبة الموحدية في تأسيس دولتهم، لذلك حماهم عبد المؤمن وأبناؤه، وجعلوا منهم السيادة على مدينة الجزائر وضواحيها سنة 548هـ/1153م⁽⁶⁾.
كما ازدهرت مدينة الجزائر أكثر خلال العهد الموحدية ويؤكد ذلك صاحب نزهة المشتاق بقوله عنها: "مدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار، وهي عامرة

-
- 1) أول من وضع فيها مستوطنات تجارية هم الفنيقيون باسم إيكوسيم خلال القرن الثالث قبل الميلاد، ثم بعد الاحتلال الروماني، استوطنوا بها وغيروا اسمها إلى مدينة إيكوسيوم. علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 183-194.
 - وردت باسم جزائر بني مزغناي عند ابن حوقل (ت 367هـ/977م) وصاحب الاستبصار (كان حيا سنة 587هـ/1191م) وعند ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م). صور الأرض، ص 77؛ ومجهول، ص 132؛ ومعجم البلدان، ج 2، ص 132. أما عند البكري (ت 487هـ/1094م) جزائر بني مزغني. أنظر: المغرب، ص 66. ووردت عند الإدريسي (ت 560هـ/1165م) باسم الجزائر. أنظر: نزهة المشتاق، ص 114. وقد أوردتها المقدسي (ت 665هـ/1267) جزيرة بني زغناية. أنظر: أحسن التقاسيم، ص 28.
 - وبني مزغنة من بطون قبيلة صنهاجة، والتي تنتشر مواطنهم من المسيلة إلى حمزة بالجزائر ومنيحة والمدية ومليانة. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 202-203.
 - 2) علي عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص 199-200.
 - 3) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 204.
 - 4) علي عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص 202.
 - 5) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ج 2، ص 749.
 - 6) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 203؛ وعلي عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص 160.

آهله، وتجارها مربحة، وأسوارها قائمة، وصناعتها نافقة" (1) ومن حديث الإدريسي يظهر أن المدينة بلغت أوج ازدهارها، حيث توسعت ضواحيها وزادت مبانيها، وكثر عمرانها، وراجت تجارتها.

أما في أواخر الدولة الموحدية أي بعد زوال نفوذ بني غانية على الجزائر - حيث ساهم في تخريبها سنة 580هـ/1184م، وولى عليها ابن أخيه طلحة بن غانية (2) - أخذت مدينة الجزائر تنحدر نحو التقهقر إذ زارها في هذه الفترة عبد الواحد المراكشي، الذي ذكر عنها بعض السطور في كتابه المعجب بقوله: "من مدينة بجاية إلى مدينة صغيرة، تدعى الجزائر، وتنسب إلى قوم يقال لهم بنو مزغنة" (3).

لكن إداريا بقيت تابعة لعمالة بجاية، حيث يؤكد ذلك ابن سعيد خلال حديثه عن مدينة تنس: "... وفي شرقها مدينة الجزائر، وهي فرضة مشهورة من عمل بجاية، حيث الطول عشرون درجة وثمان عشره دقيقة والعرض ثلاث فرضة مشهورة" (4).

كما أن العبدري (ت 720هـ/1320م) فيوضح هذا التقهقر جيدا في كتابه الرحلة المغربية حيث يذكر عن المدينة ما يلي: "ثم وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف لحسنها نظر الناظر، ويقف على جمالها خطر الخاطر، قد حوت مزيقي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق، وسور معجز وثيق، وأبواب محكمة العمل، يسرح فيها الطرف حتى يمل، ولكنها أفقر من المعنى المطلوب... فلم يبق بها من هو أهل العلم محسوب" (5)، ويبدو أن مدينة الجزائر انحط وزنها بعد زوال الدولة الموحدية وتطاحن الدولتين الزيانية والحفصية عليها (6).

لكن هذا لا ينفي بروز علماء أجلاء خلال العهد الموحدي، ومنهم الأديب النحوي عبد الواحد بن محمد بن حبيب أبو محمد اللخمي الجزائري (كان حيا 537هـ/1142م) (7)، ومعاصره المحدث عبد المنعم بن عشير الجزائري (كان حيا سنة 537هـ/1142م) (8)، والفقهاء المالكي حجاج بن سكاتة أبو يوسف الجزائري (ت بعد 561هـ/1166م) (9)، والمحدث عبد المحسن بن ربيع الجزائري (ت القرن 6هـ/12م) (10).

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ص 114.

(2) وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 176؛ وابن خلدون: العبر، ص 326.

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 203.

(4) أنظر: كتاب الجغرافية، ص 141-142.

(5) أنظر: الرحلة المغربية، ص 23.

(6) علي عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 204.

(7) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 105.

(8) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965، ج 5، ص 122.

(9) نفس المصدر والصفحة.

(10) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 545.

ح- وهران⁽¹⁾

يقول عنها محمد بن يوسف الزياني: "اعلم أن أول من اختط وهران هو المغراوي خزر بن حفص بن صولات في عام 290 هـ/902م، أو 291 هـ/903م وبعد تأسيسها استبحر عمرائها، وعدت من أمصار المغرب ومن أحسن معاقلها، وقصدها العلماء والتجار، وأرباب البضائع فكانت مقصد العفاة والوفود، والعساكر والحشود"⁽²⁾.

كما وصفها ابن حوقل (ت 367 هـ/977م) بأنها مدينة ساحلية مرساها جيد ولها علاقات تجارية مع الأندلس وبها نشاط كبير وذلك خلال القرن الرابع هجري، حيث كانت تابعة للدولة الزييرية⁽³⁾، حكمها الخزريون المغراويون، الذين كانوا يخضعون للفاطميين وأحيانا للأمويين بالأندلس، حتى سنة 473 هـ/1081م احتلها المرابطون، واتخذوها قاعدة بحرية لأسطولهم الحربي والتجاري⁽⁴⁾. ووهران بفتح أوله، وسكون ثانية، وآخره نون، هي مدينة حصينة كما يصفها البكري في القرن الخامس هجري، وهي ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين، ولها مسجد جامع، وقد أسس هذه المدينة محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين كانوا ينتجعون مرساها باتفاق مع نفزة وبني مسقن، وهم من ازداجة، وذلك سنة 290 هـ/902م⁽⁵⁾ ويسميه صاحب الاستبصار بني مسكين بدل من مسقن⁽⁶⁾.

وقد قرر عبد المؤمن الموحي ضمها، فاصطدم بقوات تاشفين بن علي سنة 539 هـ/1144م⁽⁷⁾ لكنه تغلب عليه وفتحها بعد حصار قصير⁽⁸⁾ وحوّلها إلى قاعدة بحرية

-
- 1) وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون بناها السكان الأصليون على الساحل، كانت تسمى في عهد الرومان أونيكاكولونيا، تقع على إثني عشرة درجة وثلاثين دقيقة في خطوط الطول وعلى أربعة وثلاثين درجة من خطوط العرض، وعلى بعد عشرين فرسخا من تلمسان، ومدينة وهران معدودة دائما في مملكة تلمسان مارمول كرنخال: المصدر السابق، ج 2، ص 329.
 - 2) واختلف في سبب تسميتها وهران، ف قيل أن مؤسسها خزر المغراوي لقبه وهران، وقيل أن الرجل الذي يبي فيها اسمه وهران، وقيل مركبة من كلمتين "وه" ومعناها الضعف و"ران" بمعنى نحنو وجمعها نحن في ضعف عندما كانوا في حرب مع بني يفرن، وقيل أن اسم الثعلب بالزاتية وهران. محمد بن يوسف الزياني: دليل الخيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص 32-33.
 - 3) أنظر: دليل الخيران، ص 31، ص 35-36.
 - 4) أنظر: صورة الأرض، ص 79.
 - 5) يحي بوعزيز: وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985، ص 38.
 - 6) أنظر: المغرب، ص 70.
 - 7) أنظر: المصدر السابق، ص 133-134.
 - 8) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحيين)، ص 21؛ و مجهول: الخلل المشوية، ص 132.
 - 9) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 143؛ و ابن أبي زرع: الأنيس، ص 187.

لأسطوله⁽¹⁾.

لهذا يصفها الجغرافي الجهول "بأنها مدينة كثيرة البساتين والثمار، ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرحاء وعيون، وهي من أعز البلاد، ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة"⁽²⁾ لكن الإدريسي ذكرها بأن مرساها صغير، لا يستر شيئاً، رغم أنه وصفها من الداخل بأن أسواقها مقدره، وصنائع كثيرة وتجارة نافعة، وعليها سور تراب متقن، وهي تقابل مدينة المريه من ساحل بر الأندلس⁽³⁾. ووصفا جغرافي آخر عاصر الفترة الموحدية بأنها "مدينة على البر الأعظم م من الغرب، بينها وبين تلمسان سُرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وأكثر أهلها تجار"⁽⁴⁾ وهذا يدل على تراجع دورها بسبب تخريبها في فترات سابقة.

كما تأسست بها خلال العهد الموحدى عدة مدارس، ونشطت بها الحركة الثقافية، وتوسعت وظهر بها عدة علماء منها أبو محمد عبد الله بن الجبل، الذي كان أحد أعضاء مجلس أعيانها⁽⁵⁾ وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم (ت 569 هـ / 1173 م) الحمزي الوهراني، المعروف بابن قُرُقُول⁽⁶⁾، ومنهم أبو عبد الله محمد الوهراني، الملقب ركن الدين، الذي دخل مصر حوالي سنة 570 هـ / 1174 م، واشتهر فيها بالعلم والأدب، وحسن الفهم، ومنهم أبو تميم وذكره الغريبي أبو تمام الوهراني⁽⁷⁾، والفقير محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني (ت 601 هـ / 1205 م)⁽⁸⁾ والنحوي علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني (ت 615 هـ / 1219 م)⁽⁹⁾، وغيرهم كثير سنذكرهم في الفصل الموالي.

(1) يحي بوعزيز: وهران، ص38.

(2) أنظر: الاستبصار، ص134؛ والحميري: المصدر السابق، ص612.

(3) أنظر: نزهة المشتاق، ص 105.

(4) أنظر: معجم البلدان، ج5، ص385.

(5) يحي بوعزيز: وهران، ص43.

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص521.

(7) عنوان الدراية، هامش، ص179؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص386.

(8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص374؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص349.

(9) السيوطي: المصدر السابق، ج 2، ص172. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، لبنان، سنة 1951، ج 1، ص 705؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص349.

خ- بونة

أو هيون⁽¹⁾ قال عنها جغرافي من القرن الرابع هجري "هي مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رفعتها كالأربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة"⁽²⁾. وهي مدينة قديمة من بناء الأول، وفيها آثار كثيرة مبنية على ربوة مشرفة على فحوصها وقرائها⁽³⁾ وبها آثار قرطاجية وشيد الرومان بها قصورا وقلاعاً، غير أن الخراب قد امتد لها، بعد خروجهم، ولم يبق منها إلا الآثار⁽⁴⁾ ومرساها اسمه الأزقاق، تسكن حولها قبائل كثيرة من البربر كمصمودة وأوربة، ومعظم العاملين بالتجارة فيها من الأندلسيين⁽⁵⁾.

يسمىها عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) بالمدينة الصغيرة، ويشير إلى أن اسمها مشتق من اللفظة الإفرنجية جيد وبينها ومدينة تونس ست مراحل⁽⁶⁾، وذكر أنها كانت موجودة رغم أنها لم تنل حضوه كبيرة نظراً لتبعيتها لبحاية⁽⁷⁾.

كما يذكر ابن سعيد بأن أول سلطنة إفريقية على البحر مدينة بونة، وهي من حيث الطول ثمان وعشرون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ولها نهر متوسط ينصب في البحر بغريبها⁽⁸⁾ وهذا يدل على أنها كانت مصر مهم في المغرب الأوسط.

لقد تأثرت بغزو الهلاليين لإفريقية وخاصة مناطقها الزراعية التي هجرت إلا القليل منها الذي قاوم أصحابه العرب بقوة السلاح⁽⁹⁾ وفي 547هـ/1152م ملكها الموحدون⁽¹⁰⁾ لكن في عام 548هـ/1153م امتلكها رُجار حاكم صقلية، ثم خرجت عن حكمه بعد وفاته، وتولى ابنه

1) يقول عنها مرمول: بناها الرومان شرقي المكان الذي توجد عليه اليوم بمسافة فرسخ واحد على نهر يدوغ، كانت في القديم تسمى هيون، وموقعها على ساحل البحر المتوسط أنظر: إفريقية، ج 2، ص 7. ويؤكد ذلك البكري بقوله ومدينة بونة أولية وهي مدينة أقيمتين العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في نشر من الأرض منيع مظل على مدينة سبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال ولها مساجد وأسواق وحمام وهي ذات نهر وزرع، وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة. أنظر: المغرب، ص 54-55.

2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

3) مجهول: الاستبصار، ص 127؛ والإدريسي: المصدر السابق، ص 133؛ والحميري: المصدر السابق، ص 115.

4) حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 61؛ ومرمول كرنجبال: المصدر نفسه، ج 2، ص 7.

5) البكري: المصدر نفسه، ص 54-55؛ والحميري: المصدر نفسه، ص 115.

6) أنظر: المعجب، ص 252.

7) المصدر نفسه، ص 144.

8) كتاب الجغرافية، ص 142.

9) حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 61.

10) روبر بارونشيك: المرجع السابق، ج 1، هامش، ص 33.

غليام من بعده، ودخلت في حكم الموحدين سنة 551هـ/1156م وقبضوا على عاملها الحارث وقتلوه لأنه استنجد بالنورماندين⁽¹⁾، لكن ابن غانية تمكن من احتلال عدة مدن، من المغرب الأوسط منها مدينة بونة، سنة 598هـ/1202م⁽²⁾ وتمكن الموحدون فيما بعد من استرجاعها، وهذا يدل على المكانة التي حضت بها مدينة بونة في العهد الموحي.

كما يعتبرها صاحب معجم البلدان مدينة العلماء، حيث وصفها أولاً بـ "مدينة حصينة مقطرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين، وبها معدن حديد، وهي على البحر... ينسب إليها جماعة منهم: أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني، فقيه مالكي من أعيان أصحاب أبي الحسن القاسبي..."⁽³⁾. وقد اشتهر ببونة جامع سيدي مروان الذي بني سنة 425هـ/1033م واستمر هذا المسجد يقوم بوظيفته خلال العهد الموحي⁽⁴⁾، ومن علماء وفقهاء بونة في العهد الموحي، المحدث علي الترشيكي البوني، أبو الحسن (كان حيا سنة 536هـ/1141م) ارتحل إلى الأندلس⁽⁵⁾ وإبراهيم بن يوسف بن محمد البوني (ت 612هـ/1215م)، المحدث، من كبار المقرئين، كان مالكيًا وتحول للمذهب الحنفي بالمشرق⁽⁶⁾ والفقهاء الصوفي أحمد بن علي بن يوسف، تقي الدين أبو العباس البوني (ت 622هـ/1225م)⁽⁷⁾ والقاضي علي بن عبد الله الأنصاري البوني أبو الحسن (ت في القرن السابع هجري 13م)⁽⁸⁾، وغيرهم كثير سنذكرهم فيما هو قادم.

لكنها لم تتل الأزدهار الكافي حيث يقول عنها العبدري "ثم وصلنا مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة"⁽⁹⁾.

-
- 1) مجهول: الخلل المشوية، ص 154؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 348-349.
 - 2) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 187، ص 238؛ وابن خلدون: العبر، ج 6، ص 333؛ والزرکشي: المصدر السابق، ص 17.
 - 3) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 512. هو الشيخ أبو مروان عبد الملك بن علي أصله من قرطبة بالأندلس وسكن بونة واعتبر من فقهاؤها، شرح الموطأ. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 52.
 - 4) هو أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني الأندلسي المالكي (ت 440هـ/1048م). رزيوي زينب: المرجع السابق، ص 52.
 - 5) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 553. وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص 51.
 - 6) الصفدي: المصدر السابق، ج 6، ص 110؛ وابن أبي الوفاء: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة، ط 2، القاهرة، مصر، 1993، ج 1، ص 118؛ وتقي الدين بن عبد القادر التميمي: الطبقات السننية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970، ج 1، ص 292.
 - 7) حاجي خليفة: كشق الظنون عن أسمى الكتب والفنون، تحقيق شهاب الدين الحسيني المرعشي، مكتبة المثنى، ط 1، بغداد العراق، 1941، ج 2، ص 1161، وإسماعيل باشا البغدادي: المصدر السابق، ج 1، ص 90؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص 47-49.
 - 8) العبريني: المصدر السابق، ص 218.
 - 9) ورغم أن العبدري يقر بأنه لم يدخلها، أو لم يستطع المكوث بها بقوله "وقد أزعج السفر عن حلولها، فلم أقض وطرا من دخولها" المصدر السابق، ص 33. إلا أنه تحامل مرة أخرى، وهذا يدعونا إلى تحليل شخصية ونفسية العبدري التي تبدو معقدة ومتشائمة على

٤- وارجلان

أو وركلان⁽¹⁾ وهي مدينة تقع في الجنوب من مدينة توقرت، وصفها البكري، على أنها سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى "أغرم أن يكامن" أي حصن العهود، وبينها وبين قلعة بني حماد مسيرة ثلاثة عشر يوماً⁽²⁾.

ويسمى الحميري واركلا، ويقول بأنها في طرف الصحراء مما يلي إفريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض... وتضرب ببلد واركلا دنانير على نوع المرابطية⁽³⁾ وهو دليل على أهميتها خلال الفترة المرابطية، وواصلت على نفس النهج خلال الفترة الموحدية .

أما ابن خلدون فيقول "أن الاسم يرجع إلى القبيلة وهم بنو واركلا، إحدى بطون زناتة، من ولد فربي بن جانا... وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطو المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنو قصورا متقابلة الخطة، ثم استبحر عمرانها فأتلّفت وصارت مصرا واحدا"⁽⁴⁾.

ولاشك أن الموحدين قد سيطروا على حواضر المغرب الأوسط والأدنى (بني حماد وبني زيري)، وهذه الانتصارات جعلت الأقلية الإباضية في ورجلان وتوقرت، تعلن ولاءها وتبعيتها، وما جعل الموحدين يعلنون اهتمامهم بوركجان هو وقوعها في الطريق الشرقي للتجارة مع السودان الغربي والأوسط المتمثلة في تجارة الذهب والرقيق⁽⁵⁾.

ويذكر الدرجيني متحدثا عن قدوم الموحدين إلى ورجلان "...أن أول داع وصل إلى وارجلان من دعاة الدعوة المهديّة: العيتورسي، وصلها في خيل، فلما قدم إليهم دعاهم إلى إجابة الدعوة، فتشاورا فيما يأتون وما يذرون... فقال لهم -أي الفقيه يوسف ابن إبراهيم الوركجاني - هؤلاء لا يخربون بلدكم

قول الشاعر: أيها الشّاكي وما بك داء *** كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟

إن شرّ الجنّة في الأرض نفس *** تتوقّى قبل الرّحيل الرّحيل

(1) ورد ذكر ورجلان في أعمال الجغرافيين العرب بأشكال متعددة منها واركلا، وارجلان، ورجلن، ورجلان، وارقلان، وضبطها ياقوت الحموي: ورجلان، وقال عنها "كورة بين إفريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر، كثيرة النخيل والخيرات" أنظر: معجم البلدان، ج5، ص 371. وقد دخلها الإسلام في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ / 724-743 م). الزهري: المصدر السابق، ص126.

(2) أنظر: المغرب، ص182.

(3) أنظر: الروض المعطار، ص600.

(4) أنظر: العبر، ج7، ص69.

(5) إبراهيم بنحاز: المرجع السابق، ص147.

بل تنالون في أيامهم عزا وإقبالا، وتلقون منهم في بلادكم خير لقاء، وإكراما وإحسانا، أكثر مما تلقونه في بلادكم، فأجيئوا دعوتهم تفلحوا فليس بالذين يخربون بلادكم"⁽¹⁾.

ولا نستطيع أن نحدد بدقة تاريخ انضواء اباضية ورجلان تحت راية الموحدين، إلا من خلال قولنا أنه كانت في أيام الفقيه أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوريحاني⁽²⁾ (500-570 هـ/1106-1174 م)، وهو ما يوافق عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558 هـ/1129-1162 م) وابنه أبي يعقوب يوسف (558-580 هـ/1129-1184 م)⁽³⁾.

كما تزهو وركلا بجامعة الكبير، والذي كان مقرا للعلم والتشاور، ومولدا للعلماء والفقهاء، ورغم أن التاريخ الذي وجد في أعلى مئذنته وهو 636 هـ/1228 م⁽⁴⁾، إلا أنه الأكيد كان له الدور الفعال خلال العهد الإباضي الموحد.

هكذا أظلت دوحة العلم الوارفة الظلال الطيبة الثمار بلاد المغرب الأوسط، في أزهى ما تكون

نهضات البلدان، وتطول باعه علوم الدين والدنيا، فيرتوي من مشاربها المختلفة، وتتنافس المدن و الحواضر في تشييد الأندية العلمية الزاخرة بطلاب العلم حتى صارت المدن نفسها أندية تنبعث أصوات العلم وطلبته في آفاقه الرحبة.

(1) الدرجهيني: المصدر السابق، ج2، ص315.

(2) عن أبي يعقوب أنظر: مصطفى باجو: أبو يعقوب الوريحاني وفكره الأصولي، مقارنة بأبي حامد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الأمير ع القادر، قسنطينة، 1993، وكذلك انظر باكير بن سعيد أوعوش: أبو يعقوب يوسف الوريحاني، المطبعة العربية، غرداية، 1978.

(3) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص148-149.

(4) رزيوي زينب: المرجع السابق، ص53.

ثانياً : المؤسسات الثقافية

أولى المغرب الأوسط اهتماماً كبيراً بالتعليم منذ دخول الإسلام إليه في أواخر القرن الأول الهجري فالتعليم تعتمد عليه حركة نشر الدين وبدونه سوف لن يكون هنالك استيعاب لمبادئه ولن يجد فرصته في الانتشار وسط السكان وهذا ما حدا بكل الدول المتعاقبة عليه، الاهتمام به وتطويره. عرفت الثقافة في المغرب الأوسط على عهد الدولة الموحدية ازدهاراً عظيماً - بالرغم مما يوجه لهذه الثقافة من انتقادات في بعض مناحيها - ومهما يكن، فإن مجرد ذكر أسماء المفكرين والكتاب الذين اشتهروا بما ألفوه من كتب في مختلف العلوم، وكذا ذكر تعدد المراكز العلمية وانتشارها في الحواضر والبوادي، ليكفي للحكم لهذه الثقافة بما وصفتها به، وتتجلى مظاهر هذا الازدهار في كثرة التأليف "الخصوبة الفكرية"⁽¹⁾ وكذا في تعدد المراكز العلمية .

لقد استمدت المؤسسات الثقافية في المغرب الإسلامي عموماً، والمغرب الأوسط خصوصاً مقوماتها وأصولها من المشرق الإسلامي، بدءاً من الفتح الإسلامي، إلا أن المغرب الأوسط سرعان ما مازجها مع ثقافات أخرى، تحت التأثير الأمازيغي والأندلسي والإفريقي⁽²⁾ وكان التعليم يمارس بالمساجد والزوايا والمدارس.

إلى جانب هذا اهتم الموحدون بإنشاء المراكز التعليمية، وأولوا عناية بالغة للتعليم، لأنه يعد من العوامل الأساسية المساهمة في الحركة الثقافية الفكرية في أي مصر من الأمصار، كما يعتبر مرآة عاكسة للازدهار الثقافي والعلمي.

انتهج عبد المؤمن لسياسة تعليمية مهمة، ورث بعضها عن معلمه، ابن تومرت⁽³⁾، ولكن لم تبلغ من القوة في زمنه، بحيث تظهر نتائجها، ما بلغته زمن يوسف ابنه، ويعقوب حفيده، ومن بعدهما، إذ قد أزهق غرس ابن تومرت وعبد المؤمن، بتعهد خلفائه له بالسقي والري، فتفتحت الأفكار، وتنورت العقول، واتسعت المدارك، وبلغ الناس درجة عالية من الثقافة العلمية⁽⁴⁾.

لقد أسس الخلفاء الموحدون المعاهد والمدارس للتعليم بمراكش وفاس، وباقي مدن الدولة، حرصاً منهم على التعلم والتثقيف لكل شرائح المجتمع، وبسطوا المساطر لكل من أراد ولوج هذه المعاهد

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص41.

2) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص254-255.

3) كان مؤسس الدولة الروحية ابن تومرت عالماً متبحراً في العلم يشهد بذلك استهلاله كتابه "أعز ما يطلب" بتلك العبارات الداعية إلى العلم وضرورة تحصيله "أعز ما يطلب وأفضل ما يكسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال". المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997، ص33.

4) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص114.

(1) المؤسسات التعليمية للنهل منها والجلوس إلى علمائها الراسخين في العلم المرززين في التعليم والتربية (1) وعندما نتحدث عن خلفاء الدولة الموحدية فإننا ننسبهم دائما إلى منجزات المغرب الأوسط باعتبارهم من تلمسان من قبيلة كومية ، وهذا فخر كبير ، ولهذا ندعوا لتسميتها بالدولة المؤمنية بدل الموحدية . كان عبد المؤمن يستدعي العلماء والمدرسين والفقهاء والقضاة، من كل البلاد، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم، وكان يعقد ندوات علمية أسبوعية في قصره (2) . كذلك يوسف بن عبد المؤمن، الذي قال عنه صاحب المعجب "كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن الكريم، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... هذا مع إثارة للعلم شديد، وتعطش مفرط له، صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين.. وكان له مشاركة في علم الأدب... ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة" (3) .

كما كان الخليفة المنصور من حفاظ الحديث، محبا للعلماء والأدباء محسنا إليهم، مقربا لهم، مصغيا إلى المديح، مثيبا عليه، وكان محبا للفلسفة، فبعد اضطهاده للفيلسوف ابن رشد، عاد واستخلصه لنفسه، يطلعه على أسرار صناعة الصنائع (4) .

فتعددت مؤسسات التعليم في المغرب خلال العهد الموحد (6-7هـ/12-13م) وكان في مقدمتها المترل (5) والكتاب والمسجد، التي تعتبر المراكز التعليمية الأولى آنذاك، ثم تلتها المدارس فيما بعد علاوة على أنها كانت هناك أيضا الربط والمكتبات (6) .

بذلك جرى التعليم في عهد الموحدين بالمغرب الأوسط على الطريقة التقليدية في المراكز التي تخصص للتدريس وهي في الغالب كانت تتوزع إلى الكتاتيب القرآنية، والمساجد والزوايا والرباطات وأخيرا ظهرت المدرسة (7) .

والمؤسسات الثلاث الأولى كانت تعتبر كمؤسسات للدراسة الأولية المتوسطة، أما التعليم العالي فكان يتم في الحواضر الكبرى كتلمسان وبجاية، أو عن طريق الرحلة العلمية للأندلس والمشرق أو نحو مراكش وفاس.

-
- 1) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص 73؛ وعلية الأندلسي: نماذج من المعاهد والمجتمعات التعليمية الموحدية، مجلة ميثاق الرابطة الإلكترونية، العدد 17 بتاريخ 21/ 5 / 2010، ص 1.
 - 2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 142؛ وبوجدار محمد مصطفى: مخطوط الاغتباط بتراجم أعمال الرباط، الخزنة العامة الرباط، رقم 1287، د، ج 1، ورقة 215.
 - 3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 167.
 - 4) المصدر نفسه، ص 172.
 - 5) يذكر الغبريني أن أبا عبد الله محمد صمغان القلعي من أهل قلعة بني حماد ورحل إلى بجاية كان له مجلس دراسة يعلو سقيفة داره فيجتمع إليه الطلبة الغبريني: المصدر السابق، ص 189.
 - 6) صفية ديب: المرجع نفسه، ص 218-219.
 - 7) شفيق محمد عبد الرحمن الرقيب: شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984، ص 32.

إلى جانب ذلك يمكن نظرياً استنتاج مراحل التعليم في المغرب الأوسط في هذه الفترة، وهي تسمية تجاوزية فقط لإسقاطها على واقع اليوم:

مرحلة التعليم الابتدائي: كان الهدف منها هو تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة واكتساب الخط "لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق في ذلك أو ينقطع دونه.." (1).

وقد تم مزاولة هذا التعليم في المساجد و الكتاتيب، حيث أن الصبيان يدخلون الكتاب في سن معينة تتراوح ما بين الخامسة والسابعة، والمؤدب يكون حريصاً على تحفيظ هؤلاء القرآن والتلاوة الحسنة، ثم يتفقد حفظهم في أيام معينة (2) هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوضوء والصلاة، والتشديد عليهم من أجل استيعابها دون إفراط في التأديب والضرب (3).

أ- المساجد

كان المسجد هو النواة الأولى للتعلم في حضارتنا العربية الإسلامية، فليس هناك جامع أو مسجد في مدينة من المدن الإسلامية يخلو من حلقات العلماء والمدرسين (4) وقد حث الإسلام على بناء المساجد والعناية بها، ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿من بنى مسجداً يُذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة﴾ رواه أحمد وابن ماجه. وبناء المسجد أمر من الله سبحانه وتعالى لجميع المسلمين، وحدد القرآن الكريم الوظيفة الأساسية للمسجد، قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يُسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ (5). ارتبط تاريخ التعليم في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد قبل تأسيس المدرسة، حيث قامت فيه حلقات الدرس منذ أن أنشئ لأول مرة، واستمر لقرون، وفي شتى أنحاء العالم الإسلامي دون توقف (6) كما كانت مراكز للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، ومحللاً للقضاء والإفتاء والعلم والإعلان وغير ذلك من أمور الدين والدولة.

(1) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص220-221.

(2) محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص59.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص224؛ وابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، تحقيق، الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974، ص116؛ وابن سحنون محمد: كتاب آداب المعلمين، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، 1972، ص89-91؛ والقابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986، ص33.

(4) مروان عبد الملك محمد: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، مج29، العدد1، 2001، ص27-28.

(5) سورة النور، الآية36.

(6) أحمد شليبي: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، دار الإتحاد العربي للطباعة، ط5، مصر، 1976، ص102.

فكانت المساجد والجوامع باعتبارها الخلية الأولى والأساسية في المجتمع الإسلامي، ولكنها مركز للعبادة والتثقيف والتعليم والتوجيه، قامت بدور عظيم وكبير في نشر السنة وإشاعتها، وتركيز الدراسات الحديثة وتأصيلها، وتكوين الأجيال المتلاحقة من علماء الحديث وشيوخه⁽¹⁾. إن تاريخ المؤسسات الثقافية والتعليمية في المغرب الأوسط، وعلى رأسها المسجد ما زال يكتنفه الكثير من الغموض، خاصة في الفترة الموحدية، حيث سادت الثقافة الوحدوية على حساب الثقافة القطرية—أشبه ما يعرف اليوم بالعمولة—العمولة الموحدية—، كما غطت الأنشطة الثقافية والتعليمية المتواجدة في عاصمة الدولة مراكش، والمدن المحاذية لها، كفاس على نشاطات بقية المدن، خاصة البعيدة عن العاصمة.

وعموما ساعد في تطور وظيفة المسجد بالمغرب الأوسط، الاهتمام بالعلم والعلماء، وكما يقول المقرئ عن مكانة العلماء في الأندلس ينطبق على المغرب الأوسط "فالعالم عندهم معظم من الخاصة والعامّة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتاع حاجة، وما أشبه ذلك"⁽²⁾.

كما يذكر البيهقي أن ابن تومرت أقبل على بناء المساجد في العديد من المناطق، وعند حلوله ببجاية قصد مسجد الريحانة⁽³⁾ ثم حل بتينملل⁽⁴⁾ فبنى مسجده للتدريس ومنه انطلقت الدعوة الموحدية⁽⁵⁾ كما يذكر الغبريني عدة مساجد أخرى في بجاية منها كمسجد الفقيه أبي زكريا يحيى الزواوي (ت 611هـ/1214م)⁽⁶⁾، وكان هذا المسجد ذائع الصيت ومحل مقصد العلم خلال الفترة الموحدية، حيث زاره الأندلسي أبو الحسن علي بن أحمد الحراي (ت 637هـ/1239م) الذي خطب فيه سنة 611هـ/1214م⁽⁷⁾.

لقد اهتم الموحدون ببناء المؤسسات الدينية وخاصة منها المساجد، فاحتوت كل مدينة من المدن الموحدية على مسجد، وربما جامع كبير على غرار بجاية وتلمسان وقسنطينة، وجزائر بني مزغنة، حيث

1) يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، دت، ج2، ص474.

2) أنظر: نفع الطيب، ج1، ص220. لمزيد عن مساجد المغرب الأوسط، لاحظ رسالة رزيوي زينب: المرجع السابق، ص36-53.

3) أنظر: أخبار المهدي، ص13، ص19.

4) تينملل أو تاملت، وقد رسمه أحيانا ابن صاحب الصلاة كلمتين: تين ملل وهي فعلا مؤلفة بالبرية من تين بمعنى ذات وممل بمعنى الحواجز التي توضع في سفوح الجبال يجعلها صالحة للزراعة والسقي، وهو الجبل الذي كان مهد دولة الموحدين و بها بنى الإمام داره ومسجده. ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص149. و بها قبري عبد المؤمن والمهدي بن تومرت. مجهول: الحلل المشوية، ص112. السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص78.

5) السلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص78. صفية ديب: المرجع السابق، ص241؛ وكارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب بنية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968، ص325.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص151.

7) المصدر نفسه، ص151-152؛ ورزيوي زينب: المرجع نفسه، ص51.

أصدر عبد المؤمن أوامره "بإصلاح المساجد وبنائها في تاجرا (1) بتلمسان و في جميع بلاده، وتغيير المنكر" (2) لذلك بنى الموحدون عدة مساجد في المغرب الأوسط، ورمموا الأخرى ووسعوها، و تحديد القديم و منها الجامع الكبير بتلمسان و ندرومة (3) ومسجد درب الموحدين (4) ومسجد حومة اللؤلؤة المعروف بمسجد المرجاني، حيث كان يجتمع فيه الصلحاء والأفاضل والمتعبدون (5).

كما كان الشيخ أبو مدين شعيب (594 هـ/1197م) يقيم مجالسه العلمية والصوفية بمسجد أبي زكرياء الزواوي (6) وكان الشيخ أبو علي حسن المسيلي يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد (7) وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافري يجتمع إليه الناس بالجامع الأعظم لحضور دروسه العلمية (8) وذكر ابن الأبار في معجمه أن الحافظ أبو يوسف الأغماتي التلمساني (كان حيا سنة 523هـ/1128م كان يدرس بجامع تلمسان القديم (9).

ويضاف مسجد آخر ببجاية هو مسجد المرجاني، نسبة إلى الشيخ الفقيه أب و زكرياء المرجاني الموصلي، الذي زار بجاية وتردد على هذا المسجد، واجتمع بالناس ليعلمهم أمور دينهم، فنسب إليه تكريما له بعد رجوعه إلى بلاده بالموصل في بلاد المشرق، ويقع بجومة اللؤلؤة ببجاية (10).
إلا أن طرق التجديد الموحدية على المساجد في بدايتها تركزت على البساطة والتقشف، فأزالوا كل النقوش الذهبية، وكل المناظر الفنية، وذلك بدءا من سنة 540 هـ/1145م (11).

-
- 1) تاجرة بفتح الجيم والراء بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هُنَيْن من سواحل تلمسان، بما كان مولد عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص5؛ وابن أبي زرع : الأنيس، ص183.
 - 2) ابن أبي زرع : المصدر الأنيس، ص189 .
 - 3) رشيد بورويبة: عبد المؤمن، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976، ص11. وندرومة مدينة قديمة أسسها الرومان، وبنوها على بقعة واسعة في سهل، بعيدة بنحو ميلين من الجبل واثني عشر ميلا عن البحر ويمر قريبا من قليل الأهمية وسميت بذلك لكي تكون ند لروما. الوزان: المصدر السابق، ج2، ص13. بل إن الرومان لم يتواجدوا بها نهائيا و الاسم جاء من قبيلة كومية قديمة تقطن بها. تعليق مترجمي الكتاب، نفس الصفحة.
 - 4) عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص34.
 - 5) الغبريني: المصدر السابق، ص165؛ وبرنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص414.
 - 6) توفي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة 14 رمضان 611 هـ/1214 م، وتوفي فجأة من غير علة، ويضيف الأستاذ بونار، في شرحه على هامش عنوان الدراية، أن أبو زكرياء يعرف الآن بأبي قبرين عند عامة بجاية، وهو مدفون بشاطئ البحر. الغبريني: المصدر نفسه، ص136-137.
 - 7) الغبريني: المصدر نفسه، ص67.
 - 8) نفسه، ص265؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص51.
 - 9) أنظر: المعجم، ص330.
 - 10) الغبريني: المصدر نفسه، ص165؛ رزوي زينب: المرجع السابق، ص51.
 - 11) بنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية (ت 265 هـ/880م) وقد شرع في حفر أساسه سنة 245 هـ/859 م. السلاوي: المرجع السابق، ج1، ص76-77؛ وعمر رضا كحالة: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1994، ج4، ص136-137.

كانت من عادة الموحدين أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبرى إلا من انتهت إليه المهارة والرسوخ في العلم والدين في وقته، فيلقون دروسهم ويميزون الطلبة المتفوقين بإجازات مازالت بطون الأمهات من الكتب والمصادر المختلفة تشهد بها على عظمة العصر الموحدى الزاخر بالعلم والعلماء⁽¹⁾. وكانت طريقة التعليم في المساجد تتم بجلوس الأستاذ أو الفقيه على كرسي حتى يراه جميع الطلبة، أو مستندا على ظهره على عمود أو ركن من أركان المسجد وحوله يجلس التلاميذ أو الطلبة في شكل حلقة محيطين به، وكانت الأبواب تفتح والحضور مباح للجميع⁽²⁾.

بقيت المساجد على عادتها تقوم برسالتها التقليدية، فامتألت بالطلاب والعلماء والفقهاء، يدرسون العلم، ويقصدهم الناس للشورى أو قراءة القرآن، كما قصد هذه المدارس الصلحاء والعباد⁽³⁾، وقاموا بدورهم في تقديم الفتوى والعلم للناس على اختلاف مستوياتهم⁽⁴⁾.

لقد كان المسجد عبارة عن معهد علم قائم بذاته، خاصة إذا علمنا أن المساجد الجامعة كان يدرس بها أكثر من معلم واحد، ويقتسم الدور فيها بين الفقهاء، وكان هناك أكثر من مجلس للمعلمين في أنحاء المسجد الواحد، وهذا يجعلنا نستخلص أن عدد حلقات الدرس كثيرة خلال الفترة الموحدية⁽⁵⁾. والسبب الذي جعل المسجد يلعب دورا تربويا كبيرا، هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم وتوضيح تعاليم الإسلام، وكذا اتخاذه مكانا لدراسة وحفظ القرآن، والفقه، والاشتغال بالآداب⁽⁶⁾ ويقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة⁽⁷⁾.

حيث يبدأ التلميذ بحفظ القرآن كاملا -التعليم الابتدائي- وقد استحسن ابن خلدون هذه الطريقة في التعليم، حيث رأى أن تعلم القرآن وحفظه هو أصل التعليم، وهو أول ما يجب تعلمه للصبيان لأن به يبنى ما يحصل بعد ذلك من ملكات حسب تعبيره⁽⁸⁾ وبين أنه نتيجة لاقتصار أهل المغرب على تعليم أولادهم القرآن وقراءاته المختلفة والكتابة أحيانا جعلهم يكونون أقوى على حفظه وإدراك رسمه، من سواهم عن بقية الأمصار⁽⁹⁾.

1) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص64؛ وعليه الأندلسي: المرجع السابق، ص1.

2) السعيد عقبة: المرجع السابق، ص51.

3) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص126.

4) الغريبي: المصدر السابق، ص136.

5) صفية ديب: المرجع السابق، ص247.

6) محمد منير موسى: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص221.

7) المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص220.

8) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص222؛ والقاسبي: المصدر السابق، ص33.

9) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص222.

أما -التعليم الثانوي أو الاحترافي- فيدرس مبادئ الدين، ويتدرج بعد ذلك في دراسة العلوم التي يميل إليها، وقد سلك الموحدون نوعاً من التعليم الإجباري حيث كان لا يستحق عندهم الدخول في مذهبهم إلا من درس عقائد المهدي، إلى جانب أحاديث في الجهاد والقرآن الكريم⁽¹⁾.

كانت دروس هذه المرحلة تتم في المساجد الجامعة، كالجوامع الأعظم بتلمسان⁽²⁾، وندرومة، و القصبية ببجاية⁽³⁾ حيث يذكر الغبريني عن الجامع الأخير أنه جلس فيه محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (أواخر ق 6هـ/ 12 م) للأستاذية، وانتفع الناس به⁽⁴⁾.

ومن خلال قراءتنا لتراجم المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية نجد أن المسجد كان مركزاً علمياً لا يخلو طوال النهار، بل حتى أجزاء الليل من حلقات للدراسة والتعليم والوعظ، ولم تكن حلقات الدرس تقتصر على المسجد الجامع أو الجامع الكبير فأبو عبد الله الشوذي الاشبيلي الحلوي، نزيل تلمسان، كان يدرس في مسجد صغير عند خندق عين الكسور (أو عين النسور حسب تصحيح المحقق) بخارج باب القرمدين⁽⁵⁾.

كما أن أبا زكريا يحيى بن علي⁽⁶⁾ الشهير بالزواوي⁽⁷⁾ من نواحي بجاية، ما من ناحية إلا وله فيها مسجد ومعلم⁽⁸⁾ كما كان ابن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 611 هـ/ 1215 م) يدرس كتاب الطهارة من المدونة بالجامع الخاص بتلمسان⁽⁹⁾.

أما موسى بن حجاج، أبو عمران الأشيري صال وجال في الأندلس والمغرب، ثم عاد إلى مدينة الجزائر بعمالة بجاية، وأمّ بها صلاة الفريضة بجامعها⁽¹⁰⁾.

-
- 1) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 346.
 - 2) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط 3، الدار البيضاء، 2010، ص 111؛ ويحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 108؛
 - 3) الغبريني: المصدر السابق، ص 140.
 - 4) نفس المصدر والصفحة.
 - 5) يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ج 1، ص 127، ص 159.
 - 6) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر نفسه، ص 428.
 - 7) الغبريني: المصدر نفسه، ص 59؛ ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة 1349 هـ/ 1930، ص 184-185.
 - 8) الغبريني: المصدر نفسه، ص 59، ص 136-137؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص 51.
 - 9) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 128.
 - 10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، السفر الثاني، ص 379؛ وعبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 7، الجزائر، 1994، ج 2، ص 36؛ وعادل نويهيض: المرجع السابق، ص 17.

ب- الكتاتيب⁽¹⁾

لقد أُسس إلى جانب المسجد مراكز تعليمية، ومؤسسات ثقافية لا تقل أهميتها عن دور المسجد، إلا كونه يخصص للصبيان لتعليمهم القرآن وأحكامه وتفسيره، عرف هذا المرفق الثقافي بالكتاب أو الكتاتيب.

وهي عبارة عن قاعات واسعة يعلم فيها مجموعة من الأساتذة الأطفال الصغار القراءة والكتابة على ألواح مختلفة⁽²⁾ يكتب التلاميذ فيها جزءا من القرآن كل يوم ويختمونه، و الكتاتيب هي أماكن المرحلة الأولى التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين الكتابة و يأخذون بعد ذلك في حفظ القرآن الكريم، ثم يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين و اللغة التي تهيئهم لتلقي العلوم بالمساجد⁽³⁾.

كما تعتبر من المؤسسات التعليمية الهامة بالمغرب الإسلامي ، ظهرت عند عجز طاقة استقبال المسجد أو بسبب نجاسة الأطفال للمسجد بل أفتى بعضهم بعدم جواز تعليم الأطفال بها⁽⁴⁾ ونهي ابن عبدون عن ذلك بقوله: "ويجب أن لا يؤدب فيها الصبيان، فإنهم لا يتخبطون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولا بد ففي السقائف"⁽⁵⁾.

والكتاتيب جمع كتاب، أنشأت لِيُتَعَلَّم فيها القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وقد اشتق اسمها من علم الكتابة، وقد كان ظهورها مع الرسالة المحمدية، عندما جعل فداء بعض أسرى معركة بدر من الذين يحسنون الكتابة⁽⁶⁾.

يطلق على الكتاب القرآني في بعض الحواضر بالمغرب عامة والأوسط خاصة بالمسيد، وهو تحريف لكلمة مسجد⁽⁷⁾ وفي البوادي جامع لأن تعليم القرآن للصغار كان يقع منذ أيام الموحدين في المسجد

1) الكُتَابُ: موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والمكاتب، والمُكْتَبُ هو المعلم، وقال اللحياني هو الذي يعلم الكتابة، وقال الحسن: كان الحجاج مُكْتَبًا بالطائف، يعني معلما، وقال المبرد المَكْتَبُ موضع التعليم، والمُكْتَبُ المعلم، والكُتَابُ الصبيان. ابن منظور: المصدر السابق، ج 5، ص 3817.

2) المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان، فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي، ورايح بونا ر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 18.

3) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص 191.

4) الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، ومحمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981، ج 7، ص 83.

5) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمختسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 24.

6) مروان عبد الملك محمد: المقال السابق، ص 38-39.

7) عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، دار الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1985، ص 13؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص 51.

الجامع، والكتاتيب بهذا المعنى كانت تعتبر كمدارس أولية للصغار، حيث يحفظون القرآن و يتناولون مبادئ اللغة⁽¹⁾.

كانت الكتاتيب معروفة قبل الموحدين بالمشرق ، والمغرب والأندلس، حيث بدأت مع الفتح العربي، أواسط القرن الأول للهجرة، فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا قيروانهم، أول ما أنشأوا الدور والمساجد، ثم التفوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً "كتاباً" بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن وأمور دينهم⁽²⁾.

عندما هرب ابن تومرت من بجاية خائفاً واتجه إلى ملالة -على بعد فرسخ من بجاية-⁽³⁾ وبها يومئذ بنو ورياكل "من قبائل صنهاجة" فأووه، وأخذ ابن تومرت يدرس العلم أياماً من حمايتهم له، وكان يجلس تحت فرع شجرة على صخرة بقارعة الطريق، قريباً من ديار ملالة، على شكل كتاب ليس للصغار فقط بل لكل طالب علم، وهناك لقيه عبد المؤمن بن علي⁽⁴⁾.

والمغرب الأوسط كغيره من أمصار المغرب الإسلامي، لم يخرج عن هذا الوضع التعليمي العام، حيث يذكر لنا الغبريني أن بجاية كانت بها كتاتيب لها دور نشط باعتبارها حاضرة من حواضر المغرب الأوسط في العهد الموحد، وبين ذلك في ترجمته للشيخ أبي الحسن علي بن محمد الزواوي، حيث ذكر أنه لقيه وفرح به، حيث مسح على رأسه وقرأ عليه، وكان الغبريني آنذاك تلميذاً في الكتاب⁽⁵⁾.

عمل عبد المؤمن على نشر مبادئ الموحدين، فعمم التعليم بالكتاتيب و الرباطات التي كانت تعتبر من المعاهد العلمية و الحربية الهامة بالمغرب⁽⁶⁾ فكان أول من فرض على شعبه إجبارية و مجانية التعليم في المغرب الإسلامي، بل ربما كان "أول حاكم فعل هذا في العصور الوسطى"⁽⁷⁾.

فبقي شأن الكتاتيب في نمو و عددها في ازدياد وتكاثر في عواصم المغرب الأوسط والمدائن الكبيرة كبجاية وتلمسان والقلعة، وقسنطينة، حتى لم يخلو منها درب من الدروب أو حي من الأحياء، وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات، و"لا عجب أن اعتبرت

1) عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص13-14؛ وعثمان الكعك: المراكز الثقافية، ص51 مثل الجامع الكبير بتلمسان وبجاية.

2) مقدمة محمد العروسي المطوي، لكتاب آداب المعلمين لابن سحنون، دار الكتاب الشرقية، تونس، 1972، ص33؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ط1، القاهرة، مصر، 1995، ص78.

3) مجهول: الخلل الموشية، ص105-106. وملاية بعيدة حوالي سبعة كلم من بجاية.

Rachid Bouruiba. ABD AL - MU' MIN ,op.P 10.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص183. ابن خلدون: العبر، ج6، ص302-303؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص74.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص134؛ و السعيد عقبة، المرجع السابق، ص53.

6) مجموع رسائل موحدية، ص137.

7) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص291؛ والطاهر محمد توات: أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، 1993، ص11-12.

الكتاتيب في القدم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل أنها وجدت أيضا في دور الأعيان والأغنياء وبالأحرى في قصور الولاة والخلفاء"⁽¹⁾.

وقد كان الآباء لا يختارون لتعليم أبنائهم إلا من حسنت سيرته وظهر عفافه وطيبته في الوسط الذي يعيش فيه، إلى درجة أنهم كانوا لا يولون الأعزب تعليم أطفالهم⁽²⁾ كما يشترط في معلم القرآن المعرفة التامة بقواعد قراءة وتلاوة القرآن "المعلم الذي لا يعرف لإظهار والإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم، والترقيق، وغير ذلك، وأحكام القرآن لا تجوز له الخدقة"⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك سُمح للبنات بالتعلم بالكتاتيب وأخذ شيء من القرآن والأحاديث النبوية، وهذا ليس بجديد عن المغرب الإسلامي⁽⁴⁾.

ولمعلم القرآن أجره الخاص وهو ما يعرف بالخدقة، وهو ما حدده الفقيه المغراوي

(ت920هـ/1514 م) بقوله "أن الصغير إذا انتهى إلى حد الكتب في اللوح بالقلم، وقبل أن يتلقى ما يلقي، وأحسن الكتب، فلمعلم الخدقة ثمانية دراهم..."⁽⁵⁾ ورغم أن المغراوي عاش بعد الفترة الموحدية إلا أنه استشهد بآراء فقهاء عاشوا الفترة المعنية كابن الحاجب جمال الدين أبو عمران (ت 646هـ/1248م)⁽⁶⁾.

وكما كان الطالب النجيب يكافأ، كان المعلم يقوم بالإصلاح والزجر للطالب الكسول أو المخل

بالسلوك الحسن، دون تجريح أو انتقام أو تشفي "ينبغي على المعلم أن يؤدبهم على الكذب والسب والهرب من المسجد واليمين بالطلاق والحرام وغيره..."⁽⁷⁾ حيث كان المعلم الأكبر للموحدية والمنظر لهم وهو ابن تومرت متشددا حازما في أسلوبه التعليمي، إذ يذكر ابن القطان إصداره أمرا بتعذيب من لم يحفظ حزبه من الحضور بالسياط، ومن أظهر عنادا ورفض الامتثال قتل⁽⁸⁾.

1) ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص33.

2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 25؛ و ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 47-50؛ والمغراوي: المصدر السابق، ص35؛ ورشيدة برادة: الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق في المغرب الإسلامي، مجلة الجامعة المغربية، اتحاد المغرب العربي، طرابلس، ليبيا، العدد1، السنة الثانية، 2007، ص103.

3) المغراوي: المصدر السابق، ص24.

4) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص501.

5) أنظر: جامع جوامع الاختصار، ص18-24.

6) إلا أنه أورد آراء لبعض الفقهاء ترفض الإجارة على تعليم القرآن. المغراوي: المصدر نفسه، ص31-33.

7) هذا قول الجزولي صاحب دلائل الخيرات (ت 870 هـ/1465م) نقلا عن المغراوي: المصدر السابق، ص 39؛ وابن عبدون: المصدر السابق، ص25.

8) ابن القطان: المصدر السابق، ص82-83.

أما بالنسبة لمواد الدراسة وهي تعليم القرآن والصلاة وما يصحب ذلك من معرفة القراءة والكتابة، وبعض النحو والعربية⁽¹⁾ فكانت بذلك المادة العلمية تركز على نص القرآن الكريم، فتأخذ به حفظاً وضبطاً ورسمًا وتجويداً، لمختلف روايات قرائه، وأخيراً شرحاً لغريبه، وتفسيراً لمضمونه، واستخلاصاً لأحكامه، مع معرفة النسخ والمنسوخ منه، وغير ذلك⁽²⁾ ويضيف الرعيبي-وقد عاش في العهد الموحدى-في برنامجه أنه تعلم في الكتاب على يد شيخه أبي علي عمر بن أحمد بن عمر بن موسى الأنصاري المعروف بالزبار"القرآن برواية ورش ختمات لا يحصيها تدريساً وتجويداً...وتدربت عنده في شيء من الحساب والفرائض، وقرأت عليه جملة من اختصاره لكتاب مسلم بن الحجاج"⁽³⁾.

هذه هي العلوم الأساسية، وهناك الفنون التي استحسنت ابن سحنون(ت 256 هـ/869م)⁽⁴⁾ تعليمها الصبيان في الكتاب-لكن لم يجز المؤدب عليها ما لم يشترط أولياء الولدان دراستها واتفقوا معه عليها وهي الحساب والعلوم الأصولية الضرورية شرعاً، ثم الشعر، ثم أخبار العرب وأنسابهم⁽⁵⁾.

والمواد التي كانت تستخدم للكتابة، فبالإضافة إلى الألواح هناك، الأقلام الخاصة، المصنوعة تقليدياً، والمداد أو الحبر الصمغي المصنوع بطرق بسيطة⁽⁶⁾.

أما بخصوص أوقات الدراسة، والتدريس، فتذكر كتب التراجم، عندما تعرف ببعض الشخصيات، أن أغلب أوقاتها بعد صلاة الصبح، حيث يذكر الضبي أن عبد الحق الأزدي الاشبيلي(ت 581 هـ/1185م) خطيب بجاية قسم نهاره على أقسام، حيث كان إذا صلى الصبح في الجامع أقرأ إلى وقت الضحى، وكان لا يدخل بجاية أحد من الطلبة إلا سأل عنه ودرس عليه⁽⁷⁾.

1)صفية ديب: المرجع السابق، ص71.

2)ابن عبدون: المصدر السابق، ص 25؛ والونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص244، ص252؛ وعبد الله المرابط الترغبي: المرجع السابق، ص430-431.

3) الرعيبي: برنامج شيوخه، تحقيق إبراهيم شيوخ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962، ص7-8.

4) هو أبو عبد الله محمد بن سحنون (202-255هـ/817-868م)، وسمي بسحنون نسبة إلى طائر حديد لحدثه في المسائل.ابن مخلوف: المصدر السابق، ص70.

5) ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص44.

6) المغراوي: المصدر السابق، ص37-38.

7) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1989، ج2، ص508.

ت- الرباط⁽¹⁾.

تؤكد كتب التاريخ والكتابات المتعلقة بموضوع التصوف، أن الرباط والزوايا لعبا دورا هاما في نشر التعليم وتلقيه، لفئة كبيرة من المريدين، وذلك إلى جانب ما كانت تقوم به من وظيفة دينية محضنة، فالرباط كلمة أطلقت في أول الأمر على بناية مستقلة يربط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله، ورغم الطابع العسكري والدفاعي فقد كانت هذه الرباطات تقوم بأدوار دينية وتعليمية⁽²⁾ فبذلك كان للرباط دورٌ مهم في التدريس والعبادة ومنطلق للقضاء على الفتن، فهو بحق مدرسة ومعهدٌ ومهدٌ للدولة⁽³⁾. والرباط مدرسة ثانوية والتعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتاب فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الفقه وشعر المواعظ التي تسمى (الرقائق) والتي تعقد لها مجالس خاصة في يومي السبت والخميس من كل أسبوع⁽⁴⁾.

كما لا يخلو الرباط من أناشيد دينية تسمى العادة والعمل فأما العادة، فهي أناشيد متّحدة بين جميع الأربطة أصلها بيزنطي كما يقول عثمان الكعاك وهي التي تولدت منها أناشيد الصوفية وأما العمل فأناشيد خاصة بكل رباط أو بمجموعة من الأربطة⁽⁵⁾.

فكان الرباط من المعاهد العلمية الهامة بالمغرب الإسلامي، و زادت أهميته في عهد المرابطين و الموحدين من الوجهتين الحربية و العلمية، ورغم أن الأربطة نشأت في أول أمرها بالشرق في مطلع الدولة العباسية غير أن أربطة المغرب الإسلامي كانت أكثر نفعا، فإلى جانب مهمة الرباط الحربية فهي مكان للعبادة و معهد تدرس به شتى العلوم، و كان على سواحل المغرب الإسلامي و لاسيما البحر الشامي ما يقارب من ألف رباط⁽⁶⁾ و أربطة صحراوية و مع مرور الزمن تطور بعضها إلى مدن و قرى

-
- 1) الرباطُ والرباطة هي ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا، والرباطُ هو المواظبة على الأمر، ومنه قوله تعالى "وصابروا وربطوا" قيل معناها المحافظة على مواقيت الصلاة، وقيل ترابط الماء في مكان كذا إذا لم يبرحه، وقيل الرباط هو الفؤاد كأن الجسم ربط به، ورجل رباط الجأش أي شديد القلب والصبر. ابن منظور: لسان العرب، ج 3، ص 1561؛ إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص 24.
 - 2) أنشأت الرباطات أول الأمر بالشرق في مطلع الدولة العباسية، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن ثغور الدولة ودفع المغيرين والمهاجمين من النصارى، غير أن أربطة المغاربة كانت أكثر نفعا وأبعد أثرا إذ مهمته لا تقتصر على التربص بالعدو على الثغور، بل أصبح معهد علمي تدرس به سائر العلوم وخاصة الدينية، كما يعتبر مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب وهو دار لنسخ الكتب ومستشفى للمرضى. يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 2، ص 479؛ ومحمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987، ص 267؛ ورشيدة برادة: المرجع السابق، ص 112.
 - 3) صفية ديب: المرجع السابق، ص 250.
 - 4) عثمان الكعاك: المراكز الثقافية، ص 18.
 - 5) نفس المرجع والصفحة .
 - 6) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 292-293.

تجمّع فيها السكان لتوفر الأمن و كسب العيش و طلب العلم ⁽¹⁾ و تحول بعضها إلى زوايا دينية للصوفية.

وقد تقام بجانب الرباط أسواق للبيع والشراء وقد تشيد به الدور والمرافق وقد يبلغ من اتساع المرافق والمنشآت إلى أن يتحول إلى مدينة قارة كما حصل في رباط الفتح عاصمة المغرب اليوم التي كانت بالأساس رباطا أقامه عبد المؤمن الموحي على ساحل الأطلسي وكمدينة تازة التي أسسها أول ما أسسها عبد المؤمن نفسه رباطا ثم أصبحت فيما بعد مدينة ⁽²⁾.

هذا واختلف دور الرباط بين عصري المرابطين والموحدين في تكوين ثقافة الإنسان، فقد كان في عصر المرابطين مؤسسة فرعية ثانوية، بينما في العصر الموحي تطورت وظيفته من مهام الجهاد إلى الدعوة الموحدية، ونشر الأفكار التومرتية، بل تعدت مهمته لصناعة الحبر والرق والكاغظ التي توزع مجانا لطلبة العلم ⁽³⁾.

فالتعليم الرباطي عمليا فوق برنامج الكتاب، ودون برنامج الجوامع، أي انه جملة من التعاليم البسيطة كالتعاليم السلفية، فالتفسير ظاهر مقيد بخصوص اللفظ لا بمطلق المعنى ⁽⁴⁾.

ساهم ابن تومرت (ت 524هـ/1129م) بمنهجه التربوي السديد في عصر الموحدين إكمال رسالة الربط التي بدأها أهله المصامدة ⁽⁵⁾ وطور بساطة التعاليم الرباطية، إذ جعل علم الكلام وعقيدة التوحيد أساسا للثقافة الموحدية، وأنشأ رابطة في بداية دعوته الإصلاحية لتكون مقرا للعلوم ⁽⁶⁾ حيث عوض ابن تومرت الشيخ الفقيه عبد الواحد عمر التونسي الذي اتجه إلى رباط تلمسان على رباط ملالة ⁽⁷⁾.

ولا يخفى أيضا ما قامت به الرُّبُط (جمع رباط) في الجانب الثقافي في القرنين السادس والسابع الهجريين خاصة رباط أولاد أمغار الصنهاجيين في تيط، ورباط تينمل دار الموحدين، وأهل مدينة العباد قرب تلمسان حيث مدفن أبي مدين الغوث، في ميدان تثقيف الجماهير المغربية ونشر تعاليم الدين القويم ولغة العرب في مجاهل الأطلس والصحراء ⁽⁸⁾.

1) عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، جامعة قار يونس، ط1، بنغازي، 1998، ص114.

2) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص479.

3) محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص279، ص282.

4) عثمان الكعّك: المراكز الثقافية، ص45.

5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص301. حيث يضيف ابن خلدون أن ابن تومرت كان يلبس العباة المرقعة وله قدم في النقشف والعبادة. أنظر: العبر، ج6، ص305.

6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص252.

7) ابن القطان: المصدر السابق، ص77؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص166؛ وهويشي ميراندا: المرجع السابق، ص47.

8) عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، ط3، الرباط، 1963، ج1، ص129.

أما في المغرب الأوسط فإن ببونة(عنابة ورباط أبي مروان العابد الشهير) ومرسى الخزر وشرشال وهنين ووهران(رباط صلب الفتح)⁽¹⁾ بها رباطات واضحة المعالم إضافة إلى رباط بجاية أو ملالة الذي كان فيه عبد الواحد عمر التونسي⁽²⁾ وزاوية أو رباط الزواوي⁽³⁾ أما المدينة التي يتضح فيها دور الرباط العمراني فهي مدينة تلمسان⁽⁴⁾ من خلال رابطة العباد وزاوية شالة⁽⁵⁾.

عرفت المدينة على عهد الموحدين تحصينات ومعازل حتى أصبحت من أعز معازل المغرب وأحصن أمصاره ووفد عليه الناس من كل أنحاء الغرب الإسلامي فأضحت تلمسان وارثة لحواضر الساحل والداخل كأرشقول وتيهرت، وأهم أماكنها قرية أو رباط العباد، حيث مساجدها عامرة ولها مشاركة في الحياة الدينية والثقافية بقسط كبير فأنجبت الأخيار فكان لها بالبلاد شأن عظيم⁽⁶⁾.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الغبريني أن قبر عبد الحق الاشيلي البجائي(ت 581 هـ/1185م) الموجود خارج باب المرسى، وهو من القبور المزارة المتبرك بها، وكثيرا ما رأيت الطلبة يقرأون تأليفه عند قبره رضي الله عنه، وأما الشيخ المبارك أبو علي الأركشي، فإنني ختمت قراءة العاقبة - وهو أحد مؤلفات عبد الحق البجائي - بين يديه على قبره رحمهما الله⁽⁷⁾.

كذلك وجد هناك رباط معروف في مدينة أخرى لا تقل عن تلمسان أهمية في العهد الموحد هي مدينة بجاية، بل ضاهى رباطه رباط العباد استقطابا للطلبة والعلماء وهو رباط أبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي، عرف بابن ييكي، من أهل قلعة بني حماد، صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن ييكي، بداخل باب أمسيون، من أعلى سند بجاية⁽⁸⁾ و بها قبره رحمه الله وقد توفي في القرن السابع الهجري⁽⁹⁾ وكان لكل رباط مكتبة مقامة في الجدار على هيئة طاقات في الحائط بها النسخ الأصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف⁽¹⁰⁾.

1) لما نزل تاشفين بن علي وهران سنة 539هـ/1145م صعد رباط صلب الفتح، الذي عرف في العهد المرابطي برباط صلب الكلب. مجهول: الخلل الموشية، ص132.

2) ابن القطان: المصدر السابق، ص77؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص106.

3) ابن الحاج: فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص128.

4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص28.

5) العبدري: المصدر السابق، ص9-10.

6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص92.

7) أنظر: عنوان الدراية، ص75.

8) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص222.

9) عادل نويهض: المرجع السابق، ص352.

10) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص293؛ ومحمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص293؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص253.

إضافة إلى رابطة ابن الزيات التي كان يقيم بها عدد من طلبة أبي مدين ، يؤدون فيها أورادهم ومجاهداتهم مثل الصلاة⁽¹⁾ ومع ازدهار الرباطات وانتشار التصوف، كثر الشيوخ و المريدون وأصبح من الضروري بناء زاوية لإيواء الزوار وطلبة العلم، ومن ثمَّ حلَّ لفظ الزاوية⁽²⁾ محل الرباط، ويعرف هذا النوع بالزاوية الشعبية التي تعلم وتأوي الزوار وتطعمهم أثناء إقامتهم بها⁽³⁾.

وأهم الزوايا التي نعرفها في العهد الموحدى الزاوية التي ذكرها الغبريني المعروفة بزاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت 622 هـ/1263م)، حيث كانت تأوي الطلبة ومريدي الشيخ⁽⁴⁾ و زاوية أبو حجلة عبد الواحد بتلمسان⁽⁵⁾ و زاوية أبو زكريا يحيى الزواوي ببجاية (ت 611 هـ/1215م)⁽⁶⁾.

إضافة إلى الزوايا التي أسسها الشيخ أبو محمد صالح الماجري (ت 631 هـ/1234م) والتي انتشرت من المغرب إلى مصر وبلغت ستا وأربعين زاوية⁽⁷⁾ منها الزاوية الحسناوية ببجاية⁽⁸⁾، التي كانت منارة يتلقى فيها المريدون التصوف على تعاليم أبي محمد صالح الماجري، إضافة إلى زاوية سيدي موسى أو يحيى بمنطقة سيدي عيش، التي تأسست بين القرنين 6 و7 هجريين⁽⁹⁾، و زاوية العلامة الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي (ت 670 هـ/1271م) بتوات وقبره معروف بزار له بأولاد أوشن، وقد أسس الزاوية سنة 581 هـ/1185م⁽¹⁰⁾.

فأصبحت الزوايا منبعاً للعلم والفقهاء، ومنبراً للأخلاق والفضيلة وعاملاً من عوامل تثقيف المجتمع وتربيته وتهذيبه وإصلاحه⁽¹¹⁾ هذا ولم يعرف المغرب الزوايا بهذا المعنى إلا بعد القرن الخامس الهجري في⁽¹²⁾.

-
- 1 ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقيير، نشر وتصحيح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي، مطبعة أكادال، الرباط، 1965، ص37.
 - 2 الزوايا مفردتها زاوية وهي من الانزواء ومعناها الانعزال والخلوة، وزويت بمعنى جمعت ، أو قربت منها، و زاوية البيت ركنه، والزاوية موضع بالبصرة. ابن المنظور: المصدر السابق، ج3، ص1894-1895.
 - 3 رشيدة براءة: المرجع السابق، ص 113. ويضيف بلغيث أنه إثر المنافسة المحتملة بين الرباط والمؤسسات الأخرى من زاوية ومدرسة ومسجد وجامعات انزوت الرباطات على نفسها، وتحولت إلى مأوى للصوفية. المرجع السابق، ص282.
 - 4 الغبريني: المصدر السابق، ص162-163؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص57.
 - 5 محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص282.
 - 6 الغبريني: المصدر السابق، ص137، ص138.
 - 7 يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص482.
 - 8 هو أبو الربيع سليمان بن جبوش الحسناوي مؤسس الزاوية خلال النصف الأول من ق7 هـ/13م. الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص131.
 - 9 أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص67.
 - 10 محمد بن عبد الكريم البكري: درة الأقلام، ورقة 6.
 - 11 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص7.
 - 12 يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص481-482.

ث- المدرسة⁽¹⁾

المدارس هي تلك الأماكن أو الدور أو المباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم و يتولى التدريس فيها معلمون و أستاذة و علماء و يعود سبب ظهور المدرسة إلى كثرة العلوم المتداولة في المسجد، وتشعب مهامه من اجتماعية، ودينية، وعسكرية، وسياسية، فتم إنشاؤها للتكفل بالمهام التعليمية⁽²⁾. المصادر التاريخية متضاربة حول فترة ظهور المدارس بالمفهوم الدقيق في بلاد المغرب، فالبعض يرجعها إلى القرن (5هـ/11م)⁽³⁾ وآخرون إلى القرن (6هـ/12م)، وفريق ثالث للقرن (7هـ/13م)⁽⁴⁾ وقد ظهرت المدارس في المشرق ثم انتشرت في كل من بلاد الشام ومصر، ثم انتقلت إلى بلاد

1) المِدرَاسُ والمِدرَاسُ: الموضع الذي يدرس فيه، والمِدرَاسُ: الكتاب، والمِدرَاسُ: الذي قرأ الكتب ودرسها، والمِدرَاسُ: البيت الذي يدرس فيه القرآن وكذلك مدارس اليهود. ابن منظور: المصدر السابق، ج2، ص1360.

2) محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص58.

3) ظهرت أولاً في المشرق حيث عرف هذا النوع من المرافق التعليمية لأول مرة في مدينة نيسابور، وذلك بتشبيد المدرسة البيهقية في أوائل القرن 5هـ/11م، لكن مع هذا كله أجمعت الدراسات التاريخية على أن الإنشاء الحقيقي للمدارس، واهتمام الدولة بها، لم يكن إلا على يد الوزير السلجوقي نظام الملك (456-485هـ/1064-1092م) الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد. تقي الدين ابن زيد الجراعي: تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد، تحقيق صالح سالم النهام وآخرون، طبع المراقبة الثقافية، الفروانية، ط 1، الكويت، 2004، ص327-329. كما بنى عدّة مدارس في كل من البصرة والموصل وبلخ وهرات... وعُرفت جميعها بالنظامية لأنها أول مدرسة قُور فيها للفقهاء رواتب وأجور معلومة. المقرئزي: كتاب الخطط، مكتبة الثقافة الدينية، ط 2، القاهرة، 1987، ج2، ص163. أما في بلاد المغرب قام وجاج بن زللو اللمطي (ت 451هـ/1059م) ببناء دار لطلبته في السوس. التادلي: المصدر السابق، ص89. أما في المغرب الأوسط فقد أنشأ الناصر بن علناس في بجاية مدرسة أو معهد للتعليم العالي "التواتي" وكان يضم حوالي 3000 طالب وتدرس فيه كل المواد... مزهودي مسعود وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر، خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص125.

4) عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002، ج1، ص141. صافية ديب: المرجع السابق، ص256. أما في المغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية القرن 8هـ/14م حين قلده بنو زيان سلاطين بني مرين في تشبيد المدارس والاعتناء بها، والإشراف الشخصي عليها كتعيين المدرسين فيها. عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمتزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، 1993، ص111؛ ومحمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص72-73. بداية من القرن 7هـ/13م سجلت كتب التاريخ أن السلطان الحفصي أبو زكرياء (647هـ/1249م) قد أنشأ أول مدرسة بالمغرب الأدنى عرفت بالمدرسة الشماعية، والتي سميت فيما بعد بأمد المدارس، وكان ذلك فيما بين سنتي (663-674هـ/1235-1249م). الزركشي: المصدر السابق، ص33. ثم انتشرت حركة تأسيس المدارس إلى المغرب الأقصى، فتم بناء مدرسة الصغارين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 675هـ/1276م. الزركشي: المصدر نفسه، ص33؛ والقليصادي: الرحلة، دراسة وتحقيق محمد أبو الأحنان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص115؛ والونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص162.

المغرب⁽¹⁾.

إلا أننا نؤرخ لفترة مزدهرة علميا وثقافيا وفكريا، نؤكد اعتناء الموحدين ببناء المدارس قبل الحفصيين والزيانيين والمرينيين، وما قامت به تلك الدول ما هو إلا نتاج لتراكم معارف وخبرات سابقة من المرابطين والموحدين⁽²⁾، ولو أن مدارس الموحدين لم يبق لها أثر مادي، إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل أسماء ملوكهم وطابعهم الخاص⁽³⁾.

ورغم نفي بعض المراجع لظهور المدرسة قبل القرن السابع بالمغرب الإسلامي عامة، إلا أن هناك من يؤكد تأسيسها في العهد الموحد، وبالضبط على عهد الخليفة المرتضى، الذي أسس مدرستي "القصة" و"جامع المرتضى" وهو جامع ابن يوسف بمراكش⁽⁴⁾، ومنه انتشرت المدارس بالحواضر الكبرى للدولة الموحدية ومنها المغرب الأوسط.

بل هناك من يذهب أبعد من ذلك حين يذكر أن عبد المؤمن بن علي هو الذي أسس المدارس بمراكش، ثم عممها على كافة المغرب، ومنها المدرسة العامة لتخريج الموظفين وتكوين الإطارات الإدارية "مدرسة الحفاظ بمراكش"⁽⁵⁾ والمدرسة التي أسسها في الرباط لتعليم فن الملاحة⁽⁶⁾ ولعل هذه المدرسة البحرية هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي⁽⁷⁾.

وأقام الموحدون المجمعات العلمية التي تفردت بها مدينة مراكش، عاصمة الموحدين، وهو "مجمع الطلبة" أو ما يطلق عليه "بيت الطلبة" أو "مملكة الطلبة"⁽⁸⁾، الذي وضع كينته الأولى الخليفة عبد المؤمن الموحد، وهو بيت شبيه "بيت الحكمة" الذي كان ببغداد، مما ساهم في تنوير العقول وتفتح الأفكار

1) لكن في رأيي أن نظام المدرسة عرفه المجتمع الاباضي في المغرب الأوسط قبل غيره من المجتمعات، حيث يقول الشيخ البكري في مقدمة طبقات المشايخ " كانوا يسافرون في قوافل من العلماء بتلاميذهم، ومعهم مدرستهم المتنقلة وهي عبارة عن حمولة 12 بعيرا من الحصر ينصبونها كلما نزلوا مكانا فسيحا أهلا، وتتألف هذه المدرسة من أقسام: قسم للصلاة، وقسم للشيخ، وقسم للنساء، وبيوت للتلاميذ". الدرجميني: المصدر السابق، المقدمة، ص د.

2) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص251، 252.

3) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص26-27؛ والمغرب عبر التاريخ، ج1، ص345.

4) اكتشف محمد المنوني وافية كتابين حبسهما الخليفة المرتضى على مدرستين بمراكش هما مدرسة القصة ومدرسة جامع المرتضى إلا أن ندرة المعلومات في المصادر الحالية لا تسمح بتكوين فكرة عن هذه المدارس فلا نعرف تاريخ تأسيسها، بل كل ما نعلم هو تاريخ تجييس الكتابين على المدرستين المذكورتين سنة 658هـ/1259م. صفية ديب: المرجع السابق، ص 259؛ ورشيدة برادة: المرجع السابق، ص119-120.

5) مجهول: الحلال الموشية، ص150-151؛ والمنوني: المرجع السابق، ص17.

6) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص345.

7) صفية ديب: المرجع السابق، ص259.

8) المنوني: المرجع السابق، ص17.

والمدارك للوصول إلى الدرجات العليا من الثقافة العلمية، وإذا علمنا أنه كانت هناك وظيفة يسمى صاحبها رئيس الطلبة، فغير بعيد أن يكون هو عميد هذا البيت⁽¹⁾.

يقدم لنا ابن القطان دليلاً على إنشاء عبد المؤمن لمدرسة للطلاب فيها حتى النظام الداخلي، وأجرى على طلبتها الفقراء منحة خاصة بقوله "ومن مكارمه العظيمة... حظه الناس على العلم، وإرادته لهم ولبنيتهم ما يريد لنفسه ولبنيتهم، واستدعاؤه الصبيان الصغار الأسنان، من أبناء اشبيلية، وقرطبة، وفاس، وتلمسان، إلى حضرته العليا ليعلمهم، ويحفظهم القرآن وحديث النبي (ﷺ)، فانتخب الأولاد النجباء الحفاظ من كل بلد... فكان عدد الذين توجهوا من اشبيلية خمسين صبياً"⁽²⁾ ولم يذكر عدد صبيان تلمسان إلا أنه يؤكد يضاهاي هذا العدد أو يفوقه.

كما يضيف ابن القطان مبيناً إقامتهم في نظام داخلي بقوله "وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة وجباية بالغة، وأستاذاهم المذكوران -أي أبو الحسن نجبة و الأستاذ أبي بكر الحصار -معهم ستة أشهر، حتى بدا عليهم نور الإمامة، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة"⁽³⁾ رغم أن أغلبها كان يرمي إلى تخريج الجند البارعين، وتثقيف العقول⁽⁴⁾.

إضافة إلى قيام يعقوب المنصور ببناء المدارس، في الأندلس والمغرب⁽⁵⁾ واختط بعضها خارج مراكش، حيث أنشأ بها خزائن الكتب، ومدرسة المسجد الأعظم بطالعة سلا⁽⁶⁾ والمدرسة التي سلمها لأبي العباس السبتي، كما ألحق بالمدارس بيت الطلبة بمراكش والذي امتحن فيه ابن عات (ت 609هـ/ 1212م) في كتاب مسلم، وهو يفيد أنه كان معهداً للمناظرة، وامتحن الواردين من طلاب العلم على مراكش⁽⁷⁾.

و يدعم ابن الخطيب مساهمة يعقوب المنصور في إنشاء المدارس، من خلال القصيدة التي أوردها في ذكر ملوك الموحدون كما سماهم، عندما أتى على ذكر المنصور:

وكان ذا علم شهير وعمل
ونال من فعل التقى كل أمل
وشيد الآثار والمدارسا
ونـوّه القصور والمجالسا⁽⁸⁾

(1) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص138.

(2) ابن القطان: المصدر السابق، ص178-179.

(3) المصدر نفسه، ص179.

(4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص152.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص217؛ ومحمد المنوني: المرجع نفسه، ص18.

(6) السملالي: المرجع السابق، ج1، ص83.

(7) عبد الهادي حسييس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد 2، 1981، ص315.

(8) ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1895م، ص55.

وفي هذا السياق حرص الموحدون على تشييد المنشآت الثقافية المختلفة ومنها المدارس، ونظموا الحياة العلمية بها ويؤكد كلامنا هذا، ما يشير إليه الحسن الوزان أو ليون الإفريقي عن آثار مدينة مراكش بقوله "في هذه المدينة مساجد ومدارس وحمامات وفنادق على الشكل الإفريقي، من هذه المساجد ما بناه ملوك لمتونة -أي المرابطين- ومنها ما بناه من خلفهم ملوك الموحدين" (1) ويدعم قوله مرمول المعاصر للوزان بقوله "توجد قرب هذا الجامع مدرسة عتيقة تدعى أيضا مطرقة العلوم، بناها أيضا عبد المؤمن، كان فيها قديما عدد كبير من الطلبة، مع أساتذة كثيرين، يلتقون الفلك والتنجيم مع فنون أخرى وعلوم الطبيعية، كما كانت تدرس بها العربية والشريعة الإسلامية" (2).

و يضيف الوزان في وصفه لآثار مراكش الموحدية "وفي القصبة أيضا مدرسة في غاية الحسن، أو على الأصح مؤسسة معدة للدراسة، وسكنى مختلف الطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة، وقاعة في الطبقة الأرضية، كانت تعطى فيها الدروس فيما سبق، وكان كل طالب مقبول في المدرسة، يُنفق عليه، ويكسى مرة في السنة، ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مائة مثقال حسب نوع الدروس المطوقين بإلقائها" (3).

هذا ولم يكن يُقبل في هذه المدرسة إلا من كان يعرف مبادئ العلوم معرفة تامة، وهذه البناية - أي المدرسة - مزخرفة بالفسيفساء البديعة، وحيث لا توجد فسيفساء تغطي الجدران الداخلية بزليج من الطين المشوي اللامع المقطع على شكل أوراق رقيقة أو بمواد أخرى بدل الفسيفساء، وذلك على الأخص في قاعة الدروس والممرات المسقوفة، وفناء المدرسة المكشوف كله مفروش بالزليج اللامع... وكان بالمدرسة قديما -أي في العهد الموحد- حسبا سمعت عدد كثير من الطلبة لكنهم اليوم لا يتجاوزون خمسة" (4).

كما يذكر المراكشي ما ناله الطلبة في عهد المنصور، من عناية -وحسد من شيوخ الموحدين لتقريبه أياهم وخلوته بهم بدوئهم- فقال لهم المنصور: "يا معشر الموحدين، أنتم قبائل، فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته، وهؤلاء -يعني الطلبة- لا قبيل لهم إلا أنا، فمهما ناهم أمر فأنا ملجؤهم وإلي فرعهم وإلي ينتسبون، فعظم ذلك اليوم أمرهم، وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم" (5).

(1) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص 127.

(2) مرمول كرنخال: المصدر السابق، ج 2، ص 49.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 131-132.

(4) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص 132. وما يؤكد قولنا أن المدرسة التي كان يصفها تعود إلى الفترة الموحدية استمراره في

الحديث عن الخلفاء الموحدين بقوله: "ورغم قلة آثار الماضي الباقية بهذه المدينة، فإنها تدل على الفخامة والعظمة السائدتين في عهد

المنصور... لقد كان المنصور الموحد حقا ملكا عظيما...". نفسه، ج 1، ص 134.

(5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 199.

ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون مدرسة المسجد الأعظم بالمطاعة في سلا، وقد انطمست معالمها بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة، ثم مدرسة بمراكش حسبها المنصور مع دار للسكنى على أبي العباس السبتي⁽¹⁾ ولا نستبعد أن تكون في كل جامع أعظم في الولايات الرئيسية مدرسة تابعة له، كجامع تلمسان، وبجاية.

ولعلها المدرسة التي وصفها الوزان بمراكش بقوله "ويوجد أيضا بعيدا من هنا قصر جميل آخر، كان يستعمل مدرسة لأبناء الملك، وأبناء أسرته، ترى فيه قاعة مربعة في غاية الحسن، يحيط بها ممر مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملون، وحول القاعة خزانات كثيرة مصنوعة من الخشب المزخرف بنقوش مذهبة"⁽²⁾.

هذا إضافة إلى مدارس أخرى كانت منتشرة في المراكز الثقافية بالمغرب الأوسط، خلال هذه الفترة، نظرا لعدم شهرتها كمدراس حاضرة الموحدين لم تتطرق إليها كتب التاريخ، أو لتركيز أغلب المؤرخين على عاصمة الموحدين، وقد تطرق إليها مؤرخون متأخرون عاشوا الفترة الزيانية كابن مرزوق، الذي تحدث عن المدرسة في تلمسان، وعن كل الملحقات التي تتبعها كالجناح الخاص لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل منهم⁽³⁾.

لقد حرص الموحدون على استجلاب العلماء إلى حضرتهم وحشدهم سواء في بلاطهم، أو في المعاهد من أهل كل فن من فنون المعرفة، وخاصة أهل علم النظر منهم، حيث كانوا يدققون في اختيار العلماء المدرسين، واختبار كفاءتهم، ومدى تمكنهم وتوسع مداركهم ومشاربهم⁽⁴⁾.
ومن أجل أن تؤدي المدرسة دورها التعليمي على أحسن وجه خلال هذا العهد وفرت لها الإمكانيات، فاشتملت على قاعات لمجالس المحاضرات، وأماكن لإقامة الطلبة وعين فيها المدرسون والمشرفون على المكتبات الملحقة بها⁽⁵⁾، كما خصصوا منحا للطلبة خاصة الفقراء منهم، ويوضح لنا ابن القطان ذلك بقوله "هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء، والإقلال عليهم ظاهر، فنرى أن ندفع إليهم مالا..."⁽⁶⁾.

1) السملالي: المرجع السابق، ج 1، ص 269.

2) الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج 1، ص 133. ونستدل أن الآثار التي يتحدث عنها الوزان تعود إلى الموحدين، بقوله: "لم يضر مراكش من هذه التغيرات في الحكم أكثر مما أضربها بنو مرين الذين استقروا بفاس وأقاموا فيها بلاط ملكهم". نفسه، ج 1، ص 130. أي أن آثار القصور التي يصفها وبداخلها مدرسة تعود إلى الموحدين باعتبار إهمال بني مرين لها.

3) محمد ابن مرزوق الخطيب: المجموع، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم 20، ورقة 38.

4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص 71؛ وعليه الأندلسي: المرجع السابق، ص 1.

5) مرمول كرنخال: المصدر السابق، ج 2، ص 52. حيث يضيف "إلى الجانب الآخر للقصر الملكي، بناية أخرى عظيمة على الطراز القديم كانت تستعمل كمدرسة لأبناء الملك وأكابر الأمراء، فيها قاعة كبيرة جميلة مربعة تحيط بها من كل جانب رفوف أو خزانات لحفظ الكتب" نفسه، ج 2، ص 52.

6) ابن القطان: المصدر السابق، ص 177.

كما وُقفت على المدارس عدة مصادر مالية من قبل الولاية-أحباس الدولة الموقوفة- أو ميسوري الحال من أهل المغرب، وحبست الكتب والمصاحف في مكتباتها خدمة لروادها، وذلك بهدف ضمان استمرارية منحها الموجهة للطلبة، وأجور الأساتذة، حتى أصبحوا يعيشون على نفقة المدرسة الغنية جدا-على تعبير مرمول-لأن أفضل ممتلكات المدينة كانت لها⁽¹⁾.

كان التعليم الثانوي أو الاحترافي يتم في المدارس⁽²⁾، فبعد أن يتمكن الطلاب من حفظ القرآن الكريم والإمام بمبادئ المواد الأساسية الأخرى، كالخط والكتابة واللغة، وعلم القراءات في المرحلة السابقة التي تتم في المساجد والكتاتيب، يُجدهم في هذه المرحلة ينكبون على دراسة مختلف التخصصات العلمية، وكذا أصناف العلوم المعروفة آنذاك من العلوم الدينية كعلم التفسير والقراءات⁽³⁾ ومعرفة علوم الحديث والفقهاء المالكي-عند عامة الشعب-⁽⁴⁾ والظاهرية-عند الطبقة الحاكمة-⁽⁵⁾ وسنفسر المذهبيين وحالة الصراع بينهما في الفصول التالية، وعلم الفرائض مقرون بعلم الحساب⁽⁶⁾ ثم علوم اللغة العربية وآدابها⁽⁷⁾.

عندما أنشأ الموحدون المدارس قاموا باستدعاء أبرز العلماء للتدريس فيها، مما سمح لهم بتوجيه نمط التعليم بالمغرب الأوسط، وكان يدرس الطلبة في هذه المرحلة أساتذة مختصون ومشهود لهم بالفوق في مختلف المواد العلمية، سواء النقلية أو العقلية، وقد أوردت كتب التراجم العديد منهم.

بذلك يعد بناء المدارس في هذا العهد من مظاهر التقدم العلمي، وقد أصبح تقليدا متبعا حتى من أفراد الشعب⁽⁸⁾ أما أول من أسس مدرسة خصوصية بالمغرب على النموذج الشرقي، فهو عالم من سبتة يدعى علي بن محمد الشاري⁽⁹⁾، ويحدثنا عنه صاحب صلة الصلة بقوله: وكان قد تحصل عنده من الأغلاق النفيسة، وأمهات الدواوين العلمية ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره، ولا تحصل عند كثير

-
- 1) مرمول كربخال: المصدر نفسه، ج2، ص49.
 - 2) يذكر شيخنا الكريم عبد الرحمان الجيلالي أن من بين طلبة المغرب الأوسط محمد بن حسون الجزائري الذي نزل إشبيلية، وانخرط في سلك طلبة معهد بني نجران. تاريخ الجزائر، ص39.
 - 3) الغبريني: المصدر السابق، ص146؛ والمقري: المصدر السابق، ج2، ص189؛ والتنبوكي: المصدر السابق، ص320.
 - 4) التادلي: المصدر السابق، ص428.
 - 5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198؛ ومحمد المنوني: المرجع السابق، ص37.
 - 6) الغبريني: المصدر نفسه، ص227.
 - 7) نفسه، ص85، ص225، ص228؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648.
 - 8) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص138.
 - 9) هو علي بن محمد بن علي بن يحيى بن عبد الله أبو الحسن، سبتي، شاري الأصل-منطقة الشارة بشرق الأندلس- وانتقل منها أبوه سنة 562 هـ/1166م، وولد سنة 571 هـ/1170م بسبتة، اقتنى من الدواوين شيء عظيم، وتوفي في ملقة سنة 649 هـ/1251م؛ وابن الأبار: التكملة، السفر الثاني(طبعة مدريد)، ص687؛ وابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص485-486. ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974، ص485-486.

من تقدمه، وبني مدرسة ببلده سبته ووقف عليها من الكتب ما يحتاج إليه، وشرع في تكميل ذلك على النسق الجاري بالمدارس ببلاد المشرق، فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفن⁽¹⁾.

فنشط أهل العلم قاطبة، بإدراك الخلفاء الرزق عليهم، وشمولهم بعنايتهم وخالطوهم في مجالسهم، وأنشأوا المدارس وكفوا طلبتها مؤنة الاسترزاق⁽²⁾.

وكان للعلماء والفقهاء والمتصوفة والمعلمين يد بيضاء وأعمال ناصعة، في نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية، في مدارس تلمسان العديدة ومساجدها الكثيرة وزواياها، وباع طويل في نسج التراث الإسلامي، وتركوا بصمات فكرية رائدة وحركة تنويرية واسعة للعلوم الإسلامية والمعارف المختلفة⁽³⁾.

حيث ذكر الغبريني أن محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي⁽⁴⁾ عندما عاد من رحلاته استقر ببجاية وجلس للأستاذية مرفعا مكرما⁽⁵⁾، وهو منصب الأستاذ الذي لا يقال إلا للمدرس الذي يشتغل في المدرسة، وحتى كلمة مرفعا مكرما تدل على الرفعة في المكانة، والكرم عليه من خلال راتب وهبات و مكانة من الوالي أو ما شابهه.

كما أن عبد الله بن محمد بن علي الأشيري (ت 561 هـ/1165م)، عندما وصل حلب ونزل عند محمود الغزنوي، أصبح معه مدرسا بمدرسة الحلاويين ظاهر باب الجامع وأقام عنده إلى سنة 559 هـ⁽⁶⁾ وهذا يدل على معرفة وإطلاع أهل المغرب الأوسط على المدرسة ونظامها والتدريس بها حتى قبل الدولة الزيانية.

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص197.

2) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القدم والحديث، تقدم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، ج 2، ص335.

3) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص7.

4) هو الشيخ الفقيه المالكي النحوي والأستاذ المقرئ، أبو عبد الله بن محمد المعافري، القلعي المعروف بابن الخراط، أحد الثقات، الإثبات، الصلحاء الرواة، قرأ بقلعة بني حماد، ولقي بها مشايخ منهم الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي، والأستاذ أبو الحسن علي بن شكر بن عمر القلعي، وأخذ عن الخطيب المقرئ النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، والفقيه الفاضل الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الرماح، وغير هؤلاء انتقل إلى بجاية واستوطنها وأقرأ بها، وجلس للأستاذية، وانتفع الناس به. الغبريني: المصدر السابق، ص140، وقد خطب بالجامعين الأعظم، وجامع القصبية وتوفي مع بداية القرن 7 هـ/13م. عادل نويهض: المرجع السابق، ص131.

5) الغبريني: المصدر نفسه، ص140.

6) القفطي: المصدر السابق، ج2، ص138-139.

والفقيه التلمساني إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن محمد بن موسى التحجبي (1) (ت663هـ/1264م) المالكي العدل أبو إسحاق (2) عندما توجه من مكة إلى مصر درس في مدرسة بني عوف بالإسكندرية، وأقرأ وأفقي وصنف "شرح الجلاب" (3)، انتفع به الطلبة كثيرا (4).
كذلك فعل أبو علي الحباك (5) من أهل تلمسان حينما كان يجمع تلاميذته في بيته للتدريس، رغم قلة أمواله وإمكانياته حيث لم يستطع حتى توفير لهم حصير للجلوس عليه (6) أما أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح (الجزائري) الذي جال في أنحاء الأندلس، ثم عاد إلى بجاية سنة 623 هـ/1226م (7)، واشتغل بالتدريس بها (8)، وإيراد الغبريني لكلمة إشتغل بمعنى أنه كان يمارس شغلا منظما هو التدريس، وهذا يعني وجود نفس المدارس التي وجدت في عهد الغبريني، الموافق للعهد الزياني والمريني.

وما من شك في أن كثرة المدارس والمساجد التي أنشأها الموحدون، كان لها أكبر الأثر في تخريج أجيال كثيرة من العلماء منهم عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي الذي نشأ بتونس، وتوفي بقسنطينة عام 636 هـ/1238م، أحد الأشياخ المنتصبين للتدريس والرواية (9) وكان ذا حضوة من قبل ولاية بني عبد المؤمن ببجاية (10) وكذلك أبو محمد المحاصي البكاء (11) من أهل الحديث والدين والورع، زاهد، كثير البكاء حتى اشتهر به، ذو مواظب حسنة وتدریس للعلم (12).

-
- 1) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ط 1، القاهرة، مصر، 1984، ج 1، ص 186.
 - 2) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان، 2008، ج 2، ص 518.
 - 3) الحسيني: المصدر السابق، ج 2، ص 518. أما عند الذهبي وابن تغري بردي "شرح الخلافة". تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 1997، ج 49، ص 144.
 - 4) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج 1، ص 186.
 - 5) هو الشيخ أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك. ابن مريم: المصدر السابق، ص 114. قدم مراکش، ثم توجه إلى مكة فغرق في بحر المشرق في حدود سنة 613 هـ/ 1216 م. التادلي: المصدر السابق، ص 436.
 - 6) التادلي: المصدر نفسه، ص 436.
 - 7) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص 177؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص 28-29.
 - 8) الغبريني: المصدر نفسه، ص 225.
 - 9) الغبريني: المصدر نفسه، ص 271.
 - 10) نفسه، ص 271-272.
 - 11) هو عبد الله بن عبد الواحد المحاصي البكاء، توفي سنة 641 هـ/1234 م. ابن مريم: المصدر السابق، ص 121؛ والمقري: المصدر السابق، ج 5، ص 229-231.
 - 12) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 106.

ولما توفي حجاج بن يوسف الهواري البجائي ⁽¹⁾ سنة 572هـ/1176م، صلى عليه السلطان وحضر دفنه "وقد نال جاها عظيما في حياته" ⁽²⁾ وهذه كلها تبين لنا مكانة المدرسين والمعلمين.

كما تبين لنا كتب البرامج والفهارس، بعض المواد الدراسية التي كان يعتمد عليها شيوخ المغرب عامة- ولا يختلف عنها المغرب الأوسط- في تلقينها بالمدارس، حيث كانت تعتمد على مواد الدراسة القرآنية، التي تبتدئ مع الصبي، وتستمر إلى وقت غير محدود ⁽³⁾، وتقسم مادة النص القرآني إلى مستويات ثلاثة تتعاقب فيمثل كل مستوى منها مرحلة من مراحل الدراسة التي يمارسها الطالب وهي:

* مرحلة حفظ القرآن واستظهاره عن ظهر قلب في الكتاتيب، وهي أول المراحل التعليمية عند الطالب، وهي لا تتناول حفظ القرآن إلا برواية ورش ⁽⁴⁾، حتى إذا اكتمل حفظ القرآن بهذه الرواية، زواج الطالب بينها وبين حفظ متون العلوم المختلفة في علوم القرآن ⁽⁵⁾، والنحو واللغة والفقهاء وغيرها.

* مرحلة أخذ مصنفات علم القراءات حفظا وبجنا وتحقيقا، وهي مصنفات عديدة تتناول الضبط والرسم والتجويد والإدغام ومخارج الحروف، بالإضافة إلى القراءات، وخلالها يبدأ الطالب في عملية الإسناد، وهذه المواد يستكمل بها الطالب معرفته بالنص القرآني ورواياته الشهيرة ⁽⁶⁾.

* مرحلة أخذ القرآن بالتفسير والفهم ويتم ذلك من خلال مجموعة من المصنفات -التفسير- وكتب شرح غريب القرآن، وأحكام وإعرابه وناسخه ومنسوخه، وهي عملية يصحبها ملازمة الشيخ والجلوس إليه، مع أخذ بقية المواد الأخرى من حديث وفقه وأصول ونحو ولغة... الخ ويتقرر في هذه المرحلة التخصص الذي يرغب فيه الطالب المغربي لاستكمال دراسته ⁽⁷⁾.

هذا كله يعتبر حد أدنى ذكرته البرامج والفهارس، وكأنه مقرر شبه رسمي يأخذ به الطالب المغربي في مختلف مراحل التعليم، وأهم كتب التفسير التي كان شيوخ المغرب الأوسط يقدمونها لطلبتهم، منها

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص 138؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 336-337.

(2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد) ج 2، ص 279؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص 150.

(3) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 430.

(4) الوادي أشي: المصدر السابق، ص 43 وورش هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن سليمان بن إبراهيم -وقيل عدي بن

غزوان- بن داود بن سابق أبو سعيد-وقيل أبو القاسم- أبو عمر القريشي مولاهم القبطي المصري الملقب بورش، شيخ المحققين وإمام

أهل الأداء المرتلين، ولد سنة 110هـ/728م بمصر، وتوفي بها سنة 197هـ/812م وقيل أن الورش شيء يصنع من اللبن لقب به

لبياضه. ابن الجزري: المصدر السابق، ج 1، ص 446-447.

(5) منها قصيدة الحصري (هو الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري القروي الحصري، وهي مئة بيت وتسعة أبيات، ص 488

هـ/1075م). التجيبي السبتي: برنامجه، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1981، ص 42؛ وابن

بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1989، ج 2،

ص 627. وقصيدتا الشاطبي حرز الأمان، وعقيلة أتراب القصاصد. عبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص 431.

(6) نفسه، ص 431.

(7) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 431.

تفسير أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بعنوان "الكشف والبيان في تفسير القرآن" وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، وكتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم الترتيل تأليف أبي العباس أحمد بن عمار المهدي وكتاب الكشاف عن حقائق الترتيل لأبي القاسم محمود الزمخشري⁽¹⁾.
وأكد أن ما جرى في حواضر العدو، جرى في حواضر المغرب الأوسط من تدريس للغة العربية والنحو وأهم الكتب التي كانت تدرس كمنهاج متعارف عليه كتاب سيباويه⁽²⁾ 180هـ/
796م⁽²⁾، وكتاب الجمل للزجاجي⁽³⁾ 339هـ/950م⁽³⁾، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي⁽⁴⁾ 377هـ/987م⁽⁴⁾ إضافة إلى كتب ومؤلفات أخرى نذكر منها:

1) الغبريني: المصدر السابق، ص310-311. يقول صاحب الذيل أن أول من أدخله في الدولة الموحدية في حدود 595 هـ/ 1198 م هو أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي من أهل اشبيلية، وقد عارضه مالكية المغرب نظراً لاعتزاليته، إلا أنهم عرفوا كيف يتعاملون معه، بغض الطرف عن اعتزاليته وأبعدوا عنه ما يخالف عقيدة أهل السنة واحتفظوا منه بما أثار إعجابهم فيه من البحوث اللغوية والكشوفات العقلية. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 28-32؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص442.

2) كتاب سيباويه يعتبر أول المصنفات النحوية الكبيرة الأكثر رواجاً في تدريس النحو بالأندلس والمغرب الإسلامي، به يلحن النحو وبه تتم المناظرة، وأكثر الشروح والتعليقات النحوية عند الأندلسيين والمغاربة إنما تنطلق من الكتاب وأول من حمل الكتاب هو الأفشنتين ومحمد بن يحيى الرباحي. عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 448-449. وينتشر درس الكتاب، ويكثر تعاطيه في كل الحواضر ففي بجاية يدرك الغبريني الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي، الذي نقله بدوره عن أبو محمد عبد الله بن عبيد الله، وقد أخذته عن محمد بن عبد الرحمن بن معمر الملقب الأزدي وأبي الحسن الصفار، عن أبو بكر محمد بن هشام القيسي عن محمد بن فتحون بن مكرم التحيبي، عن محمد بن يحيى الأزدي عن أبي جعفر ابن النحاس، عن أبي إسحاق الزجاج، عن أبي العباس المبرد. الغبريني: برنامجه الوارد في عنوان الدراية، ص318.

3) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ألف عدة كتب مهمة منها الجمل، والإيضاح وكتاب شرح خطبة أدب الكتاب لابن قتيبة. ابن الأنباري: زهرة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط 3، الأردن، 1985، ص227. ودخلت جميع كتب أبي القاسم الزجاجي بما فيها الجمل بالمغرب والأندلس عن طريق المقرئ أبي الحسن الأنطاكي (هو علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشر من أهل أنطاكية، ولد سنة 299هـ/911م، وقدم الأندلس سنة 352هـ/963م، وتوفي بقرطبة سنة 377هـ/987م. لاحظ ترجمته عند ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، د تح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ج1، ص316)؛ والغبريني: المصدر السابق، ص319. كما يتحدثنا القلصادي عن درس الجمل بتلمسان على شيخه محمد الشريف. رحلة القلصادي: المصدر السابق، ص100؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص454.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص318. هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي النحوي، له كتب حسنة منها الإيضاح في النحو وكتاب الحجة في علل القراءات السبع وكتاب المقصور والممدود، وكان له مكانة كبيرة عند عضد الدولة ابن بويه الديلمي (ت372 هـ). ابن الأنباري: المصدر السابق، ص232-233. وكتاب الإيضاح متوسط يشتمل على مائة وستة وتسعين باباً في النحو والصرف، ألفه صاحبه لعضد الدولة، وقد دخل كتاب الإيضاح إلى المغرب الأوسط نقلاً عن أبي الحسن التبريزي (وهو بغدادي مكث في الأندلس أربع سنوات، ثم قفل إلى المشرق سنة 424هـ) وعن طريق أبي بكر بن العربي المعافري. الغبريني: المصدر نفسه، ص318؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص457.

كتاب القانون "الكراسة الجزولية" لأبي موسى الجزولي (ت 607 هـ/1210م)⁽¹⁾ وكتاب المفصل للزمخشري (ت 538 هـ/1143م)⁽²⁾.

أما مواد الدراسة الأدبية التي تمثل جانباً من الثقافة التعليمية التي يأخذ بها الطالب في مختلف مراحلها التعليمية، فيها يكمل البناء للتكوين العام في المغرب الأوسط، شأنها كشأن بقية مواد العلوم المختلفة الأخرى، تتضافر جميعها لتصنع هيكل الثقافة المغربية، تتمازج مع بعضها وتتداخل لتصبح رصيذاً واحداً من المهارة الفكرية، وهيئته للكتابة الأدبية، سواء في مجال التبويب والتأليف، أم في مجال الإبداع ككتابة الخطب والرسائل وقرض الشعر.

كما تعددت المصنفات الأدبية التي يؤخذ بها هذا الدرس، وتنوعت موادها المختلفة، من مصنفات أدب ومجاميع أشعار، وكتب لغة ونحو، وفوائد وأخبار... الخ، تنتمي إلى مؤلفين مشاركة وأندلسيين ومغاربة، وتتفاوت أزمنة تأليفها⁽³⁾.

ومن أهم هذه المصنفات الأدبية، والأكثر شيوعاً، والتي كانت تمثل مواد الدراسة الأدبية في المغرب الأوسط خلال هذا العهد، وهي تقوم عليها حلقات الدرس حفظاً وبجثاً وتحقيقاً وتدقيقاً وإعراباً، الكامل للمبرد (ت 285 هـ/898م)⁽⁴⁾، وأدب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ/889م)⁽⁵⁾ وكتاب المقامات لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري (ت 516 هـ/1112م)⁽⁶⁾

1) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير، تحقيق ليفي بروفنصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1938م، ص 53-54؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 246-254؛ والسملالي: المرجع السابق، ج 9، ص 404. وقد أخذ عنه الجزولية عند مقامه بجزائر بني مزغنة محمد بن قاسم بن منداس البجائي، الجزائري، الأشيري (ت 643 هـ/1245م) والتزم بتدريسه ببلده الجزائر إلى غاية وفاته. ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 753-754؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص 462.

2) الغبريني: المصدر نفسه، ص 318؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص 442.

3) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 474.

4) صنف عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت 561 هـ/1165م) كتاب هذّب فيه الاشتقاق الذي صنفه المبرد، وقد ذكر القفطي بأنه رآه بخط يده فأحسن فيه. الغبريني: المصدر السابق، ص 225. والكامل كتاب عرفه الأندلس والمغرب منذ عصوره المبكرة، وهو من أشهر كتب المبرّد واجلها شأنًا، والكتاب مجموعة من المختارات الأدبية يهتم من خلالها المبرّد بشرح المشكلات اللغوية والنحوية التي تثيرها تلك النصوص وإلى جانب تلك المختارات الأدبية يضم الكامل مادة غزيرة في التاريخ واللغة والأدب والنحو. لمزيد من المعلومات راجع مقدمة كتاب الكامل: تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط 3، بيروت، لبنان، 1997، ج 1، ص 7-28.

5) القاضي عياض: الغنية، فهرست شيوخه، تحقيق ما هر جرار، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1982، ص 175؛ والغبريني: المصدر السابق، ص 319. يرد في بعض النسخ أدب الكاتب، على غرار ما حققه محمد الدالي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

6) لم يبلغ كتاب من كتب الأدب في العربية ما بلغته مقامات الحريري من بُعد الصيت واستطارة الشهرة، ولم يكد الحريري ينتهي من إنشائها حتى أقبل الوراقون في بغداد على كتابتها، وتسبق العلماء على قراءتها عليه، وذكروا أنه وقّع بخطه في عدة شهور من سنة (514 هـ/1110م) على سبعمائة نسخة، وبلغ من شهرتها في حياة الحريري أن أقبل من الأندلس فريق من علمائها لقراءة المقامات عليه، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء، وتناولوها رواية وحفظاً ومدارسة وشرحاً- مقدمة شرح مقامات الحريري للشريسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992، ج 1، ص 3.

لقد نالت قصيدة المنفرجة لأبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي، المتوفى سنة 513هـ/1119م بقلعة بني حماد اهتمام العامة والخاصة، حيث أصبحت أثرًا يستعين به كلما حلت بهم النوائب، وقد قام الفقيه أبو محمد عبد الله الحضرمي (ت 636 هـ/1238م) لما أدخله الموحدون السجن في قسنطينة بتخميس هذه القصيدة⁽¹⁾، مما يبين استمرارها وتأثيرها، وقد قال عنها الغبريني: "ما زالت هذه القصيدة معلومة الإفادة ظاهرة الزيادة"⁽²⁾.

ولعل قائلًا يقول وما مصير المرأة بالمغرب الأوسط في هذه النهضة الشاملة الكاملة، وهي التي إذا عدت مشاركتها في عمل ما يعتبر غير كامل ولا شامل، والجواب هو لم يهمل الموحدون المرأة بل كانت لها مكانة علمية وحق التعلم، فمنهن حتى العالمات والصوفيات، حيث كانت بيوتات العلماء والفقهاء وقصور الخلفاء أيضًا مراكزًا للتعليم المرأة فكانت تأخذ العلم عن والدها أو أحد أقاربها، أو مؤدب يدعى لها⁽³⁾.

كما أخذت المرأة الموحدية في المغرب الأوسط، بأسباب النهوض، بل تعطينا أمثلة رائعة لمساهماتها في ضروب النشاط الفكري بإطلاق من علمي وأدبي، فمن الأسماء اللامعة التي عرفت بصفتها العلمية السيدة زينب ابنة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، تزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص، أخذت عن عبد الله بن إبراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة صائبة الرأي معروفة الشفوف على نساء زمانها متحدثة بنباهة شأها⁽⁴⁾.

منهن كذلك حفصة بنت الفقيه العادل أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي، قارئة كاتبة لها معرفة جيدة بالفرائض، وكانت تحفض الكثير من فتاوى أبيها، تزوجها القاضي أبو بكر محمد بن علي الغساني المرشاني، ولدت سنة 519 هـ/1125م وتوفيت بغرناطة ولا ندري سنة وفاتها⁽⁵⁾. وكانت لعمارة بن يحيى بن عمارة البجائي (كان حيا سنة 585 هـ/1189م) ابنة تسمى عائشة، كانت أديبة أريية فصيحة لبيبة وشاعرة مهمة⁽⁶⁾ لها خط حسن، حيث أعادت نسخ كتاب الثعالبي⁽⁷⁾ بخطها في ثمانية عشر جزءا، وفي خاتمة كل سفر منهم قطعة من الشعر من نظم والدها⁽⁸⁾.

1) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 2، 2004، ص 25.

2) الغبريني: المصدر نفسه، ص 272.

3) صفية ديب: مرجع سابق، ص 186.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 486- عبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 144.

5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 566-567.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص 78-79.

7) الثعالبي هو أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة 429 هـ/1037م وكتابه هو يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر. رابح بونار: هامش عنوان الدراية، ص 79.

8) الغبريني: المصدر السابق، ص 79.

وأُم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى بن خلصة الحميري الكتامي، من أهل المغرب الأوسط، هاجرت عائلتها إلى قرطبة، وكانت أديبة شاعرة، وقف صاحب الذيل والتكملة على خطها بالإجازة، وتوفيت بمالقة سنة 640هـ/1242م أو نحوها⁽¹⁾.

ج- المكتبات (العامة والخاصة)

قامت الدولة الموحدية على أساس العلم كما هو معلوم، إذ أن مؤسسها محمد بن تومرت نشأ طالبا للعلم محبا له، محفزا عليه باقي أتباعه المخلصين⁽²⁾ وعند استقرار دولتهم كان نشر العلم وتعميمه أبرز السمات التي اشتهرت بها الدولة الموحدية طول عمرها، وخاصة في عهد عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب.

إن مما يتصل بالحديث عن أماكن العلم، في المساجد والمدارس فكذلك المكتبات، وهي أماكن حفظ الكتب، وترتيبها، لتسهيل الإطلاع عليها، والبحث فيها، ولنا من شواهد تاريخية، وإشارات كثيرة ومتنوعة عن هذا الجانب بالمغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية⁽³⁾.
ومن بين ما اهتم به الخلفاء بإنشاء المكتبات والخزائن العلمية، سواء في قصورهم أو في الأماكن العامة، وتزويدها بمختلف الدرر العلمية التي كانت تصدر في جميع أنواع العلوم والفنون⁽⁴⁾ ويذكر ذلك المراكشي بقوله "فجاء الكتاب لا نظير له في فنه، رأيت في خزانة بني عبد المؤمن"⁽⁵⁾.
بذلك حرص الموحدون على تدعيم العلم والعلماء، بإنشاء المكتبات اللازمة لهم، وكانت هذه المكتبات ركائزاً قوية للحركة الفكرية في الدولة الموحدية، فعرفت خزائن الكتب إبان حكمهم ازدهارا كبيرا وانتشارا أكثر، إذ أصبح لكل أمير ولاية من الولايات الموحدية سواء في المغرب الأقصى أو في المغرب الأوسط، أو في الأندلس، مجلس خاص به، وكتاب وشعراء ملازمون له، ونفقت سوق الكتب بازدياد نشاط حرفة الوراقة والنساختة⁽⁶⁾.

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 481-482.

2) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 301.

3) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص 40.

4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج 2، ص 251.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 131. وكان يتحدث عن كتاب قرضة الذهب في ذكر لثام العرب لرجل أندلسي يقال له

مالك بن وهيب وهو الذي ناظر ابن تومرت وطلب من أمير المرابطين علي بن يوسف بقتله. أنظر: المصدر نفسه، ص 130-131.

6) محمد سعيد حنشي: تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد

للتقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، العدد 72، ديسمبر 2010، ص 171.

جرت العادة في المغرب أن تكون دور الكتب بالمساجد والأربطة والمدارس، وأعظمها ما يكون عند الحاكم، فالخليفة يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ)/(1162-1184) اشتهر بأنه جمع الكتب ووضعها في الخزانة العامة، وكان شغفه وحبه لاقتناء الكتب يتعدى جمع الكتب المتوفرة على الساحة، إلى الاقتراح بتأليف كتب، في مواضيع معينة، كاقتراحه على الفيلسوف ابن رشد(ت595هـ/1198م) أن يصنف له كتابا يشرح فيه فلسفة أرسطو طاليس⁽¹⁾.. حيث يذكر غموض أغراضه ويقول: لو وقع لهذا الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقرّب مأخذها على الناس، فإن كان فيك فضلٌ قوةٌ لذلك فافعل... قال أبو الوليد: فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطو طاليس"⁽²⁾.

كان لا يفوت الخليفة يوسف أن يستعرض مع جلسائه المؤلفات التي ألّفت في عصره، ويأمر باستنساخها، لصالح خزائنه الخاصة، فيشجع بذلك الناس على اقتنائها والإطلاع على قيمتها العلمية⁽³⁾. ولم يزل يوسف بن عبد المؤمن، يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله، من ملوك المغرب⁽⁴⁾.

كما سار الخليفة يعقوب المنصور(580-595هـ)/(1184-1198م) على نفس منوال أبيه وجده عبد المؤمن، فشجع التأليف ونشر الكتب، وراقب الحركة التأليفية عن كتب حيث كان يسأل عن المؤلفات الجديدة التي ظهرت في أطراف مملكته الشاسعة، أو في مناطق أخرى ويأمر بنسخها ويودعها خزائنه، التي كان يحرص على أن تزخر بالدرر والنفائس التي امتاز بها العهد الموحي الزاهر⁽⁵⁾.

أما الملفت للانتباه أن الأمر لم يكن مقتصرًا على الخلفاء الموحدين وهدمهم في الاهتمام بالخزانات العلمية والعمل على ازدهارها، بل تعداها إلى ولائهم على الأمصار الذين كان لهم الفضل الكبير في تنشيط الحركة العلمية عن طريق إنشاء المكتبات في قصورهم، وسنقتصر على من لهم علاقة بالمغرب الأوسط، ومنهم أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن الكومي، الذي ولي اشبيلية، فقد كانت له خزانة كتب كبيرة حرص على تزويدها بمختلف الكتب في كافة فروع العلم، وقد رتب فيها عددا من النساخ تفرغوا لنسخ ما يريده من كتب لإيداعها في هذه الخزانة⁽⁶⁾.

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص172؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص2.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131.

3) المصدر نفسه، ص168؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص2.

4) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص169.

5) نفسه، ص198-199.

6) العربي يوسف: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبعة الملك عبد العزيز، الرياض، 1995، ص136.

وقد أورد الغبريني، أنه رأى كتاباً من جملة الخزانة السلطانية ببجاية⁽¹⁾، وهو لا شك يتحدث فيها عن الفترة الحفصية، إلا أن المتأكد أن والي بجاية الحفصي قد حافظ على خزانة الكتب التي ورثها عن الموحدين.

كما كان للمكتبات التي أسسوها، وحرسوا على توسيعها في قصورهم دور في توفير الكتب لطلاب العلم ومحبي العلوم، وهذه المكتبات، إن كانت خاصة وأقل عمومية من مكتبات المساجد، إلا أنها خدمت الحركة العلمية ونشطتها لأنها كانت مفتوحة لكبار العلماء والأدباء، ومن أشهر المكتبات على هذا الشكل تلك التي أنشأها والي غرناطة من قبل أبي يعقوب الموحدي⁽²⁾ يوسف بن محمد بن إبراهيم (ت596هـ/1199م)⁽²⁾.

بلغ الاهتمام بالكتب والمكتبات إلى حد نزع ملكية المكاتب من أصحابها خشية ضياعها، مع تعويضهم عنها والاحتفاظ بها في مكتبتهم من أجل صيانتها والاعتناء بها⁽³⁾ ولقد كانوا يفضلون مطالعة الكتب على غشيان الناس في مجالسهم، ويعتقدون الأناجيب بما أقرب إلى القلب من الأناجيب بدوي الجاه والسلطان⁽⁴⁾.

كما وصل اهتمام الخلفاء بجمع الكتب حافظاً وباعثاً على حرص العلماء الذين يعيشون في كنفهم على إهداء ما يؤلفونه لهم لإيداعه في خزائنتهم، وتذكر المصادر أنهم كانوا يتسابقون في هذا الإهداء لعلمهم بحب الخلفاء للعلم وللجدد الذي يصدر في مختلف ضروب المعرفة، كما كانت الكتب أيضاً ترد على شكل هدايا من الحكام الذين عاصروا الدولة الموحدية، كالفائد صلاح الدين الأيوبي (564-579هـ)/(1168م-1183م) الذي أهدى للخليفة يعقوب المنصور مصحفين كريمين، من أجل وضعهما في خزانته العامرة⁽⁵⁾.

وازدهرت في هذا العصر أيضاً خزائن الكتب الخاصة ومن أشهرها خزانة كتب أسرة بني الملحم، وهم بيت مروءة وأصالة في العلم والدين منهم عيسى وعبد الرحمن بن عيسى الذي كانت له خزانة

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص79.

(2) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص64-65؛ وعليه الأندلسي: المرجع السابق، ص2.

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص168 حيث يقول "أخبرني أبو محمد عبد الملك الشدوني، أحد المتحققين بعلمي الطي وأحكام النجوم قال: كنت في شببي أستعير كتب هذه الصناعة من رجل كان عندنا بمدينة إشبيلية، اسمه يوسف، يكنى أبا الحجاج، يعرف بالمراني... فكان يعبرني إياها في غرائر، أحمل غرارة وأجىء بغرارة، فأخبرني في بعض الأيام أنه عدم تلك الكتب بجملتها، فسألته عن السبب الموجب لذلك، فأصر إلي: إن خبرها أنني إلى أمير المؤمنين-يوسف- فأرسل إلى داري... فجاء كافر الخصي، ودخل هو بنفسه إلى خزانة الكتب فأمر بإخراجها.. وولوه بعد أخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه". أنظر: المعجب، ص168-169.

(4) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص40.

(5) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، 1962، ج2، ص173؛ وابن

عذارى: المصدر السابق، ص209؛ وابتسام مرغي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف،

1985، ص159.

دفاتر جلييلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها⁽¹⁾ كما كانت لابن الرمامة مكتبة مهمة يصفها صاحب المستفاد بأن كتبه "ممدودة على ألواح مرتفعة بعضها فوق بعض وعليها الكتب، وبين يديه كرسي عليه أسفار جديدة"⁽²⁾.

كما كان للشيخ أبي حفص بن عمر الهنتاتي⁽³⁾ هواية كبيرة في جمع الكتب ومطالعتها واقتنائها و انتساخها، حتى اجتمعت له منها خزانة عظيمة خاصة عالية الفنون⁽⁴⁾.

وخزانة كتب العالم الفقيه محمد بن عبد الحق اليفرنى التلمساني الكومي⁽⁵⁾، (ت 625 هـ / 1227-1228م)⁽⁶⁾ كان حافظا متكلمًا، متفننا في علوم جمّة، بارع الخط، جماعة للكتب الجلييلة والمفيدة والنفائس النادرة⁽⁷⁾ قال عنه ابن عبد الملك المراكشي "كان جماعة للكتب الجلييلة مغاليا في أمثاتها، احتوت خزائنه على ما لم يجتمع لأحد، من أبناء جنسه، كثرة ونفاسة، وكتب بخطه الكثير وعنى بتصحيح كتبه⁽⁸⁾ كما ذكره ابن الزبير بأنه "عنده أعلام نفيسة من أمهات الدواوين، وأصول رفيعة"⁽⁹⁾. إضافة إلى خزانة كتب الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري، وهو أول من أدخل كتاب "الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستدكار" إلى العدو نسخة بخط يده، فكان ينسخ الكتب، بارع الخط⁽¹⁰⁾.

كذلك مكتبة عبد الحق الاشبيلي البجائي، والتي نُهبت عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض دولة اللاتونيين، حيث نُهب منها كتابه الصحيح والمعتل، وكتاب جامع الكتب الستة⁽¹¹⁾. كما ترك ابن دحية الكلبي، نزيل تلمسان وبجاية⁽¹⁾ مكتبة كبيرة، أغلبها من إنتاجه، خلفها في المغرب، وسطا عليه لصوص البحر في الطريق ونهبوا ما بقي له منها⁽²⁾.

-
- 1) هو عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عيس الأزدي الزهراني، من أهل مدينة فاس يعرف بابن الملجوم، كان من أهل المعرفة بالشعر والأنساب والحفظ، وكانت له خزانة دفاتر كبيرة، تصدق بها على ابنة له لم يترك عقبا غيرها، يقال أنها باعتها بأربعة آلاف دينار. ابن القاضي: المصدر السابق، ص 396.
 - 2) التميمي: المصدر السابق، ج 2، ص 172.
 - 3) من أبرز خاصة المهدي، وإليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة، وهو بطل معركة السبطاط سنة 568 هـ / 1172م. انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 295-298.
 - 4) شفيق محمد: المرجع السابق، ص 33.
 - 5) ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط 4، بيروت، 1983م، ص 310؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 395-396.
 - 6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 112 أو 623 هـ. ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 508.
 - 7) الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 396.
 - 8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 318.
 - 9) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 508.
 - 10) الغريبي: المصدر السابق، ص 225.
 - 11) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 277؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 206-207.

وعبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري الذي كان كاتباً لصاحب المغرب، فلما توفي هذا الأخير، نُهبت كتبه⁽³⁾ وهذا يدل على أنه كانت له مكتبة كبيرة خاصة به، ويشير القفطي، أنه عندما توفي الأشيري سير نورالدين محمود زنكي -لأنه توفي بالمشرق- أهله نفقة وخيرهم في المقام أو الحضور إلى الشام، فحضرُوا ونزلوا حلب وباعوا كتبه في وفاء دين عليه، وكانت في غاية من الجودة والصحة⁽⁴⁾.

إن عناية الخلفاء وأمراء الدولة الموحدية بالمكتبات والخزانات العلمية، لم يكن محصوراً فقط في إنشائها، وجلب الكتب المتنوعة إليها، وحث الناس على النهل منها، بل تعداه إلى تنظيمها تنظيماً محكماً يبعدها عن كل فوضى عن طريق وضعهم لما يسمى بـ "خطة الخزانة العالية" أو "خطة القيم على الخزانة العالية"⁽⁵⁾.

وتذكر المصادر أنها كانت من الخطط الجليلة لدى الموحدين، لا يتولاها إلا عليّة أهل العلم وأكابرها ومن له خبرة ودراية بالكتب والمكتبات، فعلى سبيل المثال استدعى أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ابن الصقر الأنصاري (ت 569هـ/1173م)⁽⁶⁾ من مدينة غرناطة وكان قاضياً عليها، وجعله مشرفاً على خطة الخزانة العالية⁽⁷⁾، حيث أهله خبرته في ترتيب الكتب وتنظيمها إلى ذلك، إذ كان يملك مكتبة خاصة به فريدة من نوعها تتحدث عنها المصادر، بالإضافة إلى كونه كان أحسن العلماء نظراً في كثير من العلوم، واستنسخ للمكتبة عدة مجلدات ضخام⁽⁸⁾.

-
- 1) الغريبي: المصدر نفسه، ص 228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط 18، بيروت، لبنان، 1955، ج 4، ص 1420.
 - 2) أنخل جنثالت بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 1955، ص 284.
 - 3) ابن الأبار: المصدر السابق، طبعة مدريد، ج 2، ص 568؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج 6، ص 330؛ وعادل نويهيض: المرجع السابق، ص 16؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص 148.
 - 4) أنباه الرواة، ج 2، ص 140.
 - 5) إبراهيم حرقات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص 65؛ وعليّة الأندلسي: المرجع السابق، ص 2.
 - 6) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي، من أهل غرناطة -وقيل أنه ولد بالمرية وأصله من سرقسطة خرج منها والده عبد الرحمان وسكن بلنسية ثم انتقل إلى المرية- يكنى أبا العباس، كان معروفاً بالفقه والأدب والمشاركة في الشعر، مع نباهة القدر وبراعة الخط وولى القضاء بإشبيلية لوالي المغرب، وكان مجلسه مع أكابر الطلبة، وتوفي برماكش سنة 569 هـ/1173 م. ابن الأبار: المصدر السابق، طبعة الجزائر، ج 1، ص 94-95. أتق أهل عصره خطأ وأجلهم فيه مترعاً وكتب من دواوين العلم ودفتره ما لا يحصى كثرة وجودة، وقد عفا عنه عبد المؤمن بعد دخوله الأندلس للمتونة وقربه إلى مجالسه وكذلك فعل ابنه يوسف. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 223-232. ابن فرحون: المصدر السابق، ص 118. له كتاب في سير زهاد الأندلس وصالحيتها عنوانه أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار. أنخل جنثالت بالنشيا: المرجع السابق، ص 281.
 - 7) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 118. اقتنى من الكتب جملة وافرة، ونسخ الكثير بخطه الرائع، وامتنح فيها مرات بضروب من الجوائح كالغرق، والنهب بغرناطة في الفتنة التي كانت لها، وكذلك نُهبت كتبه بمراكش حين دخلها عبد المؤمن، وكان معه عند توجهه إلى مراكش خمسة أعمال كتب، وجمع منها بمراكش شيئاً عظيماً، وله تصانيف مفيدة تدل على إدراكه، وجودة تحصيله كشرح الشهاب. ابن فرحون: المصدر السابق، ص 118. محمد سعيد حنشي: المرجع السابق، ص 172.
 - 8) عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 228. عبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 161-162.

واشتهرت بقسنطينة خزانة آل الفكون الذين منهم صاحب الرحلة ، الحسن بن الفكون ⁽¹⁾ كما يذكر الغبريني أنه رأى كتاباً بمحاضرة قسنطينة عند إمام جامع قصبته ⁽²⁾، وهذا يدل على احتفاظ الأفراد الأفراد بالكتب والمكتبات، ووجود مكتبات صغيرة في كل مسجد.

الفصل الثاني

أولاً : روافد النشأة الثقافية والحركة الفكرية

ثانياً : تجليات الحركة الثقافية والفكرية

(1) إبراهيم بن الفكي، ص 179.
(2) أنظر: المصدر السابق، ص 179.

لقد تنوعت وتعددت المعارف، وازدهرت الحركة العلمية والفكرية في العهد الموحد، حيث نشأت في ظل هذه الدولة شخصيات، تركت لها بصمات واضحة في مجال الثقافة الإنسانية، وما زال إنتاجها الفكري تراثا حيا، ومصدر إلهام ووحى، وإرشاد لكثير من الباحثين حتى يومنا هذا، ومن هذه الشخصيات العلمية ابن رشد⁽¹⁾ في مجال الفلسفة، وأبو بكر بن طفيل في مجال الطب، والبيذق، والمراكشي في ميدان التاريخ، وصاحب كتاب الاستبصار في الجغرافيا⁽²⁾.

إن تعدد وتنوع المعارف وازدهار الحركة العلمية في عهد الموحدين لا يمكن أن يكون حكرا على المغرب والأندلس لوحدهما، بل لا بد أن تكون قد انتظمت إفريقية والمغرب الأوسط في هذه الحركية والسيرورة من النسق الثقافي التعليمي، فالمغرب الأوسط جزء من دولة الموحدين وهو همزة الوصل بين شرقها وغربها وشمالها وجنوبها - إفريقيا جنوب الصحراء - فلا بد أن تكون فيه حركة ثقافية وفكرية مماثلة.

وإذا كانت المصادر لا تعطينا معلومات كثيرة في هذا الشأن، كونها مقتصره على عاصمة الدولة، ومركز السلطات السياسية الحاكمة، إلا أن دور المغرب الأوسط البارز قبل الموحدين من خلال الدولة الحمادية، والدور الذي لعبته الدولة الزيانية بعد الموحدين، يجعلنا واثقين ومتأكدين من محافظة مدن المغرب الأوسط على دورها الريادي في الحركة العلمية والنتاج الثقافي والفكري.

(1) هو الفيلسوف المشهور محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد، من أهل قرطبة، وقاضي الجماعة ويكنى أبا الوليد ولد سنة 520 هـ/1126م ونكبه الخليفة المنصور، وتوفي سنة 595 هـ / 1198 م. ابن الأبار: التكملة، السفر الثاني، طبعة مدريد، ص 269-270؛ وابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط 1، بيروت، 1973م، السفر السادس، ص 21-22؛ والمراكشي: المصدر السابق، ص 171.

(2) ابن أبي زرع: الأيس، ص 207؛ وعبد القادر عثمان: المرجع السابق، ص 245.

كما تبرز لنا رحلات الحج والتي تمر في الغالب ببجاية وتلمسان فرصة اللقاء العلمي والتلاقح الفكري والحوار المثمر بين مختلف العلماء، فكان من نتائج هذه العوامل وتداخلها أن أصبح المغرب الأوسط يعيش حركة دائبة من النشاط العلمي تعددت مظاهره وتنوعت معالمه وتجلياته. فيا ترى ما هي أهم روافد الحركة الفكرية في المغرب الأوسط إبان العهد الموحدى؟ وما هي أهم المظاهر التي تجلت فيها هاته الحركة الفكرية والثقافية، كنتاج وكملح لما قدمه المغرب الأوسط وعلماءه للحضارة الموحدية خصوصا والإسلامية عموما؟

أولاً : روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية

لقد اشترك معظم خلفاء الدولة الموحدية في صفة حب العلم، من خلال مشاركتهم الفعالة في الإنتاج الفكري ونقده، فهذا عبد المؤمن ومن بعده أبناؤه يدأبون على نفس درب زعيمهم المهدي بن تومرت، من خلال إطلاق حرية التفكير⁽¹⁾ والبحث والرحلة لنيل الإجازة والتزود بمختلف المعارف والأفكار، وعقدوا المجالس العلمية للمناظرة والتدارس في شتى القضايا، كما ساهموا في اقتناء أنفس الكتب وأحلامها. ولا يخفى على أحد من العارفين، أن تحصيل العلم يكون محلياً، من خلال الاتصال بمشايخ وفقهاء المنطقة، ثم يأتي التفكير في الاحتكاك والاتصال بعلماء آخرين من أجل التوسع والتزود بمعلومات أخرى ثم الحصول على الإجازة. فأولها تكون الرحلة العلمية، للاتصال بالعلماء، وحضور المجالس العلمية من أجل سماع طرق الرواية، أو ذكر الآراء والفتاوى والأحكام الصادرة عنهم، لذلك كانت الرحلة العلمية ضرورة حتمية، فلا يمكن أن تكون عملية الاتصال موقوفة على طريق المراسلات والإجازات⁽²⁾. إضافة إلى المجالس العلمية التي كانت تعقد في مختلف مساجد مدن المغرب الأوسط وحواضره وعلى رأسها بجاية وتلمسان بين العلماء وطلبتهم، أو مختلف المناظرات التي تحدث في دواوين الولاية على إقليمي المغرب الأوسط، حيث ساهمت هذه الحلقات والمجالس في نجاح وازدهار الحياة العلمية والرقي بالحركة الفكرية والثقافية.

(1) ابن أبي زرع : الأنيس، ص203-204؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص42.

(2) منواف عبد العزيز الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويد، أبو ضبي، الإمارات، ودار الأهلية للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص33.

بذلك تعددت مظاهر النشاط الفكري في المغرب الأوسط إبان الفترة الموحدية، ومن هذه المظاهر الرحلة في طلب العلم، وعقد المجالس العلمية، والتواصل بين مختلف العلماء واحتكاك الطلبة بهم من خلال مختلف الإجازات العلمية، فحدث تنافس كبير لاقتناء أجود وأحسن الكتب التي أنتجت في تلك الفترة، أو اقتناؤها من المشرق بعد رحلة طويلة من الحج.

1 - الرحلة في طلب العلم

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام، فقد كان من المعتقد أن اكتمال العلم لا يتم إلا بالرحلة إليه، وقد أصبحت الرحلة لازمة من لوازم التحصيل العلمي، وملمحا متميزا للتربية الإسلامية منذ عصورها الأولى⁽¹⁾.

ويرى ابن خلدون أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم في ذهن طالب العلم، بقوله "والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالباشرة، إلا أن حصول المَلَكَات عن المباشر والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها"⁽²⁾.

والرحلة في طلب العلم عمل عرفه الغرب الإسلامي منذ عهوده الأولى، فمعظم علمائه كانت لهم رحلات علمية واسعة إلى المشرق لأداء فريضة الحج⁽³⁾ ولقاء المشايخ، وجمع المصنفات المتداولة في مجالس العلم بالغرب والشرق الإسلاميين، وقد وردت على يد علمائه الرحلة، غير أن تسجيل مواد الرحلة قد ظل عملا محدودا⁽⁴⁾ خلال العصور الأولى حتى القرن السابع الهجري، لا يعرف إلا بضع رحلات مكتوبة كرحلة ابن عربي⁽⁵⁾ ورحلة ابن جبير (ت 614 هـ / 1217م)⁽⁶⁾.

(1) العريبي: المرجع السابق، ص 609.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 226.

(3) ابن جبير: المصدر السابق، ص 277.

(4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 134.

(5) مما ضمنه كتابه "قانون التأويل" وقد حققه الأستاذ المصطفى صغيري، وقدمه لنيل دبلوم الدراسات العليا، من دار الحديث الحسنية،

بتاريخ 18 / 5 / 1977.

(6) طبعت عدة مرات منها، طبعة دار القصبة للنشر، ط1، الجزائر، 2001.

لقد شدّ طلاب المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين كغيرهم من طلاب الأماص الأخرى الرحال لطلب العلم إلى الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى آنذاك سواء منها في الغرب الإسلامي، أو المشرق الإسلامي، بهدف توسيع معارفهم وتنقيحها، وكذا لقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر، خاصة المتحدثون منهم⁽¹⁾.

إن اهتمام علماء المغرب الأوسط بالرحلة، سواء في الفترة السابقة للموحدين أو خلالها، أو حتى الفترة التي تليها، يتبين من خلال ما دونوه في رحلاتهم عن مشاهداتهم، وتجاربهم، على الرغم من أن هذه الرحلات اتسمت بصفة المحدودية في هذا العصر، ربما لعدم اعتبارها علما نافعا، وفي ذلك ما يعبر عنه الحميري، في مقدمة كتابه "ومع هذا فقد لمت نفسي عن التشاغل بهذا الوضع الشاذ عن الاشتغال بما لا يغني عن أمر الآخرة، والمهم من العلم المزلف عند الله تعالى، وقلت هذا من شأن البطالين، وشغل من لا يهمله وقته... بل أقول أعوذ بالله من علم لا ينفع"⁽²⁾.

بدون شك لا يختلف اثنان حول الدور العظيم الذي أسهمت به الرحلات العلمية في توحيد المنهج التعليمي في المشرق والعدوتين، حيث أسهمت الرحلات في التعريف بالتيارات الأدبية والفكرية، وبأهم الكتب والإنجازات⁽³⁾ فقد خلقت جوا من التنافس العلمي بين العلماء بمختلف تياراتهم واتجاهاتهم، حيث مدوا جسور الاتصال العلمي والمعرفي بين مختلف بلدان العالم الإسلامي، من خلال تبادل الآراء الفقهية واللغوية، وتداول الكتب والمؤلفات والإجازات العلمية، والاستكثار من الشيوخ⁽⁴⁾.

والرحلة العلمية نوعان: داخلية وخارجية

أما الداخلية فكانت إلى المراكز العلمية المنتشرة في المغرب الأوسط خصوصا والدولة الموحدية عموما، فقد كان كثير من العلماء ينتقلون إلى مراكش وفاس، أو إلى الأندلس للدراسة والسماع⁽⁵⁾، كما كان علماء الأندلس والمغرب الأقصى يفتنون على المغرب الأوسط ويستقرون بمدنه خاصة منها تلمسان وبجاية، مما ساعد على الامتزاج الثقافي بين أقطار المغرب والأندلس.

وتتميز بتوسعها وانتشارها مقارنة بالخارجية، حيث يقوم الطالب بالدراسة على يد شيوخ بلده، أو الشيوخ الذين يستقرون في الحواضر القريبة منه، ويتم زيارتها لاشتهارها في فرع معين من العلوم أو لاحتوائها على معهد علمي، كما هو الشأن بالنسبة لعبد المؤمن الذي توجه من تلمسان إلى بجاية⁽⁶⁾.

(1) صفية ديب: المرجع السابق، ص165-166.

(2) أنظر: الروض المعطار، ص1-2.

(3) صفية ديب: المرجع السابق، ص104.

(4) الغبريني: المصدر السابق، ص74، ص101؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص29.

(5) شفيق محمد: المرجع السابق، ص33.

(6) المراكشي: المصدر السابق، ص127.

وساعد في انتشار هذا النوع من الرحلات، سهولته من حيث القرب الجغرافي باعتباره داخل المغرب الأوسط، إضافة إلى عدم تطلبه لأموال كبيرة، وقلة المشاق، وغياب الحواجز السياسية أو الحدود الجغرافية التي كانت تقف حجر عثرة أمام أماني هؤلاء الطلبة⁽¹⁾.

أما الرحلة الخارجية فكانت غالبا إلى المشرق، أو الأندلس، وقد أوردت كتب التراجم أسماء كثيرة من علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم، وبذلك استمر الاتصال العلمي والثقافي والفكري، بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه في عهد الموحدين⁽²⁾.

ومن الأسباب الرئيسية للرحلة هي أداء مناسك الحج، أو بقصد طلب العلم، أو لدوافع أخرى كالتجارة والعمل، أو السياحة والمغامرة والاستكشاف، أو بسبب الرغبة في جهاد الصليبيين في المشرق، حيث فتحت الدولة الموحدية الباب على مصراعيه أمام المتطوعين من المغاربة للسفر إلى مصر والشام برا وبحرا لمشاركة إخوانهم المشاركة في الحرب المقدسة⁽³⁾.

كما لا ننس الرحلة في الاتجاه المعاكس أي الرحلة نحو المغرب الأوسط خاصة من الأندلسيين والمغاربة، حيث ساهمت الظروف السياسية في ذلك منها احتلال النصارى لسرقسطة سنة 512هـ/1118م والمرية وأشبونة سنة 542هـ/1147م، وطرطوشة سنة 543هـ/1148م وشتتين سنة 555هـ/1160م ونتيجة لذلك هاجر أهل المرية إلى تلمسان⁽⁴⁾.

إضافة إلى تضافر عدة عوامل خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، ساهم في نشاط حركة الرحلة العلمية، وتمثلت في حرية التنقل بين مختلف أقطار المغرب والأندلس بسبب الوحدة السياسية التي فرضتها الدولة الموحدية، وبسبب حفاوة الاستقبال الذي كان يلاقيه طلاب العلم حيثما حلوا⁽⁵⁾ وذلك بتوفير أماكن الإقامة والتكفل بحاجاتهم تطبيقا لما حث عليه ديننا الحنيف من الاهتمام بطلاب العلم⁽⁶⁾. فالرحلات في بادئ الأمر كانت متجهة صوب الحجاز⁽⁷⁾، ومرد ذلك للحنين إلى مهبط الوحي، والرغبة في الارتواء من معين المفاهيم الإسلامية، والأخذ عن علماء الإسلام المشهورين.

(1) صفية ديب: المرجع نفسه، ص168.

(2) شفيق محمد: المرجع نفسه، ص33.

(3) أحمد مختار العبادي: دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، ندوة الحضارة الإسلامية 1976، نشر مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر، 2000، ص83.

(4) عبد القادر بوباوية: إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن7هـ/13م، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011، ص160.

(5) عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986، ص466.

(6) عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص466.

(7) حيث يضيف "أن رحالة المغاربة كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق في طريقهم، فاقترضوا على الأخذ من علماء المدينة". ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص16.

وما يهمنا هنا هي الرحلة بدافع التعلم والتزود بمختلف الفنون والثقافات، ومقابلة الشيوخ من العلماء والفقهاء، فعلى قدر كثرة الشيوخ وتعدددهم يكون حصول ملكات التعلم ورسوخها في ذهن طالب العلم، فأضفت الرحلات العلمية والثقافية طابع النمو والازدهار، ونقلت المغاربة والأندلسيين من بلاد مقلدة للمشرق إلى بلاد منافسة ومتفوقة في بعض الأحيان⁽¹⁾.

فكان بذلك الهدف من الرحلة هو لقاء الشيوخ الكبار والجلوس معهم والسماع منهم، حتى يعتبر ثقة في مادته، كما جعلوها وسيلة لجلب الكتب والمصادر من مختلف الأمصار الإسلامية، والإطلاع على المكتبات، وما تحتويه من نفائس الكتب⁽²⁾.

نتج عن هذه الاتصالات بلورة الحركة العلمية في المغرب الأوسط، وعادت عليه بفوائد كثيرة،

وكانت الرحلات العلمية تنجحه دائما إلى عواصم الأقطار الإسلامية الشهيرة كالقروان، وفاس ومراكش، واشبيلية، والإسكندرية، وبغداد والبصرة والكوفة، ومكة والمدينة، ودمشق⁽³⁾ فأثرت حلقات الدرس في جوامع بجاية وتلمسان وندرومة وورجلان، إذ كانت تدرس المواد نفسها التي تدرسها جوامع الشام والعراق والحجاز ومصر، مع الفارق طبعا في تكتيف بعض المواد دون الأخرى، أو التحفظ في تدريس بعض المواد كالفلسفة مثلا⁽⁴⁾.

من هنا كان العالم يرحل لرواية الحديث، أو للقاء عالم، أو التعرف على مناهج جديدة، أو الحصول على كتب يرغب في الإطلاع عليها، ونجد الرحالة ابن رشيد السبتي يشعر بالندم وهو يرحل من بلد ما، وذلك لأنه لم يكمل قراءة كتاب شيخه أو لم تيسر له كتابة بعض الفوائد لعائق السفر⁽⁵⁾. إن الضرورة دعت إلى الرحلة العلمية، لأن العلم كان مطمح علماء المغرب الأوسط، خصوصا في ربط سندهم العلمي، بعلماء كبار، إما بالمشافهة والدراسة عليهم أو بالاستجازة، وضمان سلامة المنهج النقلي بتصحيح المتن الروية ووصل أسانيدها بمؤلفيها، حتى تكون واضحة، وصالحة للبحث والدرس وأخذ الأحكام منها⁽⁶⁾ كما أن معظم الرحالة لم يرحلوا إلى المشرق إلا بعد اكتمال ثقافتهم وإلمامهم بفنون مختلفة من العلوم في المغرب⁽⁷⁾.

1) عبد الواحد ذنون طه: دراسات أندلسية، ط1، بغداد، 1986، ص206.

2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثاني، ص28.

3) منواف عبد العزيز الجحمة: المرجع السابق، ص30.

4) صفية ديب: المرجع السابق، ص169-170.

5) المقرئ: المصدر السابق، ج2، ص5.

6) القصادي: المصدر السابق، ص60.

7) منواف عبد العزيز الجحمة: المرجع نفسه، ص31.

يقول أبو حامد الغرناطي⁽¹⁾ في مقدمته "ومنذ اغتربت عن المغرب الأقصى عام 557هـ/1161م شاهدت من الأئمة الكرام، ما لا يعد ولا يحصى، وأولاني الله عز وجل على أيديهم من أنواع النعم ما لا يقدر على إحصائها إنسان"⁽²⁾، وما رحلة ابن تومرت نحو الشرق إلا مثال عن أهم الرحلات المغربية نحو الشرق، وفائدة عظيمة كانت تأتي من مثل تلك الرحلات⁽³⁾ ورغم أن ابن تومرت ليس من علماء المغرب الأوسط إلا أنه صاحب الدعوة الموحدية، وجرت له الكثير من الوقائع والأحداث بالمغرب الأوسط.

حيث اختلف في تاريخ الرحلة⁽⁴⁾، وحتى في أهم الشيوخ الذين التقى بهم ابن تومرت⁽⁵⁾ لكن ما يهمنا هنا هو مدى تأثير ابن تومرت في رحلته العلمية هاته، باتصاله بعلماء المشرق، وبالتغير الذي حدث في شخصيته فقال عنه ابن خلدون "وانطلق راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريما من الدين"⁽⁶⁾ ثم لم يقف به الأمر عند الحدود العلمية، فقد اكتسب أفكارا وآراء جديدة في السياسة⁽⁷⁾ فانطلق من حين خروجه إلى حين وصوله، يبيث العلم في الناس ما توفرت له الفرصة المناسبة⁽⁸⁾.

-
- (1) هو أبو عبد الله - ويقال أبو حامد - محمد بن عبد الرحيم المازني، القيسي، الغرناطي، ولد سنة 473هـ/1080م، ودخل الإسكندرية 508هـ/1114م وسمع بها من أبي عبد الله الرازي، ومصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني وأبو الحسن الفراء وغيرهم وحدث بدمشق، وسمع أيضا ببغداد، وقدمها سنة 556هـ/1160م، ودخل خراسان، ثم رجع إلى الشام، وأقام بحلب سنتين، وسكن دمشق، توفي بدمشق في صفر 565هـ/1169م. المقري: المصدر السابق، ج2، ص235-236.
- (2) أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ص46.
- (3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص126؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص103-105؛ وأحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، دت، ص105.
- (4) ابن الأثير وابن خلكان يكتفيان بالقول أن ابن تومرت شرع في رحلته "في شببته" أي بين نهاية المراهقة وسن الثلاثين أو الأربعين عاما الكامل، ج9، ص202؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص47. أما ابن خلدون فيقول "على رأس المائة الخامسة". العبر، ج6، ص301. وأما صاحب الحلال الموشية فيحددانها بسنة 500هـ/1106-1107م. أنظر: مجهول، ص103. أما عبد الواحد المراكشي فيحدددها سنة 501هـ/1107-1108م. المصدر السابق، ص126 أما ابن القطان فيذكر أنها في السنة الأولى من المائة السادسة، ثم ذكر في صفحة أخرى أنها وقعت في السنة الأولى من القرن السادس أو في السنة التي قبلها، أي سنة 500هـ/1107م أو 499هـ/1105-1106م. المصدر السابق، ص62-63. وعموما السنة الأكثر واقعية هي 500هـ/1106م لأن تاريخ رجوعه إلى بلاد المغرب هو 515هـ/1121م بعد أن قضى 15 سنة فيها: كما أنه التقى بالشيخ المبارك بن عبد الجبار وهذا الأخير توفي أواخر 500هـ/1106م.
- (5) أخذ عن القاضي ابن حمدون بقرطبة، وبالمهدية عن الإمام المازري، وبالإسكندرية عن أبي بكر الطرطوشي، وبالشام عن أبي عبد الله الحضرمي، وفي بغداد عن الكيا المراسي والمبارك بن عبد الجبار وتأثر بتعاليم الغزالي ولم يلتقيه. ولمزيد عن شيوخ ابن تومرت في الرحلة انظر: عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1983، ص72-84؛ وعبد الله علام: المرجع السابق، ص51؛ ورشيد بورويبة: المهدي بن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص28.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص302؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص73.

(7) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص52.

(8) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص84.

ويدعم قولنا بأن الرحلة العلمية كانت إحدى روافد النشاط الثقافي لعلماء المغرب الأوسط، هو رغبة عبد المؤمن للقيام بالرحلة إلى المشرق من أجل التعلم⁽¹⁾، ولا نعرف شيئاً عن طفولة عبد المؤمن ولكن بدون شك فقد درس في كُتاب ومدرسة قريته، حيث قرأ القرآن⁽²⁾ وسار إلى تلمسان، وأخذ عن عاملين من أعظم علماء المدينة القاضي ابن صاحب الصلاة (ت 542 هـ/1147م)، والشيخ عبد السلام التونسي (ت 589 هـ/1193م)، فرحل بعد ذلك إلى بجاية ناويا السفر إلى المشرق⁽³⁾، ليحج وليواصل دراسته، فغادر مسقط رأسه صحبة عمه يعلو، ومر بمتيجة ووصل بجاية التي كانت آنذاك عاصمة المملكة الحمادية، فترحل بمسجد الريحانة⁽⁴⁾، حيث سمع الناس يتحدثون عن ابن تومرت، الفقيه السوسي كما كان يلقبونه، فاتجه إليه، وعندما إلتقاه سأله ابن تومرت إلى أين تتجه فقال إلى المشرق أتمس فيه علما، فقال له ابن تومرت العلم الذي تريد اقتباسه من المشرق قد وجدته بالمغرب⁽⁵⁾.

وليس من السهل إحصاء كل من رحل من المغرب الأوسط خلال العهد الموحدى رغم ما تقدمه كتب التراجم والسير والتاريخ والأدب، التي تتعرض إلى رحلات هؤلاء العلماء، إلا أننا نعترف بقصورنا على حصرهم، وذلك على لسان المقرئ بقوله "إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال..."⁽⁶⁾.

فهناك من علماء المغرب الأوسط من لم يرحل إلى المشرق إلا بعد أن اكتمل علمه وتحصيله من شيوخه المحليين، وإحساسه بضرورة الهجرة العلمية من أجل تحصيل أوسع وأفضل، وبعد وصوله للمشرق وجد لنفسه مكانة ضمن نخبة علمائها، بل وتقلد منهم حتى المناصب العالية ومنهم محمد بن محرز بن محمد الوهراي (ت 575 هـ/1179م)⁽⁷⁾، ركن الدين⁽¹⁾ أبو عبد الله، وهو أديب وصناعته

(1) البيذق: أخبار المهدي، ص35؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص106.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص183.

(3) قال عبد المؤمن بن علي وهو يتحدث عن نفسه "كنت بتلمسان أقرأ كتب أصول الدين، وكان لي صاحب يقرأ كتب الفقه، فرحل عني من تلمسان يريد المشرق، فوصل إلى بجاية، فخاطبني منها يعرفني ويقول لي: قد وصل إلى هذه المدينة فقيه عالم بالعلم الذي تطلبه، فلتصل إليه، فعند وصول كتابه إليّ رحلت إلى بجاية، فلتقت بها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه". ابن القطان: المصدر السابق، ص176؛ وابن عذارى: المصدر السابق، (قسم الموحدين)، ص80.

(4) البيذق: أخبار المهدي، ص31.

(5) عن لقاء عبد المؤمن بن علي بالمهدي بن تومرت انظر البيذق: المصدر نفسه، ص35؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص77، ص176؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127-128؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص106؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص173؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48؛ وابن عذارى: المصدر السابق، (قسم الموحدين)، ص80؛ والصفدي: المصدر السابق، ج3، ص261-262؛ والسلاوي: المصدر السابق، ج2، ص73. وأنظر مناقشة هويثي ميراندا **Ambrosio Huici Miranda** لهذا اللقاء وما أحاط به من أساطير. أنظر: المرجع السابق، ص46.

(6) ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ج5، ص70.

(7) ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص385؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص350.

الإنشاء، اشتهر بالمنامات الهزلية، نشأ في وهران⁽²⁾، ثم رحل إلى دمشق، في عهد نورالدين محمود بن زنكي، حيث ولي خطابة جامع داريا إحدى قرى دمشق⁽³⁾.

كما تعتبر رحلة أبو مدين شعيب بن الحسين⁽⁴⁾ دليلا على أن بعض العلماء لم يتجهوا للرحلة سواء لطلب العلم أو الحج إلا بعد تمكنهم من جملة من العلوم، ثم خرج منها قاصدا بيت الله الحرام، فحج واعتمر واجتمع بعرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم دخل بجاية ولم يزل بها يزداد حاله رفعة، فاشتهر بها خبره وعلا في مقام الولاية صيته، فغص بمكانه يعقوب المنصور بن يوسف العسري بن عبد المؤمن بن علي، وأرسل إليه ليأتيه إلى مراكش، سنة أربع وتسعين وخمسمائة⁽⁵⁾، فشق ذلك على تلاميذه، فقال لهم إني لا ألقاه، بل ألقى مولاه، فلما بلغ تلمسان أعجبهت خارجها قرية، فسأل عن اسمها فقيل له العباد⁽⁶⁾ ومرض بها، ووافاه الأجل أثناء السفر بوادي يسر⁽⁷⁾ عام 594 هـ/1197 م⁽⁸⁾، ودفن بالعباد من أحواز تلمسان⁽⁹⁾.

(1) الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1985، ج 3، ص 69-70؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 350.

(2) انظر مقدمة المحقق صلاح الدين المنجد، لكتاب الوهрани ورقعته عن مساجد دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1965، ص 5-9.

(3) الذهبي: العبر، ج 3، ص 69-70؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 350.

(4) هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأشبيلي أصلا من حصن قنطانية من عمل إشبيلية.التادلي: المصدر السابق، ص 319. أو من حصن يقال له منتوجب.الغبريني: المصدر السابق، ص 55-56. البجائي دارا والتلمساني وفاة، ولد ونشأ بإشبيلية ثم رحل إلى فاس، وأخذ على علمائها كالشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم (ت 559 هـ/1198 م). التميمي: المصدر السابق، ص 15-17 و ص 41-45. ولبس الخرقة عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق (ت في منتصف القرن السادس هجري). ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 11-27. وسلك على شيخ المشايخ أبي يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري (ت 572 هـ/1170 م).الغبريني: المصدر السابق، ص 55-56؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 108-114.

(5) ذكر خير السعاية به إلى خلفاء الموحدين صاحب الاستقصاء فقال "كان أبو مدين قد استوطن في آخر عمره بجاية، وكثر عليه الناس وظهرت على يده الكرامات، فوشي به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور (580-595 هـ)/(1184-1198 م) وقال له إنا نخاف منه على دولتكم فإن له شها بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون في كل بلد، فوقع منه ذلك وكتب لصاحب بجاية أن يبعث إليه وأوصاه بالاعتناء به وأن يحمل إليه خير محمل"السلامي: المرجع السابق، ج 2، ص 190.

(6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 126؛ والمقري: المصدر السابق، ج 7، ص 142.

العباد: مدينة صغيرة شبه ريبض، تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان والصناع ومعظمهم من الصباغين، وبها دفن ولي كبير، ذو صيت شهير، يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات ويعظم أهل تلمسان والبلاد المجاورة لها هذا الولي كثيرا ويستغيثون به ويتصدقون عنده كثيرا لوجه الله ويسمى سيدي بومدين.الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 24.

(7) وادي يسر قريب من تلمسان.التادلي: المصدر السابق، ص 319.

(8) رغم أن اغلب العلماء اتفقوا على السنة السابقة إلا أن الغبريني ذكر، أنه توفي نحو 590 هـ/1193 م.المصدر السابق، ص 61. أما التادلي، فيضيف تاريخ آخر إلى جانب التاريخ المعروف هو سنة 588 هـ/1193 م.المصدر السابق، ص 319.

(9) الغبريني: المصدر السابق، ص 55.

إضافة إلى كل ذلك، فإن علماء المغرب الأوسط عموماً عرفوا بعنايتهم بالحديث وطرق روايته مقتدين بالسلف الصالح، ومن هنا شعر الجميع بضرورة استكمال المعارف الحديثية، وهكذا شكلت طريقة التحديث بما تتميز به من الدقة والتحري الباعث العلمي للرحلة والحافز على التنقل، وذلك لأن منهج المحدثين يعتمد على تنويع الرواية والبحث عن العلو في السند⁽¹⁾.

إن الاهتمام بالأحاديث النبوية وجمعها في مقدمة العلوم التي يرحل المغاربة من أجلها، وهناك العديد من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق للالتقاء بشيوخ علم الحديث، فبرزوا فيه بعد عودتهم لا سيما جمعه في كتاب منظم، ودراسته، وتفسير القرآن الكريم، ومنهم ميمون بن جبارة (ت 584هـ/1188م)⁽²⁾ الذي روى عن أبي عبد الله بن عبد الحق، رحل إلى المشرق وعاد إلى بجاية وتوفي بتلمسان، وحمدت سيرته عدلاً وجزالة، انتفع أهلها بإقراءه إياها الأصول⁽³⁾ فإن هذا الرجل يمثل بوضوح النمط الكامل للمثقفين في المغرب الأوسط منشأً وتكويناً، وهو يمثل نمطاً كاملاً للمثقفين في المغرب الأوسط الذين نالوا من الثقافة الإسلامية في مختلف مراكزها وحواضرها شرقاً وغرباً، فدعته نزعتة هذه إلى الرحلة العلمية.

بذلك درس على يد علماء كثيرين، وزامل علماء آخرين، وتخرج على يده علماء كثيرون ومازج مختلف العلوم والأفكار والثقافات، وهذه هي الفائدة العظمى من الرحلات العلمية.

من بين علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا من أجل العلم جهة الشرق أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م)⁽⁴⁾ الذي ولد في بني عيسى من قبائل زواوة⁽⁵⁾ وقرأ في أول أمره بقلعة بني حماد، على يد الشيخ الصالح أبو عبد الله بن الخراط وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي

(1) منواف عبد العزيز الجحمة: المرجع السابق، ص34.

(2) ترجم له ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 396؛ والغريبي: المصدر السابق، ص183؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص294؛ وشكيب أرسلان: المرجع السابق، ج 3، ص183.

(3) هو أبو ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي، البردوي روى عن أبو عبد الله بن عبد الحق، رحل إلى المشرق ودخل الأندلس، عالم رئيس، جميل الأخلاق، ندي اليد ولي قضاء بلنسية فحمدت سيرته عدلاً وجزالة، وانتفع أهلها بإقراءه إياها الأصول، أخذ عنه بها أبو جعفر الذهبي، وأبو الحجاج بن مرضي، ثم ولي قضاء بجاية مدة قليلة، ثم صرف عنها ليتولى قضاء مرسية مكان قاضيها أبو القاسم ابن حبش فمات في الطريق إليها بتلمسان، سنة 584هـ/1188م قال عنه ابن الأبار "كان من كبار العلماء معدوداً في الرؤساء، كريم الأخلاق وافر الجاه عظيم الحرمة له آثار حميدة" ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص396.

(4) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر السابق، ص428. هو الشيخ، أبو زكريا يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي، وهو عندما يكتب اسمه يكتب الحسيني، منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية، والناس ينسبون فيه الحسنواين أهل أمسيون (جبل من جهة شمال بجاية)، وقد توفي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة 14 رمضان 611هـ/1214م، وتوفي فجأة من غير علة. الغريبي: المصدر السابق، ص135. ويضيف الأستاذ بونار، في شرحه على هامش عنوان الدراية، أن أبو زكرياء يعرف الآن بأبي قبرين عند عامة بجاية، وهو مدفون بشاطئ البحر. المصدر نفسه، هامش ص135.

(5) مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص263.

الفضلاء والأخيار من المشايخ والفقهاء والمتصوفة، ثم استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق⁽¹⁾ وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه والتذكير⁽²⁾ و محمد بن إبراهيم الأصولي (ت 660هـ/1261م)⁽³⁾ أبو عبد الله، فقيه من القضاة في المذهبين المالكي والشافعي⁽⁴⁾ من أهل بجاية، وأصله من بني مرزقان بإشبيلية، رحل إلى المشرق، وأخذ عن جمهرة من أقطاب المحدثين، ولم يسمع إلا يسيرا بمصر، وعاد ولم يجمع وولي قضاء المدن بجزيرة الأندلس⁽⁵⁾ ولي قضاء بجاية ثلاث مرات، صرف عن آخرها سنة 608هـ/1211م⁽⁶⁾ دخل الأندلس مرارا، وولي قضاء مرسية منها، واستخلف بمراكش على القضاء⁽⁷⁾، وتوفي مذبحا، ببجاية سنة 612هـ/1215م-1216م⁽⁸⁾.

ومن العلوم الدينية الأخرى التي ركز عليها علماء المغرب الأوسط خلال رحلاتهم العلمية علوم القرآن، وهي تشمل علم القراءات، وعلم التفسير، واشتهر منهم، علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التحيبي (ت 637هـ/1239م)⁽⁹⁾ فدفعه ذلك إلى تفسير القرآن في كتاب سماه مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المتزل⁽¹⁰⁾ ورغم أن ابن فضل الله العمري يقول عنه "وله تفسير فيه أشياء عجيبة الأسلوب، غريبة المعاني"⁽¹¹⁾.

(1) الغريبي: المصدر نفسه، ص136؛ والتادلي: المصدر السابق، ص428.

(2) الغريبي: المصدر نفسه، ص136.

(3) برز في علم الكلام وأصول الفقه حتى اشتهر بالأصولي، وكان عالم وقته في هذا الميدان. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص271-272؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص18.

(4) الصفدي: المصدر السابق، ج2، ص9.

(5) الغريبي: المصدر السابق، ص184؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص18.

(6) الغريبي: المصدر نفسه، ص185؛ والقراي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، مصر، 2004، ص224.

(7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص218؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص37.

(8) التنبوكي: المصدر السابق، ص378. أما عند الصفدي فذكر أنه توفي سنة 604هـ/1207م. المصدر السابق، ج2، ص9.

(9) هو الشيخ الفقيه، علي بن أحمد، أبو الحسن بن إبراهيم الحرالي، التحيبي، لكنه ولد بمراكش، ومن جملة العلماء الذين لقيهم بالمغرب أبو الحسن ابن خروف وأبو الحجاج ابن هوى، ثم تخطى عن الدنيا ورحل إلى المشرق، أين التقى بجملة من العلماء الكبار، منهم الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشريف، وقد وقع له خلاف مع الشيخ عزا لدين، بن عبد السلام، إمام الديار المصرية في زمانه، فخرج من مصر وقدم بجاية، وجلس في مسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م) ثم قرر التوجه إلى مدينة الرسول (ص)، فترل بحماة، وتوفي بها سنة 637هـ/1239م وقد ترجم له الغريبي: المصدر السابق، ص145؛ والمقري: المصدر السابق، ج2، ص387؛ والتنبوكي: المصدر نفسه، ص318؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330.

(10) حسب الغريبي أن تفسير الحرالي كاملا. المصدر السابق، ص146. ولكن ما نقله المقري يفيد أن تفسيره غير كامل، وهو ينتهي في سورة آل عمران. أنظر: المصدر السابق، ج2، ص189. وقد قال عنه الذهبي أن له تفسير فيه أشياء عجيبة لم أتحقق ما تنطوي عليه العقيدة. التنبوكي: المصدر السابق، ص320.

(11) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثامن "طوائف الفقراء-الصوفية"، تحقيق بسام محمد بارود، الجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص337.

وعبد الله بن محمد الفهري⁽¹⁾ الذي ولد بتلمسان عام 567هـ/1172م، ارتحل إلى المشرق، و
بها أتم معلوماته في الفقه والأصول، وله من التأليف "شرح العالم" في أصول الفقه للرازي، وغيرها⁽²⁾.
كما لم تقتصر رحلات علماء المغرب الأوسط على تلقي العلوم الدينية فحسب، بل تعدتها إلى
العلوم الأخرى، مثل اللغة العربية وآدابها، وكان لبعد المغرب الأوسط عن مصادر الدراسات النحوية في
البصرة والكوفة دور كبير في تشدد الدراسين بالالتزام بقواعد اللغة والتعمق في دراستها.
منهم كذلك أبو الحسن خطاب بن أحمد بن عدي بن خليفة بن عبد الله بن الوليد بن أبي
الوليد⁽³⁾ التلمساني أصلاً ومنشأً، البغدادي وفاة، ورد بغداد عام 520هـ/1127م، ولا ندري متى
كانت وفاته⁽⁴⁾، ذكره الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي ببغداد أن خطاباً
كان إماماً فاضلاً، وله شعر حسن ويد بأسطة في اللغة⁽⁵⁾.
ومن علماء المغرب الأوسط في الفترة الموحدية الذين اقتصروا باللغة وهاجروا إلى المشرق أبو
الخطاب عمر بن الحسن⁽⁶⁾ بن علي بن دحية⁽⁷⁾ الكلبي (ت 633هـ/1235م)⁽⁸⁾، وهو من الحفاظ
التقات، استوطن بجاية، وتعلم على يد والده أبي علي، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة، وقد ارتحل
إلى المشرق في عهد بني أيوب السلطان الكامل محمد بن الملك العادل (ت 635هـ/1237م) فرفعوا
شأنه وقربوا مكانه⁽⁹⁾. وكانت رحلة مهمة في طلب الحديث، أخذ من خلالها عن جملة من الشيوخ
منهم أبو إسحاق إبراهيم بن خالويه، وأبو الحسن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الشيرازي، وأبو سعد عبد
الله بن عمر بن الصفار... وغيرهم كثير⁽¹⁰⁾.

-
- 1) هو أبو محمد عبد الله بن محمد الفهري، توفي عام 644 هـ / 1246 م. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 421.
 - 2) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص 421.
 - 3) العماد الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، الدار التونسية للنشر، ط 2، 1986، قسم المغرب، ج 2، ص 341.
 - 4) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 459.
 - 5) العماد الاصفهاني: المصدر السابق، ج 2، ص 341. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 459.
 - 6) ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 280-281؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985، ج 22، ص 389-395. ولد سنة 547 هـ / 1152 م بالأندلس، وتوفي في 14 ربيع الأول سنة 633 هـ / 1235 م بالقاهرة، ودفن بسفح المقطع. المقرئ: المصدر السابق، ج 2، ص 99.
 - 7) دحية، وهو شبيه جبريل، أي الرجل الذي يأتي جبريل في صورته، وقد قد كذبه تاج الدين الكندي في نسبه، حيث قال له أن دحية بإجماع المحدثين ما أعقب. ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 281.
 - 8) المقرئ: المصدر السابق، ج 2، ص 104.
 - 9) الغريبي: المصدر السابق، ص 230.
 - 10) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 217.

ومحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر التلمساني حافي رأسه⁽¹⁾ والذي درس على يد علماء العهد الموحدية كمحمد بن منداس، وعبد الرحمن بن الزيات، ثم ارتحل إلى المشرق، فترز مصر واستقر بالإسكندرية، وتصدر لإقراء اللغة العربية، فتخرج عليه طلبة كثيرون، منهم تاج الدين الفاكهاني⁽²⁾، وكانت وفاته عام 680هـ/1281م⁽³⁾ كان من أئمة عصره في العربية، إذ هو أحد النحاة الثلاثة المحمّدين في عصر واحد هو في الإسكندرية، وابن النحاس في مصر، وابن مالك في دمشق⁽⁴⁾.

والمتمتع لحركة علماء المغرب الأوسط نحو المشرق العربي يبين أنها زادت كثافة وتواجدا في الفترة المنحصرة بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين، أي السادس والتاسع الهجري، أي في الفترة الموحدية والزيرية⁽⁵⁾.

كما لم تقتصر رحلات علماء المغرب الأوسط نحو المشرق بل اتجهت كذلك نحو الأندلس، بسبب الوحدة السياسية والقرب الجغرافي، إضافة إلى التفرد والتميز في علوم كثيرة كالطب والفلسفة... ومربالمغرب الأوسط بعض العلماء من الأندلس والمغرب سواء للحج أو الدراسة، ومنهم الضبي (599هـ/1202م)، صاحب المؤلفات "بغية الملتمس، والأربعين من الأربعين، والمسلسلات النبوية، ومطالع الأنوار لصحيح الآثار"⁽⁶⁾ حيث كان متوجها نحو الحج، فمر ببجاية خلال الفترة الموحدية أين جالس عبد الحق الإشبيلي (ت 581هـ/1185م) فأخذ عنه، كما أفاد هو طلبة المنطقة بعلمه⁽⁷⁾. لا شك أن أقطار العُدوتين، بلاد المغرب جنوبا والأندلس شمالا، عرفت تبادلا حضاريا هاما عبر العصور، خاصة خلال العصر الموحدية بسبب طبيعة الوحدة التي فرضتها الدولة، وتفاعلت معها الشعوب، وأكد أن المغرب الأوسط شهد نمواً في الحركة العلمية التي وجدنا آثارها بارزة في بجاية وتلمسان خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

1) لقب بالحافي رأسه لأنه أقام مدة مكثوف الرأس، وقيل لخرة كانت في رأسه، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثيابا جددا لبدنه، فقال هذا لبدني ورأسني حاف. ابن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج 2، د ت، ص 257؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 119. هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر، الملقب بجمال الدين التلمساني. ابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص 256. الشهير بحافي رأسه الزناتي أصلا، ولد بتلمسان عام 606هـ/1209م، وقيل بتاهرت. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 119. وكانت وفاته عام 680هـ/1281م. ابن شاكر: المصدر السابق، ج 3، ص 410.

2) ابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص 256.

3) نفسه، ج 3، ص 410.

4) الصفدي: المصدر السابق، ج 3، ص 290.

5) عمار هلال: المرجع السابق، ص 210.

6) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 1، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج 1، ص 18.

7) المصدر نفسه، ج 2، ص 508.

لهذا نجد من تخير الأندلس وطنا له من علماء المغرب الأوسط، فنبغ فيها وترك بصماته واضحة في العلم والفكر والقضاء، وبالتالي استهوتهم الأندلس بجمالها ورخائها وبعلمها، حيث كانت تنافس المشرق في تخريجها للعلماء، وتصديرها للكتب، ومن بين أهم علماء المغرب الأوسط نجد: عبد الله بن عرجون التلمساني⁽¹⁾ الذي استقضى بغير موضع من العدو والأندلس" وكانت وفاته بتلمسان عام (534هـ/1139م)⁽²⁾ والجدير بالملاحظة أن هناك عوامل لعبت دورا رئيسيا في توفير شروط الاستعداد للتواصل والتقارب، أهمه على الإطلاق أن هذين القطرين-المغرب الأوسط و الأندلس- نهما من معين ثقافي واحد هو الحضارة الموحدية.

ونجد من ارتحل طالبا للعلم وجال في المغرب الأقصى والأندلس كالحسن بن أبي زُكُون التلمساني⁽³⁾، فدرس بقرطبة عن محمد بن عتاب، وبمرسية عن أبي علي بن سكرة وأبي محمد بن جعفر، ثم انتقل إلى فاس، واستقر بها إلى حين توفي عام (553هـ/1158م)⁽⁴⁾. كما كان أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني المعروف بابن قُرُقُول من قرية حمزة من عمل بجاية⁽⁵⁾ وكان رحالا إلى العلم نقالا فقيها⁽⁶⁾، انتقل من مالقة إلى سبتة سنة (564هـ/1168م) ثم سلا، ثم فاس وتصدر للإفتاء، توفي بها في (569هـ/1173م)⁽⁷⁾.

وفي أواخر القرن (5هـ/11م) وأوائل القرن (6هـ/12م) هاجر من تلمسان وجزائر بني مزغنة كوكبة من الأطر الزهدية إلى الأندلس للتمدرس عن كبار صوفيتها، إذ قصد كل من المحدث يوسف بن علي بن جعفر التلمساني، والفقير حجاج بن يوسف الجزائري اشيلية، وأخذوا بها "الإحياء" عن القاضي أبي بكر بن العربي (ت 543هـ/1148م)⁽⁸⁾.

-
- 1) هو أبو محمد عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون أصله من تلمسان، قال عنه ابن بشكوال: "فقيه حافظ للفقهاء، محقق فيه، وسمع من أبي علي الغساني، وغيره، وكان يميل إلى الحديث، ويحفظ كثيرا منه. أنظر: الصلاة، ج2، ص453.
 - 2) نفسه، ج2، ص453.
 - 3) هو أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المعروف بأن أبي زُكُون أصله من تلمسان وبها ولد عام 484هـ/1091م. ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25.
 - 4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25؛ وابن الأبار: المعجم، ص82؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص419؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.
 - 5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص520؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203.
 - 6) ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62.
 - 7) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص521.
 - 8) يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص114؛ والظاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

أما يوسف بن إبراهيم بن ميادة السدراتي الوردجاني (ت 570هـ/1174م)⁽¹⁾ وهو من مواليد واحة ورجلان "أورغلة" من مدينة سدراتة، حصل هناك على علومه الأولى، ثم سافر كثيرا بعد ذلك لتوسيع حقل معرفته، وحج إلى مكة المكرمة، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرطبة لدراسة اللغة العربية والحساب⁽²⁾.

كما كان المغرب الأوسط في العهد الموحيدي قبلة لكثير من العلماء الذين أتوا من الأندلس واستفادوا من أجواء الاستقرار السياسي والتنافس الثقافي الذي ساد الغرب الإسلامي وكان من بين هؤلاء عدد كبير من العلماء الذين باسروا العمل والتدريس في بجاية وتلمسان وغيرهما ومنهم : فقيه من علماء بني سفيان من لقنت هو محمد بن أحمد السلمي أبو بكر⁽³⁾ وبها نشأ وتعلم، ثم ارتحل إلى تلمسان وسكنها، وكان على قيد الحياة بها عام (557هـ/1162م)، حسبما ذكره ابن الأبار في التكملة⁽⁴⁾.

كما زودت اشبيلية المغرب الأوسط بالعديد من العلماء الأحيار وأهمهم عبد الحق الاشبيلي (ت 581هـ/1185م)⁽⁵⁾ رحل إلى بجاية وتخيّر لها وطنا، بعد سنة (550هـ/1155م)⁽⁶⁾ أي عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية⁽⁷⁾

وقد ولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة وجيزة، في فترة ابن غانية المعروف بالميورقي⁽⁸⁾ وأجاز له ابن عساكر⁽⁹⁾.

أما الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582هـ/1186م) بن أبي عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجي، الساعدي⁽¹⁰⁾ يكنى أبا جعفر من أهل قرطبة ونزل بجاية ومكث بها مدة، حيث درس وتلقى عنه الكثير من الطلبة، مما سمح بانتشار

-
- 1) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1985، ج5، ص368.
 - 2) ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون وكتاب السير والرواة الإباضيون الوهبيون في إفريقيا الشمالية، من القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة ماهر جرار وربما جرار، مؤسسة تاولت الثقافية، 2007، ص78-80.
 - 3) ميناء أندلسي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهو مرسى مدينة مرسية. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459
 - 4) أنظر: طبعة مدريد، ج2، ص210-211؛ وابن سعيد: المغرب، ص274.
 - 5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص257؛ والياضي: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص320.
 - 6) الغريبي: المصدر السابق، ص73. لكن ابن فرحون يحدد ذلك بعد الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية سنة 541هـ/1146م. أنظر: الديباج المذهب، ص277.
 - 7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1351.
 - 8) الغريبي: المصدر السابق، ص75.
 - 9) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص256.
 - 10) ينسب إلى سعد بن عبادة صاحب الرسول (ص). ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص239.

مؤلفاته، ثم سكن غرناطة وقتنا وتوفي بفاس⁽¹⁾ فهو بحق مثل للوحدة التي حققتها الدولة الموحدية مع المغرب والأندلس.

ولأبي مدين شعيب بن الحسين⁽²⁾ الأنصاري الأشبيلي أصلاً⁽³⁾، البجائي دارا و التلمساني وفاة، صيت ذاع في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي أيام يعقوب المنصور الموحد، وتوفي

عام (594هـ / 1197م)⁽⁴⁾.

أما أهم علماء الأندلس الذين نزلوا مدينة تلمسان آنذاك واستقر بها أبو بكر بن سعادة الاشبيلي⁽⁵⁾ أخذ عن أبي الحسن شريح وأبي العباس بن حرب المسيلي⁽⁶⁾، وأبو بكر بن العربي، وأجازته أبو بكر بن رزق، وعمر بها، وتوفي في رجب سنة (600هـ / 1203م)⁽⁷⁾ وبذلك تخرج على يده كثير من علمائها في الحديث وغيره من العلوم الدينية⁽⁸⁾.

كما لا يفوتنا في هذا الصدد أن نذكر الولي الصالح أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي (كان حيا في بداية القرن 7هـ / 13م)⁽⁹⁾ نزى تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور، بخارج باب القرمدين بتلمسان⁽¹⁰⁾ عاصر أواخر العهد الموحد، وساهم في ربط العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس من خلال نشره للتصوف في تلمسان في شكله الشعبي المتمثل في نزعته للزهد والخلوة⁽¹¹⁾.

-
- 1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص104؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.
 - 2) الغريبي: المصدر السابق، ص55-65؛ والتادلي: المصدر السابق، ص319-326؛ وابن قنفذ: انس الفقير، ص11-20؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص108-114.
 - 3) من حصن قنطانية من عمل إشبيلية. التادلي: المصدر السابق، ص319. أو من حصن يقال له منتوجب. الغريبي: المصدر السابق، ص55-56.
 - 4) الغريبي: المصدر السابق، ص61؛ و التادلي: المصدر السابق، ص319؛ والتليدي: المرجع السابق، ص64، 81.
 - 5) هو محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي، أبو بكر وأبو عبد الله، الفقيه المحقق. الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص227.
 - 6) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي، المتوفي سنة 539هـ / 1144م. ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص60.
 - 7) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.
 - 8) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ وعبد الحميد حاجيات: العلاقات بين تلمسان وغرناطة، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أبريل - ماي 2011، ص74.
 - 9) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص127؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص68-70.
 - 10) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص127، ص159.
 - 11) عبد الحميد حاجيات: العلاقات، ص74.

ويعتبر الفقيه يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي (ت 604هـ/1207م)⁽¹⁾ مثالا رائعا في ربط العلاقات بين مختلف أقطار الدولة الموحدية، بل حتى مع المشرق حيث رحل إلى الحج عام (560هـ/1164م) فأخذ في طريقه ببجاية عن أبي محمد عبد الحق الأزدي الاشبيلي، وعزم عليه في تأليف كتاب الأحكام، وقد فاوضه في ذلك، ولما قفل من رحلته أقام معه في بجاية، وصحبه أشهراً وأخذ عنه أحكامه، وكان من أقعد الناس به وبأخباره، وأخذ بالمشرق من العديد من الفقهاء والعلماء⁽²⁾.

وإذا رجعنا إلى كتب التراجم والطبقات لفقهاء المالكية نجد أن الكثير منهم تتلمذوا على علماء فاس، ومراكش، والكثير منهم أقبروا بفاس أو بمراكش، وكانت لهم مشاركة كبيرة في نشر العلم والمذهب المالكي بالمدرسة الفاسية، وبعضهم برز وفاق شيوخه⁽³⁾.

كما انتقل بعض المتصوفة من مدن المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى، على غرار أبو عمر بن علي بن الحسن التلمساني (ت 542هـ/1147م) وهو من نظراء الصوفي أبي عبد الله الدقاق السجلماسي، انتقل من تلمسان إلى سجلماسة وساهم بزهده وورعه وبراعته في تلاوة القرآن بمدينة سجلماسة⁽⁴⁾.

وهناك من صال وجال بين الأندلس والمغرب الأقصى كأبي علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المعروف بأبي زُكون أصله من تلمسان⁽⁵⁾ ارتحل إلى الأندلس طلباً للعلم، ثم انتقل إلى فاس، واستقر بها إلى حين توفي عام (553هـ/1158م)⁽⁶⁾ أما أبو عبد الله محمد بن موفق، صوفي من أهل بجاية عاش في النصف الأول من القرن السادس هجري/12م انتقل إلى مالقة ثم إلى مراكش أين استقر فيها إلى غاية وفاته⁽⁷⁾.

1) من أهل مالقة وذوي بيوتها الدينية ولد سنة 527هـ/1132م. و يكنى أبا الحجاج، ويعرف بابن الشيخ. ابن الأبار: التكملة، طبعة مادريد، ج2، ص737.

2) ابن الزبير: صلة الصلة، (تحقيق بروفنصال)، ص217-218.

3) حاولت الدكتورة حوالة عكاشة، أن تبين بأنه لا وجود لمدرسة تلمسانية مالكية مستقلة بل ربطتها دوماً بالمدرسة الفاسية واستدللت بتقسيم صاحب شجرة النور الزكية لتراجم المالكية إلى طبقات ولكل طبقة فرع هي: فرع العراق، وفرع الأندلس وفرع إفريقية، وفرع فاس جمعت فيه علماء المغرب الأقصى والأوسط، كما ذكرت في الهامش العديد من الباحثين الذين هُجوا على هذا المنوال. حوالة عائشة: أثر المدرسة المالكية الفاسية في نشأة المدرسة التلمسانية، أعمال الندوة الدولية حول المدرسة المالكية الفاسية أصالة وامتداد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2010، ص210. لكن يبقى إصدار حكم عام كهذا يستوجب الدراسة والتحليل أكثر إما بالإيجاب أو النفي خاصة أن أغلب الفقهاء الذين استدللت بهم الدكتورة لفترة متأخرة بدءاً من القرن الثامن هجري.

4) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص108؛ و الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص283.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مادريد)، ج2، ص25.

6) ابن الأبار: المعجم، ص82؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص419؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.

7) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص283.

كما أن التلمساني علي بن أبي قنون، درس الفقه المالكي بها ثم رحل إلى الأندلس وبها قضى مدة من حياته، فأخذ منها وأعطى، ثم عاد إلى المغرب⁽¹⁾، وتولى خطة قضاء الجماعة بتلمسان ومراكش بعد أبي يوسف حجاج فسار فيها أحسن سيرة⁽²⁾، توفي عام (557هـ/1162م)⁽³⁾، فكان خير سفير وممثل لمتقفي المغرب الأوسط.

ومنهم من اتصل بالمغرب الأقصى تاجرا وطالبا للعلم في نفس الوقت كمحمد بن علي ابن رمامة، من أهل قلعة بني حماد، نزل مدينة فاس، يكنى بأبي عبد الله، ويعرف بابن الرمامة⁽⁴⁾ روى عن أبي الفضل بن النحوي، وتفقه على يده، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن حماد، وخاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشوة بالجزائر، وأبي حفص التوزري، وأبي محمد المقرئ ببجاية، وغيرهم ودخل الأندلس فلقي بقرطبة أبا محمد بن عتاب، وأبا الوليد بن رشد وغيرهم ونزل مدينة فاس وولى قضاءها سنة(536هـ/1141م)⁽⁵⁾، وتوفي بفاس سنة(567هـ/1171م)⁽⁶⁾.

أو يتزل كضيف عند العديد من العلماء سواء في المغرب الأقصى أو الأندلس كأبي الحسن القلي علي بن يحيى بن سعد، بن مسعود بن سهل الأنصاري، سكن اشبيلية ومراكش وغيرهما من بلاد العدوتين⁽⁷⁾ أو يتجه نحو مدن المغرب الأقصى قصد العمل والاسترزاق، وفي نفس الوقت الاحتكاك والاتصال بعلمائها، مثل أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي، المعروف بالتلمساني وكان زاهدا ورعا، سكن سلا، يحترف بالنسخ و"ثاقا"، ولا يقبل فيه سوى قيمة العدل⁽⁸⁾ واستقر أخيرا بفاس وبها مات سنة(579هـ/1183م)⁽⁹⁾.

أما الحسن بن حجاج الهواري، وهو من فقهاء المالكية، أصله من بجاية، أخذ عن أقطاب عصره ، سكن مراكش، ودخل الأندلس مرارا، وولى الخطبة بإشبيلية سنة(580هـ/1184م)، توفي بمدينة فاس(598هـ/1202م)، وحمل بعد أشهر إلى مراكش فدفن بها⁽¹⁰⁾.

1) عمار هلال: المرجع السابق، ص149.

2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص160.

3) كان حيا في آخر عشر الثمانين وخمسمائة، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة. ابن الأبار: المعجم، ص294.

4) جده الأكبر أحمد هو الذي يعرف بابن الرمامة، وقيل امرأة نسب إليها. ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص370.

5) المصدر نفسه، ج2، ص370؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص152-153.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص371 53؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص306.

7) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص101.

8) المصدر نفسه، ج1، ص108.

9) التادلي: المصدر السابق، ص280. لكن يحيى بن خلدون يذكر انه توفي بسلا. أنظر: بغية الرواد، ج1، ص108.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص33؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص337؛ وعمار هلال: المرجع السابق،

وقبل نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري/11م كانت الحركة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط تستمد أفكارها وتياراتها من الحياة الثقافية والفكرية والعلمية السائدة في القيروان، حتى أن بواكير الزهد والتصوف التي شهدتها المغرب الأوسط آن ذاك، تلقى روادها تعليمهم، واستمدوا أفكارهم من شيوخ القيروان⁽¹⁾.

بعد خراب القيروان على يد القبائل الهلالية(449هـ/1057م) وما تبعه من غزو النورمان لمدين إفريقية الساحلية، في غضون النصف الأول من القرن السادس الهجري/ 12م، جعل العلماء يشدون الرحال إلى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، خاصة إلى مدينتي بجاية وتلمسان، حيث توافد عدد غير محدد من طلاب إفريقية على أبي مدين شعيب في بجاية ينهلون من علومه⁽²⁾.

والمغرب الأدنى كان في البداية قبل فتحه الكلبي من قبل الموحدين -عبد المؤمن- مقاطعة تابعة لولاية بجاية، لينفصل فيما بعد ويصبح ولاية إدارية قائمة بذاتها، مع تعيين أبناء عبد المؤمن كولاة عليه وعلى بجاية وتلمسان، وبالتالي استمرت العلاقة الأسرية، لتتوج على المستوى الشعبي بعلاقات ثقافية وتبادل للزيارات والرحلات.

تذكر لنا المصادر والآثار أخباراً كثيرة من رجال الدين والعلم والفن، ويبرز هنا عالم فاضل، لا تأخذه في الله لومة لائم يجسد المعنى الحقيقي للعلاقات بين المغرب الأدنى والمغرب الأوسط وهو عبد السلام التونسي(ت589هـ/1193م)⁽³⁾ أصله من تونس وصحب عمه العزيز التونسي بأغامت، فلما مات بها عمه نزل هو إلى تلمسان⁽⁴⁾، درس على يد عمه عبد العزيز⁽⁵⁾ ونزل في الرهبان عالماً⁽⁶⁾، وهو من شيوخ الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وكانت وفاته بتلمسان، ودفن بالعباد، في الرابطة المعروفة برابطة التونسي⁽⁷⁾، ثم دفن الشيخ أبو مدين بعد وفاته بجواره في روضته⁽⁸⁾ فكانت له لقاءات علمية وروحية مع عدد من علماء المغرب الأوسط، فأفاد منه خلق كثير، علماً وتربية وسلوكاً.

1) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن 10 إلى القرن 12، ترجمة حمادي الساحلي،

دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج2، ص337، ص347، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص276-277.

2) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص47؛ والهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص415.

3) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص107-108؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص22.

4) التادلي: المصدر السابق، ص110.

5) هو عبد العزيز التونسي، أبو محمد، سكن مالقة، ثم استقر بأغامت توفي سنة 486 هـ/1093م. ابن بشكوال: المصدر السابق،

ج2، ص549.

6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص125.

7) التادلي: المصدر السابق، ص110.

8) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص419.

كما وفد على تلمسان قادما من حضرة الموحدين مراکش الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي (وتوفي بتلمسان سنة 608هـ/1211م)، وكان له مجلس علم يدرس فيه كتاب البرهان لأبي المعالي، وقد مال إلى التصوف⁽¹⁾.

إضافة إلى بعض علماء المغرب الأدنى الذين وفدوا على أبي مدين شعيب نذكر أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهداوي (ت 621هـ/1224م)، حيث استقر بعد عودته من بجاية في مدينة تونس، والتزم قصر المنستير معلما ومتعبدا⁽²⁾، وأبو يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني (ت 621هـ/1224م) الذي أخذ التصوف عن أبي مدين شعيب ببجاية، ولما عاد إلى إفريقية استقر بالقيروان، وتخرج على يده العديد من الطلبة⁽³⁾.

وتأثر أبو سعيد يحيى الباجي (ت 628هـ/1230م) بأبي مدين وأفكاره من خلال احتكاكه بمدينة بونة ووجود علاقات أخوية مع بعض صوفيتها⁽⁴⁾.

كما كان الشيخ الفقيه عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي (ت 636هـ/1238م) الكاتب المحصل، الأديب البارع، أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، نشأ بتونس، وتوفي بقسنطينة، أحد الأشياخ المنتصبين للتدريس والرواية⁽⁵⁾.

وبذلك ساهمت الرحلات العلمية في ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط، فالرحلات الداخلية أوجدت نوعا من التكامل العلمي بين المؤسسات العلمية المختلفة في المغرب والأندلس، أما الرحلات الخارجية فقد جعلتهم يطلعون على ما أنتجه إخوانهم المشاركة في مختلف فروع العلوم ومكنتهم من التعرف على مختلف التيارات الفكرية والأدبية وحتى المذهبية⁽⁶⁾.

1) التادلي: المصدر السابق، ص 406.

2) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 97-99، والوفيات، ص 298.

3) الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوحي، تحقيق وتعليق محمد مازود، المكتبة العتيقة تونس-مكتبة الخانجي مصر، دط، 1978، ج 3، ص 213.

4) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 278.

5) الغريبي: المصدر السابق، ص 271.

6) صفية ديب: المرجع السابق، ص 174.

2 - المجالس العلمية

اهتم الموحدون كثيرا بالعلم والمعرفة، وقربوا إلى مجالسهم العلماء والمفكرين والفلاسفة، فأدى ذلك إلى ازدهار الحركة العلمية في المغرب ازدهارا لم يسبق له مثيل في تاريخه الطويل⁽¹⁾ فأصبح تعدد المجالس في المدن والحوضر بالغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط على الخصوص مظهرا من المظاهر الرائعة لليقظة العلمية والفكرية التي كانت منتشرة في ربوع وأرجاء الدولة الموحدية، وهو دليل على الضمما والشغوف لارتداد مناهل العلم الكثيرة والتي منها المجالس العلمية.

ومما لاشك فيه أن الدولة الموحدية كانت تحظى بكثرة خلفائها المشاركين في العلوم والفنون ومن ثم فإن تقديرهم للعلماء كان صادرا عن معرفة، وليس عن نفاق ومصانعة، فقد حرص كل خليفة على أن يكون له قدر كبير من الثقافة، تسمح لأي منهم بمجالسة الفقهاء الذين كانوا في العدة زينة مجالس الخلفاء ومستشاريهم، والمؤكد أن ثقافتهم تلك كانت سببا رئيسيا دفع بهم إلى احترام العلماء وإجلالهم⁽²⁾.

كان أول مجلس علم بعد بزوغ الدعوة الموحدية، مجلس المناظرة⁽³⁾ الذي عقده الأمير المرابطي لابن تومرت من أجل إفحامه وإبطال دعوته، لكنه تفوق عليهم جميعا من خلال إتقانه لعلم الكلام والجدال⁽⁴⁾، فكان إيذانا لدولة أول بذرتها مجلس علم ومناظرة.

فكانت مجالس العلم التي يعقدها ابن تومرت في البداية بسيطة، حيث تكون مختلطة بين الرجال والنساء، فيأمر أن يكون الرجال أمامه، والنساء خلفه لئلا يسمعهن كلامه⁽⁵⁾.

ومن أهم المجالس العلمية، والتي داوم عليها العلماء والطلبة، والعامّة، باعتبارها واجبة دينيا، هي مجالس الخطبة في صلاة الجمعة، والدرس الذي يسبقها، والتي هي أحد مجالس العلم الفقهية⁽⁶⁾ وقد أشار الغبريني⁽⁷⁾، وكذا يحيى بن خلدون⁽⁸⁾ إلى العديد من الشيوخ الذين انتدبوا للخطبة وإلقاء الدروس في المساجد، وبالتالي رئاسة المجالس العلمية المختلفة.

1) عبد القادر عثمان: المرجع السابق، ص245؛ و يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص352.

2) صفة ديب: المرجع السابق، ص216.

3) المناظرة لغة من النظر، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحا هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئين، إظهارا للصواب. الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1985، ص250.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص174-175؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ وهويثي مراندا: المرجع السابق، ص57.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص167.

6) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص28.

7) عنوان الدراية، ص73، 77، 137، 93، 138.

8) أنظر: بغية الرواد، ج1، ص103، 104، 128.

ومن مظاهر رعاية الموحدين للعلم والعلوم المختلفة تلك المجالس العلمية، أو المجالس الفكرية التي كان يعقدها خلفاء وأمراء وولاة الموحدين، ويدعى إليها فطاحلة وكبار العلماء في مختلف العلوم من المغرب والأندلس، وقد ينظم لمن يريد الانضمام إلى المجالس العلمية امتحاناً أو اختباراً في العلم الذي يجيده، للتحقق من مستواه العلمي في ذلك العلم⁽¹⁾.

كما بلغ علماء الموحدين شأواً كبيراً في حفظ القرآن والحديث، ونالوا المرتبة الرفيعة بين العلماء، لعقدتهم الكثير من المجالس العلمية لإسماعه، واتخاذ بعضهم مواسم له كشهر رمضان، حيث يدعى الطلاب من مختلف المدن لحضور هذه المجالس⁽²⁾ وكان عدد الطلاب يتزايد تبعاً لمكانة الشيخ وعلو منده، إضافة إلى أهمية ونوع الكتب التي تسمع وتناقش في هذه المجالس⁽³⁾.

لقد تشبه ملوك الدولة الموحدية، بخلفاء بني العباس في مجالسهم، فكانوا يفتحون باب المناقشة بين العلماء، ويشاركون فيها بأنفسهم، وكانوا يتخذون لأولادهم مؤدبين ميرزين، كذلك كان الخلفاء الموحدون يقيمون الندوات الشعرية التي يشترك فيها كثير من الشعراء، فقد أقام عبد المؤمن ندوة أدبية ضخمة في جبل طارق، واستدعى لها الشعراء، واجتمع على بابهم عدد كبير⁽⁴⁾.

كان يحضر في مجالس الخلفاء والأمراء علماء كثيرون من بينهم أبو بكر بن الجدد (ت 586هـ—1190م)، وأبو الفضل بن محمد بن محشرة (598هـ/1201م)⁽⁵⁾ وعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م)، وأبو بكر بن طفيل (ت 581هـ/1185م)⁽⁶⁾، ومحمد بن عبد الله بن

1) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 353.

2) رشيد ملين: عصر المنصور الموحدي، من سنة 580 هـ إلى سنة 595 هـ، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، د ت، ص 249.

3) صفية ديب: المرجع السابق، ص 147.

4) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 98-102.

5) عند عبد الواحد المراكشي ابن محشوة. المصدر السابق، ص 173؛ وابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 260. كان أبوه قاضياً على بجاية، استدعاه الخليفة أبو يعقوب الموحدي (558-580 هـ) (1162-1189 م) إلى حضرته، بمراكش الغبريني: المصدر السابق، ص 83-84. فارتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله، مع العلم أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله، حيث عينه كاتباً عنده، خلفاً لأبي القاسم القالمي. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 173. ولما وصل إلى حضرة مراكش، ومثل بين يدي الخليفة رأى من أحسن سيمته، ووقاره، ما أغناه عن اختباره، فأكرم نزله، ورفع منزلته، ومجله، وعندما وقع الإطلاع على ما عنده من فنون العلم، علم أن الكتابة التي وقع الاستدعاء بسببها، إنما هي بعض صفاته الغبريني: المصدر نفسه، ص 84.

6) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي، من أهل وادي آش يكنى أبا بكر، وهو من مشاهير الأطباء وأهل الحدق والنظر، له رسالة حي بن يقضان والأرجوزة الطبية وغيرها توفي سنة 581هـ/1185م. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط 1، القاهرة، مصر، 1974، ج 2، ص 478-479.

مروان، الوهراي (ت601هـ/1204م-1205م)⁽¹⁾، وابن رشد الحفيد (ت595هـ/1198م)⁽²⁾، وصديقه محمد بن إبراهيم الأصيلي (ت660هـ/1261م)⁽³⁾ الذي تدخل في حضرة المجالس السلطانية ودافع وناظر جملة من العلماء والوزراء، بما فيهم الخليفة نفسه "بجامع المسلمين"⁽⁴⁾.

حيث سخط الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م) على ابن رشد بتحريض ووشاية من حساده، ويذكر المراكشي أن سبب دواعي المحنة سببان جلي وخفي، الخفي هو شرحه لكتاب الحيوان⁽⁵⁾، وأما السبب الجلي أنه وجد المغرضون بعض تلاخيصه التي كتبها بخط يده حاكيا عن بعض قدماء الفلاسفة⁽⁶⁾... فقد ظهر أن الزهرة - أي الكوكب - أحد الآلهة... فأوقفوا ابن رشد على هذه الكلمة، فاستدعاه المنصور بعد أن جمع له الرؤساء والأعيان، فأراه الأوراق وقال له أخطك هذا؟ فأنكر، فتدخل صديقه محمد بن إبراهيم الأصيلي جرى في ذلك المجلس السلطاني نقاش حول العمل بالشهادة

1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 129. الهمداني الوهراي مولدا، التلمساني منشأ، وأصله من الأندلس ولي قضاء تلمسان و اشتهر بذلك حتى أعجب الخليفة المنصور الموحدى به، فاستدعاه إلى حضرته وولاه قضاء قضائه بمراكش. ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 374؛ ويحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 113. في مكان أبي جعفر بن مضاء، فتولاها سنة 584 هـ/1188م، ثم تولى قضاء إشبيلية إلى سنة 592 هـ/1195م، فانصرف يومئذ عن القضاء ثم أعيد إليه بعد انصراف أبي القاسم بن بقي. ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 374؛ وعبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج 2، ص 38. ثم عزله، ثم ولاه الخليفة الناصر، وبقي في منصبه إلى أن توفي بمراكش عام 601 هـ/1204م - 1205م. ابن سعيد المغربي: الغصون البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص 29-33.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 207. وابن رشد الحفيد هو العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن العلامة المفتي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، أدرك من حياة جده شهرا سنة عشرين، وتفقه وبرع، وسمع الحديث وأتقن الطب، وأقبل على كلام الفلسفة، وتأليفه كثيرة، وتوفي في صفر بمراكش 595 هـ/1198م. ابن العماد: المصدر السابق، ج 6، ص 522-523.

3) هو محمد بن إبراهيم الفهري البجائي، المشتهر بالأصولي برز في علم الكلام وأصول الفقه حتى اشتهر بالأصولي، وكان عالم وقته في هذا الميدان. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص 271-272. من أهل بجاية، وأصله من بني مرزقان بإشبيلية، ولي قضاء بجاية ثلاث مرات، صرف عن آخرها سنة 608 هـ/1211م. الغبريني: المصدر السابق، ص 185؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 18. دخل الأندلس مرارا، وولي قضاء مرسية منها، واستخلف بمراكش على القضاء، ولما امتحن ابن رشد سنة 593 هـ/1196م محنته المشهورة، في عهد الخليفة المنصور، لكنه عفي عنه الخلفة الناصر، وكف بصره في أواخر حياته، وتوفي ببجاية سنة 612 هـ/1215م-1216. الغبريني: المصدر السابق، ص 186. أما عند الصفدي فذكر أنه توفي سنة 604 هـ/1207م. أنظر: المصدر السابق، ج 2، ص 9.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص 26، والسفر الثامن، القسم الأول، ص 271-272؛ والقراي: المصدر السابق، ص 225.

5) في الكتاب ذكر الزرافة في شرحه على كتاب الحيوان لأرسطو طاليس، وقال بأنه رأى هذا الحيوان عند ملك البربر (اغتاظ الخليفة لوصفه بالبربري لأنه يدعي النسب العربي) احمد مختار العبادي: دراسات، ص 118 فدافع محمد بن إبراهيم الأصيلي عن صديقه، وقال: إنما الكتاب فيه تحريف، إذا الصواب فيه هو قوله "ورأيت الزرافة عند مالك البربر، لا ملك البربر" عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 218؛ وابن عذارى: المصدر السابق، (قسم الموحدين)، ص 226؛ والغبريني: المصدر نفسه، ص 185.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر السادس، ص 25-26؛ والقراي: المصدر نفسه، ص 225.

على الخط، فوجدها الأصولي فرصة ثمينة لتركيز دفاعه عن صديقه، فقال لذلك الجمع: إنكم منعمت
الشهادة على الخط في الدرهم والدينار، وتجاوزونها في قتل المسلم؟!... فكان ذلك سببا في تخفيف الحكم
على ابن رشد وعلى جماعة من الفقهاء⁽¹⁾.

كان إذا حضر مجلس أمير المؤمنين، ابن عبد المؤمن، وتقع المذاكرة بين يديه يسامحه الحاضرون من
الطلبة في المذاكرة، وكان هو لا يسامحه في شيء، وكان أمير المؤمنين يُجد منه في مجلسه، ويعرف له مع
ذلك فضل، فلا ينقصه شيئا من حقه⁽²⁾ كما كان عبد المؤمن يحدث جلساءه ويفاوضهم⁽³⁾ ويقنعهم
بالحجة والدليل، أو قد يتراجع عن بعض أقواله دون تعصب.

كما كان أبو يعقوب يوسف (ت 580هـ/1184م) يجمع حوله صفوة العلماء والمفكرين،
ويعقد مجالس خاصة معهم في قصره يستمع إلى آرائهم وأفكارهم، وكان يطرح أحيانا بنفسه المسائل
العلمية على الطلبة والحاضرين، فهو كان غاية في العلوم والتفنن فيها⁽⁴⁾ وكانت هذه المناظرات تفتتح
بإلقاء مسألة من العلم يلقيها الخليفة نفسه، أو بعد إذنه بعض الحاضرين في هذه المجالس العلمية⁽⁵⁾ وقد
كانت هذه المجالس منظمة تنظيما فريدا حتى في ترتيب الجلوس مما يزيد لها مهابة وجلالة فكان يجلس إلى
جانب الخليفة خطيبه ففاضي الجماعة بمراكش، فرئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة فباقي الأعلام
والحاضرين على اختلاف مراتبهم⁽⁶⁾.

تميزت المجالس العلمية التي كان يعقدها الخلفاء، أو الولاة كوالي بجاية وتلمسان، بكونها حافلة
بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم من أدباء وشعراء وفلسفة وطب⁽⁷⁾ كمجلس الأمير أبو زكرياء يحيى
بن يوسف بن عبد المؤمن، وممن كان يحضرها عبد الواحد المراكشي، صاحب كتاب المعجب⁽⁸⁾.

1) نفى الخليفة ابن رشد إلى أليسانة (قرية قريبة من قرطبة) كما أن محنته لم تدم أكثر من سنتين أو ثلاث (593-595 هـ/1196-
1198م) فقد عفا المنصور عن الرشيد، وأعادته إلى سابق عهده، ولو أنه لم يعمر بعد ذلك إلا سنة حيث توفي سنة 595 هـ، عن
عمر 75 سنة ولزيد من المعلومات عن نكبة ابن رشد. انظر محمد عابد الجابري: المتقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة
ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، لبنان، 2000، ص 121-122؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق،
ج 2، ص 37.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص 185.

3) ابن القطان: المصدر السابق، ص 176.

4) لقد اشتهر المنصور بمجالسه العلمية الجامعة التي كان يعقدها بقصره. بمحضر رجال الدولة والعلماء، وكان يخصص لكل نوع من
العلوم يوما من أيام الأسبوع فكان هناك مجلس للفقهاء وآخر للأدباء وثالث للأطباء وهكذا رشيد ملين: المرجع السابق، ص 149؛
ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 353؛ عبد الهادي حسييس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية،
مطبوعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد 2، 1981، ص 314-315.

5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 174.

6) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 353.

7) محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 31.

8) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 220.

بذلك أصبحت مجالس الخلفاء الموحدون ندوات علمية رفيعة، والذي دفعها للرقى هو شغفهم بالعلم وحبهم له، فأصبحت مجالس المناظرة والمحاضرة⁽¹⁾ ومطارحة الأدباء ومحاوره الشعراء⁽²⁾.

كما استدعى الخليفة المنصور أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج البلنسي (ت 601 هـ/ 1204م) المعروف بالذهبي نزيل تلمسان، استدعاه إلى مراكش حيث حلّى به بلاطه، أين كانت تقام المجالس العلمية، وكان ابن فرج أبرز أعضائها، ولما آلت الخلافة للناصر، جعله على رأس مجالسه، كما جلس للإقراء بتلمسان وانتفع به الناس⁽³⁾.

كان الخلفاء يطلبون العلماء في منازلهم، فقد كان أبو يعقوب يوسف (580 هـ/ 1184م) يقيم عند ابن طفيل عدة أيام بلياليها⁽⁴⁾، وكان أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب⁽⁵⁾ أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن⁽⁶⁾ كما كان ذا حظوة عظيمة محمد بن عبد الحق اليفرنى (ت 625 هـ/ 1227-1228م)⁽⁷⁾ والذي أكرمه الأمراء والملوك⁽⁸⁾ ولا ننسى محمد بن أحمد الحجام التلمساني (ت 614 هـ/ 1217م)⁽⁹⁾ الذي حضى بمجلس علم عند الخلفاء الثلاث المنصور، والناصر والمستنصر⁽¹⁰⁾.

بذلك حضى علماء تلمسان وبجاية بسمعة طيبة في حواضر الدولة الموحدية بل حتى والإسلامية منها المشرقية والأندلسية، لأنهم بلغوا من النضج الثقافي والعلمي درجة كبيرة، جعلهم يفرضون

1) ابن القطان : المصدر السابق، ص 176.

2) شفيق محمد : المرجع السابق، ص 35.

3) محمد طمار: تلمسان، ص 79.

4) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 350.

5) فقيه جليل فاضل، قال عنه الغبريني "هو أول بيت بني الخطاب ببجاية، ولي قضاءها من مراكش، وكانت له صلاحة في الأحكام، وقلة مبالاة بأحد من الحكام، وكان إذا حكم أمضى وإذا وصل أرضى... واستمرت مدته، وطالت ولايته وقد توفي في النصف الأول من القرن السابع هجري. أنظر: المصدر السابق، ص 213؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 134.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص 213.

7) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 112، وابن القاضي شهية: طبقات النحاة واللغويين، تحقيق محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1984، ص 153؛ والزركلي: المرجع السابق، ج 6، ص 186.

8) يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ص 112؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 395-396؛ والسملالي: المرجع السابق، ج 4، ص 184.

9) التادلي: المصدر السابق، ص 439-440.

10) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 266.

المستنصر هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه رومية إسمها قمر، كانت ولا دته سنة 594 هـ/ 1197م قبل وفاة جده أبي يوسف بأربعة أشهر، بويع ووسنه ست عشرة سنة في 610 هـ/ 1213م، وتوفي سنة 620 هـ/ 1223م. ولمزيد من المعلومات أنظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 231-235، و ابن خلدون : العبر، ج 6، ص 337.

وجودهم وحضورهم في المجالس العلمية والمؤسسات التربوية، وبما أنتجوه من مصنفات في العلوم والآداب، وفقه النوازل وفي التفسير والحديث والتصوف وغيرها من العلوم⁽¹⁾.

وقد كانت المجالس العلمية مظهراً آخر من مظاهر النشاط الفكري، في دولة الموحدين، وكان الخلفاء الموحدون أنفسهم يشتركون في تلك المناظرات، ومن هؤلاء الخليفة عبد المؤمن والخليفة المنصور، وقد كان هذان الخليفان يلقيان المسائل بأنفسهما على المشتركين في المجالس العلمية⁽²⁾.

كما استدعى الخليفة يعقوب المنصور (ت 595هـ/1198م) الفقهاء لعقد مجلس علمي بمراكش للنظر في قضية لعن الفقيه المالكي البجائي أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م) لفقه ابن حزم الظاهري، فطلب منه الخليفة الحضور إلى المجلس العلمي، للدفاع عن نفسه، وشرح مواقفه، فاتجه إلى مراكش، وناب عنه فقيه آخر من المغرب الأوسط هو عبد الكريم الحسيني⁽³⁾، فتوجه وحمل تأليف الفقيه أبي زكريا، فأحسن وأجاد" واطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه، مما دلهم على فضله، وعلمه، فكان من قول الخليفة يترك هذا الرجل على اختياره فإن شاء لعن، وإن شاء سكت"⁽⁴⁾.

أما الشيخ الفقيه الصوفي أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1197م)، يعقد مجالس علمية مهمة جداً يذكرها المقرئ بنوع من المبالغة" وله مجلس وعظ يتكلم فيه، فيجتمع عليه الناس من كل جهة، وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع..."⁽⁵⁾، ويضيف التميمي "لم أر مجلساً أنفع من مجلسه، وفي أول اتصالي به، أتيت في منزله - بفاس - فوجدته وحده فأدخلني في البيت، فأخرجت كتاب الرسالة للقشيري فقلت له ياسيدي أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب، فقال لي: أنت صغير ويطول عليك الكتاب، لكن اعمل بحديث واحد، وقد حصل لك جميع الكتاب والعمل به، فقلت له: وماذا؟ فقال لي: قال النبي (ص) حب الدنيا رأس كل خطيئة، فازهد فيها، واتركها تنل فضيلة"⁽⁶⁾.

وكان للفقيه أبي عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ) نزول بجاية مجلساً للدراسة بعلو سقيفة داره، وكان يقرأ عليه السيد أبو الحسن بن عبد المؤمن⁽⁷⁾.

1) عبد العزيز فيلاي: تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص 7.

2) شفيق محمد: المرجع السابق، ص 35.

3) هو عبد الكريم بن عبد الواحد الحسيني، من أهل بجاية، كان فقيهاً مدرسا، من أهل العلم والفضل والوجاهة، ترجم له القرافي: المصدر السابق، ص 139-140؛ والتنبوكتي: المصدر السابق، ص 285؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 222-223.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص 217؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 123-124.

5) أنظر: النجم الثاقب، ص 381؛ ونفح الطيب، ج 7، ص 137.

6) محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: المستفاد في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط 1، تيطوان، 2002، ج 2، ص 42.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص 189.

والظاهر أن مجالس المذاكرة تعددت بتعدد الفنون والعلوم، فكان لكل فن مجلس، فهناك مجلس للمذاكرة في الأدب، ومجلس آخر للمذاكرة في العربية، وآخر في الطب، وغيرها من مختلف صنوف العلم والمعرفة⁽¹⁾.

وقد تكون المجالس العلمية تعقد للطلبة من أجل المذاكرة كمجلس أبي عبد الله محمد بن محمد القلعي (ت665هـ/1270م)⁽²⁾ وكان أحد العدول المرضيين، حيث كان له مجلس يُقرأ عليه فيه التهذيب أحياناً⁽³⁾.

أما مجلس أبي مدين شعيب الذي كان يجتمع فيه بطلبته يعلمهم أصول الفقه أو علم التصوف، أو يشرح لهم بعض العلوم والكتب⁽⁴⁾ ككتاب الرعاية لحقوق الله للحارث بن أسد المحاسبي (ت243هـ/857م) وشرح رسالة القشيري (ت465هـ/1072م)⁽⁵⁾ أو إحياء علوم الدين للغزالي (ت505هـ/1111م)⁽⁶⁾ أو مجلس محمد بن أحمد الحجام التلمساني (ت614هـ/1217م)⁽⁷⁾ الذي كانت له مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع⁽⁸⁾.

كما كان الشيخ التلمساني أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت686هـ/1287م) بالجزائر الذي عاصر الفترة الموحدية والزيانية دروس و مجالس علم دأب عليها، في أوقات محددة، ولمدة طويلة، بعد الغداة في مسجده ببجاية، والثاني بالجامع الأعظم بين الصلاتين⁽⁹⁾. وقد ساهم التنافس مع الأندلسيين في تطوير العلوم والآداب، من خلال سلسلة المناظرات والمجالس التي تعقد بين علماء العدوتين، وتعد المناظرة التي وقعت بمجلس والي سبتة الأمير يحيى بن أبي

1) محمد المتوفي: حضارة الموحدين، ص30؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص160.

2) هو الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المنصور-وقيل ابن المنصور- كان له علم بالفقه والفرائض علما وعملا، ولد بالقلعة و بها تعلم ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها إلى أن توفي في سنة 665 هـ / 1270 م. عادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

3) الغريبي: المصدر السابق، ص227.

4) المصدر نفسه، ص58؛ وابن سعد: المصدر السابق، ص387.

5) رسالة القشيري: هي رسالة جلييلة في علم التصوف، وقد اشتملت على تراجم لرجال التصوف وأبحاث في علمهم، ومؤلفها، هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفي سنة 465 هـ / 1072م القشيري: الرسالة القشيرية، وضع حواشيها خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص5-6.

6) التادلي: المصدر السابق، ص319-320.

7) المصدر نفسه، ص439-440.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص266؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص174.

9) الغريبي: المصدر نفسه، ص91.

زكرياء في هذا الصدد، بين أبي الوليد الشقندي، وأبي يحيى بن المعلم الطنجي، من أحسن الأمثلة على ذلك، حيث أمر الأمير كلا من الأديبين الأندلسي والأديب المغربي بكتابة رسالة في تفضيل قطره⁽¹⁾. ولا يمكن أن نهمّل المجالس العلمية الفردية التي كان يقيمها العلماء فيما بينهم سواء في المساجد، أو داخل ديارهم، أو حتى في حوانيتهم، كما هو الشأن بالنسبة للفقهاء أبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1184م) الذي كان له مجلس يجمع فيه الفقيه أبا محمد عبد الحق الاشيلي (ت581هـ/1185م)، والفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عمر القرشي المعروف بابن قريشة، حيث يقول عنهم الغبريني "...وكتيرا ما كانوا يجلسون بالحنوت الذي هو بطرف حارة المقدس ببجاية، وكان الحنوت المذكور يسمى مدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه..."⁽²⁾.

يذكر الفقيه ابن حماد الصنهاجي القلعي أنه قرأ على الشيخ الشيوخ أبو مدين شعيب، سنة581هـ /1185م، كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى بداره ببجاية⁽³⁾ أي أن دار شعيب كانت مجلسا للعلم والتدارس.

وقد أحسن أبو العباس الغبريني صنعا في وصف عدد من مجالس العلم، وتخلّق الطلبة حول شيخهم، فيقول: "ويطول مجلسه لكثرة الطلبة، وكثرة تفننهم فيما يقرؤون، وكان حسن الإيراد، مبارك الإقراء، انتفع عنه خلق كثير على قدره، ولقد حضرت مجلسه يوما، فذكر القارئ عليه من الطلبة واستكثرهم، وأخذ يُعَدُّ من علا ذكره منهم، فَمَن له نيل، وقد قعد منهم نحو الثمانين ما منهم إلا من قد تخطّط بخطه أقلها الكتابة، خلاف الغائبين، ومن لم يحضر ذكره، ومن غير مخطّط"⁽⁴⁾. وهذا يدل على التنظيم الجيد للمجالس، واستخدام الفقيه المناذرة، وكثرة عدد طلبته حيث فاق عددهم ثمانين طالبا في مجلس واحد⁽⁵⁾.

كما وصف أبو العباس الغبريني مجلس إقراء أبي بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري (ت659هـ/1260م) الفقيه المخضرم الذي عاش الفترة الموحدية والحفصية، بقوله: "وروى وأقرأ وأسمع، وكثر الآخذون عنه والسامعون منه، والمقتدون به..."⁽⁶⁾.

1) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص164.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص69.

3) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص92.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص103.

5) صالح مهدي عباس الحضري: النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية، من خلال كتاب عنوان الدراية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، السنة العاشرة، العدد38، ربيع الآخر1423هـ/ يوليو، 2003، ص51.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص247.

3 - الإجازة العلمية⁽¹⁾

لم تكن الشهادات العلمية معروفة كما هو عليه الحال في أيامنا هذه، وكان لزاما على من يريد أن يكون معلما أن يواظب على حضور حلقات الدرس، لكي يتحلى بقدر كاف من العلوم تؤهله لأن يتصدى لمهنة التدريس، ولن يتم له ذلك إلا إذا حصل على إجازة من معلمه، وإذا تأكد المدرس من استيعاب طالبه للعلم الذي عهدته إليه، كتب له شهادة على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتاب الذي سوف يدرسه، وسبق له دراسته والإحاطة به، وأجاز له تدريسه⁽²⁾.

والإجازة⁽³⁾ هي عبارة عن إذن في الرواية لفظا وكتابة، تم اللجوء إليها عندما تم تدوين كتب

الحديث، ولم يعد في مقدور الشيخ أن يعقد مجلس إلقاء، ولا في استطاعة الطالب الجلوس عند الشيخ ليسمع منه كل مروياته، فرخصوا لمن أحضر كتابا قد قوبل على نسخة الشيخ أن يروي عنه وإن لم يسمع منه ذلك⁽⁴⁾ أي أن الإجازة هي شهادة للطالب تثبت قدرته على نقل العلم⁽⁵⁾.

أكد ابن مريم ذلك بقوله "اعلم أن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم، وكذلك معرفة أفاضل الأمة من صحابي وتابعي وفقهه، ومن الكمال ومعرفة تاريخ موتاهم وولادتهم لتمييز من سبق ممن لحق..."⁽⁶⁾ والإجازة العلمية فيها دلالة على رفعة المستوى العلمي لمن تمنح له، فهي لم تكن تمنح إلا

1) الإجازة لغة مأخوذة من جواز الماء الذي يستعمل لسقاية الماشية والأرض، حيث يقال اسجرت فلانا فأجازني إذا سقاك ماء لأرضك وماشيتك، فكذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه، واعتبر العالم القسطلاني الإجازة مشتقة من التحوز وهو التعدي فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه. يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 129 وأقدم إجازة كتبت بخط أبي بكر بن أبي خبثمة صاحب التاريخ (ت 279 هـ / 892 م) ونصها: "قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن مسلمة أن يروي عني ما أحب من كتاب التاريخ الذي سمعه من أبي محمد القاسم بن الأصبغ ومحمد بن عبد الأعلى كما سمعاه مني، وأذنت له في ذلك ولمن أحب من أصحابه.." كتبت بخط ابن خبثمة في شوال سنة 276 هـ / 889 م. انظر محمد ضياء الأعظمي: معجم مصطلح الحديث ولطائف الأسانيد، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999، ص 13-14.

2) مروان عبد الملك محمد: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، مج 29، العدد 1، 2001، ص 42.

3) الإجازة اصطلاحاً: هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه وذلك بقوله "أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صح عند من مسموعاتي" وعرفها الإمام السمني باعتبار أركانها الأربعة فقال: الإجازة في الاصطلاح إذن في الرواية لفظاً أو خطأ يفيد الإخبار الإجمالي عرفاً وأركانها أربعة: المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الإجازة". يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 129-130.

4) القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970، ص 88-107؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص 174.

5) أنور محمد زناقي: فهارس علماء المغرب والأندلس، دورية كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس 2011، ص 63.

6) ابن مريم: المصدر السابق، ص 307-308.

لذوي المعرفة يؤذن لهم في روايتها، ويشترط فيها أن يكون المجيز عالماً بما يجيز به، ثقة في دينه، معروفاً بالعلم، وأن يكون المستحيز من أهل العلم متمسماً بسمته حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله⁽¹⁾.

وقد ذكر القاضي عياض السبتي اليحصبي (ت 544هـ/1149م)⁽²⁾ أربعة أشكال رئيسية لانتقال العلم والمتمثلة في السماع⁽³⁾ والقراءة⁽⁴⁾ والإجازة والمناولة⁽⁵⁾. (لاحظ الملحق رقم 07)

ويؤكد أبو القاسم بن سعيد العقباني (ت 871هـ/1467م) على ضرورة الإجازة⁽⁶⁾ في رواية الأخبار والإنشاءات المتواترة، ولا يراها كذلك في طالب العلم والفتيا، ورد ذلك في إحدى فتاويه التي كانت إجابة على سؤال أحدهم⁽⁶⁾.

إن الهدف الأسمى الذي كان يسعى من ورائه طلاب العلم من خلال الرحلة، هو الحصول على الإجازة في مختلف العلوم، والاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، والحصول على الإجازة والرواية منهم، وذلك حرصاً على السند العلمي، الذي يفضل به يصل الطالب بمؤلفي كتب العلوم خاصة علم الحديث⁽⁷⁾ لهذا شدد علماء الحديث في منح الإجازة إلا للطالب النجيب، والذي أُلِّمَّ بأسانيد كتب هذا العلم وحفظ رواياته⁽⁸⁾ والشيخ لا يمنحها إلا للطالب الواسع المعرفة المتمكن في مادته محيطة بالتخصص الذي يريد أن يجازى فيه إجازة تكون إذناً له في الرواية عن شيخه، أو للدخول بها ميدان التعليم أو لممارسة الفتوى أو القضاء⁽⁴⁾ والإجازة أنواع أعلاها إجازة "معين في معين"⁽²⁾.

(1) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص 42.

(2) أما الطرق الباقية من طرق تحمیل العلم، وإن كانت أقل استعمالاً إلا أنها وجدت لها سبيل منها:

الوجادة: وهي الوقوف على كتاب بخط محدث مشور يعرف خطه، ويصححه، وإن لم يلقه ولا سمع منه ذلك، ولكن لم يسمع منه كتابه، وتستعمل صيغة "وجدت بخط فلان" أو "قرأت في كتاب فلان بخطه". القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 116-117. وقد نقلت العديد من الروايات على هذا النحو مثل ما هو في كتاب الغبريني: المصدر السابق، ص 76، 86، 136...
المكاتبة: وهي تبادل المؤلفات وطلب أن يكتب على تلك المؤلفات بخط يده ملاحظات، وتمت بين مختلف الأوساط العلمية المغربية والمشرقية والأندلسية. القاضي عياض: المصدر نفسه، ص 83-84.

(3) السماع: أو المشافهة، وهو ينقسم إلى إملاء أو تحديث، و سواء كان من حفظ الطالب، أو القراءة من كتابه، وهو أرفع أنواع الرواية عند المحدثين. القاضي عياض: المصدر نفسه، ص 69؛ ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 132.

(4) القراءة: وهي أن يقرأ الطالب بصوت مرتفع في كتاب أو من حفظه، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله، ويقارن بين ذلك. القاضي عياض: المصدر نفسه، ص 71.

(5) المناولة: فهي إعطاء الشيخ الطالب شيء من مروياته، ويقول له هذه من مروياتي فخذها تملكها أو إعارة، وإروها عني، وقد يأتي الطالب بكتاب من كتب الشيخ ويناوله فيتأمله الشيخ ليعلم صحته وعدم الزيادة والنقصان فيه، ثم يعيده إلى الطالب، ويقول له من حديثي أو سماعي "فأروه عني". القاضي عياض: المصدر نفسه، ص 82.

(6) الونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص 236.

(7) القلصادي: المصدر السابق، ص 68.

(8) القسطلاني: السعي الحديث إلى جمع فوائد علم الحديث، تقديم وتحقيق بشير ضيف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991،

ومن كل هذا نستنتج أن للإجازة فائدتان:

1 - استعجال الرواية عند الضروريات.

2 - الاستكثار من المروي حتى لا يكاد أن يشذ عن استكثر من الروايات⁽³⁾

وقد كانت تلمسان وبجاية خلال العهد الموحدى منارتان للعلم وقبلة لمن يريد الإجازة والاستزادة والتعمق فيه، بفضل المشيخة العلمية والفكرية المتميزة، والمؤسسات التعليمية المنتشرة عبر أنحاءها وسوف نذكر أمثلة عن علماء أجازوا لبعضهم أو طلبوا الإجازة أو منحها لهم بعض المشايخ ومنهم:

جابر بن أحمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 578هـ/1182م) القرشي، الحسيني، من أهل تلمسان، يكنى أبا الحسن، أجازته الكثير من علماء عصره، وروى عن أبي بكر بن خير، وأبي القاسم السهيلي، وأبي الوليد يزيد بن بقی، وأبي الحسن بن مومن، وأبي موسى عمران بن موسى التليدي، وغيرهم⁽⁴⁾.
والحافظ الحجّة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي البجائي، المعروف بابن الخراط (ت 581هـ/1185م)⁽⁵⁾، خطيب بجاية روى عن شريح بن محمد، وأبي الحكم بن بركان وأبي حفص عمر بن أيوب، وغيرهم⁽⁶⁾، وأجاز له ابن عساكر⁽⁷⁾.

أما موسى بن حجاج، أبو عمران الأشيري (ت 589هـ/1193م)⁽⁸⁾ رحل إلى الأندلس وأقام بها من سنة 535هـ/1140م إلى سنة 540هـ/1145م، سمع من أبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عبد الله بن وضاح وأجاز له أبو القاسم بن رضى⁽⁹⁾.
وأبو بكر بن سعادة الاشبيلي التلمساني⁽¹⁰⁾ (ت 600هـ/1203م)⁽¹¹⁾ أخذ عن أبي الحسن وأبي العباس بن حرب المسيلي⁽¹²⁾، وأبو بكر بن العربي، وأجازته أبو بكر بن رزق⁽¹⁾.

¹ (مصطفى السلوتي: الإجازة العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، العدد السادس، الرباط، 1989، ص245.

(2) القلصادي: المصدر السابق، ص68.

(3) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص142-143.

(4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص7.

(5) ابن الأبار: المصدر نفسه، ج2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص257؛ والياقعي: مرآة الجنان، وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج3، ص320.

(6) الغريبي: المصدر السابق، ص73؛ والذهبي: شذرات الذهب، ج6، ص444؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص276-277.

(7) ابن الأبار: المصدر نفسه ج2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص256؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1350.

(8) ابن الأبار: المصدر نفسه، ج2، ص379؛ و عادل نويهض: المرجع السابق، ص17.

(9) ابن الأبار: المصدر نفسه، ج2، ص378-379؛ وعبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج2، ص36.

(10) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص227.

(11) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.

(12) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي، المتوفى سنة 539هـ. ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص60.

وقد لقي محمد بن عبد الرحمن التحيبي أبي عبد الله نزيل تلمسان (ت 610 هـ/1214م)⁽²⁾ في طريقه للحج بسببته أبا محمد بن عبيد الله، وبالمهدية أبا حفص عمر بن عتيق، وناولاه، وقاضيا أبا يحيى أبو بكر، وقرأ عليه وأجازوا له، ولقي عدة شيوخ في القيروان، ثم القاهرة، ثم بمكة، وأجازوا له ممن لم يلقه هو، أو لقي بعضهم وشافهه⁽³⁾.

روى أبو زكريا يحيى بن علي⁽⁴⁾ الشهير بالزواوي⁽⁵⁾ (ت 611 هـ/1214م)⁽⁶⁾ عن القاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره، روى عنه المصاييح، وكتبا عدة إجازة وسماعا⁽⁷⁾ وقد عاصر الشيخ أبا مدين شعيب⁽⁸⁾.

ومن أجل الإجازة رحل الكثير من العلماء وطلاب العلم من المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، إلى الحواضر الإسلامية، ومن الأمثلة الكثيرة الموجودة في المصادر التاريخية، منها تلك التي ذكرها الغبريني أن محمد بن محمد الخشني⁽⁹⁾ استجاز الفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عبد الحق اليفرنى التلمساني (ت 625 هـ/1227-1228م) وأجازه⁽¹⁰⁾ (لاحظ الملحق رقم 08)

كما لقي هذا الأخير كثيراً من أهل العلم والدين والزهد، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسببته واشبيلية والمشرق ومصر⁽¹¹⁾ وأجازه من أهل المشرق، أبو طاهر السلفي، وابن عوف، والكركتي وأبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الخزرجي البوصيري، والتنوخي وغيرهم كثير⁽¹²⁾ كما أجاز له من أهل الأندلس أبو الحسن بن هذيل، وابن النعمة، وابن نمارة⁽¹³⁾. وأجاز عدة شيوخ الفقيه محمد بن حماد

-
- 1) أبو بكر يحيى بن محمد بن رزق، المتوفى سنة 560 هـ. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج3، ص967.
 - 2) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191؛ والصفدي: المصدر السابق، ج3، ص193-194.
 - 3) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص305؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص305-306؛ والصفدي: المرجع السابق، ج1، ص216.
 - 4) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر السابق، ص428.
 - 5) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص184-185.
 - 6) الغبريني: المصدر السابق، ص137-138.
 - 7) الغبريني: المصدر نفسه، ص139.
 - 8) التادلي: المصدر نفسه، ص428.
 - 9) الغبريني: المصدر نفسه، ص219.
 - 10) آسيا ساحلي: إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007-2008، ص139.
 - 11) الذهبي: طبقات القراء، تحقيق أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، السعودية، 1997، ج2، ص963؛ وابن القاضي شهبة: المصدر السابق، ص153.
 - 12) الرعيبي: المصدر السابق، ص170.
 - 13) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص508.

الصنهاجي (ت 628 هـ/1230م) أهمهم أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني، حيث تبين قصيدة شعرية من نظمه، أرسلها له من مرسية شاكرًا له على الإجازة⁽¹⁾ (لاحظ القصيدة الملحق رقم 09) كما أجاز الحسن بن زرقون أبا القاسم عبد الرحمن بن السطاح الجزائري (ت 629 هـ/1231م)⁽²⁾ الذي رحل إلى اشبيلية، وقرأ بها⁽³⁾.

وحدث بالإجازة عن أبي الطاهر السلفي أبو الخطاب عمر بن الحسن⁽⁴⁾ بن علي بن دحية⁽⁵⁾ الكلبي (ت 633 هـ/1235م) نزيل بجاية، الذي أجاز له أبو الوقت عبد الأول⁽⁶⁾.

روى بالإجازة العامة عن السلفي⁽⁷⁾ محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله (ت 643 هـ/1245م)⁽⁸⁾ البجائي، من أهل الجزائر، وأصله من أشير، النحوي، قال ابن الأبار وأجاز لي⁽⁹⁾.

وأبو عبد الله المتيجي (ت 659 هـ/1260م) محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عيسى بن معين بن علي بن يوسف، أبو عبد الله الاسكندراني الفقيه المالكي العدل، من أهل العلم والحديث كان صالحًا ثقة ثبتًا وكان له نظم ومن شعره فيما يكتب به على الإجازات:

| | |
|--------------------------------|--|
| أجزت لهم أعلى المهيمن قدرهم | وحلاهم ذكرا جميلا معطرا |
| رواية ما أرويه شرقا ومغربا | وما قلته نظما ونثرا محبرا |
| على شرط أهل العلم والصيغة التي | يكون بها معنى الإجازة مظرا ⁽¹⁰⁾ |

وعموما للإجازة شروطها من أجل قبولها والرواية بها والعمل بمقتضاها، سواء في المجيز أو المجاز وهي:

- 1 - أن يكون الفرع معارضا بالأصل حتى كأنه هو.
- 2 - وأن يكون المجيز عالما بما يجيز ثقة في دينه وروايته معروفا بالعلم.
- 3 - وأن يكون المجاز من أهل العلم متمسما به حتى لا يضع العلم إلا عند أهله⁽¹¹⁾

4 - اقتناء الأصول القديمة

- 1) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص325؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.
- 2) الغريبي: المصدر السابق، ص225.
- 3) وكتب له ذلك بخط يده، وذلك في عقب ذي القعدة سنة 615 هـ/1218م. الغريبي: المصدر نفسه، ص225.
- 4) ابن العماد: شذرات الذهب، ج7، ص280-281؛ ورايح بونار: هامش عنوان الدراية، ص228.
- 5) ابن العماد: شذرات الذهب، ج7، ص281؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص449.
- 6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر سابق، السفر الثامن، ص217.
- 7) نفسه، السفر الثامن، القسم الأول، ص356-357؛ والسيوطي: المصدر السابق، ج1، ص214.
- 8) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص754؛ والغريبي: المصدر السابق، ص319.
- 9) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص754.
- 10) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص285.
- 11) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص135.

إن اقتناء الأصول والكتب القديمة والاعتناء بها يعتبر مصدراً ورافداً من روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية، سواء في المغرب الأوسط أو في باقي البلاد الإسلامية، بل حتى العالمية منها، وما قيام المسلمين باقتناء كتب الإغريق وترجمتها والاستفادة منها إلا للدليل على ذلك، ونفس الشيء قامت به أوروبا عند نهضتها ورغبتها في استعادة مكائنها.

فكان العهد الموحدى غني بالأمثلة التي تبين سعي العلماء لاقتناء أجود الكتب وأنفسها، فهذا أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي (ت 643هـ/1245م) رحل إلى المشرق في حدود 595هـ/1198م، مرافقاً أبا بكر بن أحمد الكناني، فأديا فريضة الحج ولقيا هناك العديد من الشيوخ فأخذوا عنهم، وقللاً راجعين، واصطحبا فوائد جمّة، وغرائب كتب لا عهد لأهل المغرب والاندلس بها، نسخاها هناك، واتفقا عند العودة على أن ينسخ أو يقابل أحدهما غير ما نسخه رفيقه أو يقابله استعجالاً لتحصيل الفائدة⁽¹⁾.

فلا عجب أن تكون لشيوخ وعلماء المغرب الأوسط رغبة كبيرة، وهمة عالية في اقتناء الكتب، وحتى أغلاها وأنفسها، من أجل مطالعتها، والاستفادة منها، بل وتعليمها.

من علماء المغرب الأوسط الذين سعوا إلى امتلاك الأصول القيمة والتي لا تقدر بثمن نظراً لفائدتها العلمية أبو زكريا يحيى بن علي⁽²⁾ الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م)⁽³⁾ منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية، ومن أشياخه الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن مكّي بن عوف الزهري، روى عنه الموطأ⁽⁴⁾ والقاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره، روى عنه المصاييح، وكتبا عدة إجازة وسماعاً، والإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي قرأ عليه، وأخذ عنه الأصلين حفظاً واتفقاً، والحافظ أبو طاهر السلفي صحبه، وأخذ عنه أعجاز القرآن للخطابي، والإمام أبو عبد الله بن بكره القرقي⁽⁵⁾ قرأ عليه المذهب رواية ودراية، وأبو القاسم بن فيره الشاطبي الضرير، والفقهاء الأخوان أبو عبد الله وأبو العباس الحضرميان، وروى منهما الشهاب⁽⁶⁾

وكذلك فعل أبو عبد الله الفازازي (ت 621هـ/1224م)⁽⁷⁾ التلمساني حفظ البخاري أو معظمه⁽¹⁾ و مروان بن عمار البجائي (ت 610 هـ / 1214 م) أخذ عن أبي ذر الحشني كثيرا من كتب الأدب واللغة⁽²⁾.

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثاني، ص28-30 .

2) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر السابق، ص428.

3) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص185.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص139.

5) نسبة الى جزيرة قرقنة التي تبعد عن صفاقس بنحو 15 ميلا. تعليق رابح بونار، هامش، عنوان الدراية، ص139.

6) أي شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب، من الأحاديث النبوية للقضاعي.

7) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص585؛ والمقرئ: المصدر السابق، ج4، ص468-469.

كما لا ننسى الظاهرة محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628هـ / 1230م)⁽³⁾ الذي نشأ ببرج حمزة قرب البويرة، وتعلم بقلعة بني حماد وبجاية، ومدينة الجزائر وتلمسان⁽⁴⁾ وبلغت عدد مقروءاته 222 مؤلفا أخذها كلها بالسند المتصل بأصحابها⁽⁵⁾ ويعقوب بن حماد الأغماتي جامع الترمذي على أبي علي الصديفي⁽⁶⁾

لم يقتصر دور علماء المغرب الأوسط في البحث عن الأصول القديمة في العلوم النقلية بل تعدتها نحو العلوم العقلية كعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحراي التحييبي (ت 637هـ / 1239م)⁽⁷⁾ الذي قدم بجاية، وجلس في مسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ / 1214م)⁽⁸⁾ احتفظ بكتاب النجاة لابن سينا يقرؤه على طلبته، و إذا قرأ التهذيب يبين أنه مخالف لأصل المدونة ومغاير لها، ويأمر بالأصل فيقاس فيبين المخالفة بينهما⁽⁹⁾. كذلك فعل الفقيه محمد بن إبراهيم الأصولي (ت 660هـ / 1261م)⁽¹⁰⁾ الذي اعتنى بإصلاح "المستصفي" لأبي حامد الغزالي، وإزالة ما كان فيه من تصحيف⁽¹¹⁾

ثانيا : تجليات الحركة الثقافية والفكرية

لقد ساعد على تطور العلوم والمعارف، طبيعة الدعوة الموحدية، التي شجعت العلم، وحثت عليه، فقد أبدى ابن تومرت حماسة واضحة للعلم في مطلع كتابه "أعز ما يطلب"، حيث جعل "أعز ما يطلب،

- 1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص223.
- 2) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص384؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص40؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28.
- 3) العلامة محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي لقي جلة من العلماء منهم أبو مدين شعيب (ت 594هـ / 1197م) الغريبي: المصدر السابق، ص192 وعبد الرحمن بن عبد الله، وأبا محمد الأزدي الاشبيلي البجائي (ت 582هـ / 1186م) والإمام أبي علي المسيلي، والشيخ ميمون بن جبارة فهو مخضرم عاش العصر الحمادي والموحدي. أبو عبد الله محمد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص11-12. ودخل الأندلس، فسمع بها، وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، سنة 613هـ / 1216م، ثم استوطن مراكش وتوفي بها، سنة 628هـ / 1230 م عنوان الدراية: المصدر السابق، ص192؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.
- 4) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص197.
- 5) عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص38.
- 6) ابن الأبار: المعجم، ص330-331.
- 7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص687؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330.
- 8) يفهم من ذلك أن أبا الحسن الحراي قد ورد على بجاية بعد وفاة أبي زكريا الزواوي سنة 611هـ / 1214 م .
- 9) الغريبي: المصدر السابق، ص147.
- 10) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص271-272. عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج2، ص225؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع نفسه، ج2، ص36-37 .
- 11) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص376؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، القسم الأول، ص271-272؛ والغريبي: المصدر نفسه، ص186.

وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير" (1) لذلك هاجم ابن تومرت دولة المرابطين بسبب الحجر الفكري الذي كانت تمارسه كما يدعي (2).
كما كان أمراء الموحدين أنفسهم علماء محبين للعلم، فقربوا أهل العلم، وشجعوهم، وأكرمواهم، وأغدقوا الصلوات عليهم (3)، وشجعوهم على التدريس، وذلك بتطبيق برنامج معين لشيوخ معينين، ومناهج خاصة بهم، حددها ابن تومرت في البداية، وسار عليها ابن عبد المؤمن وخلفائه.
من تجليات الحركة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط حلقات التدريس في الكتاتيب والمساجد والزوايا، والندوات العلمية التي كان يعقدها العلماء، ويقصدها الطلاب من كل فج.
وكان ابن تومرت من الذين جمعوا بين التربية والتعليم، وبكل معاني هذه الكلمة، فلم يكتف بتعليم العلم وحده، بل كان راسخ الإيمان، بأن العلوم وحدها، غير كافية في عملية الإصلاح، بل يجب أن تصاحبها عملية تربوية جذرية، تعنى بكل الجزئيات (4) بما فيها طرق التدريس، والمناهج المتبعة، والبرامج الخاصة بكل فئة عمرية .
لذلك وجدناه حريصاً، كل الحرص على تأديب طلبته بأداب الإسلام المختلفة والمتنوعة، حتى فيما يتعلق منها بأداب الأكل والشرب، حتى قال لهم ذات مرة "كلوا كما يأكل النبيون" (5)

1 - التدريس

-
- 1) المهدي بن تومرت: المصدر السابق، ص33.
 - 2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص126 حيث سماهم ابن تومرت المحسمين. ابن تومرت: المصدر السابق، ص385؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص111؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص77.
 - 3) شفيق محمد: المرجع السابق، ص31.
 - 4) بلقاسم فيلاي: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004، ص208.
 - 5) البيذق: أخبار المهدي، ص52.

بعد عودة ابن تومرت من رحلته المشرقية طلبا للعلم، ودامت خمسة عشر عاما، عاد منها بجرا متفجرا من العلوم⁽¹⁾ فجلس لتدريس العلم، ففي تونس، جلس إليه مجموعة من الفقهاء يأخذون عنه⁽²⁾ وفي المهديّة قرأ عليه الناس كتبا من أصول الدين، وكذلك في قسنطينة، و بجاية وتلمسان⁽³⁾.

بذلك يمكن اعتبار ابن تومرت أول من أدخل طرق التدريس المشرقية الحديثة إلى بلاد المغرب في هاته الفترة، باعتباره اطلع عليها، حيث كانت المدارس النظامية بدأت في الظهور، وقد رأى ابن تومرت عند تأسيسه لدعوته ضرورة تعليم أبناء قومه القرآن أولا، فقد كانوا جبلين أميين ديانتهم بسيطة مليئة بالخرافات القديمة، مما لا يسمح لهم فهم رسالته، مما اضطره إلى تدريس طلبته مستعملا اللسان البربري⁽⁴⁾.

وبعد أن استقر ابن تومرت، كثر عدد طلابه، وصاروا يعدون بالآلاف، لم يعد قادرا على القيام بتعليمهم بمفرده، لذلك نجده قد احتفظ بالوعظ والإرشاد العام لنفسه، واستعان في دروس العلم المخصصة للطلاب بأعيان صحابته، المقربين الذين يثق في علمهم، وولائهم بالدرجة الأولى⁽⁵⁾.

كانت لغة التدريس الأساسية عنده هي العربية، كما كانت لغة التعامل والتخاطب والمواظ، رغم ما لقيه من صعوبة التعامل وإيصال الخطاب مع طلبة البربر، فكان يلجأ للغات المحلية إلا نادرا—رغم إتقانه التعبير باللسانين العربي والبربري—⁽⁶⁾ أما العامة من الناس، والتي لا تحسن سوى البربرية فألف لهم عقيدة بلسانهم، وجعل لهم المؤلفات الموجهة إلى مختلف القبائل بلسانهم الخاص، منها كتاب "القواعد" وكتاب "الإمامة"⁽⁷⁾ وقد تبعه الخلفاء الموحدون الذين جاؤوا من بعده من خلال الاعتناء باللغة، لكن مع إعطاء هامش أكبر للغات البربرية، بل فرضت في مناصب معينة⁽⁸⁾.

1) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 302.

2) البيهقي: أخبار المهدي، ص 30.

3) ابن خلكان: المصدر السابق، ج 5، ص 47؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 72.

4) البيهقي: أخبار المهدي، ص 36. حيث ألف لهم كتاب التوحيد بالبربرية وهو سبعة أجزاء عدد أيام الأسبوع، وأمرهم بقراءة حزب واحد كل يوم إثر صلاة الصبح... مجهول: الحلل الموشية، ص 109-110؛ ورؤجر لي تورنو: المرجع السابق، ص 38.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص 81-82؛ و بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص 217.

6) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 303؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 177؛ وعبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968، ج 1، ص 126، ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 202.

7) مجهول: الحلل الموشية، ص 110؛ و بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص 211.

8) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 62. أشار صاحب القرطاس إلى ذلك في موضع آخر أثناء الكلام على خطباء القرويين، حيث ذكر أنهم لما دخلوا فاسا عزلوا خطيب القرويين أبا محمد مهدي ابن عيسى، وقدموا مكانه الفقيه أبا الحسن بن عطية "لأجل حفظه للسان البربري لأنهم كانوا لا يقدمون للخطابة والإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري، فتقدم في أول جمعة من شهر جمادى الأولى من سنة أربعين وخمسائة". الأنيس، ص 71.

ولم يكن هناك سن محدد لطلب العلم في العصر الموحدى، سواء في المغرب الأوسط أو غيره، ولم يحددوا عدد السنين التي يقضيها في التعليم، إلا أنهم يدركون بوضوح أهمية التبكير في تلقي العلوم، حيث كلما لمس الوالد في ابنه القدرة على التمييز دفع به إلى الكتاب أي "إذا عقل بعثوه إلى الكتاب"⁽¹⁾ الملاحظ أن مواد الدراسة التي وجدناها تجري في حلقات درس الشيوخ أثناء القرن السادس والذي يليه، هي نفس المواد العلمية التي ظلت قائمة في درس شيوخ العصور المتأخرة، فهي تدرس الحديث والتفسير، والفقه والأصول واللغة والنحو والعقائد والأدب والتصوف، وهي مجمل المواد العلمية التي مالت إليه الثقافة المغربية عموماً في مختلف مراحلها واستكان إليها الدرس العلمي في هذه البلاد وتخرج فيها العلماء والأدباء والكتاب وأرباب الخطط الشرعية وغيرها⁽²⁾.

أما بخصوص وسائل الكتابة فالأكيد في الأمر أنه لم يخرج عن المعهود، من وسائل الكتابة المعروفة والمعمول بها في عهد الموحدين، مثل الجلود⁽³⁾ والألواح وما شاكلها⁽⁴⁾.

وقد بلغ من اعتناء الموحدين بالطلبة أن قسموهم طائفتين فقد جرت عادتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرته على أهل كل فن، وخاصة أهل علم النظر، وسموهم طلبة الحضر، فهم يكثر في بعض الأوقات ويقبلون، وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين، ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم⁽⁵⁾.

ولم يكن عدد الطلبة محدد في الفوج الواحد، بل كان يخضع للظروف والمكان، فمثلاً كان عدد الطلبة عند ابن تومرت بتلمسان عندما حل بها هو عشرة طلبة⁽⁶⁾ وأقل عدد بلغه هو سبعة، وكان بمدينة فاس⁽⁷⁾ غير أنه على العموم لم يحدد العدد خلال كل فترات الدولة الموحدية، لأنه خاضع لطريقة المدرس وأسلوبه وكذا لعدد سكان المنطقة، وظروفهم.

أما بالنسبة للمواد المدروسة فتكشف عنها كتب البرامج والفهارس، مع التجديد الذي يحدث في تدريس هذه المواد والمصنفات التي يتم الاعتماد عليها، وهي مصنفات تخضع للتطور المستمر، وللتغيير المتعاقب، وتمثل المحاولة المستمرة للبحث عن التأليف الأحسن، فيسود مصنف في درس مادة فترة زمنية، ثم ينسخه مصنف آخر من جنس مادته، ويمثل مركزه، ويصبح العمدة في الدرس، وقد أصبح لكل عصر مصنفته، ينفرد بها ويسود الدرس بها، والاعتماد عليها، مثل ميدان الفقه نجد قد تعاقب على درسه من

1) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 223؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص 121.

2) عبد الله المرابط الترغني: المرجع السابق، ص 430.

3) البيهقي: أخبار المهدي، ص 30.

4) بلقاسم فيلاي: المرجع السابق، ص 137.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 142.

6) البيهقي: أخبار المهدي، ص 39.

7) المصدر نفسه، ص 39، ص 43-44.

المصنفات: مدونة ابن سحنون (ت 256 هـ/869م)⁽¹⁾، فتهذيب البراذعي (ت 430 هـ/1038م)،
فمختصر ابن الحاجب الأصلي (ت 646 هـ/1248م)⁽²⁾.

كانت طريقة التدريس تعتمد على التحفيظ والتذكير والإعادة⁽³⁾ ويدرس الطلاب في حلقات
على يد شيخ واحد⁽⁴⁾، يأخذون العلم عنه، في تخصصه، ليلقاهم شيخ آخر، في تخصص آخر.
ومن المدرسين المشهورين من المغرب الأوسط خلال القرن السادس هجري الحافظ أبو يوسف
الأغماتي التلمساني (كان حيا سنة 523 هـ/1128م) ذكره ابن الأبار في معجمه "كان يدرس بجامع
تلمسان القديم"⁽⁵⁾.

أما الرحالة يعقوب بن حماد الأغماتي التلمساني، الذي انتقل إلى الأندلس فدرس بمرسية
عام 511 هـ/1117م، وهو جامع الترمذي على أبي علي الصديقي ثم انتقل إلى تلمسان، واستقر بها
وكان مدرسا بجامعها العتيق عام 523 هـ/1129م حسب ما قاله ابن الأبار، ولا نعرف متى توفي⁽⁶⁾.
وأبو مدين شعيب بن الحسين (ت 594 هـ/1197م)⁽⁷⁾ الأنصاري الأشبيلي أصلا⁽⁸⁾، البجائي
دارا والتلمساني وفاة⁽⁹⁾، وهو من المؤسسين الأوائل للفكر الصوفي بالمغرب الأوسط، وقضى به خمسة
عشر عاما يدرس بعض كتب التصوف كـ"الرسالة القشيرية" و"المقصد الأسنى" وذلك بزاوية أبي زكريا
الزواوي بحومة اللؤلؤة⁽¹⁰⁾.

1) الونشريسي: المصدر السابق، ج 11، ص 219.

2) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 430.

3) بن القطان: المصدر السابق، ص 179.

4) شفيق محمد: المرجع السابق، ص 34.

5) المعجم، ص 330.

6) نفسه، ص 330-331.

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 715 ابن قنفذ: انس الفقير، ص 11-20؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 108-
114؛ والتنبوكتي: المصدر السابق، ص 193؛ وابن القاضي: المصدر السابق، ج 2، ص 530؛ وابن فضل الله العمري: المصدر السابق،
السفر الثامن، ص 317-319.

8) من حصن قنطانية من عمل إشبيلية. التادلي: المصدر السابق، ص 319. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص
128. أو من حصن يقال له منتوجب. الغريبي: المصدر السابق، ص 55-56.

9) ذكر ابن الأبار وفاته نحو التسعين وخمس مائة التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 715؛ و ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق،
السفر الرابع، ص 130. قيل توفي بموضع يقال له يسر قرب تلمسان عام 594 هـ/1197م، وقيل سنة 588 هـ/1192م. التادلي:
المصدر السابق، ص 319.

10) عبد القادر الخلافي: أبو مدين الغوث، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975، ص 292؛ وعيسى
ميقاري: المرجع السابق، ص 139.

كما إشتغل بالتدريس بعد عودته إلى بجاية سنة 623هـ/1226م⁽¹⁾ أبو القاسم عبد الرحمن ابن السطاح الجزائري (ت629هـ/1231م)، و بنا نشر مؤلفاته وأفكاره⁽²⁾.
وأبو عبد الله الشوزي الاشبيلي المعروف بالحلوي (كان حيا في بداية القرن 7هـ/13م)⁽³⁾ نزيل تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور بخارج باب القرمدين بتلمسان⁽⁴⁾
ودرس كثيرا أبو عبد الله بن عبد الرحمن التحييي (ت 610هـ/1214م) نزيل تلمسان منذ عام 574هـ/1188م حيث كان يشرح كتبه ويدرسها للطلبة والمريدين منها كتاب "الأربعين في الفقر وفضله" وكتاب "الحب لله"⁽⁵⁾.
كما كان ابن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 611هـ/1215م)، يُدرس كتاب الطهارة من المدونة، بالجامع الخاص بتلمسان⁽⁶⁾.

(1) عادل نويهض: المرجع السابق، ص177؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28-29.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص225.

(3) سمي بالحلوي لأنه كان يبيع الحلوى للصبيان ويتصدق بالثمن. يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص127؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص68-70.

(4) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج 1، ص127، ص159.

(5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص305؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص305-306.

(6) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص128.

1 - المناهج

إن منهجية جمع المادة الخيرية وترتيبها والاستفادة منها في الغرب الإسلامي، وإلقائها للطلبة كانت تتم على غرار بقية المناطق في العالم الإسلامي، باعتبار المشكاة واحدة وهي الدين، الذي يحثنا على التعلم والاجتهاد، وقد كانت المناهج تحددها الدولة وفق منطلقها السياسي، أما البرامج والطرائق فكانت خاضعة للإرادة الشعبية والموروث الثقافي للمنطقة

أسس ابن تومرت منهجا تعليميا يخدم دعوته الإصلاحية، وتعهد منهجه بالتطبيق الميداني، من خلال العمل بالكتاب والسنة، ومناهضة كتب الفروع، والدعوة إلى التجديد، والتأويل في الفهم، وبذلك ساهم الفكر التومرتي في إدخال تعديلات على لائحة المواد الدراسية، وإثرائها بمواد جديدة، لم تكن تدرس في المدن المغربية قبل فترة الدولة الموحدية⁽¹⁾ فكان ابن تومرت هو الهيئة العليا المنظم والمبرمج لمختلف المقررات والمواد التي ستدرس، حيث سار على نهجه خلفاؤه خاصة الأولون⁽²⁾.

كان التعليم في المرحلة الأولى محمدا بمنهج وبرنامج خاصين، حيث يلزم المتعلم حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ومعرفة شيء من اللغة العربية وآدابها، وبمجرد انتقاله إلى المرحلة العليا يجد نفسه حرا في اختيار المواد التي تستهويه⁽³⁾.

وضع الموحدون مناهج مختلفة في التعليم حسب تنوع مراكزه في الغرب الإسلامي، فقد كانت هناك مناهج للمدارس التي أنشأوها بالمغرب والأندلس، ومناهج للجوامع والمساجد، التي كانت تحف بها بلادهم، ومناهج للتعليم الإلزامي الذي ابتكره الخليفة عبد المؤمن⁽⁴⁾ ولم يسمح الموحدون للعلوم والتدريس إلا بالقدر الذي يفيد الدولة ولا يخرج عن توجهها وسيطرتها، بل وضعها تحت إشراف الدولة⁽⁵⁾.

قال ابن القطان يبين ما كان يتلقاه الطلبة "ثم أمروا بكتب التوحيد وحفظه، وكتب موطأ الإمام رضي الله تعالى عنه، وحفظه، ومسلم—أي صحيح مسلم— وحفظه"⁽⁶⁾.

(1) بلقاسم فيلاي: المرجع السابق، ص137.

(2) الطاهر محمد توات: المرجع السابق، ص12.

(3) صفية ديب: المرجع السابق، ص73.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص150-151؛ والمنوني: حضارة الموحدين، ص17.

(5) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص51.

(6) ابن القطان: المصدر السابق، ص179؛ وعبد العزيز الأهواني: كتب برامج العلماء في الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية،

جامعة الدول العربية، 1955، مج1، ج1، ص91-120.

وبالتالي كانت الدراسات الدينية في العصر الموحدى أولى الدراسات في المنهج التعليمى العالى، وأولوا لها العناية الفائقة، من خلال سياسة الدولة التى تتماشى وعقيدتها-المهدوية-حيث فرضت مناهج ومواد على المتعلم فى المدارس الرسمية، كما تركت المجال فسيحاً للبحث والتجديد⁽¹⁾.

(2) كما نجد منهاج الموحدين وضعه ابن تومرت فى كتبه المشهورة منها "أعز ما يطلب"⁽²⁾ وكتاب "محاذي الموطأ" أو موطأ الإمام المهدي⁽³⁾ ورسالته فى العقيدة التى سماها "المرشدة"⁽⁴⁾.

حدد ابن تومرت وقتاً واحداً لقراءة حزب التوحيد-من كتبه أعز ما يطلب- إثر كل صلاة الصبح، بعد حزب من القرآن الكريم⁽⁵⁾ أما بالنسبة لعلم الحديث فلم تكن له أوقات خاصة مضبوطة مثل حزب التوحيد، بل جعله خاضعاً للمناسبات، فكان فى بعض الأحيان يختار شهراً من السنة لإملاء كتاب فى الحديث مثل الموطأ، الذى أملاه فى رمضان سنة 515 هـ/1121م⁽⁶⁾.

حاول عبد المؤمن تكوين نشء من الصبية من المغرب والأندلس لمواصلة رسالة المهدي⁽⁷⁾ إذ أنه أمر بجمع الصبيان الصغار الأسنان من كل المدن (اشبيلية، تلمسان، قرطبة، فاس)⁽⁸⁾ ليوجهوا إلى الحاضرة مراکش، فاجتمع له نحو ثلاث آلاف صبي⁽⁹⁾.

1) حيث بعث عبد المؤمن مرسوم إلى جميع أنحاء دولته بما فيها المغرب الأوسط، حاثاً الناس على تعلم مبادئ التوحيد، سواء باللغة العربية أو اللهجة البربرية، وكذا سورا من القرآن الكريم. ابن القطان: المصدر السابق، ص 169؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص 73-74. ص 94.

2) مجهول: الحلل المشوية، ص 150. وكتاب أعز ما يطلب عبارة عن مجموعة رسائل فى الأصول والفقه والتوحيد والحديث والسياسة والجهاد، وعرف بأول عبارة وردت فيه، وقد إشتمل على كل التعاليق التى أملاها ابن تومرت، ومن بعده عبد المؤمن. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 302.

3) كتاب الموطأ هو مختصر لمصنف موطأ الإمام مالك حسب ما ورد فى مقدمة طبعته ما يلى "قابلنا موطأ المهدي بموطأ الإمام مالك من رواية يحيى بن يحيى فوجدناه مختصراً منه بحذف الأسانيد مع تقدم وتأخير وزيادة تراجم على أسلوب مفيد وترتيب سديد، ويحتوي موطأ المهدي على سفرين، الأول تناول الطهارة والوضوء والصلاة والجنائز والاعتكاف والزكاة والحج والجهاد والإيمان والنذر، أما السفر الثانى فتناول الأضاحى، العقيقة الذبائح، الصيد، الأشربة، الحدود، النكاح، الطلاق، وغير ذلك. ابن تومرت: الموطأ، نشر قولد زيهير، طبعة فونتانة، الجزائر، 1905، ص 04.

4) وقد شرحها وعلق عليها الشيخ محمد بن خليل السكونى الاشبيلي، وحققها الأستاذ يوسف أحنانا، وصدرت عن دار الغرب الإسلامى، ط 1، سنة 1993، والمرشدة عبارة عن رسالة لا تتجاوز 20 سطراً، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة ولعلها أكثر مؤلفات المهدي انتشاراً فى المغرب والمشرق لأنها تعتبر خلاصة لفكره العقائدى، وقد وردت فى كتابه "أعز ما يطلب" ص 241-ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 302؛ وصفية ديب: المرجع السابق، هامش ص 87.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص 80-81.

6) بلقاسم فيلالى: المرجع السابق، ص 212.

7) مجموع رسائل موحدية، ص 138.

8) ابن القطان: المصدر السابق، ص 178-179.

9) مجهول: الحلل المشوية، ص 150.

وراح عبد المؤمن يسن نظاما ومنهاجا تعليميا، أشبه ما يكون بالتعليم الموجه والمخطط من الدولة لخدمة أهدافها—وهو ما يعرف في مناهج اليوم بالغايات والمرامي — كما حرص على تقارب سن الصبية لتسهيل عملية الحفظ والتربية (1) فجاءوا وكأهم "أبناء ليلة" (2) وكان يدخلهم كل جمعة إلى القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، ويعلمهم التربية والتعليم والتكوين على مختلف الفنون (3).

فكان يُسمى طلبة العلم في مدرسة عبد المؤمن الحُفاظ، نظرا لكونهم يحفظون القرآن، وكذا رسائل المهدي بن تومرت، ويدرسون الكتب عن إدارة الولايات (4) لأنه كان يحضرهم ليوزعهم على مختلف أقطار الدولة بما فيها المغرب الأوسط التي عين عليها (السيد أبا حفص عمر على تلمسان، والسيد أبا محمد عبد الله على بجاية) (5) وهذا لضمان نشر منهاجه وأفكاره على كل مختلف أقطار الدولة، بل أن ابنه يوسف كان لا يعين على الولايات وفي المناصب إلا من له ثقافة عامة وإلمام بمجمل العلوم الإسلامية (6).

استطاع عبد المؤمن خلال عشرين عاما أن ينشئ نظاما جديدا للدولة (7) استطاع بفضل المنهاج الذي فرضه من غرس مبادئ الدولة وأخلاقها وقيمها المتميزة بها.

كما سار على نهجه الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م)، حيث وضع كتابه "الترغيب في الصلاة" وهو عبارة عن أحاديث خاصة بالصلاة، وما يتعلق بها، على نحو ما فعل ابن تومرت في الطهارة، فكان يملئها بنفسه على الناس ويأمرهم بحفظها، حتى انتشرت في كامل بلاد المغرب، وحفظه العوام من الناس والخواص، فكان يجعل لمن حفظه الجُعل السني من الكساء والأموال (8) رغم أن يعقوب المنصور لم يولي تواليف المهدي المتزلة التي منحها الخلفاء الذين سبقوه (9).
وذهب الخليفة الموحد المأمون إلى العودة إلى المناهج الحق لله للإسلام وهي الكتاب والسنة، فأزال اسم المهدي بن تومرت من الخطبة والسكة والآذان (10).

(1) صفية ديب: المرجع السابق، ص93.

(2) مجهول: الخلل الموشية، ص150.

(3) نفس المصدر والصفحة .

(4) الدرجيني : المصدر السابق، ص315.

(5) مجهول: الخلل الموشية، ص151.

(6) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص65.

(7) نفسه، ج2، ص53.

(8) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

(9) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص206-207؛ و صفية ديب: المرجع نفسه، ص99.

(10) ابن عذارى: المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص 286؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص 164؛ وابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص411-412.

فكان للمالكية مناهجهم التي لم تنطفئ شعلتها في الكتاتيب والمساجد والزوايا والرباطات، ومكتباتهم العريقة المليئة، بمختلف أنواع المعارف الدينية واللغوية وغيرها⁽¹⁾.
لم تستطع مبادئ الموحدين أن تراحم مبادئ المالكية، فالشعب جميعه مالكي، لأن الموحدين جاؤوا بمبادئ التوحيدية، كلها كلامية لا يدرکها إلا الخاصة، والشعوب -غالبا- تؤمن بالعاطفة والقلب، لا بالعقل والجدل.

والموحدون أنفسهم لم يلتفتوا حول ابن تومرت لاستحسانهم لطريق الجدل، بل بطريق فكرة المهدي المنتظر، التي كثيرا ما يرددونها العوام ويتمنون معها ظهور المهدي⁽²⁾ لهذا أضحت الدولة الموحدية بعد موت المهدي واستقرارها في شبه جمود بعد أن وصل الموحدون إلى تحقيق مآربهم وانكشف زيف فكرة المهودية، فكان لا بد من إصلاح يقوم به عبد المؤمن، فقام بخطوة في سبيل إضعاف سيطرة مذهب مالك على نفوس الشعب، إذ أصدر أوامره "بإصلاح المساجد وبنائها في تلمسان و في جميع بلاده، وتغيير المنكر، وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، وفي هذا نص ذكره ابن أبي زرع⁽³⁾.

وهدفه هو تكليف الطلبة بتنفيذ الأمر دون الولاة ورجال الجيش ليحس بذلك نبض المالكية بطريق الإقناع حتى يجنب نفسه عواقب الثورات المسلحة، التي ربما يشعلها المالكية ضده في أنحاء البلاد، ومنها أن تأخير أمره بتحريق كتب الفروع إلى نهاية الرسالة، ما يشعر بأنه يخشى عاقبة التنفيذ وبالتالي ما يوحى إلى العلماء بالكف عن التنفيذ إن صادفوا تدمرا من المالكية⁽⁴⁾.

لكن هؤلاء الطلبة الموحدون لم ينفذوا رغبة الخليفة عبد المؤمن ولا حتى رغبة ابنه يوسف، وإنما قام بالتنفيذ حفيد عبد المؤمن يعقوب المنصور(ت595هـ/1198م)، الذي رمى إلى محو مذهب مالك من المغرب الإسلامي مرة واحدة، وجعل الناس يتجهون نحو ظاهر القرآن والحديث⁽⁵⁾.
ويعتبر المراكشي شاهداً على هذه الأحداث حيث يقول "...لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي

(1) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص229.

(2) المرجع نفسه، ص230.

(3) ابن أبي زرع: الأئیس، ص195 .

(4) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص231.

(5) حيث يضيف أنه في عهد أبي يوسف انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذاهب بعد أن يجرداها ما فيها من حديث وقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد.عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 197-198؛ وخالد

الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص83-84.

والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، فأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة...⁽¹⁾.

وانتهت هذه المعركة الفقهية، بوضع فقه على أساس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فظن الخليفة يعقوب المنصور (ت 595هـ/1198م)، أنه بهذا قضى على الفقه المالكي، ولم يكن فقه الموحدين الجديد سوى فقه مالك -بعد حذف الأسانيد وآراء الفقهاء - فأقبل الناس على حفظ الفقه الجديد، ولكن فقه مالك هو الذي يسير الناس عملياً على هديه، والفقهاء المالكية لم يغمطهم الشعب قيد أمثلة من مظاهر الإجلال والإكبار⁽²⁾.

ثم حدث بعد ذلك أمرٌ غير الحال تماماً، وهو أن يعقوب المنصور (ت 595هـ/1198م) نفسه أخذ ينتقد مبادئ المهدوية، ويعلن عدم اعترافه بالعصمة والإمامة عند حجه⁽³⁾، حيث أحدثت آراؤه خلخلة كبيرة في المجتمع الموحدية وبدأ الناس يرتابون في مهدوية ابن تومرت، مما سمح لفقهاء المالكية في استعادة مكانتهم⁽⁴⁾.

وتولي الخليفة إدريس المأمون (626-630هـ/1228-1232م)⁽⁵⁾ يعلن على المنابر وعلى الملأ إلغاء أسطورة المهدوية، ومحو عبارات التنويه بالمهدي المنتظر من الخطبة، ومما قاله في هذا "لا تدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه بالغوي المذموم، ألا لامهدي إلا عيسى، وإنا قد نبذنا أمره النحس"⁽⁶⁾ كما أرسل المأمون الكتب إلى جميع البلاد يحو اسم المهدي ابن تومرت من السكة والخطبة ومحو سننه،

1) يقصد بالمصنفات العشر: الصحيحين، والترمذي والموطأ وسنن ابن داود وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني وسنن البيهقي. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198؛ الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

2) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص232-233.

3) حيث يقول صاحب المعجب "أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم من مطرف المري ونحن بحجر الكعبة، قال: قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف، يا أبا العباس، اشهد لي بين يدي الله عز وجل أي لا أقول بالعصمة - يعني عصمة ابن تومرت - عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص197-198؛ والضبي: المصدر السابق، ج1، ص214.

4) عبد الله علي علام: المرجع نفسه، ص233.

5) بعد أن تولى يحيى بن محمد الناصر الحكم وتلقبه المعتصم بالله رفض عمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الاعتراف ببيعه، وبايع أهل الأندلس أبو العلاء وتلقب بالمأمون وانقسمت دولة الموحدية على نفسها: دولة في الأندلس ودولة في المغرب، ثم توجه المأمون إلى المغرب لانتزاع الملك من ابن أخيه والانتقام ممن قتلوا أخاه الملك العادل واستعان بجيش من الأسبان وكانت أمه منهم وقد أمده به الملك الإسباني فرناندو الثالث ملك قشتالة لقاء شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه، وقد تمكن المأمون من اقتحام مراكش فهزم ابن أخيه يحيى المعتصم بالله وقتل شيوخ الموحدية الذين بايعوه؛ ونفذ المأمون شروط الملك الإسباني فسلمه الحصون العشرة وبنى في مراكش كنيسة لجنده الأسبان وبايع حاكم فاس وحاكم تلمسان وحاكم سبتة وحاكم بجاية؛ وقتل المأمون أشياخ الموحدية الذين خالفوه، وكانوا أكثر من مائة، ففرض هذا الأسلوب على خلاصة الزعامة الموحدية، ولم يلبث أن ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بن يعقوب أمير سبتة فتوجه لقتاله وحاصره، وأثناء الحصار عاد ابن أخيه يحيى ومعه جموع من العرب والبربر ودخلوا مراكش وعاد المأمون مسرعاً ومات في الطريق عند واد أم الربيع سنة 630 هـ/1232م وبويع من بعده ابنه عبد الواحد الرشيد. ابن خلدون: العبر، ج6، ص340-343.

6) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص212.

وأنكر النداء للصلاة باللغة البربرية، وزيادة المهدي في آذان الصبح عبارة "أصبح والله الحمد" كما بطش بأشياخ الموحدين⁽¹⁾.

ورغم تعاون المأمون مع النصارى، وما يؤخذ عليه، إلا أن أفعاله فكت قيود نشاط فقهاء المالكية، فعادوا وبقوة سواء في الفقه أو العقيدة، مستغلين التناحر الذي كان بين أمراء الموحدين، وتغافلهم عن أمر العقيدة.

فأفسح الأمر لفقهاء المالكية، وأذهبت القطيعة التي كانت بين أئمة المذهب المالكي في المغرب والدولة الموحدية، فبعد أن كانت الدولة في نظرهم مصدر المقاومة أصبحت تؤيدهم وتأخذ بأيديهم، وهذا ما رغب العلماء في أواخر عهد الدولة يندمجون في رجالها، ويتسبون إلى خدمتها⁽²⁾.

(1) السلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 212-214.

(2) ابن قنفذ: الفارسية، ص 34.

1 2 - البرامج⁽¹⁾

البرنامج هو النسخة أو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته، وأسماء رواته، وأسائيد كتبه المسموعة بذلك⁽²⁾ وما يتعلق بها من مواد درسها وإجازات تلقاها، ومواضيع ناقشها، أو مختلف الرسائل التي قرأها وحفظها⁽³⁾.

واللفظة في معناها الاصطلاحي لم تزدهر إلا عند الأندلسيين والمغاربة، حيث أن المتصفح لكتب الصلات الأندلسية وطبقات الرجال المغاربة، سيجد أن معظم ما أنتجه المغاربة والأندلسيين من الفهارس، إنما ذكرت تحت اسم البرنامج⁽⁴⁾، ويقال له أيضا المعجم⁽⁵⁾ والمشيخة⁽⁶⁾،

1 البرنامج لغة هو الورقة الجامعة للحساب، وهي كلمة معربة من الفارسية برنام، ويقصد به عنوان الكتاب والمخطط التونجي محمد: معجم المعربات الفارسية، مكتبة ناشرون، ط 2، لبنان، 1998، ص 28؛ والفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، بيروت، لبنان، 2005، ص 180. أما في قاموس تاج العروس البرنامج: بفتح الميم، وقيل بكسر الميم، وهي الورقة الجامعة للحساب. الزبيدي مرتضى: تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1969، ج 5، ص 420. أما الكتاني فيقول أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة المشيخة على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صار يطلقون عليه بعد ذلك المعجم، لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثرت استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات، وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما أهل المشرق يقولون ثبت وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة. عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأبواب، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتنى به إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1982، ج 1، ص 67.

2 ناصر الدين المطرزي: المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، ط 1، حلب، سورية، 1979، ج 1، ص 66.

3 يطلق عليها كذلك مصطلح الثبت وأسائيد والمسلسلات والفهرسة والمشيخة، مع فروق بسيطة بينها، وتهتم برصد الإنتاج العلمي، وذكر أصحاب الكتب وعناوينها وكيفية تلقي العلوم، ومن أقدم الفهارس، كتاب الفهرست لابن النديم، الذي ألفه حوالي سنة 377 هـ/987 م. محمد صاحبي: من مصادر الثقافة والعلم، فهارس الشيوخ أو برامج العلماء، مجلة عصور، عدد 13، 2003، ص 53.

4 عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 32.

5 لغة النقط بالسواد، مثل التاء عليه نقطتان، يقال أعجمت الحروف، والتعجيم مثله، ومنه حروف المعجم، وهي الحروف المقطعة التي تختص أكثرها بالنقط. الجوهري: معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت، لبنان، 1990، ج 5، ص 1981-1982. والمعجم اصطلاحاً كتاب يرتب فيه المشايخ على حروف المعجم بأسمائهم ويرتب ما رواه عن كل واحد في ترجمته من حرفه. عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، ج 2، ص 609. وفي موضع آخر من كتابه الرسالة المستطرفة يقول محمد بن جعفر الكتاني "المعاجم جمع معجم، وهو في اصطلاحهم ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء" أنظر: المرجع السابق، ص 135.

6 المشيخة: جمع شيخ بالفتح، ويطلق الشيخ مجازاً على المعلم والأستاذ لكبره وعظمه، وجمعه شيوخ، ثم استعملت المشيخة علماً على الكرايس التي يجمع الإنسان فيها شيوخه. عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج 1، ص 67، ج 2، ص 624.

ويعرفها صاحب الرسالة المستطرفة بقوله: "ومنها كتب المشيخات، وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم. محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص 140.

وقد اشتهرت هذه التسمية في المشرق، ورغم ذلك تسربت إلى المغرب - في نطاق ضيق - عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 40.

والثبت (1) والسند (2) والكناشة (3) والفهرست (4).

ويظل لفظ البرنامج في الاستعمال بالغرب الإسلامي للدلالة على معنى الفهرسة —ربما لارتباطه بالفقه المالكي— حتى أشرف القرن الثامن على نهايته، لا حظنا غيابا نسبيا لهذا الاستعمال، مع الاستكثار من لفظة "الفهرسة"، ومع غياب الأندلس تختفي اللفظة كعنوان رئيسي ل يتم تعويضها عند المغاربة بلفظ الفهرسة (5).

وتعطينا كتب البرامج معلومات مستفيضة حول نوعية الكتب المبرجة والمدرسة حيث تذكر لنا مجموعة كبيرة من الكتب التي درسها المؤلف في منطقتة والمناطق التي تنقل إليها، كما تشير إلى سلسلة أسانيد وأهم شيوخه وطريقة تحميله للكتب (6) رغم كون أغلبها نقل شفوي بمختلف أشكاله (7).

-
- 1) **الثبت**: هو الحجة والبينة، ويطلق على الرجل الحجة لثقته في روايته فهو ثبت من الأثبات. عبد الله المرابط التاريخي: المرجع السابق، ص 46. يسكون الموحدة: الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة، وأما بالفتح فما يثبت فيه الحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره. عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج 1، ص 68. ويبدو من هذين التعريفين أن الثبت لا يرقى إلى معنى الفهرسة والمشخة، لأنه مجرد تقييد لسماح من الأسمعة. عبد الله المرابط التاريخي: المرجع السابق، ص 47.
 - 2) **السند**: عند المحدثين الطريق الموصلة إلى متن الحديث، أو حكاية طريق المتن، أو هو رفع الحديث إلى قائله. السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد آل فهد، مكتبة دار المنهاج، ط 1، الرياض، السعودية، 1426 هـ / 2005، ج 1، ص 14-16؛ وقاسم علي سعد: قيمة الإسناد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 24، 2006، ص 123-124.
 - أما **لغويا** ما قبلك من الجبل، وعلا من السفح، أو ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادي... ثم استعيرت لفظة السند للكتاب. عبد الله المرابط التاريخي: المرجع السابق، ص 49.
 - 3) **الكناشة**: هي الأوراق تجعل كالدفتري يقيدها فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعملها المغاربة. عبد السلام محمد هارون: كناشة النوادر، دار الطلائع، ط 1، القاهرة، مصر، 1984، ص 10-11. محمد أحمد الشافعي: الكناشة الأندلسية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج 29، 1997، ص 27-45.
 - ويعرفها البعض بأنها مصنف يجمع فيه صاحبه ما يسنح له من التقييد والنقول المتنوعة والمختلفة، من بيها الحديث عن شيوخه ومروياته وأسانيد وإجازات الشيوخ له، وتشتهر الكناشة بهذا الشكل عند المتأخرين من المغاربة. محمد المنوني: الكناشات المغربية، مجلة المناهل، الرباط، العدد 2، 1975، ص 196.
 - 4) عرف صاحب القاموس المحيط: **الفهرس** بالكسر، الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، معرب فهرست، وقد فهرس كتابه. المصدر السابق، ص 564؛ وأنور محمد زناقي: المرجع السابق، ص 63.
 - وفي مجال ضبطها والنطق بها، ذكر ابن مكي في تنقيح اللسان أهم "يقولون فهرسة الكتب، يجعلون التاء فيه للتأنيث، ويقفون عليه بالهاء، قال الشيخ أبو بكر - ابن البر التميمي - : الصواب فهرست بإسكان السين، والتاء فيه أصلية، قال ومعنى الفهرست: جملة العدد، لفظة فارسية، واستعمل الناس منه: فهرس الكتب، يفهرسها فهرسة... فقولهم: الفهرست اسم جملة المعداد، والفهرسة المصدر. ابن مكي الصقلي: تنقيح اللسان وتلقيح الجنان، ضبط وتقديم مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص 27-28 - لاحظ كذلك شرح محمد حجي على هامش فهرس أحمد المنجور، دار المغرب، الرباط، 1976، ص 3-4.
 - 5) عبد الله المرابط الترغوي: المرجع السابق، ص 33.
 - 6) المرجع نفسه، ص 33، وشفيق محمد: المرجع السابق، ص 32.

7) Amara Allaoua : La transmission du savoir historique en andalus et au maghreb à la fin du moyen age , The Maghreb Review , vol 28 , Nos2-3, (2003), p.215-224.

وتعتبر لنا فهارس الشيوخ والعلماء على أهم الشيوخ و المدرسين وبالتالي المواد والبرامج التي درسها كل واحد منهم مثل برنامج جابر بن أحمد القرشي التلمساني (كان حيا سنة 578هـ/1182م)⁽¹⁾ الذي أنشأ فهرسة سميت بمعجم شيوخ ابن خير⁽²⁾ حيث قال عنه ابن الأبار "وكان من أهل العناية بالرواية، والمعرفة بأسماء الرجال، وسمع مشيخة أبي خير على حروف المعجم، فأفاد بها"⁽³⁾.

عمل أبو الحسين جابر هذا، وهو أحد تلاميذ ابن خير المكثرين عنه، ويبدو أنه معجب بشيخه، وما تمثل في مشيخته من كثرة الرجال، فسارع إلى صنع هذا المعجم، ورغم أن ابن خير قد ضمن فهرسته الكبرى ذكر أحوال شيوخه، فإن تلميذه جابراً قد وجد من المادة الجديدة ما يضيفه بسطاً لأحوال هؤلاء الشيوخ⁽⁴⁾.

وإذا أدركنا أن شيوخ ابن خير ممن ضمن ذكرهم فهرسته يزيدون على المائة رجل⁽⁵⁾ تأكدت لنا قيمة هذا المعجم الذي صنعه جابر لشيخه ابن خير، وأهميته المصدرية بين تأليف الرجال وكتب الطبقات.

ولا نعرف شيئاً عن هذا المعجم غير النقول القليلة التي أوردها ابن الأبار في التكملة، وقد صرح في بعضها بالنقل عن المعجم المذكور، واكتفى في بعضها الآخر بنسبة القول إلى جابر التلمساني⁽⁶⁾. وبالتالي توضح البرامج مادة التأليف وأهم الرجال، والمصنفات والأسانيد، وطرق التعليم ونشاط التأليف، وغيرها، وهي مادة تتجمع في النهاية لترسم صورة للبيئة الثقافية ومعطياتها من خلال هذا العهد الموحد.

ومثال ذلك أيضا برنامج الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582هـ/1186م) نزيل بجاية⁽⁷⁾ له برنامج مهم ذكر فيه بعض شيوخه منهم أبا عبد الله بن مكّي وأبي جعفر البطروجي، وعبد الرحيم الحجاري وأبا بكر بن العربي وشريح بن محمد وابن ورد وابن أبي الخصال، وغيرهم⁽⁸⁾.

(1) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 7.

(2) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، جدول ص 117، ص 132.

(3) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 7.

(4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص 132-133.

(5) ابن خير: فهرسته، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 1، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1989، ج 1، ص 12.

(6) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 133.

(7) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج 1، ص 104؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 207.

(8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 239.

و للفقهاء محمد بن عبد الحق التلمساني اليفريني (ت 625 هـ/1227م)⁽¹⁾ كذلك فهرسة جيدة ذكر فيها فضائل الشيخ أبي مدين شعيب، وأهم ما درسه على يده، وأهم شيوخه ومقرراتهم⁽²⁾ وسمي برنامجه هذا "الإقناع في كيفية الإسماع"⁽³⁾ الذي اعتمد عليه كل من ابن عبد الملك المراكشي (ت709هـ/1303م)⁽⁴⁾ والغبريني (ت704هـ/1304م)⁽⁵⁾ قال عنه ابن الزبير "أنه برنامج حسن ضم فيه مروياته، وذكر فيه شيوخه، وسمى فيه ما ألف وقيد"⁽⁶⁾.

كما أن الفقيه محمد بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1230م)⁽⁷⁾ له برنامج ذكر فيه شيوخه و مقرراته من الكتب، يشتمل على مائتين واثنين وعشرين كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها، اطلع عليها الغبريني وأثنى عليه، حيث قال في برنامجه أنه سمع عن أبي مدين شعيب في مجلسه كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى⁽⁸⁾.

وتقدم لنا برامج علماء المغرب الأوسط في الفترة الموحدية فوائدها منها الحفاظ على نمط العلم السائد في تلك الفترة وأنواع العلوم وطرق تدريسها، ورصد مراكز التعليم وأهم مؤسساته والهيئة التعليمية، وتساهم في نشره وجمع شتاته، وتكشف لنا عن الأجواء العلمية وزخم المعرفة⁽⁹⁾.

كما تعد البرامج وثيقة مصدرية تربوية ثرية بالمعلومات، حتى التي ينفرد بها المؤلف بما يشاهده من شخصيات وانطباعات ذاتية، ولمحمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله، الذي استقر أخيرا بتلمسان، حيث توفي عام(610هـ/1214م) له تأليف مفيد جمع فيه أسماء شيوخه على حروف المعجم حسبما ذكره صاحب نفح الطيب⁽¹⁰⁾ وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي "ومسلسلاته في كراسة ضخمة... إذ أكثر فيه من إيراد الأخبار، وإنشاد الأشعار، فأعظم به الإفادة، مجلد كبير و برنامج رواياته الأكبر مجلد متوسط، وبرنامجها الأصغر مجلد لطيف، ومشيخة أبي طاهر السلفي مجلد متوسط"⁽¹¹⁾ وزاد على هذا

1) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186؛ والذهبي: أهل المائة، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص82-83؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص184.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص61.

3) ذكره الرعييني باسم الإقناع في ترتيب السماع، ذكر فيه من لقي وما قرأ وسمع ومن أخذ عنه من أهل الأندلس والعدوة والمشرق.الرعييني: المصدر السابق، ص169.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

5) عنوان الدراية، المصدر السابق، ص61.

6) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص508.

7) السملالي: المرجع نفسه، ج4، ص187.

8) الغبريني: المصدر نفسه، ص192؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص197.

9) أنور محمد زناقي: المرجع السابق، ص63.

10) المقرئ: المصدر السابق، ج2، ص379؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ص277.

11) أنظر: الذيل والتكملة، السفر السادس، ص357.

الكلام صاحب التكملة" وقد جمع في أسمائهم على حروف المعجم تأليفا مفيدا... ووقع إلى بخطه في سنة 640 هـ/1242م⁽¹⁾.

وبرنامج أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي(ت 633 هـ/1235م) نزيل بجاية، له من المؤلفات والمصنفات الكثير من الكتب، ومن بينها برنامجه المعروف بمعجم شيوخ ابن مضاء⁽²⁾.

وهذا المعجم من المؤلفات التي ألفها ابن دحية أثناء إقامته بالمغرب، ولم يشتهر أمره بين المؤرخين وكتاب الرجال، ولم نعثر على نقل منه سوى ما ذكره ابن عبد الملك في ترجمة ابن مضاء بعد عرض سلسلة نسبه "...كذا نسبه في معجم شيوخه الذي جمعه له أبو الخطاب عمر بن حسن الجميل، وطالعه به فوافقه عليه إلا في ذكره مهند بن عمير فإنه أنكرهما وقال لا أعرفهما، فقال له أبو الخطاب، ياسيدي هما جدك ذكرهما فلان، يشير إلى بعض المؤرخين فتوقف الشيخ..."⁽³⁾.

أي أن هذا البرنامج يرمز إلى البيئة الثقافية السائدة من خلال الحديث عن مراكز التعليم، وتعيين مدارسها واتجاهاتها العلمية، وتسمية الرجال القائمين بها والتعريف بنشاطهم العلمي في الدرس والتأليف، وتقوم خلال ذلك برصد مختلف مستويات التعليم في هذه المراكز، وتعيين المصنفات المقررة التي تتناولها مجالس الدرس، ويعتمدها الشيوخ في تلقين مختلف المواد العلمية⁽⁴⁾.

بذلك كانت البرامج والفهارس عنصر تقارب وتواصل علمي بين المغرب والأندلس، كما كانت عنصرا مبرزا لثقافة المجتمع وتطوره واحتكاكه.

(1) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص304؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص216، 221.
(2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 217. أما ترجمة ابن مضاء، انظر ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص109-110.
(3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الأول، القسم الأول، ص212؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص133.
(4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص424.

1 - 3 - المرائق

تثير الفهارس والبرامج في حديثها عن الحركة التعليمية وصفا - وإن كان مقتضبا - لأساليب الشيوخ في الدرس، وتمييزا لطرقهم التي انتهجوها في تعليم هذه المادة أو تلك، وبالتالي تعتبر البرامج مادة مهمة لتحديد كثير من معالم نشاط التربية والتعليم في تاريخ المغرب الأوسط العلمي، خلال العهد الموحد، على أن هذه الطرق التعليمية التي تبرزها كتب البرامج وأيضاً التراجم، يبقى أمر تقسيمها وتصنيفها أوليا لاشارك في كثير من الخصائص، وتداخلها مع بعضها حتى في الدرس الواحد من الشيخ والمعلم الواحد.

بذلك ترسم كتب التراجم والرجال و البرامج الأجواء العلمية التي تخرج منها مؤلفوها، من خلال الحديث عن الشيوخ والاستفادة منهم، مع ذكر المصنفات التي تقرأ على هؤلاء الشيوخ، والطريقة التي يتبعها كل شيخ في التدريس، والشروح والحواشي التي تستخدم في حل مقفل هذه المادة أو تلك⁽¹⁾.

وقد مارس ابن تومرت خلال فترته القصيرة، التي أشرف فيها على إدارة الحياة العامة للموحدين، كل طرق التدريس السائدة في تلك الفترة، حيث مارس طريقة الإقراء كثيرا، من خلال المواظبة على قراءة القرآن والتوحيد مع طلبته يوميا، وفي أوقات ثابتة⁽²⁾ كما مارسها في المغرب الأوسط عندما التقى أول مرة مع عبد المؤمن، إذ يصف لنا البيذق طريقته بقوله: "فلما كان نصف الليل ناداني المعصوم-أي المهدي- يا أبا بكر، ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر، فدفعته له، وقال لي: أسرج لنا سراجا، فكان يقرأه على الخليفة من بعده، وأنا يومئذ ما سك السراج أسمع..."⁽³⁾.

أما الطريقة الثانية التي مارسها ابن تومرت فهي طريقة الإملاء، حيث يلجأ لها، عندما يستحسن كتابا معيناً، ويرغب أن يجعل لكل طالب عنده نسخة، فكان يملئه في وقت معين، حتى يكتب كل طالب نسخته بخطه، ويستطيع المواظبة على قراءته باستمرار، ومن ذلك ما فعله مع كتاب الموطأ الذي أملاه، على طلبته، ومنهم عبد المؤمن الذي أملاه أيضا في مراكش، برباط هرغة ببلد السوس في يوم الاثنين 3 ذي الحجة 544 هـ/ 1149م⁽⁴⁾.

كما يستجيب كل شيخ لطريقة ما بطرق متفاوتة، فلكل شيخ نهجه التعليمي، يميزه مستوى علمه، واختصاصه، وعلاجه للموضوع، وطول ممارسته للدرس، وفصاحته وحسن تبليغه وتصرفه.

(1) عبد الله المرابط الترغني: المرجع السابق، ص 430.

(2) ابن القطان: المصدر السابق، ص 168.

(3) البيذق: أخبار المهدي، ص 35.

(4) ابن تومرت: أعز ما يطلب، مقدمة المحقق، ص 9.

عرفت طرق إلقاء الدرس، والقيام بالتعليم في الفترة الموحدية تباينا من منطقة لأخرى، ومن

مرحلة عمرية لأخرى، وحسب نوع المؤسسة المقدمة للدروس، وحتى من شيخ لأخر، ويمكن أن نلخص هذه الطرق في ثلاث حالات مراعىا كثرة الشيوخ في هذا العهد، ومدى تماشيها مع أكثر المواد العلمية المدروسة.

ويبرز لنا برنامج مشيخة أبي العباس الغبريني طرق التدريس بيجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة، حيث يقول متحدثا عن علم الفقه أنه تلقاه "تعلمنا وتفهمنا وتبسطا"⁽¹⁾ ثم يضيف بعد ذكر الشيوخ الذين تلقى عنهم: "قرأت عليهما وسمعت منهما، وتفهمت بهما، وما زلت أحضر مجلسهما للاستفادة والنفع... وكل ذلك على إتقان وتحصيل وجودة بيان بتفريع وتأصيل وإجمال وتفصيل وإيراد الأسئلة والجمع والفرق وغير ذلك مما جرت العادة بإيراده عند أفاضل الفقهاء وأكابر العلماء، وأما بالمذاكرة والمباحثة وإلقاء الأسئلة وإيراد المشكلات وحل المفصلات فوَقعت الاستفادة بذلك عن كثير من أشياخي"⁽²⁾ ويضيف قائلا "ووقع الانتفاع بالقراءة والسماع"⁽³⁾.

ومن هذا البرنامج تتضح مختلف الطرائق التي اتخذها شيوخ المغرب الأوسط في تعليم وتدريب طلبة العلم خاصة الفقه منه، وهي تتنوع في ثلاث مجموعات هي:

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص307.

(2) المصدر نفسه، ص307.

(3) نفسه، ص308.

أ - طريقة الإلقاء والحفظ

لم يعرف الغرب الإسلامي في المرحلة الأولى من التعليم سوى التلقين أو الحفظ، التي تنحصر فيها وظيفة المعلم في تعليم الصبيان القرآن الكريم والنحو والعربية، وهذه العلوم كلها لفظية تحتاج إلى الحفظ والاستيعاب، ويتم التلقين والتحفيز إما بالقراءة في المصحف أو الألواح⁽¹⁾.

فكان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده⁽²⁾.

سادت هذه الطريقة في الكتاب حيث أن معلم الصبيان يجلس في وسط حلقته، ويملي شيئا من القرآن الكريم، وهم يكتبون على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم، ثم يقوم بتحفيظهم سورا من القرآن، وعند إكمال حفظ السورة يُمتحن الصبي فيما هو معروف لحد الآن بالختمة، وبعدها يخير الصبي إما بمواصلة طلب العلم أو الانقطاع عنه⁽³⁾.

أي أن الفقيه يلقي ما لديه من علم والطالب يستمع "السماع" من لفظه ويصغي إلى أحاديثه، فتكون هذه الطريقة حينئذ طريقة إلقاء، إذا راعينا جانب المتلقي، وسماعية إذا راعينا جانب الملقى⁽⁴⁾.

فكان ابن تومرت يجمع طلبته من فترة لأخرى، فيعرضون عليه ما حفظوه من القرآن أو من التوحيد، أو علوم أخرى، حتى أنه جعل لهم عقوبات كالتعزير بالسياط للتهاون⁽⁵⁾ ولم يكن يعرض عليه طلبته الملازمون له فحسب، بل حتى عندما كان يمر بالمدن ويعلم العلم، كان الطلبة يعرضون عليه ما يحفظونه⁽⁶⁾.

كما ترك ابن تومرت طريقة جيدة وسهلة لتعليم القرآن عن طريق التلقين والحفظ، ومساعدة الناس الذين لا يتقنون الحرف العربي من خلال لجوئه إلى تقسيم الفاتحة إلى كلمات، وسمى بكل كلمة

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص125.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص220. وفي هذا الصدد انتقد ابن خلدون على المغاربة مسلكهم في التعليم من كثرة اعتمادهم على الحفظ وضعف تدرهم على المحاوراة والمناظرة عند التدريس والمذاكرات. المقدمة، ج3، ص223.

3) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص213-214، ص222-223.

انتقد كذلك إبراهيم حركات طريقة التعليم التي كانت تعتمد على التحفيز والسماع عكس أهل الأندلس والشام الذي يعتمد على الكتابة والقراءة، واعتبر ذلك سببا في ارتفاع نسبة الأمية في الغرب الإسلامي مقارنة بالأندلس والمشرق، كما ألصق ذلك بالسلطة المركزية المتعاقبة بالإضافة إلى جمود النظام البيداغوجي الذي لم يتقدم في أسسه وهياكله وطرقه. مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص56.

4) يوسف بن علي العريبي: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط 1، الرياض، 1995، ص166؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص145.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص83.

6) البيدق: أخبار المهدي، ص29، ص30.

رجلا، ثم أقعدهم صفا واحدا، فقال للأول اسمك الحمد لله، والثاني رب، والثالث العالمين، وهكذا حتى تمت كلمات السورة، ثم قال لهم لا يقبل الله لكم الصلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء كلها على نسقها في كل ركعة من الصلاة، وهكذا يسر عليهم حفظ السورة⁽¹⁾ وهي تبين إحدى طرق التعلم المعتمدة على الحفظ والتلقين، وكذلك التدرج من الجزء إلى الكل، ومن السهل إلى الصعب، والانطلاق من الواقع المعيش.

وقد ظهرت هذه الطريقة نتيجة لحرص الرعيل الأول من علماء المسلمين بحفظ القرآن وبدراية الحديث النبوي الشريف، وتوثيق إسناده، إذ وجدوا الإسماع أمثل طريقة لحفظ الحديث وتناقله بين المسلمين، وخاصة قبل انتشار الكتابة والتدريس بينهم⁽²⁾.

وكان تحفيظ القرآن أول ما يتعلمه الطالب، وعلى رواية ورش عن نافع⁽³⁾، وهذا دليل على سيادة المذهب المالكي بين الفئات الشعبية رغم ما بذلته الجهات الرسمية للدولة. حيث يقدم لنا الغريبي مثلا عن شيخه يمارس هذه الطريقة وهو أبو محمد عبد الحق بن ربيع بقوله أنه يعتمد على الحفظ و"التكرار في أكثر الأزمنة"⁽⁴⁾.

وهذا يدل على تطبع التعليم في العهد الموحد بالاعتماد على الحفظ وتقديره، حيث يجب على المتعلم بعد حفظ القرآن، أن يحفظ أمهات الكتب، مثل ألفية ابن مالك، ولا ميته في النحو والصرف... وكان على المتعلم أن ينقش في ذاكرته كل مسألة تعلمها نصا وشاهدا يؤدّيها حتى لا يتعرض لسخط شيخه وسخرية رفاقه "واشتهرت في هذا العصر عبارة" من لا يحفظ النص فهو لص"⁽⁵⁾. وبدعم رأينا هذا ما تشير إليه كتب السير والتراجم من أسماء لأمعة من المغرب الأوسط اشتهرت بقوة الحفظ للحديث أو للقرآن، أو لأمهات الكتب⁽⁶⁾ كما أن ابن خير الاشبيلي (ت 575هـ/

(1) ابن ابي زرع: الأنيس، ص183.

(2) يوسف العربي: المرجع السابق، ص168.

(3) الوادي أشي: برنامج ابن جابر الوادي أشي، تحقيق محمد الحبيب الهيله، تونس، 1981، ص43.

(4) الغريبي: المصدر السابق، ص308.

(5) محمد لوّاح: المراكز التعليمية في العهد المريني، مجلة دار الحديث الحسينية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد 9، 1991، ص438.

(6) كعبد الله بن عرجون الذي توفي بتلمسان عام 534هـ/1139م كان يحفظ الكثير من الحديث. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص453 و الشيخ أبو زكريا يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي الذي أخذ عن الإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي الأصلين حفظا واثقانا. الغريبي: المصدر نفسه، ص139. و محمد بن أحمد بن الحجام كان حافظ زمانه. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ص268-266 و أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية، كان من أحفظ أهل زمانه باللغة كما حفظ صحيح مسلم كله حسب الغريبي: المصدر نفسه، ص230. وغيرهم كثير

1179م) ذكر في فهرسته عدداً كبيراً من الكتب التي أخذ معظمها بالحفظ سماعاً عن شيوخه، من خلال قوله "حدثني به"⁽¹⁾.

وقد انتقد ابن عربي (ت 638هـ/1240م) في رحلته⁽²⁾ مسالك المغاربة في ابتدائهم بالقرآن الكريم، وحفظه ورأى ضرورة تعليم اللغة العربية أولاً والانتقال منها إلى القرآن ثانياً، وقد استحسّن ابن خلدون طريقة ابن العربي، لكنه عقب عليها قائلاً: "إن العوائد لا تساعد عليها، وهي أملك بالأحوال"⁽³⁾.

والعادة المتبعة في حلقات السماع أنه عند انتهاء الطالب من سماع كتاب معين يطلب من شيخه أن يوقع على نسخته شهادة تفيد أنه قد سمع هذا الكتاب منه⁽⁴⁾ وهذه الشهادة بالإضافة إلى أنها تثبت سماع الطالب هذا الكتاب من الشيخ، فهي أيضاً تثبت مطابقتها نسخة الطالب لأصل الشيخ، والغالب أن يكتب السماع في مكان بارز من الكتاب كصفحة العنوان مثلاً⁽⁵⁾.

أما في مجالس العلم الهامة، والتي يتم فيها دراسة مختلف العلوم، يقوم الفقيه بالإملاء، منتظراً طلابه كتابة ما يقوله، فيتحدث وهم يكتبون ويضبطون كل كلمة يقولها⁽⁶⁾.

(1) ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص130، 132...

(2) وهو يعد من الكتب والمخطوطات المفقودة.

ومحي الدين بن عربي هو محي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله المقرئ: المصدر السابق، ج 2، ص161-167، ج4، ص307. الحاتمي نسبة إلى عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الطائي الشهير بكرمه في العهد الجاهلي. رابع بونار: هامش، عنوان الدراية، ص158 المعروف بابن سراققة الغبريني: المصدر السابق، ص158. انتقل إلى اشبيلية وها تعلم على يد أبي بكر بن خلف المقرئ: المصدر السابق، ج2، ص161-167.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص223؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص69-70.

(4) يوسف العربي: المرجع السابق، ص170.

(5) نفس المرجع والصفحة؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص149-150.

(6) يعرف حاجي خليفة الأمالي بقوله "جمع الإملاء، وهو أن يقعد عالم وحوله تلاذته بالخابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء، والأمالي. كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين يالتقايا، و رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص161.

ب- طريقة اختيار كتاب معين من العلوم وشرحه أو نقده أو اختصاره .

تعد طريقة الإقراء من أشهر طرق التعليم في مرحلة عمرية وعلمية متقدمة، حيث يمسك المعلم كتاباً ويقراً منه، ويقوم الطلبة بكتابة نسخهم، أو أن يقوم طالب من المجموعة بالقراءة في حضرة شيخه الذي يتعهد بتصحيح القراءة وتقديم النطق السليم للكلمات والمواضع الصحيحة للوقف والابتداء⁽¹⁾. كانت هذه الطريقة تسود في مرحلة أعلى من المرحلة التعليمية السابقة، حيث يقوم طالب من الطلاب بقراءة نص من الكتاب⁽²⁾ أو فقرات منه، وبعد ذلك يقوم الأستاذ بتولي عملية الشرح وتبسيط ما ورد من المفردات الصعبة⁽³⁾.

وهي طريقة تقوم على السرد، وتعتمد إحضار شرح واحد أو عدة شروح على الكتاب المدرس، وتتبع هذه الطريقة في تدريس مختلف المواد العلمية من حديث وفقه وتفسير ونحو وغيرها، وهي تهم المختصين أكثر، إذ تحاول استيعاب ما قيل في الموضوع عن طريق استحضار نصوص الشراح والمؤلفين، ولذلك فهي أشبه في جانب منها بالمحاضرات في جامعتنا اليوم⁽⁴⁾. وقد مارس ابن تومرت هذه الطريقة، بعد عودته من المشرق من خلال جملة الكتب التي أحضرها معه، إضافة إلى مناقشة الكتب التي ألفها، ومحاولة شرحها خاصة ما يبين مذهب التوحيد ككتاب أعز ما يطلب، والمرشدة، والقواعد والإمامة⁽⁵⁾.

يصف لنا الغبريني طريقة الإقراء في بجاية على يد أحد شيوخه الذي عاصر العهد الموحد والحفصي وهو أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت 675هـ/1276م) بقوله "إذا جلس للإقراء يحضر بين يديه الكتب المقرؤة عليه، فإذا فتح الطالب الكتاب، أخذ هو الكتاب في يده، ويقراء الطالب وتقع المعارضة، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارئ، وهذا من تثبته وتحوطه رضي الله عنه"⁽⁶⁾.

(1) صفية ديب: المرجع السابق، ص 152.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 214.

(3) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، المغرب، د ت، ج 5، ص 80-81؛ وإسكان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط، من القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ / 15 م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987-1988، ص 114.

(4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 483.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص 110.

(6) الغبريني: المصدر السابق، ص 116.

ويتم في هذه الطريقة نقد المصادر والكتب، كما كان يفعل علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحارثي التميمي (ت 637 هـ/1239م)⁽¹⁾ وقال عنه أبو أحمد عبد الحق، كنا نقرأ عليه النجاة لابن سينا (ت 428 هـ/1036م) فكان ينقض عراه نقضا، وذلك بعد أن يوضح منه ما يليق، ويقرره بأحسن طريق، ثم ينقضه ويوهنه، وكان أعلم الناس بعلم التعاليم وعلم الفقه حيث إذا قرأ التهذيب يبين أنه مخالف لأصل المدونة ومغاير لها، ويأمر بالأصل فيقاس فيبين المخالفة بينهما⁽²⁾.

وقد اتبعها الفقهاء والأدباء كثيرا، إذ نجد آثارها والإشارة إليها في برامجهم، فيذكر القاضي عياض (ت 544 هـ/1149م) في فهرسته تصحيح الكثير من المصنفات التي قرأها على شيوخه، منها أدب الكتاب لابن قتيبة بقوله "وعارضته بكتاب الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر أبي الأصبع عيسى بن سهل..."⁽³⁾.

كما بين الغريبي طريقة تلقين الدروس بذكر الكتب التي كانت تقرأ عليهم "من التهذيب إلى الرسالة وما بينهما الجلاب والتلقين، ومختصر ابن أبي زيد وغير ذلك...بتفريغ وتأصيل وإجمال وتفصيل وإيراد الأسئلة والجمع والفرق، وغير ذلك مما حرت العادة بإيراده عند أفاضل الفقهاء، وأكابر العلماء، وإما بالذاكرة والمباحثة وإلقاء الأسئلة"⁽⁴⁾ وقوله كذلك "...وإلقاء الصعاب وحلها بالكتب والمجاوبة حتى جرى ذلك مجرى الدرس"⁽⁵⁾.

(1) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص687.

(2) الغريبي: المصدر السابق، ص147.

(3) القاضي عياض: الغنية، ص175.

(4) الغريبي: المصدر نفسه، ص307.

(5) نفسه، ص308.

ج- هريقة المناظرة والمناظرة⁽¹⁾

وهي طريقة تعليمية أخذت صيغتها الاصطلاحية من النظر. بمعنى البحث بالحوار، ويعرف الزبيدي لفظة المناظرة لغويا بقوله "والمناظرة المباحثة، والمباراة في النظر واستحضار كل ما يميزه ببصيرته والنظر والبحث، وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياس"⁽²⁾ وهذه الطريقة التعليمية التجأ إليها شيوخ المغرب الأوسط في دروسهم، غير أنهم لم يفرّدوا العمل بها في الدرس، فكانت في الأغلب تدرج في الدرس الواحد مع الطرق السابقة، إذ أن أكثر المواد الدراسية تقوم على السرد والتلقين⁽³⁾.

ترتكز هذه الطريقة على التحليل والتعليل والحوارة، وابتعادها عن أساليب الحفظ والاستظهار، ويشكل الطالب المحور فيها للوصول إلى حل القضايا، ويكتفي الشيخ بتوجيه الحديث والمناظرة وإدارتها⁽⁴⁾.

ويعطينا الغبريني مثالا عنها في العهد الموحد، ممثلة ومطبقة من قبل الفقيه الشيخ أبو الحسن الحرالي التجيبي (ت 638هـ/1240م) بقوله "...وأصبحنا للحضور بمجلس الشيخ رحمه الله على جري عادتنا، ولما جرت موجبات الاستدعاء للمحاورة، ومقتضيات المذاكرة..."⁽⁵⁾.

كما يذكر المقرئ أن أصل هذه الطريقة عند فقهاء العراق فيقول "فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس... ودأبهم القصد إلى أفراد المسائل وتحرير الدلائل على رسم الجدليين، وأهل النظر الأصوليين"⁽⁶⁾.

-
- 1) يقول ابن خلدون: وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب مرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا، وكيف يكون محصوما منقطعا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت. أنظر: المقدمة، ج3، ص21-22.
 - 2) تاج العروس، ج14، ص254.
 - 3) وتختلف أساليب الشيوخ في إثارة الحوار والسؤال داخل الدرس، فهم في أكثر الحالات يتركون المبادرة للطالب في إثارة الأسئلة، إما لاستغراق فهم المسألة عليه، وإما لاحتجاده في تخريجها مخرجا يخالف به شيخه، وإما لاختبار الطلبة عن طريق التحاور فيما بينهم. عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص490. وقد تكون بين شيوخ وعالمين للمجادلة ومحاولة إثبات صحة أقواله لإفحام أحدهما الآخر فتصبح مناظرة.
 - 4) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص215.
 - 5) الغبريني: المصدر السابق، ص151.
 - 6) المقرئ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1942، ج3، ص22.

كما يبين الغبريني أن طريقة التدريس - ورغم تأخره عن الفترة التي ندرسها، إلا أنها استمرار لما كانت عليه - كانت تتم " بإيراد المشكلات، وحل المقفلات" وهو ما يعني هناك حوار وتناظر للحصول على المعرفة⁽¹⁾.

ساعد في انتشار هذه الطريقة ممارستها من قبل ابن تومرت منذ البداية سواء للتدريس أو للتصدي لفقهاء المرابطين⁽²⁾ كما شجع خلفاء بني عبد المؤمن على مجالس وندوات رفيعة تت م فيها مناظرات كبيرة⁽³⁾.

وقد استخدمت هذه الطريقة في تدريس أكثر مواد الفقه، فلا ترد إشارة به إلا وهي مقرونة بكلمة ناظر أو نوظر عليه، فهي أكثر استجابة لمادة الفقه التي تقوم على عرض أقوال الفقهاء والنظر فيها، ومقابلتها ومناقشتها، والعودة إلى الأصول المستنبطة أحكامها منها⁽⁴⁾.

ولا شك أن مختلف الطرق، التي أخذ بها الطلبة العلم في المغرب الأوسط، كانت هي المنطلق والقاعدة الأساسية التي سيقوم عليها بناء شخصية فقهاء أجيال وعلماء لهم باع طويلة في مختلف فروع العلم فيما بعد، وهذا ما تشهد به كتب السير والتراجم⁽⁵⁾.

كما أن جميع طرق التدريس تنتهي بإجراء امتحانات في جميع المواد، من طرف الأستاذ أو الشيخ المشرف⁽⁶⁾ لينال في الأخير الإجازة، أو الترخيص بالانتقال إلى مرحلة أعلى.

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص307.

(2) عندما ناظر ابن تومرت فقهاء المرابطين طلب منهم اختيار من ينوب عنهم لمناظرته، وقد سألهم عن طرق العلم وهل هي منحصرة أم لا تنحصر؟ ثم سألهم عن أصول الحق والباطل؟. ابن أبي زرع: الأنيس، ص174-175.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص176؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص160.

(4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص482.

(5) صفية ديب: المرجع نفسه، ص71-72.

(6) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص255.

2- الوراقة

من مظاهر النشاط الثقافي والفكري في المغرب الأوسط عهد الموحدين، ازدهار الوراقة، والتي لم تتفق المراجع والمصادر على معنى أو تعريف واضح لها، واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة اتجاهات:

فابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، ت 737هـ/1336م) في كتابه "المدخل" يجعلها قاصرة على صناعة الورق، ثم يخصص لكل من النساخة والتفسير فصلا⁽¹⁾ أما ابن خلدون فيوسعها، ويفرعاها، ويجعلها شاملة للاستنساخ والتصحيح والتفسير، وسائر الشؤون المكتبية والدواوين، وبهذا تندرج فيها صناعة تحضير الورق وإعداد الورق⁽²⁾ أما الاتجاه الثالث فهو يخصصها بالنساخة، أي جعل النسخ حرفة يشتغلها فهو نساخ ووراق⁽³⁾.
وسنعمد على التعريف الثاني الذي هو قريب من المنطقة والأحداث وهو تعريف ابن خلدون كمرجع أساسي في طرح النقاش.

كانت دور الوراقين تعتبر أحد مجالس العلم، وحسبك أن تعلم أن ابن النديم صاحب الفهرست (ت 385هـ/995م)، وياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء (ت 626هـ/1228م) كانا وراقين، أي بائعي كتب ونساحين لها، وكثيرا ما يلتقي العلماء بها لتبادل الشعر والأدب، والفقهاء⁽⁴⁾.
وتعتبر الفترة الموحدية العصر الذهبي للوراقة المغربية، حيث نبغ وراقون مغاربة مجيدون، وكان بينهم بعض المصحفين والملمزين لمنتسخات بعينها، وقد تفنن أفراد في تنويع المخطوط وتفريغها إلى عدة طرائق مغربية ومشرقية، وظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتفسير، وازدهرت صناعة الورق⁽⁵⁾.
كان من خلفاء الدولة الموحدية أنفسهم من يجيد الكتابة بأكثر من خط، وكان بعضهم يوقع الرسائل الرسمية بيده بخط الثلث المشرقي، وبالمداد الأحمر المعروف لهم⁽⁶⁾.
كما نبغ أبناء عبد المؤمن الثلاثة عشر في الكتابة- نذكرهم باعتبارهم من المغرب الأوسط- حيث عدوا كلهم خطاطون، وامتدح أحدهم بإجادة الخط من طرف الشاعر الأندلسي ابن مجبر، أين وصف خط الأمير عمر بن عبد المؤمن بمذيين البيتين:

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا نكر على السحب أن ينبتن أزهارا

(1) ابن الحاج: المدخل، دار التراث، القاهرة، مصر، د ط، ج 4، ص 79-83.

(2) أنظر: المقدمة، ج 2، ص 321.

(3) أبو زيد عبد الرحمن بن أبي السعود الفاسي: تحفة الأكابر، مخطوط، المكتبة الملكية، رقم 643، الباب الرابع. نقلا عن المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط 1، الرباط، 1991، ص 11.

(4) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص 45.

(5) المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، ص 27.

(6) شفيق محمد: المرجع السابق، ص 36.

خط هو السحر لكننا نترهه ونجعل القلم النفاث سحارا⁽¹⁾.

فقد كان في مدينة فاس وحدها أربعمائة مصنع للورق "الكاغد"⁽²⁾ والسر في تطور الوراقة، في كل الدولة الموحدية عموما، هو ازدهار حركة التأليف، والكتابة الديوانية، فبرز وراقون مغاربة مجيدون، ونساحون محترفون، ومفسرون ونقاشون ومرصعون متخصصون، منهم من تخصص في نساخة وزخرفة أشياء بعينها كالمصاحف، وكتب الحديث، أو غيرها، وتفنن النساخ في تنويع الخطوط وتفريغها، والمزخرفون في تزويق الكتب وتديجها، والصناع في تفسير الكتب وتجليدها⁽³⁾.

من مميزات الوراقة الموحدية التفنن في تنويع الخطوط إلى طرائق مغربية ومشرقية، كما هو الشأن بالنسبة لعلي بن يحيى بن سعيد الأنصاري التلمساني الأصل، الذي سكن إشبيلية ومراكش وغيرهما (لم نجد تاريخ وفاته) كان حسن الخط في الطريقتين المشرقية والمغربية⁽⁴⁾.

وقد نبغ في هذا العهد عدد من الوراقين من المغرب الأوسط، الذين كتبوا بخطوط مختلفة، نذكر منهم: أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول (ت 564هـ/1168م) من قرية حمزة من عمل بجاية⁽⁵⁾ وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا، بديع الكتابة وحسن الوراقة⁽⁶⁾.

كما استفاد المغرب الأوسط من بعض الوراقين الأومهم أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (599هـ/1202م) وهو من أهل مرسية، رحل حاجا فلقي في طريقه ببجاية عبد الحق الإشبيلي وقرأ على يده، والأكيد أنه مارس مهنته الوراقة، ونفع الناس بها، وكان حسن الخط صحيح النقل والضبط، ثقة صدوقا، جلدا على الوراقة محترفا بها تأثر منها مالا كثيرا، وكتب بخطه علما كثيرا⁽⁷⁾.

ومحمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي (ت 610هـ/1213م)⁽⁸⁾ نزيل تلمسان، كان حسن الخط والتقييد حافظا، عنى بهذا الشأن طويلا واستنفذ فيه عمره، وكتب بخطه الكثير⁽⁹⁾.

-
- 1) المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، المرجع السابق، ص28.
 - 2) علي الجزنائي: حتى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط 2، 1991، ص44.
 - 3) المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، المرجع السابق، ص27.
 - 4) نفس المرجع، ص28.
 - 5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص520.
 - 6) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، طبعة الجزائر، ج 1، ص 185؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص 63؛ والصفدي: المصدر السابق، ج6، ص109؛ والصفدي: المرجع السابق، ج1، ص203-204.
 - 7) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، طبعة الجزائر، ج1، ص114-115؛ والسملالي: المرجع السابق، ج2، ص102.
 - 8) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.
 - 9) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر سابق، السفر السادس، ص356.

عبد الرحمن بن يخلف بن أحمد اليحفي الفزازي (ت 626هـ/1228م) نزيل تلمسان، كان كاتباً بليغاً شاعراً مجوداً، كتب للولادة دهراً طويلاً، وتحول ببلاد العدو والأندلس كثيراً⁽¹⁾.

وأبو الربيع التلمساني⁽²⁾ الذي كان زاهداً ورعاً، سكن سلا، يحترف بالنسخ، ولا يقبل فيه سوى قيمة العدل⁽³⁾ وأبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675هـ/1276م) وكان ابن مقلة (ت 328هـ/939م) زمانه له خطوط جميلة، كان يكتب الشرقي والغربي والديواني، ومن أبدع حاله في خطه إذا بدأ بنوع حكم عليه إلى آخره حتى لا يوجد فيه حرف واحد من غيره⁽⁴⁾ وقد أُثني عليه في حاله في الوثيقة، فقد تمت وثيقته الوثائق، وأماطت الشبه والعلائق⁽⁵⁾.

وقد سبقه إلى ذلك والده أبا الزهر الذي كتب لبعض ولاية بجاية من الموحدين، ومروان بن عمار البجائي (ت 610هـ/1214م)⁽⁶⁾ قال عنه ابن الأبار: "وكان من الأدباء النبهاء، مشاركاً في أبواب من العلم، حسن الخط، جيد الضبط"⁽⁷⁾.

وأبا الحسن القلي الفقيه الأديب، كان حسن الخط مغربه ومشرقه⁽⁸⁾ وأبو عبد الله الفزازي التلمساني، من بيت علم ونباهة، أخذ العلم بقرطبة وسكن مراكش اشتهر بأنه لغوي، وكاتب بليغ، شاعر مجيد، حسن الخط والصورة والهيئة⁽⁹⁾.

وشيخنا الجزائري أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح (ت 629هـ/1231م) الذي كان بارع الخط، حسن الضبط⁽¹⁰⁾ ومحمد بن إسماعيل المتيجي الذي كان مليح الخط والضبط، مشاركاً في علم الحديث والرجال، فاضلاً، زاهداً، يقول الشعر، وكتب علماً كثيراً وأخذ الناس عنه⁽¹¹⁾

(1) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص585.

(2) التادلي: المصدر السابق، ص280.

(3) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص108.

(4) الغريبي: المصدر السابق، ص86.

(5) المصدر نفسه، ص86-87؛ والتبكي: المصدر السابق، ص280.

(6) هو مروان بن عمار بن يحيى، أبو الحكم، قاض، فقيه، له مشاركة في علوم اللغة والأدب، من أهل بجاية. ابن الأبار: التكملة، طبعة

مدريد، ج2، ص384؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص40؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28.

(7) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص384.

(8) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص101.

(9) قال عنه عبد الواحد المراكشي: وأبو عبد الله محمد بن يخلف بن أحمد الفزازي، ذكره الله فيمن عنده، وقرب مطالعتي تلك الغرة

الميمونة، وسماعي تلك الألفاظ الحلوة، واستماعي بتلك السمائل الشريفة، فما أشد شوقي إلى تقبيل يديه المعجب: المصدر السابق،

ص223.

(10) الغريبي: المصدر نفسه، ص225.

(11) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص85.

و محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي ⁽¹⁾ الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ، وكان رحمه الله أديبا بارع الكتابة، شاعرا مجيدا، رائق الخط ⁽²⁾.

ولا ننس محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628هـ/1230م) ⁽³⁾ الذي قال عنه ابن عبد الملك "كان الملك" كان ضابطا لكتبه، محافظا عليها، جيد الخط، كتب الكثير وأتقن تقييده، ولم يزل الناس يتنافسون في ما يوجد بخطه أو بمعاونته" ⁽⁴⁾.

أما أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي وهو من برشانة، استقضى بتلمسان، وكان كاتباً للمستنصر أبي يعقوب يوسف بن الناصر أبي عبد الله من آل عبد المؤمن، وكان بارع الخط، رائق الطريقة، له منزلة كبيرة لدى طلبة العلم يأوون إليه، وتوفي بسبب سنة 629هـ/1231م) ⁽⁵⁾.

وأبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ) رحل إلى بجاية واستوطنها وأخذ عن عبد الحق الاشبيلي وغيره، وكان له علم بالحديث والفقه والوثيقة، وأكثر تخاطبته إنما هو التحديث ⁽⁶⁾.

1) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.


2) ابن عبد الملك المراكشي: السفر الثامن، القسم الأول، ص314؛ ويحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

3) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.

4) الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص324.


5) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص146؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص464-465؛
وعبد القادر بوباوية: إسهام العلماء، ص165.

6) الغريبي: المصدر السابق، ص189.



الفصل الثالث

أهم العلوم في المغرب
الأوسط



أولاً: العلوم النقلية
ثانياً: العلوم العقلية



من الطبيعي أن يكثر التأليف في دولة بلغ فيها النشاط الثقافي والفكري مدى بعيدا، لذلك فقد كثرت في دولة الموحدين المصنفات التي تبحث في مختلف العلوم والفنون، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء⁽¹⁾ حيث يقول ابن مريم "اعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء من مهمات الطالب..."⁽²⁾ وكل ذلك شجع على البحث والتفقه.

أولت الدولة الموحدية عناية كبيرة بعلوم الدين، وسائرهما بالعلوم الأخرى⁽³⁾ وهذا ما مكن اهتمامهم بشؤون الثقافة، فظهرت شخصيات مغربية كثيرة لمعت في سماء الفلك والطب والتاريخ والجغرافيا إلى جانب علوم اللغة والآداب وعلوم الشريعة⁽⁴⁾.

حيث كان ابن تومرت أحد علماء عصره، المجتهدين في طلب العلم، وقد جلس ابن تومرت لتدريس العلم، في المغرب الأدنى والأوسط، أين جلس إليه مجموعة من الفقهاء يأخذون عنه⁽⁵⁾.

ولم يكن خلفاء ابن تومرت أقل تشجيعا للعلم منه، فعبد المؤمن بن علي -باعتباره من المغرب الأوسط- بدأ حياته طالب علم طموحا، وعندما ولي الحكم، لم تشغله أموره عن رعاية العلم والعلماء، فقد كان مؤثرا لأهل العلم، محسنا إليهم⁽⁶⁾.

كان المغرب الأوسط يتوفر على الكثير من علماء الدين، وكبار الأدباء، ولكنه كان يفتقر إلى الاختصاصيين الأكفاء في العلوم الأخرى من هندسة وطب، وتنجيم، وغير ذلك وظهر عجز واضح في الميدان الفني⁽⁷⁾.

وقد قسم علماء المسلمين في العصور الوسطى، العلوم النقلية إلى علوم الدين، وعلوم اللغة العربية وعلوم عقلية⁽⁸⁾ أما ابن حزم (ت456هـ/1063م) من خلال رسائله في مراتب العلوم، قسمها إلى علوم الشريعة، وعلوم الأخبار "التاريخ" علم اللغة، علم النجوم، علم العدد، علم الطب⁽⁹⁾ وأما الغبريني

1 شفيق محمد: المرجع السابق، ص36.

2 أنظر: البستان، ص308.

3 يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص252، ص255.

4 عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص340.

5 البيذق: أخبار المهدي، ص30.

6 ابن أبي زرع: الأنيس، ص203؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص32.

7 فمعظم الذين وضعوا تصميمات المباني الموحدية العظيمة التي كانت في عهد الخلفاء الأولين، إنما كانوا من الأندلسيين، وأشهر أطباء الدولة كانوا أندلسيين إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص350.

8 عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص294.

9 ابن حزم: رسالة في مراتب العلوم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت لبنان، 1983، ص78-

فقد قسمها في برنامجه الذي ختم به كتابه "عنوان الدراية" إلى صنفين إحداهما علم "الدراية" (1) والآخر علم "الرواية" (2) لكنه في برنامجه نجده يخلط بينهما، أما ابن خلدون فيقسم العلوم إلى عقلية "حكيمية" ونقلية (3)، مع إقصائه علم التاريخ.

وقد قسم ابن تومرت العلم، من وجهة نظره الخاصة إلى ثلاث أقسام: الحس والعقل والسمع (4) والعلوم الحسية جعلها ثلاث أقسام (ما أدركناه عند الاتصال، وما أدركناه عند الانفصال) والعلوم العقلية جعلها قسمين: ما أدركناه بدلالات الأفعال، وما أدركناه بالقياس، ويدرج ضمن القسم الأول من العلوم العقلية العلوم الإلهية كلها (5) أما العلوم النقلية "السمع" فيقسمها من جهتين: من جهة السماع المباشر يجعلها على قسمين (وحي ولغة)، ويقسمها من جهة النقل إلى ثلاثة أقسام (الكتاب والسنة والإجماع) (6) من جهة أخرى قسم العلوم بصفة عامة إلى ثلاثة أقسام هي: العلم بالدين، والعلم بالدنيا، والعلم بما يتوصل به إليهما (7).

ويعود ابن تومرت إلى إعطاء تقسيم آخر للعلوم بقوله: "وجميع العلوم النافعة مندرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة، أما علم الشريعة فهو علم الدين ونصل إليه بمقصد الحكمة... وأما علم الطبيعة فهو علم الحكمة الذي كتبه الله بيد قدرته" (8).

وفيما يلي سنورد تطور الحركة الفكرية أيام الموحدين بالمغرب الأوسط في مختلف فروع المعرفة، وفق تقسيم ابن خلدون، مع تكييفها مع الفترة الحالية بإضافة علم التاريخ، لأنه الأقرب للواقع والأكثر وضوحاً دون فلسفة تومرتية .

1) يقصد الغبريني بما "جملة العلوم التي احتاج إلى ذكرها في هذا الموضوع يحتمل الدراية، وهي علم الفقه، وعلم الأصول: أصول الدين

وأصول الفقه، وعلم العربية، وعلم التصوف، وعلم المنطق". برنامج الغبريني، ملحق كتاب عنوان الدراية، ص 307.

2) وهي العلوم التي حصل عليها أي جرحي شيوخه عن طريق الرواية، وهي علم تفسير القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه، وعلم

العربية، وعلوم التصوف والتذكير. برنامج الغبريني، ص 309-310.

3) قال ابن خلدون في مقدمته: "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر وينتدولونها في الأمصار تحصيلاً وتعلماً هي على صنفين: صنف

طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه، والأول هي العلوم الحكيمية الفلسفية... والثاني هي العلوم النقلية

الوضعية... ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع...". المصدر السابق، ج 2، ص 358.

4) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 33.

5) بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص 137.

6) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 33.

7) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 308-309 بلقاسم فيلالي: المرجع نفسه، ص 137.

8) ابن تومرت: كثر العلوم والدرر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة، تحقيق أيمن عبد الجابر البحري، دار الآفاق العربية

ط 1، القاهرة، 1999، ص 19-20.

أولاً: العلوم النقلية

العلوم النقلية هي العلوم التي وضعت لاستيعاب، الدين والإمام بما خلفه الأجداد والواضعون لهذه العلوم للحفاظ عليها والدفاع عنها⁽¹⁾

تميز عصر المرابطين بالاختصار على مذهب مالك والإكثار من الفروع، وتعدد الأقاويل في المسائل، والابتعاد عن الأصول الحديثة للمذهب، وتفشي التقليد، وقد أعيب ذلك على الفقهاء، واعتبر من الذرائع المؤدية إلى الفرقة التي وجب سدها⁽²⁾ وتشهد على ذلك مؤاخذات الباجي وابن عربي فقهاء هذا العصر على التقليد، فابن عربي - نقلاً عن الونشريسي - يصف فقهاء عصره قائلاً: "فصار التقليد دينهم، والافتداء يقينهم"⁽³⁾

لكن الموحدون اهتموا في مجال العلوم النقلية، بالفقه و بعلمي القراءات و التفسير، فازدهرا وذلك بسبب دعوتهم للرجوع إلى الكتاب والسنة، والأخذ بظاهرهما⁽⁴⁾ وانعكس ذلك على علم الحديث وعلم الكلام⁽⁵⁾ وفي هذا يقول أحد الباحثين "لاشك أن الإصلاح الديني، الذي حاول الموحدون تطبيقه في المغرب، قد ترك آثاراً هامة في تطور الحياة الدينية، ومن أبرز نتائجه ذبوع كتب الغزالي وكتب غيره من الأشاعرة... ولهذا خرجت العلوم الدينية في المغرب من طور منابذة الرأي والعقل، وانتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازناً واعتدالاً"⁽⁶⁾.

بذلك شهد العهد الموحدى ازدهارا للعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، والتوسع في دراستها إلى مدى بعيد، ومن بين العلوم النقلية أو الدينية .

1) شقرون محمد بن أحمد: مظاهر الثقافة المغربية، في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982، ص191.

2) الصغير عبد الحميد: تجليات الفكر المغربي ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، الدار البيضاء، مطبعة المدارس، ط1، 2000، ص166.

3) الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص482. رغم أن من نتائج اهتمام المرابطين فقط بعلم الفروع كثرة التأليف في النوازل مقارنة مع عصر الموحدين، كنوازل ابن رشد وابن عربي. عبد الحق الطاهري: الإمام ابن تومرت والمذهب المالكي، أعمال الندوة الدولية حول المدرسة المالكية الفاسية أصالة وامتداد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 2007، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2010، ص247.

4) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصورة للطباعة والورق، الرباط، 1972، ص19؛ والشاطبي: الاعتصام، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص123؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص262-263.

5) إن المصادر التي روجت لإلصاق الظاهرية بالموحدين، هي الكتابات الفقهية المنتمة إلى مراحل لاحقة، وهذا يدعو بطبيعة الحال إلى التوقف والحذر في مسيرتها، نظراً لانطلاقها من مواقف إيديولوجية غير خفية. محمد مغراوي: خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986-1987، ص83.

6) عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، ص139.

1- علوم القرآن

القرآن الكريم هو كلام الله المتزل على رسوله محمد(ص) المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، والمكتوب بين دفتي المصحف⁽¹⁾ وظهرت علوم القرآن بتزوله على الرسول(ص)، ومنها تنوعت وتعددت، ويمكن تعريفها بأنها مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءته وتفسيره، وناسخه، ومنسوخه، وأسباب نزوله، ومكيه ومدنيه ونحو ذلك⁽²⁾. إن القرن الثاني عشر ميلادي، السادس هجري بالنسبة للحركة الثقافية في المغرب الأوسط خصوصاً يشكل خطاً فاصلاً بين مرحلتين، إحداهما مرحلة ركود وفتور ثقافي(المرحلة الأخيرة للحماديين والهجوم الهلالي)⁽³⁾، والأخرى مرحلة انبعاث وازدهار ثقافي هي الفترة الزيانية. وقد اهتم الموحدون بالقرآن وحافظوا عليه من خلال تدريسه وتشجيع دارسيه، كما كان مصحف عثمان يقدمه أبو يعقوب المنصور في غزواته بالأندلس⁽⁴⁾ وكل ذلك يبرز انشغال علماء المغرب الموحد بالقرآن وكل علومه المختلفة.

هذا راجع إلى القرار السياسي في كنف الدولة الموحدية إلى إحياء الاجتهاد المطلق، ومع الاستقرار الفكري، وتنوع مهام الدولة لوجودها بين ملتقى حضارات، ازدهرت العلوم، وكان من نتائج ذلك وجود مشيخات مهمة في مختلف حواضر المغرب الأوسط، يمثلها علماء كبار، وقد توفر لها من ضروب الإفادة العلمية التي يرغب فيها الناس، من حديث وتفسير وقراءات، وتوفر لها من أصناف الإسناد والرواية ما جعلها مقصد الرحلة عند المهتمين بذلك، ومن بين علوم القرآن:

-
- 1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، القاهرة، 1957، ج 1، ص 318؛ وابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص 361.
 - 2) مساعد الطيار: علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، محافظة جدة، منطقة مكة، العدد 1، 1427هـ، ص 79-80.
 - 3) على الرغم من محاولة البعض إعادة الاعتبار وتصحيح الاعتقاد بخصوص الحملة الهلالية، واعتبارها حملة استشراقية لمؤرخين أرادوا تشويه هذا التواجد الهلالي وإصاقهم بتهمة التخريب والانحطاط - لمزيد عن هذا الموضوع انظر علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 7-36.
 - 4) هذا المصحف وقع إليهم من نسخ عثمان "ض" من خزائن بني أمية، يحملونه بين أيديهم أنى توجهوا على ناقة حمراء عليها من الخلي النفيس وثياب الدبياج الفاخرة ما يعادل أموالاً طائلة... عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 179؛ ومجهول: الخلل الموشية، ص 152؛ وعبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص 12 والاعتقاد انه يعود إلى عثمان خطأ. هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص 174.

أ- علم القراءات

إن ظهور القراءات ⁽¹⁾ كان بسبب اختلاف اللهجات العربية، حيث تشمل القراءات أنوا غ متعددة منها التجويد والرسم والقراءات المأثورة ⁽²⁾.

ويعتبر علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية، باعتباره أول محاولة في تفسير القرآن الكريم، وكان المغرب الموحد من أشد الأقطار الإسلامية اهتماماً بهذا العلم، وضع المهدي بن تومرت نظاماً يوجب عليهم قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم جمعة عقب صلاة الصبح والمغرب قراءة مرتلة، وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس القراءات "وكان من أحسن الناس نطقاً بالقرآن الكريم" ⁽³⁾ وكان القصد من القراءة، التلاوة الصحيحة لهذا القرآن.

وأوائل المقرئين والمعتنين بالقرآن وقراءاته خلال العهد الموحد بالمغرب الأوسط، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي (ت 581 هـ / 1185 م) ⁽⁴⁾ النحوي، والأستاذ المقرئ، أحد الثقات، الإثبات، الصلحاء الرواة وكان حسن التلاوة، صادق القراءة، وكان إذا أحيأ ليلة سبع وعشرين يرغب الناس في القيام خلفه لصدق قراءته، وكان أبو عبد الله بن عبد المؤمن والي بجاية في تلك الفترة، كان يحضر الإحياء بالجامع ليلة سبع وعشرين، فما دام الأستاذ محمد عبد الله يقرأ يصلي الوالي قائماً، فإذا قرأ غيره يجلس، وذلك بجامع القصبة المحروسة، وقد خطب بالجامعين الأعظم، وجامع القصبة ⁽⁵⁾.

كما برز من المغرب الأوسط، في الفترة الموحدية، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582 هـ / 1186 م) نزيل بجاية حيث اهتم بذلك وألف كتاباً سماه "نفس الصباح" في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، وقد روى عنه أبو الحسن بن عتيق بن موسى حيث لقيه ببجاية ودرس على يده هناك ⁽⁶⁾.

أما أشهر شيوخ القراءات في المغرب الأوسط خلال العهد الموحد أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي (ت 600 هـ / 1203 م) نزل تلمسان وعمر بها، وأخذ عنه الناس ⁽⁷⁾

1) وهو علم يبحث عن صورة نظم كلام الله تعالى من حيث الاختلاف المتواتر ومبادئه. حاجي خليفة: المصدر السابق، ج 2، ص 133.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص 361.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 167.

4) ذكره الغريبي بلقب ابن الخراط وهو خطأ لأنه لقب عبد الحق الاشبيلي، ولم أجد من أشار إلى تسميته بالخراط.

5) الغريبي: المصدر السابق، ص 140.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 240؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 207.

7) الجزري: المصدر السابق، ج 2، ص 251-252؛ وعبد القادر بوباوية: إسهام العلماء، ص 166.

يكنى أبا بكر وأبا عبد الله⁽¹⁾ الفقيه المحقق⁽²⁾ وكان مجوداً للقرآن، ضابطاً، محدثاً، عالي الرواية⁽³⁾ فكان مقرئاً فاضلاً ومحدثاً ضابطاً أخذ القراءات من أبي بكر بن العربي، وعن أبي الحسن شريح بن محمد وأبي العباس بن حرب⁽⁴⁾ وروى عنه الشاطبي شرح الهداية للمهدوي⁽⁵⁾ وأخذ عنه خلق كثير منهم ابن أبي العيش الذي أخذ عنه بتلمسان وقرأ عليه الموطأ⁽⁶⁾ وقد تخرج على يده كثير من علماء القراءات. كما استفاد المغرب الأوسط من أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرّج، أبو جعفر البلنسي الذهبي⁽⁷⁾، ويكنى أبا العباس⁽⁸⁾ (ت بتلمسان 601هـ/1204م) وترك مؤلفاته بها، قال عنه ابن الأبار: أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن حميد⁽⁹⁾، كما قال عنه ابن سعيد: "وجل قدره في الإقراء والإفادة في عهد المنصور وابنه الناصر"⁽¹⁰⁾.

إضافة إلى عالم جيباني ربط المغرب الأوسط بمختلف الأقطار هو مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت 604هـ/1207م)، يكنى أبا ذر ويعرف بأبي ركب سمع عن أبي مروان عبيد الله بن هشام الحضرمي بتلمسان، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي ببجاية، وأقرأ بها، وقد ذاع صيته في الإقراء⁽¹¹⁾. ومن أكابر أعلام الرواية بالمغرب الإسلامي، أخذ عنه خلق كثير بالمشرق والمغرب⁽¹²⁾ محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبو عبد الله نزيل تلمسان (ت 610هـ/1214م)⁽¹³⁾ أخذ القراءات عن قريبه أبي أحمد بن معط وأبو الحجاج الثغري، وأبو عبد الله بن الفرس وسمع منهم ومن أبي محمد بن عبد الله وغيرهم، ثم توجه إلى المشرق وأخذ عن العديد من علمائها حتى استوسع في الرواية⁽¹⁴⁾.

1) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129؛ ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص228.

2) ابن مريم: المصدر السابق، ص227.

3) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.

4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص228.

5) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252.

6) ابن أبي العيش: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص29.

7) عرف بالذهبي، لأن جده كان مولعاً بالكُتُب بالذهب والتصوير به. ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

8) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص117؛ والسيوطي: المصدر السابق، ج1، ص334؛ والسملالي: المرجع السابق، ج2، ص107.

9) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص117؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص120؛ والسملالي: المرجع السابق، ج2، ص107.

10) الغصون اليانعة، المصدر السابق، ص40.

11) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص385-386؛ وابن أبي زرع: الذخيرة، ص42، وإبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص140.

12) ابن أبي العيش: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص30.

13) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

14) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص303؛ والصفدي: المرجع السابق، ج1، ص216.

ومن جملة المقرئين بالمغرب الأوسط أبو نصر فتح بن عبد الله المرادي، أحد تلاميذه شيخ تلمسان علي بن عبد الكريم، وكان من جملة المقرئين بالمغرب، وكانت وفاته في أوائل القرن السابع الهجري (أوائل الثالث عشر ميلادي)⁽¹⁾.

منهم كذلك محمد بن أحمد بن الحجام⁽²⁾ التلمساني، درس القراءات السبع، بها على يد أبي العباس الأعرج ورحل إلى فاس، فأخذ على كثير من علمائها، وتوفي بمراكش سنة 614هـ/1217م⁽³⁾.

أما محمد بن عبد الحق اليفرنى التلمساني (ت 625هـ/1227-1228م)⁽⁴⁾ فكان حافظاً مثقفاً، محققاً حسن السيرة، أخذ القراءات عن أبي علي سنة 551هـ/1156م⁽⁵⁾ له تواليف كثيرة منها ما هو في القراءات ككتاب "فرقان الفرقان وميزان القرآن"⁽⁶⁾ وكتاب "الجامع المختار بين المنتقى والاستذكار" في نحو عشرين مجلداً⁽⁷⁾.

إضافة إلى عالم مقرب كبير هو أبو محمد المحاصي، عبد الله بن عبد الواحد البكاء، توفي سنة 641هـ/1234م⁽⁸⁾، كان جيد القراءة، ويذكر رجلاً من أهل تلمسان يعرف بابن الغريب ممن جاوره بالمدينة سنين، رأى في منامه رسول الله (ع)، فقال له أبلغ أبا محمد المحاصي السلام، وقل له: "أنا لنسمع تلاوتك القرآن من قبرنا"⁽⁹⁾.

والفقيه الأديب المساهم الأندلسي من مرسية أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمى (ت ق 7هـ/13م) تلا بحرف نافع على أبي بكر بن أبي القاسم محمد بن وضاح وروى عنه

1) ذكر رابع بونار أنه عاش ما بين 606هـ إلى 652هـ/1266م، لكن يبدو أنه مخطئ لأن الغبريني يشير أنه حج ثمان عشرة حجة بعضها في آخر المئة السادسة، ما يشير الغبريني أنه كان بالمشرق وحضر مجلساً سنة 602هـ/1205م. الغبريني: المصدر السابق، ص 142-143، ورغم محاولة رابع بونار نفي ذلك وإقراره بخطأ الغبريني في مقدمته بقوله أنه عاش بين 506هـ-652هـ/1112-1266م إلا أنه قد يكون معمرًا، والخطأ في تاريخ ولادته حيث يكون في النصف الثاني من القرن السادس هجري أي بعد 550هـ/1155م، لكي يكون قادراً على الحج خلالها، والهجرة إلى المشرق وحضور المجالس.

2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الحجام، ولد بتلمسان عام 558هـ/1163م، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها، ثم استقدمه الخليفة المنصور الموحدى إلى مراكش فسكن بها وحظي عند المنصور، وعند المتولين من بعده (الناصر والمستنصر)، وتقلد عدة وظائف بالمغرب والأندلس، وتوفي بمراكش عام 614هـ/1217م؛ التادلي: المصدر السابق، ص 439-440.

3) عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر، ج 3، ص 346.

4) السملالي: المرجع السابق، ج 4، ص 184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج 6، ص 186.

5) السملالي: المرجع نفسه، ج 4، ص 184.

6) الرعيبي: المصدر السابق، ص 170.

7) الذهبي: طبقات القراء، ج 2، ص 963؛ وابن قنفذ: الوفيات، ص 310.

8) ابن مريم: المصدر السابق، ص 121، المقرئ: نفع الطيب، ج 5، ص 229-231.

9) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 106.

وعن أبي الحجاج بن محمد بن طملوس، وتفقه به وأبي زكرياء بن أبي يحيى أبو بكر بن عصفور العبدي التلمساني ولقيه بها⁽¹⁾.

ولا ننس أحد العلماء المخضرمين المقرئين الذين عاشوا الفترة الموحدية والزيانية وهو الفقيه علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير من أهل تلمسان، يكنى أبا الحسن ويعرف بالخضار⁽²⁾، ولد بتلمسان سنة إحدى وتسعين وخمسائة، أخذ القراءات عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم بن حسان، وعن المقرئ أبي نصر فتح بن يحيى، وأجاز له من المشاركة جمع كثير⁽³⁾ وقد قرأ في مرحلته التلمسانية على يد علي بن عبد الكريم بتلمسان⁽⁴⁾ وكان رحمه الله معتمدا في تجويد القرآن، ذاكرا لخلاف الأئمة، متصرفا في ذلك، متقدما فيه ناصحا في التعليم⁽⁵⁾ وقد وصف بإحكام القراءات⁽⁶⁾ سماه ابن عبد الملك "الأستاذ المجود"⁽⁷⁾ وقد نفع الله به أهل سبتة وغيرهم، وذكر أنه كان يحفظ تيسير أبي عمرو الداني، وإيجاز البيان في قراءة ورش لنفس المؤلف⁽⁸⁾ ولم يغادر تلمسان إلى سبتة إلا بعد أن استوى عوده في العلم وأصبح مقرئا مرموقا بالتقدير والاحترام في مسقط رأسه، لأنه لم ترد إشارات أنه جلس إلى عالم سبتي، لكنه أكيد التقى بعدد من علماء المغرب والأندلس الذين اتخذوا من سبتة دار إقامة وقد دخل إلى الأندلس وتحول في عدة مدنها⁽⁹⁾ وفي طريق الإياب استقر في مدينة المرية فاتخذها مستوطنا وأقرأ بها إلى أن توفي سنة 676 هـ/1277م⁽¹⁰⁾.

والفقيه ابن عقاب الجذامي الشاطبي يوسف بن إبراهيم (توفي في النصف الثاني من القرن 7 هـ—13م) حيث درّس ودرّس بيجاية وتلمسان⁽¹¹⁾، وهو من علماء القراءات الأجلاء⁽¹²⁾.

- 1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 155-56؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص 165.
- 2) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 558؛ والجزري: المصدر السابق، ج 1، ص 511.
- 3) ابن الزبير: نفس المصدر والصفحة.
- 4) الجزري: المصدر نفسه، ج 1، ص 511.
- 5) ابن الزبير: المصدر نفسه، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 558.
- 6) الجزري: المصدر نفسه، ج 1، ص 511.
- 7) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص 357.
- 8) ابن الزبير: المصدر نفسه، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 558.
- 9) رشيد العفاقي: تلمسانيان في سبتة، مجلة عصور الجديدة "خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية"، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2، 2011، ص 50.
- 10) ابن الزبير: المصدر نفسه، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 558.
- 11) ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق، محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، ج 2، ص 309-312.
- 12) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص 142.

ب- علم التفسير

يعد التفسير⁽¹⁾ الخطوة الثانية بعد القراءات في سبيل بيان معاني القرآن الكريم، و على الرغم من أن الموحدين تبني أوائلهم الفكرة المهدوي الشيعية و تأثر مذهبهم التوحيدي بآراء المعتزلة، إلا أن ذلك لم يخرجهم عن الجو السني مطلقاً⁽²⁾ و قد حاول المغرب الإسلامي الحفاظ على خصوصياته المذهبية. اهتم العلماء والمفسرون في العهد الموحيدي بالمغرب الأوسط بدراسة القرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي واهتموا بتفسيره وفهمه فعلى سبيل المثال كان الأمير يوسف بن عبد المؤمن من أحسن الناس نطقاً بالقرآن الكريم، ومحاولة معرفة معانيه⁽³⁾.

فشجع ذلك علماء المغرب الأوسط على الإقبال على كتاب الله حفظاً ومدارسة، وعملاً وممارسة، وانبروا لهذا العلم أعلام أفنوا فيه زهرة شبابهم وسحائب أعمارهم، فأفردوه بمصنفات عديدة، وعلوم مديدة، فضرب المغرب الأوسط بسهم وافر، وضرب أبنائه مثالا رائعا في الاهتمام به و من أوائل المفسرين للقرآن الكريم بالمغرب الأوسط، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوريحاني (ت570هـ/1174م) الذي ألف تفسير القرآن في سبعين جزءاً⁽⁴⁾ و محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون وموسى بن الحاج بن أبي بكر الأشيري و أبو الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن و أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الذين درسوا بالأندلس⁽⁵⁾ التي كانت حاضرة يحج إليها الطلاب للنهل من مختلف العلوم.

وقد شارك علماء المغرب الأوسط في حلقات القراء المفسرين من أمثال عثمان بن صاحب الصلاة (582هـ/1186م) وهو شارح كتاب "الأحكام الصغرى في الحديث"، لعبد الحق الاشبيلي المشهور بابن الخراط⁽⁶⁾. كما كان يجلس لعلوم الحديث والتفسير وعلوم الفقه والتذكير⁽⁷⁾ أبو زكريا يحيى

1) لغة يعني التبيان والايضاح وكشف المغطى أو هو كشف المراد. الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص 456. أما اصطلاحاً فهو علم

باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه اللغة العربية. أحمد بن مصطفى الشهرير بطاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1985، ج2، ص54؛ وابن خلدون: المقدمة، ج2، ص364.

2) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص297.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص167.

4) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص78-80؛ وعبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص340.

5) محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص166-168.

6) وهو في ست مجلدات انتقاها من كتب الأحاديث وقد وضع عليها الحافظ الناقد أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الملك الحميري الكنايني المعروف بابن القطان المتوفي سنة 628 هـ/1230م كتابه المسمى بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الأحكام. محمد بن

جعفر الكنايني: المرجع السابق، ص178؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص418.

7) الغريبي: المصدر السابق، ص137-138.

بن علي الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م)⁽¹⁾ روى الموطأ عن عوف الزهري، والمصايح عن أبي سعيد مخلوف بن جاره، والأصلين عن الإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي، و إعجاز القرآن للخطابي و الشهاب للقضاعي⁽²⁾.

ولا ننسى زوار وضيوف المغرب الأوسط كعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الخراي التحيبي (ت 637هـ/1239م)⁽³⁾ الذي حل ببجاية، بمسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي، حيث فسر القرآن في كتاب سماه "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"⁽⁴⁾.

فلا غرو إذن، إذا نبغ بعض أبناء المغرب الأوسط في هذا العلم، وأفردوه بمؤلفات قيمة، وأحرزوا فيه قصب السبق كمحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)⁽⁵⁾ التلمساني المولد والمنشأ وكان رحمه الله مؤلفا متقنا، فسر القرآن الكريم، وشرح الأسماء الحسنى، وصنف عقائد أصولية في الدين⁽⁶⁾ وكتبا في أصول الفقه⁽⁷⁾ وغيرهم كثير.

وأهم الكتب المقررة في علم التفسير والتي كانت تدرس ببجاية وتلمسان وكل أنحاء المغرب الأوسط، كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد الثعالبي المقرئ (ت 427هـ/1035م)، وكتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التزويل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي التميمي القيرواني (ت 440هـ/1048م)، وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي الطبري المعروف بالكيا هراسي (ت 504هـ/1110م)، وكتاب الكشف عن حقائق التزويل لأبي القاسم محمد الزمخشري (ت 538هـ/1143م)، وكتاب المحرر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الحاربي الغرناطي (ت 542هـ/1147م)⁽⁸⁾.

(1) التادلي: المصدر السابق، ص 428.

(2) الغريبي: المصدر السابق، ص 139.

(3) ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 330؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 687. لكن الغريبي في نهاية ترجمته

أورد تاريخ آخر هو 638هـ/1240م. أنظر: عنوان الدراية، ص 155. إلا أن التاريخ الأول هو الأرجح لاتفاق المقرئ و التنبوكتي

(4) حسب الغريبي أن تفسير الخراي كاملا. أنظر: عنوان الدراية، ص 146- ولكن ما نقله المقرئ يفيد أن تفسيره غير كامل، وهو ينته ي

في سورة آل عمران. المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 189 وقد قال عنه الذهبي أن له تفسير فيه أشياء عجيبة لم أتحقق ما تنطوي عليه

العقيدة. التنبوكتي: المصدر السابق، ص 320.

(5) الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 333-335.

(6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 13.

(7) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 104.

(8) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص 54.

2- علم الحديث

اهتم علماء المغرب الأوسط بعلم الحديث ⁽¹⁾ ودرسوه دراسة موضوعية عميقة، وتألق نجمهم فكان ازدهار الحديث في العهد الموحدى ازدهارا لم يكن له من قبل ⁽²⁾ باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وقد استمد نهضته من اهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا ظهر في داعيتهم الأول ابن تومرت ⁽³⁾، و في استدعائهم للمحدثين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة ⁽⁴⁾.
بذلك عني الموحدون بالحديث عناية فائقة، حيث استندوا إلى مذهب ابن تومرت، من إنكار للرأي، وقد أمر عبد المؤمن سنة 555هـ/1160م وخلفه يعقوب بتحريق كتب الفروع، ورد الناس إلى قراءة الحديث ⁽⁵⁾ وكتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس، لكن المغاربة عادوا إلى إتباع مذهب الإمام مالك بن أنس صاحب الموطأ، وكان عبد المؤمن بن علي من المتبحرين في الحديث والقراءات ⁽⁶⁾، حيث قام على جمع آثار المهدوية أو الفقه ليكون في كتاب واحد سماه "أعز ما يطلب" ⁽⁷⁾.
وظهر أيضا ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم وبخاصة في أيام يعقوب الذي كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها ⁽⁸⁾ كما اهتم بنفسه بطلبة الحديث أعظم عناية، حتى نالوا على يده من الرعاية والنفوذ، ما لم ينالوه أيام أبيه وجده، فأجرى عليهم المرتبات على قدر مراتبهم وطبقاتهم ⁽⁹⁾ وحتى يوسف كان يحفظ أحد الصحيحين ⁽¹⁰⁾ والمأمون كان معدودا من حفاظ الحديث لم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود ⁽¹⁾ وكذلك

1) الحديث لغة هو الشئ الجديد، ويطلق على مطلق القول والكلام، وفي اصطلاح المحدثين عبارة عن أقوال المعصوم (ع) وأفعاله وتقديره، قال ابن حجر: لما كان يطلق على القرآن الكريم في صدر الإسلام بالقديم، أطلق لفظ الحديث في مقابل ذلك على كل ما نسب إلى النبي (ص) وهذا التعبير جار إلى عصرنا. أبو الحسن محمد بن يوسف العامري: الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص35؛ وابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص367-368؛ وأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده: المصدر السابق، ج 2، ص52. أما علم الحديث فهو معرفة العالي والنازل، والمتواتر والآحاد والصحيح والشاذ من الأحاديث الروية عن الرسول (ص) مساعد الطيار: علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، محافظة جدة، منطقة مكة، العدد، 1427هـ، ص79.

2) صفية ديب: المرجع السابق، ص108.

3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص173، ص181.

4) المنوني: حضارة الموحدين، ص35.

5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص189؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص83.

6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص203؛ وعبد الله على علام: المرجع السابق، ص300؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

7) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص9.

8) المقرئ: نفع الطيب، ج3، ص102؛ ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص351؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص84.

9) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص199؛ وعبد الهادي حسيب: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث

الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد2، 1981، ص315؛ وصفية ديب: المرجع نفسه، ص98.

10) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص167.

الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن، قال عنه المراكشي "لم أر في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر"⁽²⁾ وهم من أبناء المغرب الأوسط وقادة الدولة الموحدية.

بذلك انتشرت في عهد الموحدين بخزائن الكتب، كتب الحديث الخمسة وهي: صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (261هـ/874م) و سنن أبي داود (ت 275 هـ/888م)⁽³⁾، و سنن الترمذي (ت 279 هـ/892م)، وعنوانه الجامع المختصر، و سنن النسائي (ت 303 هـ/915م)⁽⁴⁾ و مسند البزار⁽⁵⁾ إضافة إلى صحيح البخاري (ت 256 هـ/869م)⁽⁶⁾ وموطأ ابن تومرت⁽⁷⁾ وأحاديث الجهاد التي أمر المنصور بجمعها سنة 585 هـ/1189م⁽⁸⁾ والشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية⁽⁹⁾.

فبرز العديد من المحدثين أولهم عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت 561 هـ/ قال عنه ابن الحصري "كان إماما في الحديث، ذا معرفة بفقهاء ورجاله، وله يد باسطة في النحو

وكان يحيى بن هبيرة الوزير⁽¹⁾ صنف كتاب الإفصاح في الحديث⁽²⁾، وجمع له علماء المذاهب، وطلب فقيها مالكيًا، فدلوه على الأشيري، فطلبه من نور الدين محمود بن زنكي

-
- 1) ابن أبي زرع : الأنيس، ص249؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص212.
 - 2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص220-221.
 - 3) حاجي خليفة: المرجع السابق، ج1، ص559، ج2، ص1007؛ ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص351.
 - 4) ابن غازي : الفهرس، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطبع والنشر، ط1، تونس، 1984، ص182.
 - 5) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت 292 هـ/904 م) ومسنده بعنوان البحر الزخار تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكمة، ط1، المدينة المنورة، 1988.
 - 6) أول شرح مغربي للجامع الصحيح، هو لأبي جعفر بن نصر سعيد اللوادى الأسدي المتوفي بتلمسان سنة(402هـ/1011م) كما يعتبر ثاني شروح البخاري على الإطلاق بعد "إعلام السنن للخطابي" أصله من المسيلة وقيل من بسكرة. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج7، ص102-103؛ ويوسف الكتاني: المرجع نفسه، ج2، ص569.
 - 7) موطأ الإمام المهدي؛ ويسمى في الأصل "محاذي الموطأ"، وهو في الحقيقة موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن بكير، تم اختصار السند فيه. ابن القطان: المصدر السابق، ص173.
 - 8) إبراهيم حرركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص71؛ وعبد الهادي حسييس: المرجع السابق، ص315.
 - 9) حسن السائح: الإمام البخاري في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، العدد 9، السنة 16، يناير 1975، ص100.
 - 10) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص568؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16-17؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص305. وقد ترجم له العديد من المؤلفين منهم الذهبي في كتابه العبر، ومعجم البلدان لياقوت الحموي وتاريخ ابن عساكر وغيرهم.
 - 11) ابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص257.

(ت569هـ/1173م)⁽³⁾، فسيره إليه، فأحضره قراءة كتاب الإفصاح فمرت مسألة، اختلف كلامه مع ابن هبيرة، فكان له الصواب⁽⁴⁾ كما رغبه نورالدين محمود الإقامة بحلب لتقوية السنة بها والحاجة أهلها لمتله، فأقام بها يروي الحديث⁽⁵⁾.

ولعل من أكبر المحدثين والمسندين أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم (ت569هـ/1173م)⁽⁶⁾ المري الفاسي⁽⁷⁾ الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول من قرية حمزة من عمل بجاية⁽⁸⁾، وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا، عارفا بصيرا بالحديث ورجاله⁽⁹⁾، حدث واخذ عنه الناس⁽¹⁰⁾، وكان من أوعية العلم له كتاب "المطالع على الصحيح أو مطالع الأنوار على صحيح الآثار" غزير الفوائد وضعه مثالا لكتاب "مشارك الأنوار" للقاضي عياض⁽¹¹⁾ وقد شرح فيه غريب البخاري ومسلم والموطأ⁽¹²⁾ لهذا هناك من يسميه "فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ومسلم كما كان الأشيري، الحسن بن عبد الله التلمساني (ت بعد 569هـ/1174م) فقيها بارعا⁽¹⁴⁾ وكان من أهل العلم بالقراءات والغريب، وله مجموع في غريب الموطأ⁽¹⁾ ومن حفاظ الحديث، ومقدميه

1) هو يحيى بن محمد بن هبيرة، ويكنى أبا المظفر ويلقب بعون الدين وينعت بالوزير العادل، ولد في سنة 499 هـ/1105 م بقرية بني أوقر قرب بغداد مات أبوه وهو صغير فلم يمنعه فقره عن طلب العلم حيث أخذ القرآن واللغة والحديث، كما دفعه الفقر إلى السعي لكسب الرزق فاشتغل بالكتابة ثم التحق بالخدمة السلطانية، فعمله الخليفة المتقفي مشرفا في المخزن ثم رقاها إلى أن صيره صاحب الديوان في سنة 542هـ/1147م، ثم قلده المتقفي الوزارة سنة 544هـ/1149م، وقد دس له الطبيب الذي يعالجه السم في الدواء فمات سنة 560هـ/1164م، له آثار علمية كثيرة منها الإفصاح والعبادات الخمس والمقتصد في النحو ومختصر إصلاح المنطق. ابن هبيرة: الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1417هـ، ج1، ص9-18.

2) هو كتاب الإفصاح عن شرح معاني الصحاح، لأبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير، يشتمل على تسعة عشر كتابا، وهو شرح فيه أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم، متخذنا الجمع بينهما للحميدي أساسا.

3) للمزيد عنه انظر مرآة الجنان لليافعي، ج3، ص291-293.

4) القفطي: المصدر السابق، ج2، ص139.

5) نفس المصدر والصفحة.

6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص521.

7) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص146.

8) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص520؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203.

9) ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62.

10) الصفدي: المصدر السابق، ج6، ص109؛ وابن خلكان: المصدر نفسه، ج1، ص63.

11) محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص157؛ وابن خلكان: المصدر نفسه، ج1، ص62؛ عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص119؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص203.

12) محمد بن زين العابدين بن رستم: المساهمات المغربية والأندلسية في شرح الصحيحين، ضمن أعمال الملتقى المغربي الأول "الإسهامات المغربية في البناء المعرفي الإسلامي" 21-22 نوفمبر 2011، دار فائز للنشر، باتنة، الجزائر، ج1، ص106.

13) الصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص96.

14) البيهقي: أخبار المهدي، هامش، ص85؛ وابن أبي زرع: الأنيب، ص185-186؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203، ص373.

في المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت 570هـ/1174م) الذي ألف كتاب "ترتيب مسند الربيع بن حبيب في الحديث النبوي"⁽²⁾.
 ومنهم أيضا المحدث جابر بن أحمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 578هـ/1182م) القرشي، الحسيني، من أهل تلمسان، قال عنه ابن الأبار نقلا عن التيجي "وكان صاحب أدب ولغة، محبا للحديث وتحصيله، وكانت له إجازات من مشايخ من أهل الحديث، وعناية بفته وطرقه" وتوفي بتلمسان⁽³⁾.
 ومن بين الذين كانوا مقصدا للرحلة في رواية الحديث لاتساع مشيخته وعلو أسانيده عبد الحق الاشيلي البجائي (ت 581هـ/1185م)⁽⁴⁾ الذي قصد بجماعة هاربا أثناء الفتنة الواقعة باشبيلية، عند انقراض دولة المرابطين بها، ونزلها ناشرا كتبه وخطبه في الجامع الأعظم⁽⁵⁾ كان فقيها مالكيا⁽⁶⁾ حافظا عالما بالحديث، وعلله عارفا بالرجال⁽⁷⁾، له عنه تأليف جليل في الحديث منها، كتب مجموعة أحاديث الأحكام وهي ثلاثة: منها الأحكام الكبرى في الحديث وأورد فيها الأحاديث بأسانيدها واختصرها في الأحكام الوسطى بحذف المسانيد، والأحكام الصغرى وهي اختصار الوسطى⁽⁸⁾ وله كتاب في علم التذكير⁽⁹⁾ وكتاب الجمع بين الصحيحين، وكتاب الجمع بين الكتب الستة⁽¹⁰⁾، وكتاب المعتل من الحديث⁽¹¹⁾ وكتاب كبير في الأحكام في الحديث وهو أضعاف الأحكام الكبرى، لكن اضمحل أمره كمال تأليفه لكبره⁽¹²⁾ وكتاب المرشد، يتضمن حديث مسلم كله وما زاد البخاري عليه، وكتاب

-
- 1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25-26؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص461.
 - 2) بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص153. وقد حققه مؤخرًا وطبعه الأستاذ إبراهيم طلاي.
 - 3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص7.
 - 4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص466-467.
 - 5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص193؛ ومحمد بن محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص155؛ وحجي محمد وآخرون: تراث الأندلس، تكثيف وتقديم، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية، والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ط1، 1993، ج2، ص23.
 - 6) التنبكي: المصدر السابق، ص279.
 - 7) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.
 - 8) محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص178-180؛ واحمد المختار ولد أباه: المرجع السابق، ص656.
 - 9) الغريبي: المصدر السابق، ص73؛ ومحمد مخلوف: المرجع نفسه، ج1، ص156.
 - 10) اليافعي: المصدر السابق، ج3، ص319-320؛ ومحمد مخلوف: المرجع نفسه، ج1، ص156.
 - 11) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1351؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.
 - 12) الغريبي: المصدر السابق، ص74.

الكبير في الحديث، وكتاب تلقين الوليد الصغير في الحديث وهو سفر صغير، وكتاب مختصر بعنوان "كفاية الكفاية في علم الرواية"⁽¹⁾ وتعليق مفيد على المدونة⁽²⁾.

و شارح كتاب "الأحكام الصغرى في الحديث" لعبد الحق الإشبيلي⁽³⁾ عثمان بن صاحب الصلاة (ت 582هـ/1186م، ببجاية) الذي كان من أهل الدين والعلم والرياسة على أهل بلده، وقد تولى خطة القضاء بتلمسان⁽⁴⁾.

كما اعتنى بالحديث الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582هـ/1186م) نزيل بجاية حيث ذكره ابن الأبار وعبد الملك المراكشي باهتمام ه واعتنائه بالحديث وحفظه وله تأليف في أحكام النبي(ص) وسماه "آفاق الشموس وإعلاق النفوس"⁽⁵⁾ في الأقضية النبوية، ومختصر "إشراق الشموس" وكتاب "حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بعد الفجر وقبل الشفق"⁽⁶⁾.

وشيوخه عن أبي ذر، كما قرأ الحديث على شيخه سيدي عبد القادر الكيلاني في الحرم الشريف، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته، ويعده أفضل مشايخه الأكابر⁽⁹⁾.

منهم أيضا العالم الكبير العارف بالأحكام⁽¹⁰⁾ محمد بن عبد الله بن مروان الهمداني الوهراني (ت 601هـ/1204م-1205م) الذي عين قاضي الجماعة بمراكش عاصمة الموحدين سنة 584هـ/1188م، كما تولى بعد ذلك قضاء اشبيلية حتى سنة 592هـ/1195م⁽¹¹⁾.

كما ألف أبو يعقوب يوسف السدراتي (ت 570هـ/1174م) كتابا مهما جدا في الحديث عنوانه "ترتيب في صحيح حديث رسول الله رواية الربيع بن حبيب"⁽¹²⁾.

1) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 277-278؛ وحجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج 2، ص 23؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 207.

2) حجي محمد وآخرون: المرجع نفسه، ج 2، ص 23.

3) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 116.

4) المصدر نفسه، ج 1، ص 171.

5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 240. التنبوكي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، 2000، ج 1، ص 72.

6) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج 1، ص 105؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج 1، ص 207.

7) ابن قنفذ: انس الفقير، ص 11-20؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 108-114؛ الغبريني: المصدر نفسه، ص 55-65.

8) ابن سعد: المصدر السابق، ص 381، ص 389.

9) المقرئ: نفع الطيب، ج 7، ص 137-138. رغم أن المصادر المشرقية لم تذكر انتقاله للمشرق أو الحج.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 374؛ وعبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ص 39.

11) محمد طمار: الروابط الثقافية، ص 168.

12) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 79.

والفقيه عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم اللخمي المعروف بالدباغ (ت 602هـ/1205م) من أهل مرسية، سكن فاس ثم تلمسان حيث استوطنها وأقرأ بها إلى أن توفي، وهو من أئمة المحدثين وحفاظهم المتقدمين في الضبط والإتقان⁽¹⁾.

منهم أيضا الرواية الواسعة، محدث تلمسان محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله (ت 610هـ/1214م)⁽²⁾، الذي رحل إلى المشرق، وقفل راجعا إلى المغرب راويا كبيرا للحديث⁽³⁾ قال عنه ابن الأبار "استوسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة، أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين... وقال عنه أبو طاهر السلفي تكون محدث المغرب إن شاء الله"⁽⁴⁾ فكان ثقة فاضلا راويا جليلا، روى عنه أبو العباس بن الغري، وحدث عنه أبو عبد الله الأزدي عن أبي الحسن الغافقي وأبو عبد الله بن جعفر وأبو جعفر بن فرتون، وذكره ابن فرتون في كتابه الذيل⁽⁵⁾ روى عنه أكابر أصحابنا وجماعة من جلة شيوخنا لعلو روايته وشهرة عدالته⁽⁶⁾ وترك مؤلفات هامة في هذا العلم منها "الأربعون حديثا في المواعظ"، وكتاب "الأربعون في الفقر وفضله" و"ثلاثة في الحب في الله"⁽⁷⁾.

ولا ننس المساهمة الأندلسية من الفقيه البلنسي مولداً التلمساني إفادةً، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارقي (ت 610هـ/1213م)⁽⁸⁾ له رحلة حج فيها، وسمع بمكة من أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي وأبي محمد المبارك بن الطباخ ثم قفل إلى المغرب فسكن تلمسان مدة وأخذ عنه هنالك، وتحول بعدها إلى بلده أين روى عنه أبو عبد الله بن الأبار بعض صحيح البخاري، وكان محدثا عدلا⁽⁹⁾. أما أبو عبد الله الفازازي اليجعشني التلمساني (ت 621هـ/1224م)⁽¹⁰⁾ أخذ العلم بقرطبة وسكن مراكش وهو أخو أبي زيد الفازازي وكبيره، وروى عن أبيه وأبي عبد الله التجيبي وكان حافظا للحديث، حذق البخاري أو معظمه⁽¹¹⁾.

(1) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص 14.

(2) الصفدي: المصدر السابق، ج 3، ص 193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج 6، ص 191.

(3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص 355 محمد المختار ولد أباه: تاريخ الحديث الشريف في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-2010، ص 662.

(4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 303؛ وأحمد ابن القاضي: درة الرجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ج 1، 1970، ص 276-277.

(5) أحمد ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 276؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 216.

(6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 304.

(7) نفس المصدر والصفحة.

(8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 676-677.

(9) عبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص 165.

(10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 751.

(11) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 223.

والأكثر شهرة من محدثي المغرب الأوسط محمد بن عبد الحق اليفرنى (ت بتلمسان عام 625هـ/ 1227-1228م) كان حافظاً مثقفاً، محققاً، مشاركاً في الفقه والحديث، عارفاً بروايته، وله تأليف كثيرة أشهرها "الجامع المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" في عشرين سفراً، وثلاثة آلاف ورقة⁽¹⁾، كما له أيضاً: "كتاب في" غريب الموطأ وإعراجه" وهو سفر واحد سماه، لأنه اقتضبه من الكتاب الكبير - كتاب المختار⁽²⁾ وكتاب "نظم العقود، ورقم الحلال والبرود"⁽³⁾ إضافة إلى كتاب "غريب الشهاب" وهو جزء، وإكمال اللآلي على الأمالي وهو سفران⁽⁴⁾ وكتاب "مختار المختار" جعله مختصراً لكتاب البخاري، في سفر كبير، وكتاب "النبذة المسعدة واللمحة المصعدة في الاعتبار" وهو جزء⁽⁵⁾ كما له كتب أخرى في الحديث مثل إرشاد المسترشد وبغية المرید المستبصر المجتهد" وكتاب "الأجوبة المحررة في المسائل المغيرة"⁽⁶⁾. ومن قوله في عد أحاديث البخاري:

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ
وسبعة آلاف تضاف وما مضى
بخاري خمسة وسبعون للعد
إلى مائتين عد ذاك أولوا الجد⁽⁷⁾

والأديب الفقيه المرسي أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمى (ت ق 7هـ/ 13م) وسكن مرسية ثم تلمسان، وتفقه على يد أبي زكرياء بن أبي يحيى أبو بكر بن عصفور العبدي التلمساني ولقيه بها، وأجاز له أبو الحسن بن خيرة سنن أبي داود وشهاب القضاعي⁽⁸⁾.

-
- 1) الذهبي: طبقات القراء، ص 963. ومنه المجلدات الأول و السادس، مخطوطان في خزانة القرويين بفاس" رقم 74 " ومنه مجلد ضخم قدم في خزانة الرباط" 176 أوقاف". الزركلي: المرجع السابق، ج 6، ص 186.
 - 2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 319.
 - 3) الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 395-396؛ والزركلي: المرجع نفسه، ج 6، ص 186 والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 420.
 - 4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 319. والشهاب هو كتاب في السيرة والحديث للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت 454هـ/ 1062م) وهو شافعي المذهب، وكذلك كتاب الأمالي في الحديث لنفس المؤلف أي القضاعي. مقدمة محقق كتاب مسند الشهاب، للقاضي محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1985، ج 1، ص 9. وقد وضع عليه محمد بن عبد الحق، إكمال له في سفران وهذا ما يرجح ميل محمد بن عبد الحق للمذهب الشافعي كما صنّفه ابن القاضي شعبة ضمن النحاة واللغويين، مع العلم أنه شافعي المذهب. ابن القاضي شعبة: المصدر السابق، ص 153؛ و السملالي: المرجع السابق، ج 4، ص 184.
 - 5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 319. وضعه على كتاب ابن أبي الدنيا القريشي البغدادي "الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان" المتوفى سنة 281 هـ/ 894م.
 - 6) الصمدي: المرجع السابق، ص 219؛ وبولطيف: الفقيه محمد بن سليمان اليفرنى، ص 100.
 - 7) الصمدي: المرجع نفسه، ص 219.
 - 8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 155-156؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص 165.

إضافة إلى محمد بن إسماعيل المتيجي (ت 625هـ/1227م)⁽¹⁾ الذي كان عارفا بالحديث ورجاله، مشارك في بعض العلوم، من أهل متيجة، قال عنه ابن الأبار "كان مليح الخط والضبط، مشاركا في علم الحديث والرجال"⁽²⁾.

والعالم الرحالة المتنقل بين العدوتين عبد الرحمن بن مخلفتن بن أحمد اليحفشي الفزازي القرطبي (ت 627هـ/1229م بمراكش)، نزيل تلمسان⁽³⁾ يكنى أبا زيد، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان، وتعلم بها قبل سنة 576هـ/1180م على يد أبي عبد الله التحيبي⁽⁴⁾ تجول في المشرق، وبغاس، ودخل مالقة وغيرها⁽⁵⁾ وروى عن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن بقي وكانت بينهما قرابة وأبي محمد بن عبيد الله وأبي القاسم السهيلي وأبي عبد الله بن الفخار وغيرهم، وكان عالما بالحديث متصوفا في فنونه⁽⁶⁾ قال عنه المقرئ "أبرع من ألف وصنف، وأبدع من قرط وشنف، فقد طاع القلم لبنانه، والنظم والنثر لبيانه، كان نسيج وحده رواية وأخبارا... وله سماع في الحديث ورواية وفهم بقوانينه ودراية"⁽⁷⁾ ونجد في قائمة شيوخ الفزازي بالإضافة إلى السهيلي والتحبي، أعلام من فقهاء ومحدثي القرن السابع كابن الخلف الحافظ وأبي الحسن الصائغ، وغيرهم⁽⁸⁾.

كما ألف محمد بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي (ت 628هـ/1230م) كتابه المسمى "الإعلام بفوائد الأحكام" عن كتاب الأحكام لعبد الحق الاشيلي، و"شرح الأربعين حديثا" فبذلك كان مؤرخا وشاعرا وأديبا وفقهيا متمكنا⁽⁹⁾.

ونذكر كذلك شخصية مهمة مشاركة في كل العلوم تقريبا هو ابن دحية السبتي (ت 633هـ/1235م)، نزيل تلمسان وبجاية⁽¹⁰⁾، كان رواية للحديث شديد العناية بلقاء المشايخ والأخذ عنهم، متسع الرواية، محكم التقييد، ذاكرة تواريخ المحدثين وأخبارهم⁽¹¹⁾ متقنا لعلم الحديث النبوي وما يتعلق

1) هو محمد بن إسماعيل المتيجي أبو عبد الله توفي في سنة 625هـ/1227م؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 285.

2) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص 285.

3) التبوكتي: نيل الابتهاج، ص 239.

4) أبو زيد الفزازي: آثار أبي زيد الفزازي، جمعها بعض تلاميذه، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، ط 1، بيروت، 1991، ص 8؛ والرعيبي: المصدر السابق، ص 102.

5) أبو عبد الله ابن عسكر وأبي بكر بن حميس: أعلام مالقة، تقدم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1999، ص 261-262.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 585؛ والرعيبي: المصدر نفسه، ص 101-105.

7) المقرئ: نفع الطيب، ج 4، ص 468؛ والسيوطي: المصدر السابق، ج 2، ص 91.

8) أبو زيد الفزازي: المصدر السابق، ص 12؛ والمقرئ: نفع الطيب، ج 4، ص 468.

9) الصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 98، ص 220.

10) الغبريني: المصدر السابق، ص 228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1420.

11) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 218؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1420.

به، و إشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس والمغرب⁽¹⁾، حيث كان يقول إنه حفظ صحيح مسلم كله⁽²⁾ كما له مصنف في رجال الحديث، ذكره الغبريني فقال "رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به"⁽³⁾ كما له كتاب أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين⁽⁴⁾ وكتاب التنوي في قول السراج المنير⁽⁵⁾ وكتاب المنهاج في أحاديث المعراج⁽⁶⁾.

منهم أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ/13م) الذي استوطن بجاية وأخذ عن عبد الحق الاشبيلي وغيره، وكان له علم بالحديث والفقه، وأكثر تخاطبته إنما هو التحديث⁽⁷⁾ أما في السند فقد احتفظ المغاربة بسندهم الحديثي الخاص، وذكروه في كتب الإثبات في الفهارس والتراجم، والسند المغربي يشتمل السند الحديثي في القيروان، وسند الحديث في بجاية، وسند الحديث في فاس ومراكش⁽⁸⁾.

وأهم الكتب التي كانت تدرس في علم الحديث ببجاية وغيرها من حواضر المغرب الأوسط خلال العهد الموحد، كتاب الموطأ للإمام مالك (ت 179هـ/796م)، وجامع الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ/869م)، ومسند كتاب مسلم بن الحجاج (261هـ/874م)، وجامع أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ/915م)، وكتاب التمهيد والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد البر النمري القرطبي (ت 463هـ/1070م)، وكتاب المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب وارث الباجي (ت 474هـ/1081م)⁽⁹⁾.

3 - علم الفقه

-
- (1) ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص449.
 - (2) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص280.
 - (3) الغبريني: المصدر السابق، ص230.
 - (4) ابن دحية: المطرب من اشعر أهل المغرب، بتحقيق إبراهيم الايباري آخران، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، 1955، مقدمة المحقق، ص ح ؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص159.
 - (5) ابن خلكان: المصدر نفسه، ج3، ص449.
 - (6) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص98.
 - (7) الغبريني: المصدر نفسه، ص189.
 - (8) حسن السائح: المرجع السابق، ص103.
 - (9) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص54.

إن الفقه⁽¹⁾ ازدهر على عهد الموحدين ازدهارا كبيرا، وقد نهض وشاع في مذهبين-المذهب الظاهري، والمذهب المالكي- كما لا ننسى من اتبع المذاهب الأخرى كمحمد بن علي ابن رمامة من قلعة بني حماد (ت بفس سنة 567هـ/1171م) الذي اتبع المذهب الشافعي⁽²⁾ قال عنه ابن الأبار: "كان فقيها نظارا، مائلا لمذهب الشافعي، عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالي المسمى بالبسيط محصلا لنكته"⁽³⁾ و له "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" و "التفصي عن فوائد التفصي" و "التبين في شرح التلقين"⁽⁴⁾ ومختصر نبيل في أصول الفقه⁽⁵⁾.

إضافة إلى ميولات بعض الخلفاء لاستئناس بالمذاهب الأخرى خاصة الإباضي منها لأنه مسلم، ويسمح بالجدال الفقهي والفلسفي، كما انه متجذر في الجهة الجنوبية للمغرب الأوسط، وقد قرب يعقوب المنصور (ت 595هـ/1198م)، زكرياء بن صالح اليراسني أبو يحيى (كان حيا سنة 580هـ/1184م) وهو عالم من علماء المذهب الإباضي، ومناره، وكان صاحب ثروة وتجارة، فكانت له اتصالات مع الموحدين لما اشتهر به من أمانة وصلاح، ووصل به المقام أن كان مختصا ببيعقوب المنصور منذ أن كان هذا الأخير وزيرا لوالده، ثم أكرمه وأعلى منزلته بعد أن أصبح خليفة⁽⁶⁾. والفقيه يوسف بن إبراهيم بن مياذ السدراتي الوريحاني (ت 570هـ/1174م)⁽⁷⁾ له كتاب

العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف في ثلاثة أجزاء، وهو بحث في مسائل الفقه الإباضي⁽⁴⁾ و الفقيه الإباضي الآخر أبو عمار عبد الكافي الوريحاني (ت 570هـ/1174م) الذي له عدة كتب في

1) هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة، وهو متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 3؛ وأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده: المصدر السابق، ج 2، ص 183. ويعرفه الجرجاني بأنه لغة فهم غرض المتكلم من كلامه، وأما اصطلاحا هو العلم بالأحكام الشرعية العملية. كتاب التعريفات، ص 175. وعلم أصول الفقه هو معرفة الأمر يقتضي الوجوب، وأن النهي يقتضي الفساد وأن الأحكام التكليفية خمسة: الفرض والواجب والمندوب والمكروه والمباح وأن الأخبار لا تنسخ. مساعد الطيار: المرجع السابق، ص 80.

2) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 371؛ التميمي: المستفاد، ج 2، ص 171-173؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 152-153؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص 147.

3) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 370-371؛ وابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 326؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 152-153؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص 147؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص 306.

4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 371.

5) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 327.

6) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 327؛ و بجاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 149.

7) عمر فروخ: المرجع السابق، ج 5، ص 368.

الفقه الاباضي منها: الاستطاعة وكتاب الفرائض، وكتاب شرح الجهالات... (2) و عثمان بن خليفة السوفي، المارغني أبو عمر (ق 6هـ) أحد العلماء البارزين عند الإباضية، امتاز بمقدرته الجدلية في الدفاع عن المذهب، له رسالة في الفرق، كما له كتاب يعرف بكتاب السؤالات، أجاب فيه عن خمسة وتسعين سؤالاً في جميع مسائل الأصول (3).

هذه عينات من علماء الإباضية وفقهائهم، الذين صنعوا الجانب الفكري للدولة الموحدية مع غيرهم من علماء المالكية و متصوفيههم وفلاسفتهم (4)، وكل ذلك يبين الجو التسامحي الذي ساد خلال الفترة الموحدية رغم بعض الضغوط في بداية الدولة، وهذا شيء طبيعي لتثبيت أركانها على أسس متينة. وعموماً فإن نظرة تحليلية لتوزع علماء المغرب الأوسط (لاحظ الملحق رقم 10) نلاحظ من خلالها أن أغلب العلماء كانوا في مجال الفقه المالكي، وهذا طبيعي يؤكد البنية الفقهية والفكرية لمجتمع المغرب الأوسط، كما يبين رسوخ المذهب في الأوساط الشعبية رغم محاولات خلفاء الدولة الموحدية. كما نلاحظ أن أصغر نسبة لتواجد العلماء والشيوخ هي في ميدان الفقه الظاهر، وهو ما يعزز النظرية "أن المذهب الظاهري بقي محصوراً في الفئة الحاكمة"، وبعض الفقهاء الموالين لهم، ولم تكن هناك استجابة شعبية له.

أ- المذهب المالكي

بقدر ما كان الخلفاء محبين للمذهب الظاهري سيرا على خطى إمامهم الأكبر ابن تومرت، كان فقهاء عصرهم من المغاربة ساخطين على هذا المذهب، متعصبين للمذهب المالكي، مناصرين له (1).

(1) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 78-80. كما يقول إبراهيم بحاز أن الإباضية شعروا بالقرب أكثر من هذه الدعوة التي اقتربت في عقيدتها من عقيدتهم في صفات الله وخلود أهل الكباثر في النار. صور من الإباضية في عهد الموحدين. أنظر: المرجع السابق، ص 151.

(2) وهو دليل على تنوع البيئة الإباضية وفتحها، نتيجة حرية الفكر التي روجها الموحدون. بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 152-154.

(3) بحاز إبراهيم: المرجع نفسه، ص 153.

(4) نفسه، ص 154.

وقد أدرك ابن تومرت وهو يشرع في دعوته أن المرابطين كانوا فوق كل اتهام في أعين العامة من المسلمين، فعلى المستوى الديني كانوا يحظون بمساندة أكبر الفقهاء في المغرب الإسلامي، مثل ابن رشد، وابن الجرد وعياض⁽²⁾ وكانت دائرة علي بن يوسف تتكون أساسا من علماء وفقهاء مالكيين ولم يكن شيء يدبر بدون موافقتهم، وكان الشعب قد تعود على احترام تلك الشخصيات وإتباعها دون اعتراض، لأنهم كانوا يتكلمون باسم الدين، أي باسم الله⁽³⁾.

رأى ابن تومرت أن يبدأ بالقضاء على تلك الهالة التي تحيط بالفقهاء، فتؤثر على عقول العامة والتي ساعدتها الوحدة المذهبية المالكية في بلاد المغرب، ويحرص البيدق (555هـ/1160م) على تعداد أسماء الفقهاء الذين يأتون المجالس التي يعقدها صاحبه⁽⁴⁾.

فجمع له الأمير المرابطي الفقهاء لمناظرته وخاطبهم "إنما بعثت لكم لتختبروا أمره، فإن كان عالما اتبعناه، وإن كان جاهلا أدبناه"⁽⁵⁾.

هذا واتهم ابن تومرت بإطراحه مذهب مالك، وترك الرأي، واعتبرت دعوته إلى الرجوع إلى القرآن والسنة، واستنباط الأحكام منها، وحصره أصول الأدلة في القرآن والسنة، ومحاربتة فقه الفروع⁽⁶⁾ غير أن تراث ابن تومرت يشهد بأنه كان مالكيًا، ومات مالكيًا، حيث صنف كتابا سماه "محاذي الموطأ" وهو اختصار لموطأ مالك برواية عبد الله بن بكير المخزومي (ت 231هـ/845م)، وتشهد على ذلك الأحكام التي وردت في كتابه "أعز ما يطلب"⁽⁷⁾.

1) كان تشبث أهل المغرب بمذهب السلف في العقيدة والمذهب المالكي في الفقه ورفض ما سواهما، حتى في مذاهب أهل السنة، ناتجا عن كون المغرب لم يعرف تنوعا مذهبيا في العقيدة والفقه مثلما عرفه المشرق، كما لم تكن أرضه ولودا للمذاهب ولا نشطة لها بسبب قلة الحوار الناجم عن قلة المذاهب واحتكاكها ببعضها. عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995، ص51.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص207.

3) محمد زنير: المغرب في العصر الوسيط، الدولة، المدينة، الاقتصاد، مطبعة النجاح الجيدة، ط1، الرباط، 1999، ص122.

4) أنظر: أخبار المهدي، ص30-31.

5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص174.

6) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص45.

7) المصدر نفسه، ص396؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص173؛ وعبد الحق الطاهري: المرجع السابق، ص242. وافق ابن تومرت في حجية عمل أهل المدينة الذي اختص به مالك، يقول "فكل ما نقل أهل المدينة وكان عملهم عليه متتابعا فهو صحيح، والدليل على ذلك أن الإسلام والشرايع والرسل والصحابة إنما كانوا في المدينة فلماذا صار عمل أهل المدينة حجة في غيرهم، بل دافع على حجية هذا الأخير أمام منكريه". ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص70-72. أما عدم اعتبار القياس من أصول الأدلة فقد وافق ابن تومرت ابن حزم، وكان الهدف هو بناء الشرع على القطع لا على الظن، وقد قبل القياس الشرعي، ورفض القياس العقلي، واعتبره فاسدا. ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص157-171؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص37.

ومن فقهاء المغرب الأوسط الذين ثاروا ضد الموحدين، محمد بن عبد الحق الاشبيلي(ت 581هـ/1185م)⁽¹⁾، الذي استوطن بجاية، وكان الموحدون قد عرضوا عليه القضاء، فأبى فلما غزا بنو غانية بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين سنة 580هـ/1184م⁽²⁾ سارع لتأييدهم، وتولى القضاء لهم، فحقن عليه الموحدون وراموا سفك دمه، فعصم الله دمه وتوفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية⁽³⁾.

وكذلك الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة (حيا سنة 585هـ/1189م) وكان قاضيا في نواحي بجاية، فلما غزاها بنو غانية، امتدحهم وأنشد بين أيديهم، بل كان خطيبهم يوم الجمعة، حيث قال "الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غُصابه"⁽⁴⁾ فلما استعاد الموحدون بجاية قبضوا عليه وسجنوه، ثم عفوا عنه بعد مدة⁽⁵⁾.

و لم تستطع مبادئ الموحدين أن تزاحم مبادئ المالكية، فالشعب جميعه مالكي، لأن الموحدين جاؤوا بمبادئ التوحيدية، كلها كلامية لا يدرکها إلا الخاصة، والشعوب —غالبا— تؤمن بالعاطفة والقلب، لا بالعقل والجدل.

إن الموحدون أنفسهم لم يلتفتوا حول ابن تومرت لاستحسانهم لطريق الجدل، بل بطريق فكرة المهدي المنتظر، التي كثيرا ما يرددونها العوام ويتمنون معها ظهور المهدي⁽⁶⁾ لهذا أضحت الدولة الموحدية بعد موت المهدي واستقرارها في شبه جمود بعد أن وصل الموحدون إلى تحقيق مآربهم وانكشف زيف فكرة المهودية، فكان لا بد من إصلاح يقوم به عبد المؤمن، فقام بخطوة في سبيل إضعاف سيطرة مذهب مالك على نفوس الشعب، إذ أصدر أوامره "بإصلاح المساجد وبنائها في تلمسان و في جميع بلاده، وتغيير المنكر، وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، وفي هذا نص ذكره ابن أبي زرع⁽⁷⁾.

وهدفه هو تكليف الطلبة بتنفيذ الأمر دون الولاية ورجال الجيش ليحس بذلك نبض المالكية بطريق الإقناع حتى يجنب نفسه عواقب الثورات المسلحة، التي ربما يشعلها المالكية ضده في أنحاء البلاد،

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص257؛ والياضي: المصدر السابق، ص320؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص184.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص95؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ط18، ص1351.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص75.

4) المصدر نفسه، ص76.

5) السلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص143؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص241-242.

6) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص230.

7) أنظر: الأنيس، ص189.

ومنها أن تأخير أمره بتحريق كتب الفروع إلى نهاية دعوته، ما يشعر بأنه يخشى عاقبة التنفيذ وبالتالي ما يوحى إلى العلماء بالكف عن التنفيذ إن صادفوا تدمراً من المالكية⁽¹⁾.

ولم يقم هؤلاء الطلبة الموحدون بتنفيذ رغبة الخليفة عبد المؤمن ولا حتى رغبة ابنه يوسف، وإنما قام بالتنفيذ حفيد عبد المؤمن يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م)، الذي رُمى إلى محو مذهب مالك من المغرب الإسلامي مرة واحدة، وجعل الناس يتجهون نحو ظاهر القرآن والحديث⁽²⁾.

كما يعتبر المراكشي شاهداً على هذه الأحداث حيث يقول "...لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، فأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة..."⁽³⁾.

أخيراً انتهت هذه المعركة الفقهية، بوضع فقه على أساس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فظن الخليفة يعقوب المنصور، أنه بهذا قضى على الفقه المالكي، ولم يكن فقه الموحدين الجديد سوى فقه مالك - بعد حذف الأسانيد وآراء الفقهاء - فأقبل الناس على حفظ الفقه الجديد، ولكن فقه مالك هو الذي يسير الناس عملياً على هديه، والفقهاء المالكية لم يغمطهم الشعب قيد أملة من مظاهر الإجلال والإكبار⁽⁴⁾.

ثم رجع يعقوب المنصور نفسه، وأخذ ينتقد مبادئ المهدوية⁽⁵⁾، وبدأ الناس يرتابون في مهدوية ابن تومرت، مما سمح لفقهاء المالكية في استعادة مكانتهم⁽⁶⁾، وبتولي الخليفة إدريس المأمون (626-630هـ/1228-1232م) أعلن على المنابر وعلى الملأ إلغاء أسطورة المهدوية⁽⁷⁾.

(1) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص231.

(2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 197-198 حيث يضيف أنه في عهد أبي يوسف انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذاهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث وقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد. عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 197-198. إن روايته تؤخذ بخذر، لأن سنة كان لا يتجاوز سن العاشرة إلا بقليل - حيث ولد سنة 581هـ/1185م؛ وبولطيف لخضر: فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرنندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1429/2009 م، ص310.

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص198؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

(4) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص232-233.

(5) حيث يقول صاحب المعجب "أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم من مطرف المري ونحن بحجر الكعبة، قال: قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف: يا أبا العباس، اشهد لي بين يدي الله عز وجل أي لا أقول بالعصمة - يعني عصمة ابن تومرت - أنظر: المصدر

السابق، ص197-198؛ والضبي: المصدر السابق، ج1، ص214

(6) عبد الله علي علام: المرجع نفسه، ص233.

(7) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص212.

لا يمكن في الواقع الحديث عن شيء اسمه المذهب الموحدى أو التومرتى، نظرا لكون الموحدى لم يبلوروا منظومة فقهية متميزة، أو حتى نسقا فكريا متماسكا، ولكنهم دعوا بشكل عام إلى الرجوع إلى أصول الإسلام وركزوا على بعض الأولويات في هذا الاتجاه⁽¹⁾.

وفي كتب المناقب والتصوف أخبار متفرقة توحى باهتمام المتصوفة والفقهاء بتدريس المذهب المالكي والانكباب على بعض أمهات كتبه رغم الحضر الرسمي⁽²⁾، وللتدليل على هذا نثبت جملة من علماء المغرب الأوسط الذين كانوا على المذهب المالكي في هذا العهد، مع ذكر بعض مؤلفاتهم. علي بن أبي قنون⁽³⁾ أصله من تلمسان، وبها درس الفقه المالكي توفي عام 577هـ/1181م⁽⁴⁾ وكان مستبحرا في حفظ الفقه، له كتاب في أصول الفقه سماه "المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى"⁽⁵⁾ وهو كتاب نبيل مستجاد⁽⁶⁾ ومن المعروف أن هذا الكتاب الأخير هو لأبي حامد الغزالي، ومختصر في أصول الفقه⁽⁷⁾، وله تأليف أخرى أيضا. وقد نسج على منواله العالم أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (580 هـ/1184م)⁽⁸⁾ الفقيه المالكي، كان يسمى أبا حامد الصغير⁽⁹⁾ له المصنفات الحسنة منها "التذكرة في أصول علوم الدين" و"البراس في الرد على منكر القياس"⁽¹⁰⁾. إضافة ميمون بن جبارة⁽¹¹⁾ كان مختصا في أصول الفقه توفي بتلمسان⁽¹²⁾، سنة 584هـ/

1) الصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 86؛ ومحمد مغراوي: خطة القضاء، ص 87.

2) محمد القبلي: المرجع سابق، ص 26.

3) ابن الأبار: المعجم، ص 294-295؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 685. أو بختون. الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 253- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 159.

4) كان حيا في آخر عشر الثمانين وخمسمائة، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة. ابن الأبار: المعجم، ص 294؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 686.

5) يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 100.

6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 160.

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 685.

8) ابن قنفذ: انس الفقير، ص 34.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص 66؛ والقرايى: المصدر السابق، ص 66.

10) الغبريني: المصدر نفسه، ص 66-67. أما القرايى قال أن عنوانه التذكرة في علم أصول الدين، وهو كتاب حسن من أجل الموضوعات في هذا الفن. توشيح الديباج، ص 66.

11) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 396؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 294؛ و شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج 3، ص 183.

12) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 253.

1188م⁽¹⁾، وصالح بن خلف الأنصاري الأوسي (ت 586هـ/1190م)، نزيل تلمسان، من ملقة
يكنى أبا الحسن، كان فقيها متمكنا⁽²⁾.

والقطب الغوث سيد العارفين أبو مدين شعيب بن الحسين (594هـ/1197م) الذي قال عنه
المقري "وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في
الوقت، وله مجلس وعظ يتكلم فيه، فتجتمع عليه الناس من كل جهة"⁽³⁾.

أما دفين تلمسان أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرّج (ت 601هـ/1204م) أبو جعفر
البلنسي الذهبي⁽⁴⁾ ويكنى أبا العباس⁽⁵⁾ كان يراعي أصول المذهب المالكي فيفتي بما تقتضيه، وتدل عليه،
وقيد عنه من أجوبته على المسائل الفقهية، وغيرها الكثير الحسن البديع⁽⁶⁾ ولما امتحن أبو عبد الله بن
إبراهيم وأبو محمد بن أحمد ابن رشد محنتهما المشهورة، اختبأ بقرية قاشرة -بقرطبة أو لبلة بالأندلس-
ولم يعرف مكانه حتى خلاصا فظهر، لكن المنصور استدعاه واستخلصه وبسط أمله، ولم تزل مكانته لديه
تترقى⁽⁷⁾ وله من الكتب في الفقه "حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة" وله فتاوى بديعة⁽⁸⁾

منهم كذلك أبو الحسن القلي، الذي كان فقيها أديبا، وأقرأ بجامع قرطبة زمانا، وله مختصر

الإشراف لابن المنذر⁽⁹⁾ والفقيه أبو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون الجزائري، الذي نشأ
بمدينة جزائر بني مزغنة، ثم رحل نحو الأندلس، حيث نزل إشبيلية أين أخذ على محمد بن عبد الحق
الإشبيلي، وغيره ثم انتقل إلى مالقة، ثم رجع إلى الجزائر، واستقر بها واشتغل بالتدريس وتوفي
في 606هـ/1209م⁽¹⁰⁾.

(1) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

(2) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص427.

(3) ابن سعد: المصدر السابق، ونفح الطيب، ج7، ص137.

(4) عرف بالذهبي، لأن جده كان مولعا بالكُتُب بالذهب والتصوير به. ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

(5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص117؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص334؛ والسملالي: المرجع سابق، ج2،
ص107.

(6) ابن فرحون: المصدر السابق، ص12؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص213.

(7) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321؛ وابن سعيد: الغصون الياض، ص39؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص334؛ والسملالي:
المرجع نفسه، ج2، ص108-109.

(8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص117؛ والصمدي: المصدر السابق، ج7، ص117.

(9) كتاب الإشراف على مذاهب أهل العلم، لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، المعروف بابن المنذر المتوفي سنة 318هـ/930م
يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص101.

(10) محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010، ص157-158.

والفقيه المالكي نزيل تلمسان، محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبو عبد الله، (ت 610هـ/1214م)⁽¹⁾ الذي ترك مؤلفات مهمة في الفقه المالكي منها "فضائل الشهور الثلاثة، رجب وشعبان ورمضان" وكتاب "الترغيب في الجهاد" فيه خمسون بابا في مجلد، وكتاب "المواعظ والرقائق أربعون مجلسا" وهو سفران⁽²⁾.

وقاضي تلمسان الفقيه محمد بن عبد الحق اليفرنى التلمساني (ت 625هـ/1227-1228م)⁽³⁾ الذي ألف كتاباً مهماً في الفقه رغم أنه لم يكمل وأشار إليه ابن عبد الملك المراكشي وهو بعنوان "مستصفي المستصفي"⁽⁴⁾ وهذا الأخير للغزالي، كما ترك كتاباً آخر بعنوان "حدود أنواع الحكم الشرعي" وكتاب التذكرة للنوادر المتخيرة⁽⁵⁾ في نحو ثلاث أسفار رغم أنه لم يكمله و كتاب "الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة"⁽⁵⁾.

أما الكاتب البليغ والشاعر المجدد الفقيه المالكي عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليحفشى الفزازي (ت 627هـ/1229م بمراكش)، نزيل تلمسان، والذي قال عنه ابن الأبار "كان مشاركا في أصول الفقه... ناظرا فيه"⁽⁶⁾ كما كان بارعا في علم الأصول والفروع⁽⁷⁾.

وأبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628 هـ/1230م) اشتهر بإطلاعه الواسع على العلوم الفقهية، فكان عارفا بالتفسير والقراءات ومصطلح الحديث وعلم الأصول، ودرس عليه العديد من الفقهاء، شرح كتاب الأعلام بفوائد الأحكام لشيخه عبد الحق الاشبيلي، وشرح الأربعين حديثا، وبلغت عدد مقروءاته 222 مؤلفا أخذها كلها بالسند المتصل⁽⁸⁾ ومنهم إبراهيم بن يحيى بن محمد التجيبي (633هـ/1235م) أبو إسحاق، كان فقيها مشاركا في عدة علوم، له مصنف نفيس في "شرح الخلاف" في عدة مجلدات⁽⁹⁾.

كما ساهم ضيوف المغرب الأوسط، ومنهم علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت 637هـ/1239م)⁽¹⁰⁾ الذي نزل بجاية، له في علم الفرائض كتاب الوافي⁽¹¹⁾.

1) الصفدي: المصدر نفسه، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص304.

3) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص319.

5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص319.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585.

7) المقرئ: نفع الطيب، ج4، ص468.

8) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص91.

9) الحاج محمد بن رمضان شاول: المرجع السابق، ص420؛ ومحمد طمار: تلمسان، ص78.

10) الغريبي: المصدر السابق، ص154؛ والمقرئ: نفع الطيب، ج2، ص387؛ والتبوكي: نيل الابتهاج، ص318.

11) الغريبي: المصدر نفسه، ص148.

والفقيه الملقب بشرف الدين عبد الله بن محمد الفهري، ولد بتلمسان عام 567هـ/ 1172م، ارتحل إلى المشرق، و بها أتم معلوماته في الفقه والأصول، و بها لقب بذلك، ثم تصدر للإقراء، وبقي بها إلى أن توفي عام 644هـ/ 1246م، وله من التأليف: "شرح المعالم في أصول الفقه للرازي" و"شرح التنبيه" في فروع الفقه الشافعي للشيرازي، و"المجموع" في الفقه أيضا، كما له "شرح خطب ابن نباتة"⁽¹⁾. و نزيل بجاية أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ/ 13م) كان له علم بالحديث والفقه المالكي، وكان يقرأ عليه السيد أبو الحسن بن عبد المؤمن الموطأ قراءة تفهم⁽²⁾.

أما الشيخ الإمام المحصل الصوفي⁽³⁾ أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675هـ/ 1276م) عاش العصرين الموحدية والحفصية، كان يحمل أصول الفقه⁽⁴⁾. وغير هؤلاء ممن حملوا مشعل المذهب وطافوا به بلاد المغرب، وهكذا استمر الاشتغال بمذهب مالك وأصوله المبنية على الأثر والحديث من غير عنق ولا تضييق⁽⁵⁾.

بهذا نقول أن مذهب مالك قد واصل تفرعه وانتشاره، ونتيجة للتفاعل مع الدعوة الموحدية الجديدة فقد مال أهله إلى الترجيح والتأويل ونبذ التعصب لأئمتهم ومشايخهم، وجعلوا البحث والنظر رائدهم في معرفة الحقائق وتقرير الأحكام، فرجعوا بذلك إلى أصوله ومصادره الأولى من الكتاب والسنة وما إليها، أي الأمر يتعلق بالدعوة إلى العمل بالسنة أكثر من الانتماء إلى مذهب معين⁽⁶⁾، ويبدو أن الأثر الوحيد الذي خلفته الدعوة الموحدية هو رسوخ مذهب الأشاعرة في نفوس العامة والخاصة، واسترجاع الحديث وعلم الأصول مكانتهما⁽⁷⁾.

ورغم سيطرة الموحدين على الساحة السياسية والعسكرية، فإن ذلك لم يفض إلى سيطرة روحية واعتناق للتومرتية والاعتقاد بالمهدوية والعصمة، ربما بسبب الطريقة الإكراهية التي فرضها ابن تومرت وخلفاؤه⁽⁸⁾ أو ربما يعود سبب إخفاق الموحدين في جعل أهل المغرب الأوسط يتجاوبون معهم، لتجذر المذهب المالكي فيهم واستمراره في المقاومة، وبسبب طابع التومرتية الانتقائي، وربما بسبب انتشار التصوف الذي لبي حاجة الناس إلى دين بسيط⁽⁹⁾.

1) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 421.

2) الغريبي: المصدر السابق، ص 189.

3) محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 201.

4) الغريبي: المصدر نفسه، ص 86.

5) الصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 88.

6) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 119-120.

7) محمود بوعبيد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1982، ص 49.

8) البقالي محمد: الدولة والولاية في المغرب الوسيط، علائق وتفاعلات، دار توبقال، ط 1، الدار البيضاء، 1997، ص 62.

9) فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي، من ق 6-9 هـ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص 136.

ب- المذهب الظاهري⁽¹⁾

قال المتونى "إن هذا المذهب كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة أخص لدى يعقوب المنصور"⁽²⁾ فقد بلغ من إعجابه إلى حد أن كان يقول عن أحد أشياخ الظاهرية الكبار-ابن حزم-إن كل العلماء عيال عليه⁽³⁾.

وتفرض هذه النقطة هي الأخرى احتياطا في إصدار أي حكم على الموحدين بصدددها، رغم أن عددا من الباحثين قد مالوا إلى نسبتهم إلى المذهب الظاهري صراحة⁽⁴⁾ اعتمادا على بعض المصادر التي تؤكد على ذلك⁽⁵⁾ حيث قال الشاطبي(ت 790هـ/1388م) عند كلامه على المهدي بن تومرت المغربي مبينا أن مذهبه البدعة الظاهرية" وكان من رأيه ترك الرأي وإتباع مذاهب الظاهرية"⁽⁶⁾.

كما قال إسماعيل بن الأحمر(ت 807هـ/1405م) صاحب بيوتات فاس "إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل على محض الظاهرية"⁽⁷⁾.

لقد نبه الونشريسي في مبحث البدع من المعيار" ومنها ما أحدثه المهدي الظاهري محمد بن تومرت... من إعادة الدعاء بعد الصلاة، والدعاء عليها بتصاَلَيْتُ الإسلام عند كمال الأذان"⁽⁸⁾.

1) نشأ المذهب الظاهري بالمشرق على يد أبو سليمان داود بن علي بن خلف الإصبهاني (202-270هـ/817-883م)، الذي كان شافعيًا، ثم تحول عنه، وبنى مذهبه على قوله "إن المصادر الشرعية هي النصوص، فلا علم في الإسلام إلا مع النص" وأخذ بظاهر الكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من رأي وقياس وضييق حدود الإجماع، فلم يأخذ إلا بما أجمع عليه صحابة رسول الله(ص) ونهى عن التقليد، ودعا إلى دراسة الكتاب والسنة دراسة تعمق، وتفسيرهما تفسيرًا حرفيًا، وقد انتشر مذهبه ببغداد وبلاد فارس، وقال به قوم قليل بإفريقية والأندلس وقد وطد دعائم هذا المذهب العالم الأندلسي علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(384-446هـ/994-1063 م)؛ وعبد الهادي حسيب: المرجع السابق، ص318-319.

2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 10، ص262؛ ومحمد المتونى: حضارة الموحدين، ص37.

3) المقرئ: نفع الطيب، ج3، ص238.

4) محمد المتونى: حضارة الموحدين، ص37؛ ومحمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص239-240؛ وعلي الإدريسي: الإمامة عند ابن تومرت، دراسة مقارنة مع الامامية الاثني عشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، 226 .

mart, ou Le Parti avant la dynastie almohade, Les Africains , XI , ûM.Talbi : Ibn T-
1978 , p.152.

5) منها ابن الأثير : المصدر السابق، ج 10، ص262-263- ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 19؛ والشاطبي: المصدر السابق، ج 1، ص123؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص313-314.

6) الاعتصام، المصدر السابق، ج2، ص337.

7) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص19.

8) أنظر: المعيار المغرب، ج2، ص465.

كما سار على مذهب الظاهرية خليفة المهدي بن تومرت وهو عبد المؤمن بن علي الكومي، وقال البرزلي القيرواني (ت 841هـ/1438م) في نوازله: "ولما اطمأنت بالأمر عبد المؤمن الدار جمع الفقهاء إما لاختبارهم عن مذهبهم، أو على أن يحملهم على مذهب ابن حزم" (1) وواصل البرزلي حديثه في نهي عبد المؤمن لإتباع المدونة والقياس (2).

كما قال بظاهرة المنصور، ونسبوه إلى المذهب الظاهري الفقيه ابن جزري (ت 741هـ/1340م) "وكان يعقوب المنصور عالما محدثا ألف كتاب الترغيب في الصلاة وحمل الناس على مذهب الظاهرية، وأحرق كتب المالكية" (3).

وأضاف المقرئ بقوله: "كان أبو يوسف يعقوب المنصور... يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها، ويتكلم في الفقه كلاما بليغا، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى، وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، وكان الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر" (4).

أما الفقيه الحجوي، تردد بين الاجتهاد المطلق والظاهرية، فهو تارة ينسب يعقوب المنصور للاجتهاد، ومرة أخرى ينسبه للمذهب الظاهري، يقول "يعقوب المنصور هو الذي حرق الكتب المالكية وترك الفروع، والزم العلماء بالاجتهاد، فظهر في وقته حفاظ وعلماء مجتهدون يلحقون الفرع بأصله أو ظاهرية مثل أبي الخطاب ابن دحية" (5).

لا بد من الإشارة أولا إلى أن أيا من المصادر المعاصرة للموحدين أو المعتمدة في تاريخهم، لا تتحدث عن تمذهبهم بالظاهرية، كما لا تشير إلى دعوة أحد منهم إليها (6).

لهذا نلاحظ أن المصادر التي روجت لإلصاق الظاهرية بالموحدين، هي الكتابات الفقهية المنتمية إلى مراحل لاحقة، وهذا يدعو بطبيعة الحال إلى التوقف والحذر في مسائرتنا، نظرا لانطلاقها من مواقف إيديولوجية غير خفية (7).

إن ابن تومرت في مناقشاته الأصولية قد تحفظ بشأن القياس وليس معنى هذا أنه خضع لتأثير حزمي مباشر، وكما أنه لا يشير إلى مصادره بخصوص المعطيات الأخرى، فإنه لا يشير إلى ابن حزم في

1) جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، (فتاوى البرزلي)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2002، ج 6، ص 376.

2) البرزلي: المصدر السابق، ج 6، ص 377.

3) ابن جزري: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، 2008، ص 615؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 83.

4) المقرئ: نفع الطيب، ج 3، ص 102؛ وعبد الهادي حسييس: المرجع السابق، ص 314.

5) الحجوي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبعة البلدية بفاس، 1926، ج 4، ص 4، ص 213-214.

6) عبد الله كنون: المصدر السابق، ص 124.

7) محمد مغراوي: خطة القضاء، ص 83.

أعز ما يطلب، ولا يحتج بمقولاته⁽¹⁾ أي أن ابن تومرت كان ذا نزعة ظاهرية، ولكن من دون الجزم بظاهريته في المذهب، ولو كان كذلك ما تردد فقهاء المرابطين الذين صارعوه في اتهامه بالظاهرية، كما اتهموه بالخارجية⁽²⁾.

لقد حاول الموحدون السير على خطى ابن تومرت في تحفيظهم فقه الفروع، إلى أن قام المنصور بحركته الكبرى في الرجوع إلى أصول الإسلام، حيث يشير المراكشي إلى أنه أراد "حمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث"⁽³⁾ ولا شك أن القائلين بظاهرية المنصور، قد عززوا موقفهم بكلمة "الظاهر" الواردة في هذا النص، كما وجدوا في إعجابه بابن حزم دليلاً آخر⁽⁴⁾.

إن كلا الدليلين لا يمكن بواسطتهما القطع بظاهرية المنصور، فكلمة الظاهر لا تعني المذهب الظاهري كمنظومة فقهية وأصولية⁽⁵⁾ كما يبين الأستاذ حسيسن أن المذهب الظاهري الحزمي لم يكن يوماً هو المذهب السائد الرسمي في عهد الدولة، ولا حتى في عهد يعقوب المنصور، ولا يوجد نص واضح يثبت أن أحداً من الخلفاء الموحدين أمر بإتباع المذهب الظاهري، وإنما كانوا يدعون إلى العمل بالكتاب والسنة⁽⁶⁾.

فكان الخليفة يعقوب يهدف إلى تحقيق أمل راود الموحدين منذ ابن تومرت، هو تأصيل الفقه، لذلك فهو يلتقي مع المذهب الظاهري في نقط عديدة، أهمها الإعراض عن العمل بالرأي والقياس، إلا أن المشروع الذي تبناه الموحدون لم تكن أبعاده واضحة، نظراً لكونه لم يخضع لتطوير وفق مستجدات مرحلة ما بعد ابن تومرت، وإنما "ألا يقلد العلماء أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس"⁽⁷⁾.

(1) الحجة الكبيرة التي يقدمها عبد الله كنون "أن القوم لم يكن على المذهب الظاهري هي مجموعة كتب المهدي بن تومرت، التي نشرها المستشرق الهجري جولدزهير، وتشمل على كتاب أعز ما يطلب والعقيدة المرشدة، وكتاب الطهارة، الذي يقال أن المنصور جمع كتاباً في الصلاة على منواله، وكلها ليس فيها ذكر للظاهرية ولا لعلم من أعلامها... بل إن تعاليقه الأصولية ما يعارضها وهو إثبات القياس ومدحه مما لا يجنح إليه أهل الظاهر". النبوغ المغربي، ج1، ص125.

(2) مجهول: الحلل الموسوية، ص111؛ و الطاهري عبد الحق: المرجع السابق، ص51-52.

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198.

(4) المقري: نفع الطيب، ج3، ص238؛ و

(5) Ibn T. Talbi: M. Talbi ; LES Africains, XI, 1978 ; mart, ou le parti avant la dynastie almohade, P152.

(6) محمد مغراوي: خطة القضاء، ص83؛ وبولطيف لخضر: فقهاء المالكية، ص308-309.

(7) عبد الهادي حسيسن: المرجع السابق، ص329.

(8) ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص11.

وعموماً جميع الآراء التي تلتصق، الظاهرية بالمنصور، تستند على رواية ابن الأثير (ت 630هـ/1233م)⁽¹⁾ وأما الرواية التي تنفيه تعتمد على شهادة ابن حمويه الدمشقي (ت 642هـ/1244م)⁽²⁾، الذي زار المغرب في حدود سنة 594هـ/1197م، ولبث به إلى غاية سنة 600هـ/1203م ومكنه ذلك الاتصال بالمنصور⁽³⁾ ونقل لنا المقرئ هذه الشهادة، بقوله "والذي علمت من حاله أنه كان يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها، ويتكلم في الفقه كلاماً بليغاً...وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، وإن الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر"⁽⁴⁾ وتبين لنا هاته الجملة من أن الفقهاء يتحنون عليه ذلك، وأنه كان يميل إلى الاجتهاد⁽⁵⁾.

لم يثبت أن أمر المنصور أو أي من الخلفاء الموحديين، الاعتماد على كتب الظاهرية، وإنما اكتفى بمصنفات الحديث المذكورة، ولو كان ظاهرياً لأمر بكتبتهم أن تدرس أو تكن من المصادر التي جمعت منها الأحاديث في كتاب الصلاة والجهاد⁽⁶⁾.

لقد عرف العصر الموحدى عدة تأليف في الرد على ابن حزم، من طرف فقهاء مالكية، وقد أفرزت عدة تأليف في الرد على أفكار الظاهرية أهمها في المغرب الأوسط هو النيراس في الرد على منكر القياس⁽⁷⁾ لقاضي بجاية حسن بن علي ابن محمد المسيلي (ت 580هـ/1184م) قال عنه الغريبي: "أنه كتاب مليح على ما أحررت عنه، ولم أره، وأنا شديد الحرص عليه، ولقد أحررتني بعض الطلبة المتمسكون بالظاهر-وهو من أنبلهم-أنه رأى هذا الكتاب، وأنه ما رأى في الكتب الموضوععة في هذا الشأن مثله"⁽⁸⁾.

وكتاب "حجة الأيام وقدوة الأنام" للفتية البجائي أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م)، وقد أثار هذا الكتاب حفيظة بعض أصحاب الميول الحزمية فرفعوا أمره إلى الخليفة الموحدى⁽⁹⁾ ولم تهدأ

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 1، ص 262-263. ونقل عنه ابن كثير نفس الكلام بقوله "وكان مالكي المذهب، ثم صار ظاهرياً حزمياً" البداية والنهاية، تحقيق جوده محمد جوده، ومحمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، ط 1، القاهرة، مصر، 2006، ج 6، ص 298.

(2) هو أبو محمد عبد الله -أو عبد السلام- بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني السرخسي الصوفي، الملقب بتاج الدين، أديب ومؤرخ ولد بدمشق سنة 566هـ/1170م. ابن عماد: المصدر السابق، ج 7، ص 371.

(3) بولطيف لخضر: فقهاء المالكية، ص 310.

(4) المقرئ: نفع الطيب، ج 3، ص 102؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 125.

(5) عبد الله كنون: المرجع نفسه، ج 1، ص 125.

(6) مغراوي محمد: العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحديين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001-2002، ص 175؛ وعبد الهادي حسييس: المرجع السابق، ص 332-333.

(7) القراني: المصدر السابق، ص 225.

(8) الغريبي: المصدر السابق، ص 66-67.

(9) التادلي: المصدر السابق، ص 428.

الزوبعة إلا بعد أن أرسل المؤلف مدافعا عنه إلى مراکش - هو أبو محمد عبد الكريم الحسني - قام بتوضيح الآراء التي عرضت في الكتاب أمام مجلس حضرة الخليفة والفقهاء⁽¹⁾ فما كان من الخليفة أن يقول: يترك هذا الرجل على اختياره، فإن شاء لعن وإن شاء سكت⁽²⁾.

إن معالم التوجه الموحد تتحد أكثر إذا نظرنا إليها من خلال الميل إلى العمل بالحديث، أكثر لو نظرنا إليها من زاوية تبني المذهب الظاهري، وذلك ما تؤكده المصادر خاصة في عهد المنصور⁽³⁾. ورغم كل ذلك ظهر بعض الفقهاء من المغرب الأوسط أو عاشوا به لفترة من الزمن وتركو بصماتهم في أفكاره وحضارته، ومن الذين تبنا المذهب الظاهري:

محمد بن عبد الله بن مروان، أبو عبد الله⁽⁴⁾ الهمداني الوهراني مولدا، التلمساني منشأ، وأصله من الأندلس⁽⁵⁾ جد في طلب الفقه والأدب ومال إلى العلم الظاهر وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم القرطبي صاحب كتاب "الفصل في العلل والأهواء والنحل" ولي قضاء تلمسان واشتهر بذلك حتى أعجب الخليفة المنصور الموحد به، فاستدعاه إلى حضرته وولاه قضاء قضائه بمراكش (ت 601هـ/1204م)⁽⁶⁾. وصاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن بيكي، بداخل باب أمسيون، من أعلى سند بيحاية⁽⁷⁾ أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك (ت ق 7هـ/13م)⁽⁸⁾، من أهل قلعة بني حماد، صاحب الرابطة المعروفة وقال عنه الغريبي "كان من جملة أهل العلم، من أكابر أولي النهي والفهم، وكان معروفا عند خلفاء بني عبد المؤمن، وكان ينحو للظاهر"⁽⁹⁾.

أما أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت 633هـ/1235م)⁽¹⁰⁾

وهو ظاهري المذهب⁽¹⁾، وألف كتاباً مهماً جداً في الفقه بعنوان وهج الجمر في تحريم الخمر⁽²⁾

1) الغريبي: المصدر السابق، ص 136.

2) الغريبي: المصدر نفسه، ص 217.

3) ابن سعيد: الغصون، ص 30.

4) هو مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني ابو علي، أخذ عن أبيه وغيره ببلده، ومراكش وغيرهما، وكان فقيها حافظا للمسائل بصيرا بالفتيا في النوازل، ولي قضاء تلمسان وستة وثمانية ومائة ومروية وبها توفي. يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 105؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 339.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 374؛ ابن سعيد: الغصون اليانعة، ص 29-35.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 374؛ يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 113.

7) الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 222؛ وبرنشفيك: المرجع السابق، ج 1، ص 415.

8) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 352.

9) أي أنه كان يميل للمذهب الظاهري، الذي كان يمثله في الأندلس ابن حزم. الغريبي: المصدر نفسه، ص 189.

10) الشيخ الفقيه المحدث المتقن، النحوي، اللغوي، التاريخي، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي. الغريبي: المصدر السابق، ص 228. الداني، السبتي ولد سنة 547هـ/1152م بالأندلس، وتوفي في 14 ربيع الأول سنة 633هـ/1235م بالقاهرة، ودفن بسفح المقطع. المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 104.

إن الذي نريد أن نسجله هنا، هو أن المذهب المالكي لم ينهزم مطلقاً أمام الدعوة إلى الاجتهاد، التي كان الموحدون يتزعمونها، ولا أمام المذهب الظاهري، الذي نشط نشاطاً كبيراً في هذا العصر، والدليل أن أمهات الكتب يعاد كتابتها فور إحراقها⁽³⁾.

بهذا نستنتج أن بقاء الكثير من الفقهاء خلال العصر الموحد على صلتهم بالمالكية، التي أضحت أكثر من مجرد مذهبية فقهية، كان ولا شك أحد الأسباب التي فوتت على "المشروع الموحد" بلوغ غايته في تقليص ظل المالكية، والحد من سلطة فقهاءها⁽⁴⁾.

وعموماً أورد الغريبي في كتابه جملة من الكتب التي كانت مقررة في الفقه وتدرس ببيحانية خاصة والمغرب الأوسط عامة وهي "الرسالة" لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/996م) و التهذيب "لأبي سعيد البراذعي" (ت 430هـ/1038م) كتاب الجلاب والتلقين، وموطأ مالك الذي كان أصل كل الدروس⁽⁵⁾ وكتاب المدونة والمختلطة لسحنون بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/854م) وكتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي (ت 478هـ/1085م)⁽⁶⁾.

4 - علم الكلام والأصول

- (1) المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 99؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 281 وقد استندا على رواية مؤرخ بغدادى هو ابن النجار (ت 643هـ/1245م) وكان من ألد خصومه، وأكثر المتحاملين عليه، حيث كان يرميه بالكذب والتهاون في دينه، ويصمه بالكبر والحمق والتطاؤل. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 22، ص 394-395. لكن هناك من ينفي عليه صفة الظاهرية اعتماداً على شهادة أحد معاصريه وهو المؤرخ البغدادي ابن الديبثي (ت 637هـ/1239م) إذ يقول عنه "كان له معرفة حسنة بالنحو واللغة، وأنسة بالحديث، فقيها على المذهب المالكي" الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 22، ص 391.
- (2) ذكره ابن دحية في المطرب عند الحديث عن ابن زرقون، فقال: "وقد تكلمنا على نسبه ولقبه في كتابنا المسمى بوجه الجمر في تحريم الخمر". ابن دحية: المصدر السابق، ص 219، ص 221؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 159؛ وأحمد بكير: المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، بيروت، 1990، ص 57-58؛ وعبد الله كنون: المرجع نفسه، ج 1، ص 123.
- (3) عبد الله كنون: المرجع نفسه، ج 1، ص 123.
- (4) بولطيف: المرجع السابق، ص 319.
- (5) الغريبي: المصدر السابق، ص 307.
- (6) يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص 128؛ وعبد القادر بوباوية: طرق التدريس، ص 54.

كان المغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت يسير على مذهب السلف الصالح ويمتت "علم الكلام" (1) الذي يتصدى لتأويل المتشابه من القرآن الكريم ، لكن الموحدون عملوا على تشجيع علمي الأصول والكلام، فنبع فيهما عدد كثير من العلماء، إلى درجة أنه أصبحت تشد الرحلة إلى المغرب لطلبهما (2).

لقد أخذ علم الكلام-أو علم التوحيد عند الموحدين-حظه الكامل من الانتشار، فقد كان ابن تومرت من "أوحد زمانه في علم الكلام" (3)، ويلزم أصحابه بدراسته إلزاماً، وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل، وعلى طريقة الأشعري بالأخص يعتبرونه كافراً ليس معه من الإسلام إلا الاسم، ومن ثم سموا أنفسهم بالموحدين (4) وقد ترك ابن تومرت ميراثاً كبيراً من الكتب في علم الكلام منه أعز ما يطلب، العقيدة المرشدة، التزيهان، التسييحان، الإمامة، تعاليق في الأصول، وقد ذكرت ابن تومرت رغم انه ليس من المغرب الأوسط، إلا أن ميراثه يشترك فيه الكل باعتباره شخصية عامة للمغرب والأندلس، كما كان دوره مؤثراً بالمغرب الأوسط أثناء إقامته في بجاية وتلمسان.

لهذا تبوأ علم الكلام مكاناً عالياً من بين العلوم في هذا العصر، ووجد من القرائح المغربية مجالا خصبا لنموه وازدهاره (5) من العلماء الذين اهتموا بعلم الكلام بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين نجد: الفقيه الأديب العارف بالأصول أحمد بن عبد الله بن حميس بن معاوية بن نصر الأزدي، البلنسي، الذي قال عنه المراكشي "مجيدا في نظم الكلام ونثره، توفي بجزائر بني مزغنة سنة 548هـ/1153م" (6) والفقيه التلمساني (7) حسن بن أبي زُكُون (ت 553هـ/1158م) له من التأليف "كتاب في الرأي" (8) أما أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي (ت 570هـ/1174م) الذي قدم كتاباً جيداً بعنوان "الدليل والبرهان" بحث في علم الكلام يقارن بين أقوال الإباضية والفرق الإسلامية الأخرى (9) ويمكن القول أن أصول الفقه وعلم الكلام قد بلغت مرحلة النضج عند الإباضية في المغرب الإسلامي، وكذلك عند الأشاعرة المغاربة، الذين اتجهوا إلى المنهج العقلي في هذا المجال ابتداء من مجيء ابن تومرت

(1) علم الكلام: هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المتبدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب

السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص23.

(2) شفيق محمد: المرجع السابق، ص38.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص173.

(4) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص121.

(5) صفية ديب: المرجع السابق، ص111.

(6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص143.

(7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25.

(8) ابن الأبار: المعجم، ص82؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.

(9) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص79.

(ت524هـ/1129م) الذي عنى بالأصول وبالتأويل العقلي أكبر من عنايته بالفروع، وبظواهر النصوص وحرفيته، وفي هذا العصر عاش أبو يعقوب، فكان من أئمة أصول الدين وألف كتابا مهما هو "العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، في الرد على أهل الخلاف"⁽¹⁾.

إضافة إلى الاباضي الآخر صاحب الآراء الكلامية من خلال كتابه "الموجز" وهو أبو عمار عبد الكافي الوريثاني (ت570هـ/1174م)⁽²⁾.

منهم كذلك أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1184م)⁽³⁾ الحافظ

المتكلم، له كتاب في علم التذكير سماه "التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"⁽⁴⁾. وصالح بن خلف الأنصاري الأوسي (ت586هـ/1190م) من مالقة يكنى أبا الحسن، نزل تلمسان ولقي بها أبا جعفر بن باق، وأخذ عنه علم الكلام، فكان فقيها متمكنا في علم الكلام⁽⁵⁾ ولا يمكن ذكر علم الكلام ونمر مرور الكرام دون ذكر الفقيه الكبير عب د الحق الاشيلي البجائي (ت581هـ/1185م) والذي له كتاب "العافية" في الوعظ والتذكير⁽⁶⁾، وكذلك كتاب الصلاة والتهجد⁽⁷⁾ وكتاب في الرقائق، وكتاب التوبة في سفرين، وكتاب العاقبة، وكتاب فضل الحج والزيارة ومقالة الفقر والغنى ومصنفات أخرى⁽⁸⁾ وكتاب الأنيس في الأمثال والحكم والآداب⁽⁹⁾.

أما مساهمة الفقيه المتكلم علي بن محمد بن خيار البلسي (ت605هـ/1208م) الذي درس بتلمسان على يد أبي الحسن بن أبي كنون، وكان فقيها مشاورا تاركا للتقليد مائلا إلى النظر والاجتهاد مشاركا في فنون العربية والأصول وعلم الكلام والتصوف⁽¹⁰⁾.
ولمحمد بن عبد الرحمن بن علي التحيي المرسي (ت610هـ/1214م)⁽¹¹⁾ المستقر أخيرا بتلمسان، تأليف في الوعظ والرقائق والترغيب في الجهاد⁽¹⁾.

1) عمار الطالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي "أبو يعقوب الوريثاني نموذجاً"، ندوات ومناظرات رقم 118، تحت عنوان الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، الدار البيضاء، 2005، ص102.

2) بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 149. وقد حقق هذا الكتاب عمار طالبي، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 1978.

3) ابن قنفذ: انس الفقير، ص34.

4) الغريبي: المصدر السابق، ص66-67. وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في الإحياء. القرافي: المصدر السابق، ص66.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص427.

6) حجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص23.

7) الغريبي: المصدر نفسه، ص73؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص277-278.

8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

9) حجي محمد وآخرون: المرجع نفسه، ج2، ص23.

10) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص44.

11) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

إضافة إلى جهود الشيخ الفقيه إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 611هـ/1215م) نزيل تلمسان⁽²⁾، وكان فقيها حافظا للرأي مشاورا يشارك في الأدب وغلب عليه علم الكلام، ذاكرا لحديث أهل التصوف يطرز مجالسه بأخبارهم⁽³⁾ فرأس فيه واشتهر به وله تأليف منها شرح الإرشاد لأبي المعالي، إمام الحرمين "نكت الإرشاد في الاعتقاد" في خمس مجلدات⁽⁴⁾ وكتاب في مسائل إجماع الفقهاء⁽⁵⁾.

و منهم كذلك محمد بن عبد الحق اليفرنى التلمساني (ت 625هـ/1227-1228م)⁽⁶⁾ كان معظما عند الخاص والعام، مشاركاً في الفقه والحديث، عارفا بروايته، بصيرا بعلم الكلام، وله كتب في هذا العلم منها "الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم"⁽⁷⁾ وكتاب "عقيدة علية الخلق، وزبدة معرفة الحق المضمون بها على غير أهل الصدق"، في جزء واحد، وكتاب "النكت المحررة والفصول المحيرة، في حقيقة التزيه ونفي التشبيه" في جزء، وكتاب "ميزان العمل" وهو جزء كبير، وكتاب "التسلي عن الرزية والتحلي بالرضا بقضاء باري البرية" في جزء، وكتاب "نفثة ذي الضراء ومسلاته برثاء الآباء الأبناء وهو جزء كبير"⁽⁸⁾.

كما ساهم الوافدون على المغرب الأوسط خاصة القادمون من الأندلس بقوة في علم الكلام كعبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليحفاشي الفزازي (ت 626هـ/1228م) نزيل تلمسان، قال عنه ابن الأبار "وكان عالما بالحديث متصوفاً في فنونه، كاتباً بليغاً شاعراً مجوداً، مشاركاً في أصول الفقه، ذا معرفة بعلم الكلام"⁽⁹⁾.

ولابن دحية (ت 633هـ/1235م) نزيل تلمسان وبجاية⁽¹⁰⁾ كتاب مهم في علم الكلام هو عصمة الأنبياء⁽¹¹⁾ كما لعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحراي التيجيبي (ت 637هـ/1239م)⁽¹²⁾

(1) المقري: نفع الطيب، ج2، ص379.

(2) قال بلسانه: "أتيت زائراً عمه لي بتلمسان" وقد طاف بأرجائها وأعجب بها ومكث فيها مدة ليست باليسيرة "تتجاوز الحولين" أخذ خلالها على عدة علماء تلمسانيين منهم أبو عبد الله الحلوي. يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص147.

(4) محمد الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1985، ج5، ص330.

(5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص200؛ وابن القاضي المراكشي: المرجع السابق، ص90؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص147؛ والصفدي: المصدر السابق، ج6، ص110.

(6) السمالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

(7) الرعيبي: المصدر السابق، ص170.

(8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

(9) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585؛ والزركلي: المرجع السابق، ج3، ص342.

(10) الغريبي: المصدر السابق، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

(11) عبد كنون: المرجع السابق، ج1، ص160.

(12) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص687.

ضيف بجاية، مشاركة في فنون عديدة، ومال إلى النظريات وعلم الكلام... وتكلم عن الكائنات، وأمور الحدثان، وأسرار الحروف، وزعم استخراج علم وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وياجوج وما جوج⁽¹⁾.

ولمحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)⁽²⁾ الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ⁽³⁾ مشاركات في عدة علوم ومنها علم الأصول والكلام حيث ألف كتاب "الفصول في نبذ شافية من علم الأصول"⁽⁴⁾.

أما من أهل بجاية فمنهم محمد بن إبراهيم الأصيلي (ت 660هـ/1261م)⁽⁵⁾ الذي قال عنه ابن الأبار "يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه حتى شهر بالأصولي، واعتنى بإصلاح "المستصفي" لأبي حامد الغزالي⁽⁶⁾.

عموما كانت تدرس كتب مهمة جدا في علم الكلام، على رأسها كتاب أعز ما يطلب، والمرشدة لابن تومرت⁽⁷⁾ وكتاب المحصل للرازي، الذي لخصه ابن خلدون في شبابه⁽⁸⁾ وكتاب الإرشاد لإمام الحرمين الجويني (ت 478هـ/1085م)⁽⁹⁾، وكتاب المستصفي لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ/1111م)⁽¹⁰⁾.

5- علم التصوف

لا ينبغي أن نهمّل الحديث عن التصوف⁽¹¹⁾ الذي كان له دوره في الحركة الفكرية، حيث امتاز العهد الموحدى بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف وأساتذته، وبما أن النظر الفقهي قد تطور فإن

- 1) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص336-337.
- 2) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.
- 3) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.
- 4) ابن أبي العيش: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص32.
- 5) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص305-306.
- 6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص376؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 271-272؛ والغبريني: المصدر نفسه ص186.
- 7) ابن القطان: المصدر السابق، ص173.
- 8) عمار طالي: المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أبريل-ماي 2011، ص60.
- 9) ابن مريم: المصدر السابق، ص152، ص163؛ محمد الفاسي: المصدر السابق، ص330.
- 10) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص55.
- 11) هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص49. ويعرفه حاجي خليفة أنه علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية. حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص413.

التصوف لم يعد منكرا كذي قبل، ولم يبق للفقهاء على أهله تلك الصولة، فظهر جماعة من الصوفية الكبار أصحاب النزاعات الفلسفية، وأثبتت مذاهبهم المختلفة في الناس⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن النهضة الموحدية أثرت على العقول في الأندلس والمغرب، تأثيرا متشابها فأصبح الفكر الإسلامي في كلا القطرين محررا من القيود التي كانت تجعله يثور لأقل بادرة من الخروج عن دائرة المسلمات والقواعد والرسوم المتعارفة⁽²⁾.

بعد هذا يحق لنا أن نتساءل عن موقع التصوف في المغرب الأوسط، في ظل هذه التوجهات الفكرية والأخلاقية للدولة الموحدية، أواخر القرن السادس هجري وأوائل القرن السابع للهجرة؟. بالرجوع إلى كتب المناقب والطبقات الصوفية المغربية لهذا العهد، ولعل كتاب التشوف للتادلي يعد نموذجا لها، بالإضافة إلى كتاب عنوان الدراية للغبريني، نلاحظ لدى جل إن لم يكن كل الأعلام الصوفية المغاربية غياب اللهث وراء بناء صروح من النظريات الإشراقية والمذاهب الفكرية التأويلية، وذلك مقابل حضور قوي للبعد الأخلاقي الذي طبع حياة أولئك الأعلام⁽³⁾.

إن نظرة خاطفة إلى أخبار أبي مدين شعيب بن الحسين (ت 594هـ/1197م)⁽⁴⁾ الأنصاري الأشبيلي أصلا⁽⁵⁾، البجائي دارا والتلمساني وفاة⁽⁶⁾، وهو من المؤسسين الأوائل للفكر الصوفي بالمغرب الأوسط، حيث لبس الخرقه عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق⁽⁷⁾ وسلك على شيخ المشايخ أبي يعزى⁽⁸⁾ ثم

1) لمزيد عن التصوف في المغرب الأوسط، أنظر بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر، وأمال لدرع: الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني 633-962هـ/1236-1555م، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

2) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص12-121؛ ومحمد طمار: تلمسان، ص74.

3) عبد المجيد الصغير: تجليات الفكر المغربي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص167.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص715 ابن قنفذ: انس الفقير، ص11-20؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص108-114؛ والتنبوكتي: نيل الابتهاج، ص193؛ وابن القاضي: حذوة الاقتباس، ج2، ص530؛ وابن فضل الله العمري: المصدر السابق، السفر الثامن، ص317-319.

5) من حصن قنطانية من عمل إشبيلية. التادلي: المصدر السابق، ص319. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص128. أو من حصن يقال له منتوجب. الغبريني: المصدر السابق، ص55-56.

6) ذكر ابن الأبار وفاته نحو التسعين وخمس مائة. التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص715؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الرابع، ص130.

7) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص128؛ والتادلي: المصدر السابق، ص322. وهو أبو عبد الله الدقاق، المتوفي في منتصف القرن السادس هجري. ابن قنفذ: انس الفقير، المصدر السابق، ص27.

8) التادلي: المصدر نفسه، ص320-321. أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري، المتوفي سنة 572هـ/1170م. التادلي: المصدر نفسه، ص213-221؛ والتميمي: المستفاد، المصدر السابق، ج2، ص28.

خرج منها قاصدا بيت الله الحرام، فحج واعتمر واجتمع بعرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني⁽¹⁾، ثم دخل بجاية ولم يزل بها يزداد حاله رفعة، فاشتهر بما خبره وعلا في مقام الولاية صيته⁽²⁾ وكانت بجاية تحت سلطة الموحدين، ويبدو أنها وقعت من نفسه موقعا حسنا حتى قال فيها بأنها "تعين على طلب الحلال"⁽³⁾ وقضى بها خمسة عشر عاما يدرس كتب التصوف كالرسالة القشيرية⁽⁴⁾ والمقصد الأسنى⁽⁵⁾ وذلك بزواية أبي زكريا الزواوي بحومة اللؤلؤة⁽⁶⁾.

وكان الشيخ أبو مدين مكبا على التصوف علما وعملا حتى أصبح علما يُقصد من كل حذب وصب، وللشيخ أبي مدين حكم غالية تدل على علو مقامه ونبل قصده ومراميه، كما له خطب دينية صوفية هي خلاصة ما في نفس صاحبها، من الصفح والغفران والرحمة، كما له شعر صوفي جمع في ديوان خاص، وله من التصانيف "أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد"⁽⁷⁾.

يقول ابن سعد: "إن أبا مدين كان من أفراد الرجال وصدرا من صدور الأولياء الأبواب، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة... وكان من أعلام العلماء، وحافظ الحديث خصوصا جامع الترمذي، وكان يلازم الإحياء للغزالي، ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الحال..."⁽⁸⁾. ومن هذا القبيل الذي يدل على تأثير البيئة الثقافية والتاريخية على تصوف أبي مدين شعيب، من خلال طابع الاتجاه السني الذي طبع اتجاهه الصوفي إنما أتاه من المغرب لا من الأندلس⁽⁹⁾.

وقد استطاع أبو مدين شعيب من اختزال وتبسيط الأطروحات الصوفية التي جاء بها القشيري، والغزالي في إحيائه، وابن العريف في كتابه محاسن المجالس، في عبارات بسيطة لكنها عميقة ودالة، مراعى فيها الخيال الصوفي والرمزية، وقد ضمن ذلك في كتابه "أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد"⁽¹⁰⁾.

1) المقرئ: نفع الطيب، المصدر السابق، ج 7، ص 137-138. المصادر الأندلسية لا تشير إلى الحج أو لقاء عبد القادر الجيلاني، حيث يبين ابن الأبار أنه خرج سائحا فقط؛ والتكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 715، أما ابن عبد الملك المراكشي فيبين أنه قضى كثيرا من عمره في السياحة. الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص 128.

2) ذكر خير السعاية به إلى خلفاء الموحدين صاحب الاستقصاء فقال "كان أبو مدين قد استوطن في آخر عمره بجاية، وكثر عليه الناس وظهرت على يده الكرامات، فوشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور (580-595 هـ/1184-1198 م) وقال له إنا نخاف منه على دولتكم فإن له شبيها بالإمام المهدي، واتباعه كثيرون في كل بلد، فوقع منه ذلك وكتب لصاحب بجاية أن يبعث إليه وأوصاه بالاعتناء به وأن يحمل إليه خير محمل". السلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 190.

3) المقرئ: نفع الطيب، ج 7، ص 140.

4) عبد القادر الخلافي: أبو مدين الغوث، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975، ص 292؛ وعيسى ميباري: المرجع السابق، ص 139.

5) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 465.

6) المقرئ: نفع الطيب، ج 7، ص 137.

7) عبد المجيد الصغير: المرجع السابق، ص 170.

8) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص 23.

(1) فتخرج على يد أبي مدين شعيب ألف تلميذ ، ظهرت على يد كل واحد منهم كرامات

والصوفي الكبير أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بمحي الدين بن عربي المرسي أخذ عن مشيخة بلده (2)،

ومال إلى الأدب وكتب لبعض الولاة ثم رحل إلى المشرق حاجا (3)، ودخل بجاية في شهر رمضان

سنة 597هـ/1200م، وبها لقي أبا عبد الله وجماعة من الأفاضل (4) ثم انتقل إلى المشرق

سنة 598هـ/1201م حسب رواية المقرئ (5) لكن علماء مصر عملوا على إراقة دمه كما أريق دم

الحلاج، وكان الشفيح له، ومخلصه من المحنة الشيخ أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله

البجائي (6) ثم اتجه إلى المشرق واستقر به المقام في الأخير بدمشق أين توفي سنة 638هـ/1240م (7).

كما ترك من التأليف الكثيرة، أغلبها في التصوف (8) منها كتاب النصوص، وكتاب الإسراء إلى

المقام الأسرى، وكتاب مواقع النجوم، ومطالع أهلة أسرار العلوم، وكتاب عنقاء مغرب في صفة ختم

الأولياء وشمس المغرب، والفتوحات المكية وغيرها كثير (9).

ورغم تتلمذه على يد الشيخ أبي مدين شعيب إلا أنه مال إلى التصوف الإشراقي الموجود

بالأندلس، ولا يوجد تفسير واضح لذلك سوى التأثير البيئي، على عكس المغرب الأوسط حيث كان

التصوف السائد به استجابة واضحة لتطور الأحداث السياسية المستجدة أواخر الدولة الموحدية، فبرز

التصوف المغربي كمنقذ للوحدة المهددة وللانظام داخل أصول السنة والشريعة، وهما القيمتان

الادبولوجيتان الأصليتان للدولة الموحدية (10).

-
- 1) التادلي: المصدر السابق، ص 324. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 128؛ والمقرئ: نفع الطيب، ج 7، ص 136.
- 2) إضافة إلى أبي القاسم الشراط القرطبي، وسمع على ابن مرزوق وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي، وأجازته جماعة منهم الحفاظ السلفي، وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزي، ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم، ثم رجع إلى دمشق أين توفي. المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 161-167؛ ج 4، ص 307.
- 3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص 493.
- 4) الغريبي: المصدر السابق، ص 158.
- 5) المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 161-167؛ ج 4، ص 307. الذي لم يشر إلى مروره ببجاية وإقامته بها لمدة تقارب الثلاث سنوات.
- 6) الغريبي: المصدر نفسه، ص 159.
- 7) المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 162؛ ورايح بونار، هامش عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 159-160. ويذكر الطاهر بونابي أن ابن عربي دخل بجاية مرتين في طريقه إلى تونس سنة 590هـ/1193م، وزار في طريق عودته تلمسان، والمرة الثانية كانت سنة 597هـ/1200م في طريقه إلى المشرق ومكث بها مدة لا تزيد عن السنة، وعقد لقاءات مع الطرطوشي (ت 611هـ/1215م) في تلمسان، سنة 597هـ/1200م ومع الزاهد عبد الحق الإشبيلي، وخلال هذه الفترة التي قضاه في المغرب الأوسط لم تتبلور أفكار ابن عربي حول وحدة الوجود بع مع ما ستصبح عليه في المشرق، لهذا لم يتأثر علماء المغرب الأوسط في البداية بتلك الأفكار. التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 76-77.
- 8) ابن شاكر: المصدر السابق، ص 436.
- 9) المقرئ: نفع الطيب، ج 2، ص 166؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ص 436-437.
- 10) عبد المجيد الصغير: المرجع السابق، ص 171.

ولم ير المغرب الأوسط الشيخين الصوفيين السابقين فقط بل عددا كبيرا من المتصوفة المتضلعين في مختلف العلوم والمعارف، سواء الذين مروا على تراهه الطاهر، وتركوا بصماتهم، وتلاميذهم، أو من أبنائه البررة ومنهم:

أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت 580هـ/1184م)⁽¹⁾ الفقيه المالكي، الحافظ، المتكلم، من القضاة نشأ ببجاية، وهو من أصحاب الولي المتصوف الشيخ أبي مدين التلمساني له كتاب في علم التذكير، سماه "التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"⁽²⁾ نسجه على منوال كتاب الإحياء للغزالي، حتى أضحى الكتاب متداولاً بين البجائيين وغطى بشهرته الإحياء آنذاك⁽³⁾.

كما نزل الزاهد أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي (ت 610هـ/1214م) تلمسان منذ عام 574هـ/1188م وأثرى الأدب الصوفي بمؤلفات أبرزها كتاب "الأربعين في الفقر وفضله" وكتاب "الحب لله" كان يدرسها على الطلبة والمريدين، وفي مضمونها دعوات إلى التصوف⁽⁴⁾.

أما إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 611هـ/1215م) نزيل تلمسان وكان ذا كرا لحديث أهل التصوف دائماً في مقامه، فيطرز مجالسه بأخبارهم⁽⁵⁾ ألف كتاب "شرح أسماء الله الحسنى" و"شرح كتاب محاسن المجالس" لأبي العباس بن العريف⁽⁶⁾ (ت 536هـ/1141م) والمتضمن المقامات التي يمر بها السالك للوصول إلى معرفة الله على طريقة الغزالي، وشرح إرشاد أبي المعالي الجويني إمام الحرمين⁽⁷⁾.

والفقيه الكبير المتصوف الزاهد أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م)⁽⁸⁾ ولد في بني عيسى من قبائل زواوة⁽⁹⁾ وقرأ في أول أمره بقلعة بني حماد، على يد الشيخ الصالح أبي عبد الله بن الخراط وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي الفضلاء والأخيار من المشايخ والفقهاء

(1) ابن قنفذ: انس الفقير، ص34.

(2) التنبوكتي: نيل الابتهاج، ص156-157.

(3) الغريبي: المصدر السابق، ص66-67؛ والقراي: المصدر السابق، ص66.

(4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص305؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص305-306؛ الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص78.

(5) ابن فرحون: المصدر السابق، ص147.

(6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص200؛ ويحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص128؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص147؛ ومحمد مخلوف: المرجع السابق، ج 1، ص173.

(7) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص80؛ و التصوف العرفاني، ص326.

(8) الغريبي: المصدر السابق، ص137-138.

(9) التادلي: المصدر السابق، ص428؛ ومفتاح خلفات: المرجع السابق، ص263.

والمتصوفة، ثم استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق، وجلس بها لنشر العلم، وكان يعتمد على نفسه حتى في صيد السمك، وما من ناحية إلا وله فيها مسجد ومعلم، وكرماته أكثر من أن تحصى⁽¹⁾.
إضافة إلى هؤلاء المتصوفة بالمغرب الأوسط المتصوف محمد بن أحمد بن الحجام (ت 614هـ/1217م)⁽²⁾ كان حافظ زمانه، تنفعل لوعظه القلوب، وكان ذا حافظه غزيرة يحفظ من سمعة واحدة، وكان ذا صوت حسن⁽³⁾، كما كان ذا حظ وافر في الأدب والشعر له كتاب في الوعظ "حجة الحافظين ومحجة الواعظين" اختصره بعده أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طفيل في سفر واحد، سماه مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار⁽⁴⁾، ومن شعره في التصوف:

غريب الوصف ذو علم غريب عليل القلب من حب الحبيب
إذا ما الليل أظلم قام يبكي ويشكو من يجن من النحيب⁽⁵⁾

ولا بد من ذكر الصوفي أبي عبد الله الشوزي الاشبيلي المعروف بالحلوي (كان حيا في بداية القرن 7هـ/13م)⁽⁶⁾ نزيل تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور (أو عين النور حسب تصحيح المحقق) بخارج باب القرمدين بتلمسان⁽⁷⁾ وتكلم في فضل البسملة عشرة أيام، وما أكل في نهار قط، وهذا دليل على زهده في الدنيا وتقشفه، وقد أوى إلى الكهف رفقة ابن دهاق، خارج باب كشوطة بتلمسان، وقيل أنه ولي القضاء باشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن، ثم فر بنفسه منه وآوى إلى تلمسان في زي الجانين، إلى أن توفي ودفن خارج باب علي بتلمسان⁽⁸⁾ وبذلك ساهم في نشر التصوف بتلمسان في شكله الشعبي المتمثل في نزعة الزهد والخلوة، كما دعم نظرية الوحدة المطلقة⁽⁹⁾.

(1) الغبريني: المصدر نفسه، ص136.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الحجام، ولد بتلمسان عام 558هـ/1163م، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها، ثم استقدمه الخليفة المنصور الموحدى إلى مراكش فسكن بها وحظي عند المنصور، وعند المتولين من بعده (الناصر والمستنصر)، وتقلد عدة وظائف بالمغرب والأندلس، وتوفي بمراكش عام 614هـ/1217م. التادلي: المصدر السابق، ص439-440.

(3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص266؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص173.

(4) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص352-353.

(5) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102-103 مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص263..

(6) سمي بالحلوي لأنه كان يبيع الحلوى للصبيان ويتصدق بالثمن. يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص127؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص68-70.

(7) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص127، ص159.

(8) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

(9) الطاهر بوتاي: التصوف في الجزائر، ص81.

إلى جانب بعض أصحاب أبي مدين شعيب كـمحمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1227-1228م)⁽¹⁾ وقد صحب أيضا الولي أبا عبد الله محمد بن محيو الهواري⁽²⁾ وألف كتاباً مهمةً في التصوف منها "إرشاد المسترشد و بغية المرید المستبصر المجتهد" في سفر صغير، و كتابه الثاني "الإيماء إلى نجاة المرید" في جزء، ومجموع شعري في المواعظ في جزء واحد⁽³⁾.

كما شكلت حركة هجرة صوفية الأندلس إلى المغرب الأوسط على مدار القرنين (6-7هـ/12-13م) عاملاً رئيسياً أدى إلى دخول المصنفات الصوفية ورواجها، فألف أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي البجائي (ت 581هـ/1185م) ببجاية مجموعة من المؤلفات الزهدية، أبرزها كتاب "الزهد" وكتاب "الصلاة والتهجد" في سفر واحد⁽⁴⁾ وكتاب "أشعار زهدية في أمور الآخرة" حيث يقول عنه الغبريني ورأيت كتاباً مجموعاً من شعره كله في الزهد وفي أمور الآخرة⁽⁵⁾ فضلاً عن كتاب "العاقبة في ذكر الموت"⁽⁶⁾. وصارت هذه المؤلفات عند البجائيين مراجع يتغدون منها روحياً، لدرجة أنهم كانوا يقرأونها عند قبر مؤلفه⁽⁷⁾.

ناهيك عما ألفه عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليحفشي الفزازي (ت 627هـ/1229م بمراكش)، نزيل تلمسان، له في الزهد أشعار سُمعت منه وسارت عنه⁽⁸⁾ ومال إلى التصوف وشهر به، وصحبه المریدين والسعي في مطالبهم، والتشدد على أهل البدع⁽⁹⁾ فله قصائد في مدح النبي(ص) و ذكر صفاته والإشادة بمعجزاته والتشوق إلى زيارة قبره، حتى لقب بصاحب الأمداح في سيد الوجود محمد(ص) وعلق على ذلك المقرئ بقوله " له في مدح النبي(ص) بدائع قد خضع لها البيان وسلم..."⁽¹⁰⁾.

وأدى انتشار التصوف في كل بلاد المغرب والأندلس إلى انتقال العديد منهم إلى المغرب الأوسط ومنهم علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحراي التيجي(ت637هـ/1239م)⁽¹¹⁾ ولد بمراكش⁽¹²⁾

-
- 1) السملالي: المرجع سابق، ج4، ص184؛ الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.
 - 2) هو أبو عبد الله محمد بن محيو الهواري، من أهل تونس كبير الشأن من أهل العلم والعمل. التادلي: المصدر السابق، ص179-181.
 - 3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص319.
 - 4) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.
 - 5) الغبريني: المصدر السابق، ص74.
 - 6) محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص156؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص207.
 - 7) الغبريني: المصدر السابق، ص74.
 - 8) التنبوكتي: نيل الابتهاج، ص240؛ وابن عسکر وابن خميس: المصدر السابق، ص261.
 - 9) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585.
 - 10) ابن الأبار: تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 3، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، 1989، ص185. المقرئ: نفع الطيب، ج4، ص468.
 - 11) ابن الأبار: التكملة، ج2 (طبعة مدريد)، ص687؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330؛
 - 12) المقرئ: نفع الطيب، ج2، ص187؛ وابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص336.

ثم رحل إلى بجاية، ومكث بها زمنا غير معلوم، ثم اتجه إلى المشرق، أين التقى بجملة من العلماء الكبار، منهم الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشريف⁽¹⁾، وللشيخ تآليف حسنة في التصوف منها كتاب "شمس مطالع القلوب وبدر طواع الغيوب"⁽²⁾، وكتاب "صلاح العمل لانتظار الأجل"⁽³⁾ وأذكار لحزبه كان يتلوه عقب صلاة الصبح⁽⁴⁾، وشعر فائق رائق⁽⁵⁾ كما وضع الحزالي حكماً رائعة جمعها في كتاب "سعد الواعي وأنس القاري" وهي تضم أربعاً وسبعين ومائة حكمة⁽⁶⁾.

أما محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)⁽⁷⁾ الاشيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ، فقد وضع كتاب "شرح أسماء الله الحسنى" وله في التصوف نظم حسن كثير⁽⁸⁾ حيث زهد في أواخر حياته، وترك الوظيفة وعاد من الأندلس إلى مسقط رأسه تلمسان، حيث يقول عنه ابن عبد الملك المراكشي: "ثم تخلى عن ذلك ولزم الانقباض، وآثر الخلوة والعزلة عن الناس، ونبذ علاقته منهم، وله في طريقة الزهد وسبل الخير والوعظ والتذكير وتزيه الباري منظومات بديعة، وقفت على كثير منها بخطه الأنيق ومنها: الحقائق المصونة في الألفاظ الموزونة في ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته واقتباس أنوارها من مخلوقاته الباهرة ومصنوعاته"⁽⁹⁾، وترك قصائد صوفية زهدية تبين ورعه وتركه للملذات الحياة وخوفه من الله ومنها قصيدته في التضرع إلى الله :

نوالك أستسقي وبابك أقرع
ومالي إلا في حياضك مورد
ومالي إلا في هباتك مطمع
ومالي إلا في ظلالك مرتع⁽¹⁰⁾

-
- 1) الغبريني: المصدر السابق، ص146؛ والمقري: نفع الطيب، ج2، ص189.
 - 2) حاجي خليفة: المصدر السابق، ج2، ص1061.
 - 3) المرجع نفسه، ج2، ص1082.
 - 4) الغبريني: المصدر نفسه، ص154؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص19.
 - 5) الغبريني: المصدر نفسه، ص148. ومذهبه الصوفي يعتمد على أن نظرية المعرفة عنده تتصل بنظرية الفيض عند ابن سينا، والأفلاطونية الحديثة، وإلى ذلك يشير بقوله:
- وشمس على المعنى تطالع أفقنا *** فمغربنا فينا ومشرقها منا
- كما أن المعرفة عنده لا يتوصل إليها بالعقل بل يتوصل إليها بالحدس والكشف وقد يكون العقل عائقاً للإنسان على الوصول إلى المعرفة الحقة وإلى ذلك يشير بقوله :
- كلما رمت بذاتي وصلة *** صار لي العقل مع العلم حلم
- وقد يفهم الحلول من قوله السابق: "فمغربنا فينا ومشرقنا منا" ولكن هذا القول لا يكشف لنا عن فكرة الحلول حقاً ما دمنا لم نعثر على بعض آثار الصوفية الأخرى. راجع بونار، هامش، عنوان الدراية، ص157.
- 6) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص23.
 - 7) الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص333-335.
 - 8) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.
 - 9) الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص314.
 - 10) ابن أبي العيش: المصدر السابق، ص134. ويرجح الطاهر بونابي من خلال أشعار ابن أبي العيش القول بنظرية وحدة الوجود التصوف في الجزائر، ص78.

ناهيك عن مشاركة الأندلسي الآخر أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت675هـ/1276م) وهو الشيخ الإمام المحصل الصوفي⁽¹⁾ وقد نظم في مدة قراءته على الشيخ أبي الحسن الحرالي، القصيدة الصوفية، وكانت من نحو خمسمائة بيت⁽²⁾.

كما لم تقتصر حركة الرحلة من أجل التصوف وتعلم فنونه من الأندلس إلى المغرب، بل كانت هناك حركة أخرى عكسية، حيث قصد كلا من الصوفي يوسف بن علي بن جعفر التلمساني اشبيلية، رفقة الفقيه حجاج بن يوسف الجزائري، وأخذوا بها "الإحياء" عن القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ/1148م)⁽³⁾ بينما قصد كل من الفقيه أبي الحسن بن أبي قنون (ت557هـ/1162م) والزاهد أبي موسى عيسى بن حماد الأوربي، ويعقوب بن حمود التلمساني مرسية، وأخذوا بها عن القاضي أبي علي الصديفي (ت في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م)⁽⁴⁾ وأخذوا عنه "آداب الصحبة للسلمي" و"رياض المتعلمين" و"حلية الأولياء" لأبي النعيم الأصفهاني⁽⁵⁾ ولما عادوا إلى موطنهم عملوا على نشرها بين الطلبة والمريدين⁽⁶⁾.

ويكاد دور صوفية المشرق الطارئ على المغرب الأوسط أن يكون بسيطاً في جلب أو تبسيط مضامين المصنفات الصوفية، إذ لم نعثر سوى على حضور الصوفي أبي محمد عبد الله الشريف الشامي، وجهوده في تدريس كتاب الإرشاد لأبي المعالي بيحاية في القرن (7هـ/13م)⁽⁷⁾. والصوفي الأندلسي أبو عبد الله محمد بن سعادة (ت565هـ/1196م) الذي مكث في تلمسان من 521هـ إلى 526هـ/1127-1131م، وحمل إليها مصنفات المشاركة وعلى رأسهم الغزالي التي كان تلقاها في مكة، عن أبي الحسن علي بن عياش الغساني، تلميذ أبي حامد الغزالي⁽⁸⁾.

وقد كانت تدرس في هذه الفترة عدة كتب للتصوف منها رسالة فضل مكة لأبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري (ت110هـ/733م)، وكتاب قوت القلوب ومعرفة الطريق إلى معاملة المحبوب ووصف طريق المريدين إلى مقام التوحيد لأبي طالب محمد بن علي المكي (ت386هـ/996م)⁽⁹⁾.

1) محمد مخلوف: المرجع السابق، ص201؛ والتنوكتي: نيل الابتهاج، ص280.

2) الغريبي: المصدر السابق، ص87.

3) يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص114؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

4) الغريبي: المصدر نفسه، ص215.

5) المقرئ: فتح الطيب، ج2، ص91-92.

6) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

7) الغريبي: المصدر نفسه، ص177؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

8) المقرئ: فتح الطيب، ج2، ص158؛ الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص71.

9) عبد القادر بوباوية: طرق التدريس، ص55.

إضافة إلى كتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي (ت 254هـ/895م)، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت 465هـ/1072م) وإحياء علوم الدين للغزالي (ت 505هـ/1111م) (1)

أما بخصوص تأثير الإنتاج العقلي والصوفي في العهد الموحد، فقد كان قويا من خلال اهتمام التلمسانيين بمرشدة ابن تومرت (ت524هـ/1118م) والتبرك بقراءتها لقول الصوفي أبي عبد الله محمد بن أبي العباس النقاش: "رأيت العقيدة المعروفة بالمرشدة المنسوبة إلى الإمام المهدي رحمه الله، كثيرا ما يستعملها أهل الفضل من الصوفية ويقرؤونها على جهة التبرك في أذكارهم، وقد تشوف بعضهم إلى بسط ألفاظها وشرح معانيها"⁽²⁾.

6- العلوم الأدبية

لابد من النص أولا، على المراد بالعلوم الأدبية، فحسب ابن خلدون تحتوي على أربعة أركان وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب⁽³⁾ وحسب كاتب معاصر فهي ما يشمل النحو واللغة والعروض

1) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 63. حيث أدخل كتاب الغزالي أبو محمد عبد السلام التونسي (ت 512هـ/1114م) وأبو الفضل بن النحوي (ت513هـ/1115م) كما استطاعا نشره في صفوف الطلبة ومنهم محمد بن علي بن جعفر المعروف بابن رمامة (ت567هـ/1171م) فضلا عن جهود أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م) ودخل بجاية والقلعة، وغيرهم من العلماء. الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 64-67.

2) الدررة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، مخطوط الخزنة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم 2691، ورقم 305؛ نقلا عن الطاهر بونابي: التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 325.

3) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 336.

علم البيان: هو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده وتقصده بما الدلالة عليه من المعاني. ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 244.

والبيان والتاريخ والسير⁽¹⁾ وقد شهد العهد الموحدى حركة أدبية واسعة ظهرت قوية، متفوقة، ساعد على قوتها وازدهارها تشجيع الخلفاء الموحدين وولاتها للأدباء والشعراء، و اجز المم العطاء لهم⁽²⁾. وهذا ابن تومرت الذي اهتم باللغة العربية ودرسها في المشرق دراسة جيدة⁽³⁾ جعل للغة أهمية كبرى، لا باعتبار أنها لغة التعليم فحسب بل لثبوت الشريعة الإسلامية في وجوبها لإتقان القرآن⁽⁴⁾ وهو ما جعل ابن تومرت يجد صعوبات كبيرة مع البربر في البداية⁽⁵⁾ وكذلك انتشرت اللغة العربية بدولة الموحدين باعتبارها لغة البلاد الرسمية في المكاتبات والمعاملات وشئون الدولة وكان لمجيء العلماء إلى المدن دور كبير في انتشار اللغة العربية وازدهارها، وكان أيضا لقدم القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي أثر كبير في دعم اللغة العربية وانتشارها لتمسك هذه القبائل البدوية باللسان العربي⁽⁶⁾ وكون اللغة العربية أنها لغة القرآن والشريعة والإسلام⁽⁷⁾.

أما ما زاد من اهتمام علماء العهد الموحدى في المغرب الأوسط باللغة، نشاط حركة البحث في العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه وحديث، وشعور العلماء الدارسين لهذه العلوم، بحاجتهم إلى دراسة علوم اللغة، إذ هي الأساس لفهم كثير من مسائل هذه العلوم⁽⁸⁾.

أ- النشر الأدبى الفنى⁽⁹⁾

النحو هو: هو استنباط قوانين ملكة الكلام وقواعد تسيرها ويلحقون الأشياء بها بالأشياء، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغير هذه الحركات، فاصطلحوا على تسميتها إعرابا، فصارت كلها اصطلاحات خاصة بالعرب فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص237-238.

الأدب: هو الإحادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص248.

(1) عبد كنون: المرجع السابق، ج1، ص126.

(2) محمد طمار: تلمسان، ص75.

(3) بلقاسم فيلاي: المرجع السابق، ص148.

(4) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص60.

(5) عبد المجيد النجار: المهدي، ص169-170.

(6) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص274.

(7) شقرون محمد: مظاهر الثقافة المغربية، ص205.

(8) نفس المرجع والصفحة.

(9) **النثر هو** كلام غير موزون وفيه سجع والمرسل، ويقصد بالسجع هنا اتفاق آخر الحرف في القطعة النثرية، وهو يشبه القافية في الشعر ومنها المراسل الذي يطلق على الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص272.

لقد اهتم الخلفاء الموحدون بالعلوم الأدبية ومنهم الخليفة يعقوب المنصور (ت 595هـ/1198م) الذي كان أديبا فصيحاً جزل اللفظ، يجمع حوله شعراء العصر من العدوتين ينصت إلى مدائحهم ويغمرهم بصلاته، وقد ظهرت ميوله الأدبية منذ شبابه المبكر، لأنه تربى تربية علمية وأدبية⁽¹⁾. والعلوم النثرية كثيرة منها: علم النحو، حيث ظهر النحاة الذين كان لهم مقام كبير، وألفوا الكتب، التي ما تزال تنبئ عن رسوخ قدمهم في هذا العلم بعلو قدرهم، وقد كانت لها سوق رائجة بالمغرب الأوسط⁽²⁾ فهذا اللغوي عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت 561هـ/1165م) الأديب البارع، صنف كتاباً هذب فيه الاشتقاق الذي صنفه المبرد، وقد ذكر القفطي بأنه رآه بخط يده فأحسن فيه⁽³⁾.

إضافة إلى عميد الكتابة في الأدب على عهد الموحدين بالمغرب الأوسط محمد بن محرز بن محمد الوهراني (ت 575هـ/1169م)⁽⁴⁾ الملقب بركن الدين⁽⁵⁾ "أحد ظرفاء العالم وأدبائهم"⁽⁶⁾، له في صناعة الإنشاء، كان بارعا في الهزل والسخرية، وعمل المنامات والرسائل المشهورة، وهي كثيرة الوجود بين أيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته، وكمال ظرفه⁽⁷⁾ وصفه الذهبي بأنه "صاحب المزاج والدعابة والمنام الطويل، الذي جمع أنواعا من المجون والأدب"⁽⁸⁾ وقال عنه ابن خلكان "لو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته"⁽⁹⁾. كما أن الزاهد المتصوف أبا مدين شعيب (ت 594هـ/1197م) ترك نماذج رائعة من نثره، رسالة كتب بها إلى الشيخ الصالح أبي محمد عبد العزيز جوابا عن رسالة بعث بها إليه⁽¹⁰⁾.

والفقيه الأديب أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي (ت ق 7هـ/13م) من جزيرة شقر وسكن مرسية ثم تلمسان، وقد تعلم على يد أبي عبد الله بن يحيى بن داود التادلي ولازمه

1) عبد الهادي حسييس: المرجع السابق، ص 315-316.

2) حكيمة إملولي: لأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم "العهد الموحدى نموذجاً" مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص 39.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص 225.

4) ابن خلكان: المصدر السابق، ج 4، ص 385؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 350.

5) الذهبي: العبر، ج 3، ص 69-70؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص 350.

6) الصفدي: المصدر السابق، ج 4، ص 273.

7) ابن خلكان: المصدر نفسه، ج 4، ص 385؛ وإسماعيل باشا البغدادي: المصدر السابق، ج 2، ص 98.

8) أنظر: العبر، ج 3، ص 70.

9) أنظر: وفيات الأعيان، ج 4، ص 385. ويقول عنه الصفدي أنه سلك فيه نفس مسلك أبي العلاء المعري في "رسالة الغفران" لكنه

أطف مقصدا وأعذب عبارة. أنظر: الوافي، ج 4، ص 273-274.

10) للمزيد انظر ابن قنفذ: انس الفقير، ص 99.

في النحو والأدب، وانتفع كثيرا في الطريقة الأدبية بابي العباس بن علي بن مطرف، وأبي محمد بن باديس وكان ذا حظ من النظم والنثر، شديد العناية بتقعيد الأشعار والرسائل⁽¹⁾.

بما أن الأدب أصبح خلال العهد الموحدى سوق نافقة، ظهر محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البجائي، الجزائري، ويعرف بالأشيري، النحوي، أخذ العربية عن أبي موسى الجزولي⁽²⁾، حيث لقيه بالجزائر سنة 580هـ/1184م⁽³⁾، ولقي بقابس أبا قاسم بن مجكان آخر الرواة عن أبي عبد الله المازري، فسمع منه، وأقرأ ببلده العربية⁽⁴⁾، وحدث بالتيسير وروى⁽⁵⁾، ومات أول الحرم سنة 643هـ/1245م⁽⁶⁾. كما ألف ابن دحية (ت 633هـ/1235م) نزيل تلمسان وبجاية⁽⁷⁾ كتاباً مهماً في النحو هو الصارم الهندي في الرد على الكندي، في مسألة من علم العربية⁽⁸⁾.

ومثل النحو ازدهرت اللغة والعروض والبيان، فقد كانت لها مكانة مهمة، ومنهم خطاب بن أحمد بن عدي (ت ق 6هـ/12م)⁽⁹⁾ ذكره الفقيه أبو الحاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي ببغداد، أن خطابا كان إماما فاضلا، وله شعر حسن ويد بأسطة في اللغة⁽¹⁰⁾، إضافة إلى لغوي مخضرم عاش الفترة الحمادية والموحدية وهو أحمد بن عبد الجليل التدمري (ت بعد 555هـ/1160م) نشأ بالمرية، وكان عالما بالعربية والأدب، واستأدبه سلطان مراکش لبنيه، وله حظ في قرض الشعر وسكن بجاية وقتا وألف بها كتاب "نظم القرطين، وضم أشعار السقطين" جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي، وله كتاب التوطئة في العربية، وله شرح على كتاب الفصيح، وشرح أبيات الجمل سماه "شفاء الصدور" وآخر "اختصاره منه سماه" المختزل"، وله كتاب "الفوائد والفرائد"⁽¹¹⁾

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 15-156؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص 165.

2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص 356-357.

3) الغريبي: المصدر السابق، ص 319.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 753-754.

5) ابن القاضي شهية: المصدر السابق، ص 237.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 754.

7) الغريبي: المصدر نفسه، ص 228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1420.

8) كان حضر ابن دحية والتاج الكندي عند الوزير ابن شكر فتنظرا، وأورد ابن دحية حديث الشفاعة، فلما وصل إلى قول الخليل عليه السلام "إنما كنت خليلا من وراء وراء" فتح ابن دحية الهمزتين فقال الكندي "وراء وراء بضم الهمزتين" فمسر ذلك على ابن دحية، فصنف في هذه المسألة كتابه الصارم، وبلغ ذلك الكندي فعمل مصنفا سماه "تنف اللحية من ابن دحية". مقدمة محقق كتاب: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ز؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 161.

9) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ج 2، ص 341.

10) نفس المصدر والصفحة؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 459.

11) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 1، ص 138؛ وإبراهيم حر كات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص 139.

كما لمع في البلاط الموحدية محمد بن أحمد السلمي (كان حيا 557هـ/1162م) حيث كان مولعا بطريقة الكتابة، وله في الشعر بعض النفوذ، وقد كتب لولاية بلده، ولربما لولاية تلمسان كذلك⁽¹⁾. ولا بد من ذكر مشاركة العديد من الفقهاء في اللغة والذين لهم أثر بارز فيها، باعتبارها أساس بقية العلوم وعلى رأسهم الفقيه عبد الحق الاشبيلي البجائي (ت 581 هـ/1185م) الذي ألف كتاباً في اللغة سماه الحاوي وهو في ثمانية عشر مجلداً⁽²⁾ وكتاب الغريين في اللغة يضاهاه الغريين للهروي، أثنى عنه جماعة من الشيوخ⁽³⁾.

لقد أشارت مصادر التراجم إلى كثير من أعلام المغرب الأوسط الذين انتظم بعضهم في كتاب الدولة الموحدية، منهم الأديب النحوي ابن محشوة-أو محشرة- وهو أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي الأديب الكاتب الذي نشأ في بجاية وهو أشيري الأصل⁽⁴⁾ وأخذ عن أبي القاسم القالمي⁽⁵⁾. وعن أبي محمد عبد الحق بن الخراط، وكان بليغ الأدب بارع الكتابة رائق الخط⁽⁶⁾ كتب ليوسف بن عبد المؤمن، ثم لأبيه يعقوب، ثم لحفيده الناصر⁽⁷⁾ وفي مجموعة الرسائل الموحدية عدد من الرسائل مدبجة بقلمه⁽⁸⁾ تشهد بتفوقه، وتفننه بأساليب البلاغة، فظهر في هذا المنصب بمقدرته، وروعة أسلوبه وبيانه، وتوفي رحمه الله سنة 598هـ/1201م⁽⁹⁾.

كما برع الأديب المبرز الحسن بن حجاج المواربي (ت بفاس 598هـ/1202م) أبو علي، كان كاتباً بليغاً، من فقهاء المالكية، أصله من بجاية⁽¹⁰⁾، ويوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي يكنى الحجاج (ت 604هـ/1207م) من أهل مالقة، ونزيل بجاية في عهد فقيها عبد الحق الاشبيلي⁽¹¹⁾ وكان موفور الحظ من علم اللغة والأدب ذاكرة لهما متقدما فيهما، حيث ألف كتاباً كبيراً سماه "كتاب

(1) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص274؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459.

(2) الغريين: المصدر السابق، ص74. أما في الديباج المذهب اسمه الواعي في اللغة وهو نحو خمسة وعشرين سفراً. ابن فرحون: المصدر السابق، ص278، والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1351.

(3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ وابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص98-102.

(4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص260؛ وبغدادى غربي: المرجع السابق، ص145-148.

(5) عبد الحميد حاجيات: تلمسان، ص37.

(6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص260.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص207.

(8) من الرسالة السادسة والعشرون إلى الرسالة الرابعة والثلاثون كلها بخط يده. مجموع رسائل موحدية، اعتنى بإصدارها، لفي بروفنسال، ص149-228.

(9) الغريين: المصدر نفسه، ص85؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص260.

(10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص33؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص696؛ وعادل نويهض: المرجع

السابق، ص337؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص27-28.

(11) ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق بروفنسال، ص217-218.

ألف باء للإلباء" جمع فيه أدبا كثيرا وتاريخا ومواعظا، وكل ما فيه منتقى حسن، وشعر كثير، جمعه في كتاب سماه "التكميل"⁽¹⁾.

إضافة إلى عالم جيان، هو مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت 604هـ/1207م) يكنى أبا ذر ويعرف بأبي رُكب أخذ عن أبيه الأستاذ أبي بكر علم اللغة العربية والآداب، وسمع عن أبي مروان عبيد الله بن هشام الحضرمي بتلمسان، وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي بجاية، وقرأ كتاب سيباويه وكان "رئيسا في صناعة العربية عالما بما قائما عليها، درّسها حياته كلها، كما أخذ بحظ من قرض الشعر وله تأليف في شرح غريب السير لابن اسحاق، وتأليف صغير في العروض، وكان نحويا مقيدا"⁽²⁾ ومن أدباء المغرب الأوسط الذين لهم باع طويل فيه مروان بن عمار البجائي الذي قال عنه ابن الأبار: "وكان من الأدباء النبهاء، مشاركا في أبواب من العلم" توفي سنة 610 هـ/1214م⁽³⁾.
ومع بداية القرن السابع الهجري فقد المغرب الأوسط فقيهاً وأديباً هو أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م) من أقطار بجاية، والناس ينسبون فيه الحسنواوي⁽⁴⁾ له كتاب الدرّة الألفية في علم العربية⁽⁵⁾.

ومساهمة الفقيه الأديب محمد بن عبد الحق اليفرنى (ت 625هـ/1227-1228م)⁽⁶⁾ التلمساني كان راوية فقيها أديبا⁽⁷⁾ له كتاب لباب الإعراب، وهو جزء كبير⁽⁸⁾.
وظهر على عهد الموحدين محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628هـ/1230م) الذي كان له حظ وافر كذلك في النشر على غرار الشعر، حيث يشهد له ابن عبد الملك المراكشي أنه "كان أديبا بارع النظم والنثر...متحققا بالنحو، متقدما في حفظ اللغات والآداب... ونثره حافل، وقد وقفت عليه، ومنه جزء سماه عجالة المودع وعلالة المشيع"⁽⁹⁾ كما له شرح مقصورة ابن دريد⁽¹⁰⁾.
أما الأديب يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، أبو الحسين، زين الدين (ت 628هـ/1230م) غهو عالم واسع الشهرة في العربية والأدب، سكن دمشق زمنا، ورغبه الملك الكامل محمد في الانتقال إلى مصر، فسافر إليها ودرّسها الأدب في الجامع العتيق بالقاهرة وترك عدة

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص737.

2) المصدر نفسه، ج2، ص385-386؛ وابن أبي زرع: الذخيرة، ص42-43..

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص384.

4) الغريبي: المصدر السابق، ص135؛ ومفتاح خلفات: المرجع السابق، ص263.

5) التادلي: المصدر السابق، ص428؛ ورايح بونار هامش عنوان الدراية، ص205.

6) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

7) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص396.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

9) أنظر: الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص324؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.

10) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص91.

مؤلفات منها" المثلث في اللغة" و"العقود والقوانين في النحو" و" الفصول الخمسون في النحو" وديوان
خطب، وديوان شعر، وأرجوزة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجمهرة، والبديع في صناعة الشعر⁽¹⁾
منهم كذلك الأديب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري
(ت629هـ/1231م)⁽²⁾ و هو النحوي، الأستاذ اللغوي، كان بارع الخط، حسن الضبط⁽³⁾ إضافة
إلى بعض اللغويين الذين أظلمهم المغرب الأوسط في العهد الموحد، بظله وجعلهم يتركون آثارا باقية
كالأديب أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي
(ت629هـ/1231م) وهو من برشانة، استقصى بسبته ثم تلمسان ومن المؤكد أنه قد درس بها كما
يفعل في كل بلد يحل به، وكانت له عناية تامة بالأدب⁽⁴⁾.
ولا ننس أديب زمانه اللغوي أبو الخطاب عمر⁽⁵⁾ بن دحية⁽⁶⁾ الكلبي (ت 633هـ/1235م)
يقول عنه الغبريني"إنه كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا
عليه، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف محفوظة من مستعمله"⁽⁷⁾، وهو من الحفاظ
التقات، استوطن بجاية وترك تراثا كبيرا من المؤلفات والمصنفات والكثير من الكتب، منها"العلم المشهور
في فضائل الأيام والشهور"، و"شرح أسماء النبي(ص)"⁽⁸⁾.
روي أن والي بجاية جهز قطعا بحرية بعث فيها بعض الغزاة إلى المغرب، فأخذ خديماً لأبي الخطاب
في جملة هؤلاء الغزاة أثناء إقامته ببجاية، فكتب إلى الوالي رسالة مغلقة مقلقة-من كثرة ما استعمل فيها
من الغريب من الألفاظ- فلم يفهم الوالي معناها حتى استحضر كتب اللغة، الصحاح وغيره⁽⁹⁾، وهذا
كله يبين مدى ما وصلت إليه علوم اللغة في المغرب الأوسط من تطور وتوسع (لاحظ بعض فقرات
الرسالة في الملحق رقم 11).

لقد شاركت أغلب حواضر المغرب الأوسط في الأدب ومنهم، عبد الله بن نعيم الحضرمي
القرطبي، القسنطيني(ت بها سنة 636هـ/1238م) وصفه الغبريني الكاتب المحصل، الأديب البارع⁽¹⁾.

-
- 1) الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص155؛ وإبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص128.
 - 2) القفطي: المصدر السابق، ج2، ص140.
 - 3) الغبريني: المصدر السابق، ص225.
 - 4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص146؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 464-465؛
وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.
 - 5) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص280-281 و في بعض النسخ الحسين. رايح بونار: هامش عنوان الدراية، ص228.
 - 6) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.
 - 7) أنظر: عنوان الدراية، ص228.
 - 8) المقرئ: نفع الطيب، ج3، ص136-137؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.
 - 9) الغبريني: المصدر نفسه، ص229؛ وعبد كنون: المرجع السابق، ج1، ص127.
- 1) هو أبو الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب بن خليفة بن عبد الله بن الوليد بن أبي الوليد. الغبريني: المصدر السابق، ص271.

كما نذكر مساهمة محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)⁽¹⁾ الاشيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ⁽²⁾ له مساهمة رائعة في الجانب الأدبي والشعري منها تأليفه لكتاب نثري وفقهي هو "التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة" حيث أهدى هذا الكتاب للخليفة الموحد الرشيد، الذي استطاع القضاء على ثورة ابن عمه يحيى المعتصم ومعارضيه وأعلن الصفح والعفو عنهم سنة 634هـ/1232م⁽³⁾.

ومساهمة أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني أصلاً⁽⁴⁾ التلمساني داراً، كان من صدور الكتاب، ورسالته إلى ابن عياش⁽⁵⁾ تدل على علو طبقتة في النثر⁽⁶⁾.

كل ذلك يبين مواكبة علماء المغرب الأوسط في هذا العهد دراسة المؤلفات التي ألفت في العصور التي سبقتهم في هذا الجانب، ككتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ/791م) وكتاب سيبويه (ت 180هـ/796م) في النحو، وكتاب الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 229هـ/843م)، وكتاب آداب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م)، وكتاب العقد الفريد لأبي عمر بن عبد ربه (ت 328هـ/939م)، وكتاب الجمل للزجاجي (ت 340هـ/901م)، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي (ت 377هـ/987م)، ومفصل الزمخشري (ت 538هـ/1143م)⁽⁷⁾.

ب- الشعر

من المعلوم أن الدولة الموحدية كانت أول دولة مغربية، حرصت على الشعر يقال فيها، والمدح يسجل مفاخرها، ولهذا وجدنا أول خلفائها، عبد المؤمن يستدعي إليه الشعراء، وقد حل بجبل الفتح، فيقول فيه هؤلاء ما قالوا، ويتولاه بالتعليق عليه استحساناً أو استهجاناً أو استثاراً⁽¹⁾.

-
- 1) الخفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.
 - 2) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.
 - 3) ابن أبي العيش: المصدر السابق، ص18.
 - 4) نسبة إلى مدينة برشانة، وهي حصن من حصون بسطة في ناحية جيان، وجيان هذه مملكة حليمة، بوسط الأندلس، معروفة بالبخارت والأخشاب، وهي بين غرناطة وطليلة ومرسية. ابن سعيد: المغرب، ص49.
 - 5) أحد كتاب الدولة الموحدية كتب ليعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ثم لابنه الناصر ثم لابنه المستنصر، توفي عام 611هـ/1213م. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص468.
 - 6) الرسالة تبدأ بـ"يا سيدي ولا يُنادى غيرُ الكرام، وعمادى ولا يُعتمد إلا على من يصرفُ صروف الأيام نداء من يمت بالجوار القلم، ويشفعُ بنسبِ الأدب الذي لا يرعاه إلا كريم، مع ولاء لو والى به الصباح ما عَرَبَ عن ناظره، وصفاء لو صاقى به الدهر ما كدَّرَ من خاطره" ابن سعيد: المغرب، ج3، ص409.
 - 7) الغريبي: المصدر السابق، ص197؛ وعبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص55.
- 1) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص98-102؛ محمد بن تاويت: أصداء في الأدب الموحد، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة 11، العدد 9-10، غشت/جمادى الأولى 1968، ص95.

كما أن الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي (ت558هـ/1162م) وهو من المغرب الأوسط لم يكن رجلا سياسيا وحربيا فحسب بل كان أيضا أدبيا له شعر رائق حسن ⁽¹⁾ قاله يستنفر فيه عرب إفريقية إلى غزو الأندلس لما عزم على العبور إليها عام538هـ/1144م ومنه:

أقيموا إلى العلياء هُوجَ الرِّوَا حِلِ وُقودُوا إلى الهيجا جُرَدَ الصَّوَاهِلِ
وَقوموا لنصرِ الدينِ قومةً تائِرٍ وشُدُّوا على الأعداءِ شُدَّةَ صائِلِ ⁽²⁾

كما وهب عبد المؤمن أحد الشعراء ألف دينار على بيت واحد أنشده أياه

ما هزَّ عطفه بين البيض والأسلِ مثلُ الخليفة عبد المؤمن بن علي ⁽³⁾

ولم يشذ شعراء المغرب الأوسط عن هذه القاعدة، فنبغ الكثير، فمنهم الأمراء الشعراء، ومنهم

الأدباء، ومن بينهم، علي بن عمر الكومي وكان هذا السيد من الأمراء الأدباء، الذين ازدانت بهم تلمسان في العهد الموحد خصوصاً في ميدان الشعر ⁽⁴⁾ والأمير السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله الكومي بن عبد المؤمن (ت604هـ/1207م) ⁽⁵⁾ كان هذا الأمير منذ صغره مكبا على طلب العلم شغوفاً بالأدب وهو من الأدباء البلغاء والشعراء المجيدين ⁽⁶⁾ وكان كعبة القصاد من أدباء البلاد، يأتونه عاقدي الآمال على إطفاه وبره، فيصدرون عنه، وكلهم أسنة مدح وثناء عليه ⁽⁷⁾، وكان فصيح اللسان، وكاتباً ماهراً، له ديوان شعر نشر مؤخرًا ⁽⁸⁾ وله أيضاً مختصر الأغاني ⁽⁹⁾.

ومن الشعراء الذين حذقوا في الشعر عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ/1165م) ⁽¹⁾ له شرح في قصيدة الحصري ابن عساكر ⁽¹⁾ وقال: سمع مني وكتب عني كتاباً ألفت له لأجله

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص203.

(2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص158؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص372.

(3) هو الفقيه الشاعر أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي. العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ج1، ص128-129؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص239.

(4) المقرئ: نفع الطيب، ج3، ص108-109؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص462-463.

(5) ذكر أولاد عبد المؤمن ستة عشر ذكراً وأشار أن محمداً هو أكبر ولده، لا عبد الله. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص140، ابن سعيد: الغصون اليبانة، ص131. وذكر صاحب الحلل الموشية أن عدد أبنائه الذكور نحو سبعين. مجهول، ص142.

(6) ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص6؛ والود الود: البنية الإيقاعية في شعر الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، ص15.

(7) ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص12؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص168.

(8) ابن سعيد: الغصون اليبانة، ص131-134. اعتمدنا على هذا الديوان خلال البحث. وقد جمع ديوان شعره كاتبه محمد بن عبد ربه الملقب. عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص168.

(9) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص168.

(1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص568؛ وعادل نويهيض: المرجع السابق، ص16-17. وقد ترجم له العديد من المؤلفين منهم الذهبي في كتابه العبر، ومعجم البلدان لياقوت الحموي وتاريخ ابن عساكر وغيرهم.

في من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة، وعلقت عنه شيئا من أخبار أبي الوليد الباجي، وكان أديبا له شعر جيد⁽²⁾.

منهم كذلك أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول (ت564هـ/1168م) من قرية حمزة من عمل بجاية⁽³⁾ الذي حمل عن أبي إسحاق الخفاجي ديوانه الشعري، وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا⁽⁴⁾.

والأديب الشاعر الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة (كان حيا سنة 585هـ/1189م)⁽⁵⁾، وكان متقدما في علم العربية والأدب، وتواشحه في نهاية الحسن، وبها يضرب المثل، وقد جمع شعره في ديوان، رغم أنه لم يعثر عليه حيث يقول الغبريني عنه "وقد قرأت بعض قطع مستحسنة من شعره وأنا أذكرها"⁽⁶⁾ وقد امتدح بني غانية عند احتلال بجاية فتعرض للسجن من بني عبد المؤمن، وكانت له رحمة الله ابنة تسمى عائشة، كانت أديبة أريية فصيحة ليبية وشاعرة مهمة⁽⁷⁾.

ولأبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م) شعرا صوفيا رائعا، وله قصائد ومقطوعات كثيرة، وقد ذكر له المقرئ هذه القصيدة التي نسبت إليه ومنها قوله فيها:

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزمارنا التسبيح والأذكار
وشرابنا من لطفه وغناؤنا نعم الحبيب الواحد القهار⁽⁸⁾

أما الذي يستحق لقب شاعر المغرب الأوسط فهو حسن بن علي بن عمر ابن الفكون هو أبو علي⁽⁹⁾ القسنطيني، الشهير بابن الفكون (كان حيا سنة 602هـ/1205م)⁽¹⁾، قال عنه المقرئ أنه أحد أشياخ العبدري⁽²⁾، شاعر المغرب الأوسط في وقته، كاتب وأديب بارع، من أهل قسنطينة، رحل إلى

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص56؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص330؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص148.

2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص568.

3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص520؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203-204.

4) ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62.

5) عادل نويهض: المرجع السابق، ص241.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص76-77.

7) نفسه، ص78-79.

8) المقرئ: نفع الطيب، ج7، ص143.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص280؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص152.

1) عادل نويهض: المرجع السابق، ص203-204؛ وأما العبدري في رحلته يقول: أنه سال عن تاريخ وفاة ابن الفكون، فلم يجده. أنظر: الرحلة المغربية، ص30-35.

2) وفهم المقرئ هنا إذ أن العبدري لما حل بمدينة قسنطينة سأل من لقيه "وهو الحسن بن بلقاسم ابن باديس" عن الأديب أبي علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني، فذكر ابن بلقاسم أنه أدرك الفكون طفلا صغيرا، ولكنه لا يحفظ عام ولادته أو وفاته. نفع الطيب، ج2،

مراكش، ومدح خليفة بني عبد المؤمن الناصر⁽¹⁾ وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز، وله رحلة نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراكش، وقد وافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي⁽²⁾، ومن نظمه الشعرية قصيدة في بعض سادات بني عبد المؤمن، وهو يصف جمال قصر الرفيع في بجاية⁽³⁾.

وقال عنه ابن قنفذ أنه امتدح الناصر يوم وصوله إلى قسنطينة سنة 602هـ/1205م، بقصيدة عظيمة، وله في ولاية بني عبد المؤمن ببجاية مدائح⁽⁴⁾ وقال عنه الحفناوي "من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم، عزيز النظم والنثر وكأهما أنوار الزهر"⁽⁵⁾.

كما ضمن رحلته هذه بذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش في قصيدة رائعة جاء فيها⁽⁶⁾:

| | |
|---|---|
| فَلَمَّا جِئْتُ مَيْلَةَ خَيْرِ دَارٍ | أَمَأَلْتَنِي بِكُلِّ رِشَاءِ أَبِي |
| وَجِئْتُ بِجَايَةَ فَجَلَّتْ بُدُورًا | يَضِيقُ بِوَصْفِهَا حَرْفُ الرَّأْوِيِّ |
| وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي | بِمَعْسُولِ الْمَرَّاشِفِ كَوَثَرِي |
| وَفِي مَلْيَانَةِ قَدْ ذُبْتُ شَوْقًا | بِلَيْنِ الْعَطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِيِّ |
| وَفِي تَنَسِّ نَسِيْتُ جَمِيلَ صَبْرِي | وَهَمْتُ بِكُلِّ ذِي وَجْهِ وَضِي |
| وَفِي مَارُوْنَةِ ، مَا زِلْتُ صَبًّا | بِوَسْتَانِ الْمَحَاجِرِ لَوْ ذَعِي |
| وَفِي وَهْرَانَ قَدْ أَمْسَيْتُ رَهْنًا | لِظَامِي الْخَصْرِ ذِي رِدْفِ رَوِي |
| وَأَبَدْتُ لِي تَلْمَسَانَ قُدُودًا | جَلْبَنَ الشَّوْقِ لِلْقَلْبِ الْخَلِّي |

كما أن القراءة المتأنية للتراجم تين لنا اشتراك العديد من الشخصيات في مختلف العلوم وعلى رأسها الشعر الذي يعتبر موهبة واستراحة خاطر قد يمارسها أي شخص ومنهم عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت 627هـ/1229م)، نزيل تلمسان⁽¹⁾ قال فيه المقرئ: صاحب القلم

ص483. كما أخطأ ابن القاضي المراكشي عندما قال أخذ عنه العبدري، وربما قام ابن القاضي بالنقل عن المقرئ. درة الحجال، ج 1، ص236.

1) الغبريني: المصدر نفسه، ص280؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص203-204.

2) عمار هلال: المرجع السابق، ص152.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص281؛ ومبارك المليبي: المرجع السابق، ج2، ص337.

4) ابن القاضي: درة الحجال، ج1، ص236؛ المقرئ: نفع الطيب، ج2، ص483؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص124.

5) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص128.

6) العبدري: المصدر السابق، ص30-35.

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585؛ ابن الأبار: ونحفة القاد، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 3، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص185.

الأعلى، والقدح المعلى، أبرع من ألف وصنف... فقد طاع القلم لبنانه، والنظم والنثر لبيانه... أما الأدب فلا يُسبق فيه مضماره، ولا يشق غباره، إن شاء إنشاءً أنشى ووشى... أعجز بتلك المعجزات نظماً ونثراً، وأوجز في تحبير تلك الآيات البيّنات فجلاً سحرًا، ورفع للقوافي راية استظهارٍ تحير فيها الأظهر...⁽¹⁾ وقد ترك هذا الأديب آثاراً أدبية أغلبها في الزهد والمدائح والمواعظ والشفاعات، وقد أُحصيت فبلغت 173 عملاً بين قصيدة ومقطوعة، أما الرسائل فقد أُحصيت منها 26 رسالة، ومن هذه المؤلفات "ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي(ص) والقصائد العشريّات، وقصائد الشوق والغرام، والرسائل الاخوانية"⁽²⁾.

والأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي(ت 628هـ/1230م)، له في الأدب والشعر منها "شرح مقصورة ابن دريد" و"ديوان شعر" وشرح لقصيدة عمر بن أبي ربيعة: أمن آل نعم وكتاب عجالة المودع وعلالة المشيع في الأدب والشعر"⁽³⁾.
 إضافة لأبي الخطاب ابن دحية (ت 633هـ/1235م) نزيل تلمسان وبجاية⁽⁴⁾ ديوان شعر، جمع فيه ترجمة لشعراء المغرب بعنوان المطرب من اشعر أهل المغرب⁽⁵⁾.
 ومحمد بن عبد الله حافي رأسه (ت 680هـ/1281م)⁽⁶⁾ كان من أئمة عصره في العربية، إذ هو أحد النحاة الثلاثة المحمّدين في عصر واحد هو في الإسكندرية، وابن النحاس في مصر، وابن مالك في دمشق⁽¹⁾، وله شعر جيد منه:

ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتا بها وهو لا يدري
 يجر ذبول الكبر طالب رفعة ألا فأعجبوا من طلب الرفع بالجر⁽²⁾

(1) المقرئ: نفع الطيب، ج4، ص468.

(2) أبو زيد الفزازي: المصدر السابق، ص16-18؛ والزركلي: المرجع السابق، ج3، ص342.

(3) ابن عبد الملك: المصدر سابق، السفر الثامن، ص 324؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187؛ والصمدي: المرجع السابق، ص220؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص197.

(4) الغريبي: المصدر السابق، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

(5) المقرئ: نفع الطيب، ج2، ص104؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281؛ وابن دحية: المصدر السابق، ص33.

(6) لقب بالحافي رأسه لأنه أقام مدة مكشوف الرأس، وقيل لحفرة كانت في رأسه، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثيابا جددا لبدنه، فقال هذا لبدني ورأسي حاف. ابن شاکر: المصدر السابق، ج2، ص257؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص119 وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر، الملقب بجمال الدين التلمساني. ابن شاکر: المصدر نفسه، ج2، ص256. الشهير بحافي رأسه الزناتي أصلاً، ولد بتلمسان عام 606هـ/1209م، وقيل بتاهرت. عادل نويهض: المرجع نفسه، ص119. ودرس على يد علماء العهد الموحد كمحمد بن منداس، وعبد الرحمن بن الزيات، ثم ارتحل إلى المشرق، فترحل مصر واستقر بالإسكندرية، وتصدر لإقراء اللغة العربية، فتخرج عليه طلبة كثيرون، منهم تاج الدين الفاكهاني، وكانت وفاته عام 680هـ/1281م. ابن شاکر: المصدر نفسه، ج3، ص410.

(1) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص290.

(2) ابن شاکر: المصدر نفسه، ص455.

أما بالنسبة للثناء لم يكن من طبيعة شعرائنا، حيث لم نجد في هذه الفترة، وحتى بعدها بنحو قرنين من الزمان، إلا في أولئك الشعراء الذين اتصلوا بالأندلس فقلدوها⁽¹⁾. إلى جانب ذلك لم تهمل الدولة الموحدية، الاعتراف الكبير باللغة البربرية، وعدم نسيانها لها⁽²⁾، حيث يقول ابن خلدون عن ابن تومرت "فتزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة، وبني رابطة للعباد اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري"⁽³⁾. وحتى بعد استقامة أمر الدولة ونجاح مطالبها، فقد بلغ من محافظتها عليها، وتكريمها لأهلها، أن حظرت الوظائف الدينية على من لا يحسن التعبير بها، بل عزلت الخطباء "فكان لا يؤم ولا يخطب إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري"⁽⁴⁾ ثم ولت مكانتهم من يتقنهم، وينطق اللغتين معا⁽⁵⁾. هذا وغيره يفيدنا بالخبر اليقين عن عناية الموحدين بالأدب، وبذلك على نشاط الحركة الأدبية، ونفاق سوقها في هذا العهد الزاهر⁽⁶⁾.

6 - التاريخ والسير

لم يكونوا أقل حظاً، ولا أبخس نصيباً من غيرهما من الآداب في الرواج والانتشار، ففي العهد الموحي وضع أول تاريخ⁽¹⁾ نعرفه عن المغرب، حاملاً هكذا اسم المغرب، الأمر الذي سيصبح تقليداً

1) محمد بن تاويت: المرجع السابق، ص 94.

2) مجموع رسائل موحدية، جمع لفي بروفنسال، ص 131. يقول ابن أبي زرع عن ابن تومرت: "وعلمهم التوحيد باللسان البربري، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والصور، وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن، وإنما هو كافر... فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز...". أنظر: الأنيس، ص 177.

3) أنظر: العبر، ج 6، ص 303.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 62، ص 71.

5) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص 114.

6) عبد الله كنون: المرجع نفسه، ج 1، ص 112.

متبعاً في الكتب التي توضع بعده، وهذا التاريخ هو كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م)، وإن كانت كتب أخرى في التاريخ والتراجم قد وضعت قبله، مثل تاريخ سبته للقاضي عياض، إلا أنه ليس كتاباً جامعاً لتاريخ المغرب بصفته بلاداً ذات وحدة وكيان⁽²⁾. أما ما يسجل لعلماء المغرب الأوسط، وبغاية من الإعجاب، هو هذا النوع من التأليف في السيرة النبوية، والذي يعد حدثاً بديعاً فيها.

وقد تألق في هذا العهد العديد من المؤرخين، وكتاب السير من المغرب الأوسط منهم البيذق أبو بلو الصنهاجي (ت بعد 550هـ/1165م)⁽³⁾ الذي أدرك الدولتين المرابطية والموحدية ورافق محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق وألف كتاباً وصف فيه الرحلة، وضمته بعض أخبار المهدي بن تومرت وعبد المؤمن، توفي حوالي سنة 555هـ/1160م⁽⁴⁾ وكتاب المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب⁽⁵⁾.

يضاف إليه المؤرخ حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني (ت بعد 569هـ/1174م)⁽⁶⁾ حيث كان ابن الأشيري يغلب عليه الأدب والتاريخ، كما كان ناظماً ناثراً، ومن تأليفه كتاب مختصر في تاريخ الموحدين سماه "نظم اللآلي في فتوح الأمر العلي" معدود ضمن الكتب الضائعة وهو الأصل الذي استقى منه صاحب كتاب "الجلل الموشية"⁽¹⁾ وله مقطوعة يذكر فيها ما شاهده يوماً من مجيء الشبل إلى مجلس الخليفة عبد المؤمن والنوم عند رجله، ويصف طائراً يتكلم عليه:

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد
ورأى شبه أبيه فقصد

-
- 1) التاريخ لغة: هو الإعلام بالوقت. السخاوي: الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص19-17. أما اصطلاحاً هو الوقوف على أحوال الأمم من الحوادث والوقائع المختلفة والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم الفائدة. ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص13.
 - 2) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص112.
 - 3) البيذق سمي بذلك إما لقصر قامته أو لتواضعه. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص61.
 - قال عبد الحميد حاجيات: أنه لا نستبعد انتساب البيذق إلى صنهاجة المغرب الأوسط أو إفريقية، فكما أن ابن تومرت حضي بصداقة عبد المؤمن بن علي الكومي، وعبد الواحد الشرقي، والبشير الونشريسي، وكلهم من المغرب الأوسط أو إفريقية، فكذلك يحتمل أن يكون البيذق من صنهاجة أحد هذين القطرين. البيذق: أخبار المهدي، مقدمة المحقق، ص8.
 - 4) المصدر نفسه، ص10.
 - 5) تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.
 - 6) هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن بن الأشيري، ولد بتلمسان، وبها نشأ وأخذ العلم عن ابن الخراز، ثم دخل الأندلس وتلمذ لأبي الحجاج بن يسعون بمدينة المرية. ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25-26؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص461.
 - 1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص185-186. كما نقل عنه ابن عذارى في ذكر معركة تلمسان. البيذق: أخبار المهدي، هامش، ص85؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203؛ محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدياء الجزائر، طبع داود بريكسي حي الكيفان، ط1، تلمسان، 2001، ص136.

ودعا الطائر بالنصر لكم

فقضى حاكم لما وفد (1)

كما كان للفقهاء الإباضي أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني (ت 570هـ/1174م) (2) اهتمام كبير بالتاريخ ونقل الأخبار والسنن والآثار (3) ونُسب إليه كتاب خصه لأشهر مناطق التجمعات الإباضية بعنوان "التاريخ الكبير لورجلان وسدراتة ووادي ريغ" (4) وفتوح المغرب (5).

ومن بين مؤلفي السير الإباضية أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني من علماء الطبقة الثانية عشر (550-600هـ/1155-1203م) (6) ينحدر من قبيلة وسيان الزناتية، قضى شبابه في وادي ريغ (7) ألف كتاب سير المشايخ (8).

منهم كذلك الفقيه يحيى بن إبراهيم بن سليمان الورجلاني، أبو سهل (ت ق 6هـ/12م) أستاذ الدرجيني وشيخه كتاب مهم في السير يعرف بـ "العقيدة في علم التوحيد والعلم والسير" (9). والفقيه جابر بن أحمد القرشي التلمساني (كان حيا سنة 578هـ/1182م) (10) الذي أنشأ

فهرسة سميت بمعجم شيوخ ابن خير (1) و يصفه المقرئ بالتاريخي دون ذكر لبعض كتبه (2).

إضافة إلى الفقيه المتعدد المواهب عبد الحق الاشيلي البجائي (ت 581هـ/1185م) الذي ألف في السيرة من خلال كتابه "معجزات الرسول (ص)" في سفر واحد لكنه قيم جدا (3) وله "كتاب الأنيس في

(1) البيدق: المصدر السابق، ص 85-86؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص 150.

(2) صنفه أبو العباس الدرجيني من علماء الطبقة الثانية عشر (550-600هـ / 1155-1203م). المصدر السابق، ج 2، ص 312-317.

(3) الشماخي: السير، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1992، ج2، ص 105. ذكره تاديبوس الكتابان على أنهما أحد مؤلفات أبي يعقوب، إلا أنه يصرح بعدم معرفته له، وإنما أخبره به جوزيف شاخت عندما كان في ميزاب عام (1952-1953م)، ويشك في نسبته له، من دون أن يعطي أدلة أو يدلي ببعض التفاصيل. تاديبوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 79.

(5) عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص 341.

(6) الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 335-336.

(7) آسيا ساحلي: المرجع السابق، ص 67.

(8) حققه إسماعيل العربي تحقيق ردي، صادر عن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، وأعاد تحقيقه عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، في رسالة دكتوراه عن جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2005-2006.

(9) وقد حققه المستشرق بيير كوبرلي تحقيقا مجلدا وألحقه بأطروحاته للدكتوراه باللغة الفرنسية. إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 154.

(10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص 7.

(1) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، جدول ص 117، ص 132.

(2) المقرئ: نفع الطيب، ج4، ص 468.

(3) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص 207.

الأمثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام النبي والصالحين" (1) وهو كتاب في السيرة، وكتاب "اختصار الرشاطي في الأنساب من القبائل والبلاد" وهو في سفرين (2).

كما نجد في بعض الحالات فقهاء ينحون نحو التاريخ من خلال تحليل حدث ما أثر فيهم فيكتبون تلك الحادثة كما هو الحال مع الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582هـ/ 1186م) نزيل بجاية قال عن ابن عبد الملك "كان ذاكرة للتواريخ والقصص ممتع المجالسة، متين الأدب" (3) له كتاب سماه "مقالع الصلبان ومرتاع رياض أهل الإيمان" (4) حدثنا عنه أبو القاسم بن حوط الله (5) وله كتب في السيرة منها "قصد السبيل في معرفة آيات الرسول (ص)" و"مقام المدارك في إفحام المشرك" (6) ونفس الشيء حدث مع الفقيه التلمساني، محمد بن عبد الحق اليفرنى (ت 625هـ/ 1227-1228م) التلمساني (7) الذي ألف كتاب "فصل المقال في مناقل أحوال غزوة أهل الإلحاد والضلال إلى طليطلة" في جزء واحد (8).

ومن مؤرخي المغرب الأوسط في العهد الموحدى محمد بن عبد الرحمن التحجيبى أبى عبد الله نزيل تلمسان (ت 610هـ/ 1214م) (1) قال عنه ابن القاضى أنه اعتنى بالتاريخ (2)، وألف كتاباً في مناقب وسير حفيدي رسول الله (ص) وسماه "مناقب السبطين الحسن والحسين" (3).

أما أهم مؤرخي المغرب الأوسط وهو أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجى (ت 628هـ/ 1230م) (4) ترك ميراثاً غزيراً جداً في ميدان التاريخ (5) استفاد منه كل المؤرخون الذين جاءوا من بعده

-
- 1) حجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص23.
 - 2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص257؛ والياضي: المصدر السابق، ص320. وذكر محمد حجي أن عنوانه مختصر اقتباس الأنوار - للرشاطي - يوجد بالقرويين، قيل عنه أنه أفيد من أصله. حجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص23.
 - 3) أنظر: الذيل والتكملة، السفر الأول، ص239.
 - 4) ذكره ابن عبد الملك المراكشي بعنوان مقامع هامات الصلبان وروائع رياض الإيمان، وذكر بأنه نكب ووقع في الأسر سنة 540هـ/ 1145م، وحمل إلى طليطلة وبها ألف هذا الكتاب للرد على الروم وبعض القسيسين بطليطلة. الذيل والتكملة، السفر الأول، ص240.
 - 5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص105؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.
 - 6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، ج1، ص240؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص207.
 - 7) السملالي: المرجع سابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.
 - 8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص319. ربما كان هذا الكتاب يتعلق بغزوة المنصور اشبيلية و طليطلة سنة 592 هـ/ 1165 م وهي السنة المعروفة بسنة طليطلة. ابن عذارى: المصدر السابق، ص221-223.
 - 1) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.
 - 2) ابن القاضى: جذوة الاقتباس، ج1، ص277.
 - 3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص304؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص357.
 - 4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص323؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.
 - 5) الغريبي: المصدر السابق، ص192؛ وابن قنفذ: المصدر السابق، ص311؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص197.

وعلى رأسهم ابن خلدون، وأهم مؤلفاته "الديباجة في أخبار صنهاجة إفريقية وبجاية"⁽¹⁾ ونشر منه المستشرق ليفي بروفنسال نبذة في كتاب أخبار البربر المنشور بالرباط (1933)⁽²⁾ وكتاب "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"⁽³⁾ و"تلخيص تاريخ الطبري"⁽⁴⁾ و"برنامج" ذكر فيه شيوخه ومقروآته من الكتب⁽⁵⁾. إضافة إلى المساهمة المهمة لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية (ت633هـ/1235م) نزيل تلمسان وبجاية⁽⁶⁾ بكتبه التاريخية منها "النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس" و"تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم" و"أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين"⁽⁷⁾ ولأبي الخطاب بن دحية السبتي أيضا كتاب "التنوير في مولد السراج المنير" ألفه للملك المعظم أبي سعيد التركماني، صاحب إيربل لما قدم عليه ووجده يحتفل بالمولد النبوي الشريف، فوضع له الكتاب المذكور، وقرأه عليه أثناء الاحتفال، فأعطاه ألف دينار، جائزة عليه، وأخذة عنه فسمعه منه الناس بعد ذلك، ومن سمعه منه المؤرخ ابن خلكان كما يذكر⁽¹⁾ و كتاب "سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب"، وكتاب "المستوفى من أسماء المصطفى"⁽²⁾ وكتاب "نهاية السؤل في خصائص الرسول(ع)⁽³⁾ وكتاب البشارات والإنذارات المتلقاة من أصدق البراءات"⁽⁴⁾.

كما أن الفقيه عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن فيرة بن عمر اللخمي(ت602هـ/1205م) من أهل مرسية وسكن تلمسان وأصله من أندة يعرف بابن الدبّاغ،

1) وهذا الكتاب غير النبذ المحتاجة، في أخبار صنهاجة إفريقية وبجاية. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص324. وينسب صاحب مفاخر البربر كتاب النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة لمؤلفه أبي الحسن بن حمادوه الأيلاني: المصدر السابق، ص65، واعتمد عليه ابن خلدون كثيرا في كثيرا في تدوين تاريخ هذه القبيلة وانتفع به كثيرا المستشرق لفي بروفنسال في كتابه "نبذة تاريخية في أخبار البربر المطبوع برباط الفتح 1352هـ/1933م. عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ص39.

2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص91.

3) ألفه في حدود 617 هـ/1220 م وقد نشره فون در هايدن M.Von der Heyden مع ترجمة فرنسية في باريس 1927 ضمن منشورات كلية الآداب بالجزائر (السلسلة الثالثة، النصوص المتعلقة بتاريخ شمال افريقية). كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمه السيد يعقوب بكر، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1959، ج6، ص31.

4) عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص290. حيث أنجز دراسة بعنوان أثر الطبري على المؤرخين المغاربة دراسة تطبيقية مقارنة مع ابن عذارى المراكشي.

5) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص280؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1957، ج3، ص508؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص197.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

7) المقرئ: فنج الطيب، ج2، ص104؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.

1) ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص449-450؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.

2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص218-219؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص160.

3) حسن السائح: المرجع السابق، ص104.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص219.

ويكنى أبا الأصبع، أجاز لأبي عبد الله بن الحسن القرطبي سنة 598هـ/1201م في التاريخ⁽¹⁾ مما يبين اختصاصه رغم عدم عثورنا على كتبه أو منجزاته.

ومن المساهمين في التاريخ محمد بن إبراهيم الغساني (ت 663هـ/1264م)⁽²⁾ كان ذا حظ حسن، وواسع الاضطلاع في التاريخ، عالما بالأنساب⁽³⁾.

وكل هؤلاء المؤرخون يعكسون الصورة الصادقة لإعجاب يوسف أشباخ بعلم التاريخ وانتشار تدوينه في عهد الدولة الموحدية⁽⁴⁾.

ثانيا : العلوم العقلية

لم يعتن المغرب الأوسط في عهد الموحدين بالعلوم الإسلامية فقط بل والعقلية⁽¹⁾ و الفلسفية تفسيرا و حديثا، بين الناس، فحافظوا على جوهر الدين بنشر أصوله العقلية و النقلية و تركوا للعقول حريتها تجري طلبة العنان في ميادين البحث والاستنتاج⁽¹⁾.

(1) عبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص167.

(2) هو محمد بن إبراهيم الغساني، أخذ ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي، وابن عبد الحق وغيرهما، وبسبته عن أبي العباس أحمد العزني، وباشبيلية عن أبي بكر بن طلحة، وأبي علي الشلوين واستوطن أسفي من بلاد المغرب الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص332.

(3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص103 .

(4) أنظر: تاريخ الأندلس، ج2، ص262، ص263.

(1) هي العلوم التي تتطلب جهدا فكريا نظريا لاعتمادها على العقل واهتمامه بالبحث والنقاش والاختراع والاستكشاف. شقرون محمد: المرجع السابق، ص191.

فعرفت العلوم العقلية فهضة شاملة في عهد الموحدين، حيث كانت الدولة تعج بعدد من الأطباء والصيدالة، والفلاسفة والمهندسين، ووجد هؤلاء في الخلفاء الموحدين الذين رعوهم ميدانا رحبا لمزاولة نشاطهم، فأبدع كثير منهم، بل إن عددا من أعلام الفكر الإسلامي كان من هؤلاء العلماء⁽²⁾.
 بذلك انتشرت العلوم العقلية في المغرب والأندلس، انتشارا لم تبلغه من قبل في أي عصر آخر، حتى كان عصرها الذهبي، ولقد كانت العلوم الطبيعية والأنظار الفلسفية مرغوبا عنها بالمغرب خصوصا أيام المرابطين الذين حكموا الفقهاء في دولتهم فأرهقوا المفكرين خشية منهم على تعاليم الإسلام، ولما جاء الموحدون، وكان خلفاؤهم مشاركين في كل العلوم أحسنوا تمييز ما ينافي الدين منها مما لا ينافيه⁽³⁾ ويقول ابن خلدون في العلوم العقلية "و أما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل بوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم و يستوون في مداركها و مباحثها"⁽⁴⁾ و منها:

1 - الجغرافيا والفلك

كان المهدي محمد بن تومرت من أئمة علم التنجيم المعدودين في عصره فقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي و اصطفاه من بين التلاميذ ليكون خليفته " فترل ابن تومرت -و هو آت من الشرق - بضبيعة يقال لها ملالة(قرب مدينة بجاية بالمغرب الأوسط)⁽⁵⁾ و بها لقيه عبد المؤمن بن علي⁽¹⁾ و هو إذ ذاك متوجه إلى المشرق في طلب العلم، فلما رآه محمد بن تومرت عرفه بالعلامات التي كانت عنده و كان ابن تومرت هذا أوجه عصره في علم خط الرمل"⁽²⁾.
 لقد اشتغل الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م) حفيد عبد المؤمن بالتنجيم و وضع أبراجا فلكية عن كسوف الشمس و أمر بإقامة برج عال بجامع اشبيلية الأعظم للأذان و لرصد النجوم أيضا فكان أول مرصد أقيم في أوربا⁽³⁾ لعلم الفلك⁽⁴⁾.

(1) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج 2، ص335.

(2) شفيق محمد: المرجع السابق، ص 42.

(3) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج 2، ص335.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص71.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص173.

(1) ابن القطان: المصدر السابق، ص176.

(2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127.

(3) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص355.

(4) علم الفلك هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص187.

أما المصنفات الجغرافية في هذه الفترة، فهي قليلة، ولا بأس أن نشير إلى الرحلتين العالميين، اللذين كانا في هاته الفترة وهم جزء من الوحدة التي عاشها المغرب والأندلس في الفترة الموحدية وهما:
الشريف الإدريسي (ت560هـ / 1164م)، وابن جبير (ت 614 هـ / 1217م).
وكان المغرب الأوسط همزة وصل بين الأندلس و المشرق، كما كان المغاربة في مقدمة الشعوب المحبة للرحلات و الإطلاع إلى أحوال الأمم، وكان للدين الإسلامي الفضل الأكبر في غرس الرحلة في نفوسهم بالذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وطلب العلم و التجارة⁽¹⁾ ثم إلى الشام لزيارة الأماكن المقدسة.

كما قام يوسف بن إبراهيم بن مياذ السدراتي الوردجاني (ت 570هـ / 1174م) برحلة مهمة نحو المشرق، ذكرها في قصيدته الحجازية، وهي قصيدة مؤلفة من 360 بيتا تحتوي على وصف دقيق لرحلته من وارجلان إلى مكة، وطريق عودته⁽²⁾.

مرهم كذلك رحالة المغرب الأوسط ابن فكون القسنطيني (كان حيا سنة 602هـ / 1205م) و هو أبو علي حسن بن علي رحل إلى مراكش و مدح الخليفة الموحد⁽³⁾ و كتب حول سفره من قسنطينة إلى مراكش قصيدة رائعة، ذكرنا بعضها فيما سبق.

وللفلك في تاريخ العلوم في الإسلام مكانة متميزة وإضافات جيدة، وتقدم واضح في هذا العلم، لأسباب دينية في معرفة الأوقات واتجاه القبلة، وأسباب أخرى حيث نجد في مدارس تلمسان عدة كتب في هذا العلم منها ما هو تأليف، ومنها ما هو شرح لمتون فلكية، كرسالة في الإسطرلاب لابن الصفار أحمد بن عبد الله بن عمر الغافقي، أبو القاسم (ت 426هـ / 1034م)⁽⁴⁾.

2 - الذهب والصيدلة

-
- 1) عواطف محمد يوسف : الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7هـ و 8هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص77.
 - 2) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص80؛ وعبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص341.
 - 3) خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية و حضارية، 632 هـ - 681 هـ / 1235م - 1282م، دار الريان للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2005، ص31.
 - 1) عمار طالي: المرجع السابق، ص59.

الطب⁽¹⁾ من العلوم المهمة لأي دولة تهتم بصحة مواطنيها، والدولة الموحدية اهتمت بإنشاء
المارستانات⁽²⁾ التي أنشئت لعلاج المرضى والمصابين⁽³⁾ ويشجعون الطب والأطباء بل يرفعونهم في بعض
الأحيان إلى مرتبة الوزراء⁽⁴⁾ كما كان للموحدين محترف يعرف بخزانة الأشربة والمعاجين منذ أيام يوسف
بن عبد المؤمن، وتولى إدارة هذه الخزانة أسرة أبي يحيى بن القاسم الاشيلي بالتعاقب⁽⁵⁾.
كان للطب مجالس دراسة منظمة، كذلك التي كان يعقدها ابن زهر⁽⁶⁾ (ت 596هـ / 1199م)⁽⁶⁾
وكان يقصدها الطلبة من كل جهة، ويفتخرون بتلقي قواعد الطب فيها⁽⁷⁾ وبذلك بدأت النهضة الطبية
في عهد عبد المؤمن بفضل طبيبه الخاص هذا، أبو بكر بن زهر الذي يعتبر أعظم أطباء العصور الوسطى،
و من أشهر كتب الطب، كتاب "القانون" لابن سينا الذي كان أكبر عمدة للطب في العالم الإسلامي و
العالم الأوربي وكتابه الآخر "الرجز الطبي"⁽⁸⁾.
وقد اهتم الخليفة الموحد المنصور بالطب فكان يعتني بصحة الرعية اعتناءه بصحته، بنى بمدينة
مراكش بيمارستان (مستشفى) "ما أظن أن في الدنيا مثله"⁽¹⁾، حيث أجرى فيه مياها كثيرة، وغرس فيه
أشجارا وزخرفة، وأمر كل يوم بثلاثين دينارا للأدوية...⁽²⁾ كان أمينه و طبيبه أبو إسحاق إبراهيم الداني
من بجاية⁽³⁾ و من بجاية استقدم الموحدون أبا إسحاق هذا لإدارة مارستان مراكش⁽⁴⁾.

-
- 1) هو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبراء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من أدوية. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص100.
 - 2) المارستان أو البيمارستان: بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) وتعني مريض أو عليل (وستان) وتعني دار، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. أحمد عيسى بك: البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، ط 2، بيروت، لبنان، 1981، ص51.
 - 3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204.
 - 4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص252.
 - 5) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص409.
 - 6) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي ولد سنة 507هـ/1113م وتوفي سنة 595هـ/1198م، أخذ صناعة الطب عن أبيه، لقبه ابن العماد، بجالينوس زمانه، كما له شعر وموشحات يتغنى بها. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار الحياة، لبنان، بيروت، 1956، ص521؛ وابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 1987، ص55-56؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص523.
 - 7) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص536.
 - 8) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص258؛ ومحمد طمار: الروابط الثقافية، ص166.
 - 1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204.
 - 2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204-205؛ والصفدي: المصدر السابق، ج28، ص98.
 - 3) محمد طمار: الروابط الثقافية، ص171.
 - 4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص408.

وقد ظهر في هذا العهد عدد كبير من الأطباء الذين أشارت إليهم المصادر إلى حذقهم ومهاراتهم، وأغلبهم من الأندلس، وهذا لا يعني المغرب الأوسط من المشاركة ومنهم: عمر بن علي القلعي (ت 576هـ/1180م) الذي انتقل إلى دمشق وفتح عيادته هناك⁽¹⁾ ودفين تلمسان العابر مع جيش الناصر الموحد أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرّج (ت 601هـ/1204م) أبو جعفر البلنسي الذهبي⁽²⁾ ويكنى أبا العباس⁽³⁾ كان من علماء الطب، حيث قال عنه ابن أبي أصيبعة "كان فاضلاً عالماً بصناعة الطب، جيد المعرفة لها، حسن التأني في أعمالها، وخدم المنصور بالطب وولد الناصر من بعده"⁽⁴⁾.

ومساهمة الفقيه المحدث الطبيب البارع البلنسي المولد، التلمساني أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارقي (ت 610هـ/1213م) قال عنه ابن الأبار "وكان محدثاً عدلاً خياراً محترفاً بالطب ماهراً فيه"⁽⁵⁾.

كما أنه لا منازع للطبيب الفقيه محمد بن سحنون الندرومي⁽⁶⁾ وهو طبيب عالم باللغة العربية وأسراها ولد سنة 580هـ/1148م من قبيلة كومية، التي كانت مواطنها قرب تلمسان، هاجرت أسرته إلى الأندلس، فولد بقرطبة، ومنها انتقل إلى اشبيلية، حيث درس الطب على يد أبي الوليد بن رشد وغيره⁽⁷⁾ كان من أطباء الناصر المؤمن محمد بن يعقوب (ت 610هـ/1213م) ثم من أطباء المستنصر يوسف بن محمد (ت 620هـ/1223م)، ثم المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود (ت 634هـ/1236م)، قال عنه ابن أبي أصيبعة: "وهو جليل القدر، فاضل النفس، محب للفضائل، حاد الذهن، مفرط الذكاء، من جملة المتميزين في علم الأدب، وله من الكتب اختصار كتاب "المستصفي" للهُدلي توفي رحمه الله سنة 634هـ/1236م⁽¹⁾.

والفقيه الأصولي الذي استوطن بجاية أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة (ت 660هـ/1261م) وعاش في الفترة الموحدية والحفصية قرأ بالأندلس ومراكش، ولازم الفقيه أبا عبد الله المؤماني مدة عشرين سنة، وكان له مشاركة في الطب، وتوفي ببجاية⁽²⁾.

1) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص 408.

2) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص117؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص334.

4) أنظر: عيون الأنباء، ص497.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص676-677؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

6) هو أبو عبد الله محمد بن سحنون، الندرومي منسوباً إلى ندرومة -مدينة قرب تلمسان- وهو كومي نسبة إلى قبيلته. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص537.

7) نفسه، ص537؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص25-26.

1) ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص537؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص330.

2) الغريبي: المصدر السابق، ص100.

إضافة إلى الفقيه الطبيب العالم شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي (580-651هـ/1184م-1253م) ينسب إلى تيفاش وهي قرية صغيرة تقع حاليا بولاية سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري ولد في عهد دولة الموحدية، رحل إلى مصر لطلب العلم، ثم انتقل إلى دمشق وبرع في علم الطبيعة، وخاصة المعادن والأحجار الكريمة وتوفي بالقاهرة ودفن بها بمقبرة باب النصر، وهو طبيب وأديب وقاض، من كتبه "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" ومنه نسخ مخطوطة فيها زيادات على المطبوع، و"الأحجار التي توجد في خزائن الملوك وذنخائر الرؤساء" و"خواص الأحجار ومانفعتها" وكتاب ضخيم في الأدب في أربع وعشرين مجلدة "فصل الخطاب، في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب"⁽¹⁾ موسوعة كبيرة، اختصرها ابن منظور-صاحب لسان العرب- وسمى الجزء الأول منها "نثار الأزهار، في الليل والنهار" و"نزهة الألباب، فيما لا يوجد في كتاب"⁽²⁾.

كما يشير الإدريسي إلى جملة من النباتات الطبية في أكناف الجبال المطلة على بجاية، والتي كانت تستعمل في التجارب والعلاج الطبي "مثل شجر الحوض، والسقولوفندوريون والبرباريس..."⁽³⁾.

ويطلعنا صاحب عنوان الدراية، على صورة متدهورة لمهنة الطب، التي يتعاطاها من لا يحسنها- خلال العهد الحفصي- ما عدا أفرادا قلائل من الأطباء كانوا علماء مجيدين لمهنتهم⁽⁴⁾، كمحمد بن أحمد بن محمد الأموي المرسي (ت 674هـ/1275م بتونس) المعروف بابن أندراس، وكان طبيب الولاية ببجاية في العهد الموحد، ثم بتونس في العهد الحفصي ورد على بجاية في 610هـ/1213م وتبسط للطب باحثا جيدا...وله رجز نظم فيه بعض الأدوية واستكملها، وهو ببجاية⁽⁵⁾.

وعموما مؤلفات الطب هي أقل المؤلفات تداولاً، حيث كان يُدرس كتاب أرجوزة ابن سينا في الطب التي تزيد على ألف بيت اختصر فيها كتابه القانون في الطب⁽¹⁾.

3- الفلسفة والمنطق

(1) الصفدي: المصدر السابق، ج8، ص188.

(2) الحسيني: المصدر السابق، ج1، ص274. عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص346. وكتاب نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب حقق مؤخرًا من قبل جمال جمعة، وصدر عن دار رياض الريس، لندن - قبرص، ط1، 1992.

(3) أنظر: نزهة المشتاق (طبعة مكتبة الثقافة الدينية)، ج1، ص259.

(4) الغريبي: المصدر السابق، ص102.

(5) المصدر نفسه، ص101.

(1) ابن مريم: المصدر السابق، ص163، ص246، ص314؛ وعمار طالبي: المرجع السابق، ص59.

شهد العهد الموحدى نشاطا فى علمى الفلسفة ⁽¹⁾ والمنطق، فلا تجد عصرا تأخت فىه الفلسفة والشريعة كعهد الدولة الموحدىة، فهذا الحفید ابن رشد أعظم فلاسفة الإسلام تجده أيضا من أعظم حفظة الشريعة، ناهىك عن كتبه الدینیة الأخرى ⁽²⁾.

فلو دهرت العلوم ونشطت الحركة التعلیمیة و كان من جملةها الفلسفة التى بلغت أوجها على ید ابن رشد و طلبته، فبعضهم كان من المغرب الأوسط و من أشهر الكتب و المؤلفات الدراسیة الرسالة لابن أبى رشد و المستصفى و إحياء علوم الدین للغزالی ⁽³⁾.

و یعتبر أهم مظهر من مظاهر التحرر الفکرى فى دولة الموحدين انتشار دراسة الفلسفة، حیث كانت من قبل لا تعنى إلا الزندقة والإلحاد ⁽⁴⁾ و یعود اهتمام الموحدين بالفلسفة إلى الدعوة التى ثار المهدي بها على فقهاء عصره الذین حرموا العلوم العقلیة، وتردید أقاویل السابقین ⁽⁵⁾ فأعطى ابن تومرت العقل حریة واسعة فى میدان العقائد "فبضرورة العقل یعلم وجود البارى سبحانه" ⁽⁶⁾.

بذلك رعى الخلفاء الموحدون بعد المهدي الفلسفة واعتنوا بها، فقد انكب الخلیفة یوسف أثناء ولايته على اشبیلیة على دراسة فلسفة یونان، ولا سیما فلسفة أرسطو، ولما ولی الخلافة "طمح به شرف نفسه، وعلو همته إلى تعلم الفلسفة، فجمع كثيرا من أجزاءها، وبدأ من ذلك بعلم الطب، ثم تخطى إلى ما هو أشرف منه، من أنواع الفلسفة، وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له منها قریب مما اجتمع للحکم المستنصر بالله الأموی" ⁽⁷⁾.

كما یرجع الفضل إلى الخلیفة الموحدي أبى یعقوب یوسف (ت 580هـ/1184م) فى نشر فلسفة أرسطو بین الناس و شرحها بعد أن كانت غامضة مندثرة ⁽¹⁾ و من أشهر فلاسفة المغرب

1) الفلسفة هی التشبه بالإله بحسب الطاقة البشریة لتحصیل السعادة الأبدیة. الجرجانی: المصدر السابق، ص 177.

2) یوسف أشباخ: المرجع السابق، ج 2، ص 257؛ و مبارک بن محمد الملبی: المرجع السابق، ج 2، ص 335.

3) بناصر البُعزائی: العلم والفکر العلمى، بالمغرب الإسلامى فى العصر الوسیط، سلسلة ندوات و مناظرات، رقم 94، منشورات کلیة الآداب والعلوم الإنسانیة، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجدیة، ط 1، الدار البیضاء، 2001، ص 37.

4) المقرئ: نفع الطیب، ج 1، ص 221.

5) شفیق محمد: المرجع السابق، ص 44.

6) أنظر: أعز ما یطلب، ص 213.

7) عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص 167-168. المستنصر بالله الأموی ولی سنة 350هـ/961م، و كان جامعا للعلوم محبا لها مكرما لأهلها، و جمع من الكتب فى أنواعها ما لم یجمعه أحد من الملوك قبله هناك، و ذلك بشرائها من الأقطار بأعلى الأثمان، و فى سنة 386هـ/996م. الضبی: المصدر السابق، ص 40-42.

1) كان السلطان یعقوب المنصور شدید الرغبة فى علوم الفلسفة، فلما أراد الجواز إلى الأندلس لقتال الإسبان الذین كانوا یلحون بالاستیلاء على المدن الأندلسیة، من أیدی المسلمین، انبرى الفقهاء له وجعلوا یبسطون الناس عن الانضمام إلى جيش سلطان یقرب إلیه الفلاسفة، و یشتغل بعلومهم المخالفة للذین، فاضطر المنصور إلى إرضائهم فأظهر التبرؤ من الفلسفة وأهلها، ونفى الفیلسوف ابن رشد، ثم تقدم إلى الناس بترك هذه العلوم جملة واحدة. عمر فروخ: المرجع السابق، ص 370 ثم أمر المنصور بإحراق كتب الفلسفة کلها، إلا ما كان من الطب والحساب، وما یتوصل به من علوم النجوم إلى معرفة أوقات اللیل والنهار، وأخذ سمّ القیلة... لكن

الأوسط، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراقي (ت570هـ/1174م) الذي له باع طويل في علم المنطق والفلسفة، وألف كتاب "مرج البحرين في علم المنطق" (1) و أبو حامد الصغير المسيلي (580هـ/1184م) (2) الذي شبه بغزالي المشرق لاجتهاداته المتنوعة في الفلسفة والحكمة والفقه والتوحيد (3) كما كان أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي طبيبا وفيلسوفاً من تلامذة ابن رشد رائد الفلسفة بالأندلس (4).

كما تحدث أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت 581هـ/1145م) يصف صديقه العالم الآخر الذي سكن معه بجاية بأنه كان من أهل العلم وكان أكثر حاله النظر في المعقولات (المنطق) وهو العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر القريشي المعروف بابن قريشة (5) ويواصل الحديث عنه أنه له نظر جليل في التعليم (6).

إضافة إلى عالم جليل كان عابر سبيل مع الناصر في جيشه لكنه كتب له الله أن يتوفي بأرض المغرب الأوسط الطاهرة وهي تلمسان مخلفا وراءه مؤلفاته ليستفيد منها أبناء هذا القطر وهو أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرّج أبو جعفر البلنسي الذهبي (7) ويكنى أبا العباس (8) (ت601هـ/1204م) الذي مهر في علم النظر والفلسفة (1) فقال فيه أحد معاصريه: إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يعد ثلاثة: أرسطو، وابن سينا وأبو جعفر الذهبي (2).

منهم كذلك علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرايبي (ت 637هـ/1239م) (3) الذي جمع فنون العلم، من علم الأصول، ومعقولات الحكماء (المنطق) وله فيها تصانيف

بعد رجوعه إلى مراکش، نزع عن ذلك كله، وجنح إلى تعلم الفلسفة، وأرسل يستدعي أبا الوليد من الأندلس إلى مراکش للاحسان إليه والعفو عنه. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص219.

(1) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص152-153.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص66.

(3) نفس المصدر والصفحة؛ والحفاوي: المصدر السابق، ج1، ص60.

(4) محمد طمار: الروابط الثقافية، ص167.

(5) لا ندري عنه شيء سوى ما ذكره عنه الغبريني في هذه الأسطر، وعموما هو معاصر للفقيه عبد الحق الاشبيلي (581هـ/1145م) والفقيه حسن بن علي بن محمد المسيلي (580هـ/1144م).

(6) الغبريني: المصدر نفسه، ص69.

(7) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

(8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص117؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص334؛ والسملالي: المرجع السابق، ج2، ص107.

(1) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

(2) معاصره هذا هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي (ت629هـ/1231م).

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص154؛ والمقري: نفع الطيب، ج2، ص387؛ والتنبوكي: نيل الابتهاج، ص318.

منها "المعقولات" وأما علم الطبيعيات والإلهيات فكان أعلم الناس بها ⁽¹⁾ وتكلم في الكائنات وأمور الحدثنان وأسرار الحروف، وصنف في المنطق ⁽²⁾.

وكان لا يسمح بتعلم المنطق، إلا بعد حفظ القرآن وتفسيره وحفظ الحديث والفقه، وقصة ابن زهر (ت 596هـ/1199م) مع طالبان من مقربيه تؤكد ذلك ⁽³⁾.

بالإضافة إلى الفقيه الذي ذكرناه في الطب وهو أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة (ت 660هـ/1261م) الذي كانت له مشاركة في "الحكمة في الطبيعيات والإلهيات، جلس للإقراء ببجاية، وقرأ عليه التنبهات لابن سينا وكتاب الإرشاد، وكتاب المستصفي، توفي ببجاية" ⁽⁴⁾.

ومن أهم كتب الفلسفة والتصوف التي كانت تتداول، كتابي "مقاصد الفلاسفة، وميزان العمل" للغزالي ⁽⁵⁾ وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، حيث لقي اهتماماً منقطع النظير في العصر الموحد، وخصوصاً من رجال التصوف، وذلك من خلال شهادة أبي مدين شعيب بقوله "طالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الإحياء" ⁽⁶⁾ وتلخيص كتاب أرسطو لابن رشد، وكذلك كتاب الشفاء لابن سينا ⁽⁷⁾ وهو موسوعة فلسفية كبرى، إضافة إلى كتابين آخرين لابن سينا مهمين كذلك في الفلسفة وهما "النجاة" وكتاب "الإشارات والتنبهات" ⁽⁸⁾ وخاصة ما تعلق منها بالطبيعيات والإلهيات ⁽¹⁾ ومن أكثر مؤلفات المنطق انتشاراً في هذا العهد كتاب الحمل للخوننجي ⁽²⁾.

(1) الغريبي: المصدر نفسه، ص 146؛ والمقري: نفع الطيب، ج 2، ص 188؛ وصفية ديب: التربية والتعليم، ص 115.

(2) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص 337. والمنطق هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي. الجرجاني: المصدر السابق، ص 251.

(3) كان الطالبان يشتغلان على يده في صناعة الطب، فرأى بيد أحدهما كتاب صغير في المنطق، فطرهما فاعتذرا له فسمح لهم بالعودة، ولما امتثلوا لأمره وأتقنوا الحديث والتفسير وحفظ القرآن، أعاد لهم كتاب المنطق وسمح لهم بقراءته. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 523.

(4) الغريبي: المصدر نفسه، ص 100.

(5) ابن مريم: المصدر السابق، ص 118.

(6) الغريبي: المصدر نفسه، ص 56؛ والتادلي: المصدر السابق، ص 214؛ والمقري: نفع الطيب، ج 7، ص 137.

(7) ابن مريم: المصدر نفسه، ص 165.

(8) نفسه، ص 118.

(1) عمار طالبي: المرجع السابق، ص 56.

(2) ابن مريم: المصدر نفسه، ص 142، 151، 155، 173، 211.

4- الرياضيات

يبرز ميدان الرياضيات أكثر في دور بجاية الثقافي و الحضاري و مدى تأثيره على جنوب أور و با و ايطاليا بالذات، فقد خطا المسلمون خطوات هامة في علوم الحساب⁽¹⁾ والهندسة⁽²⁾ والجبر⁽³⁾ والميكانيكا و حساب المثلثات⁽⁴⁾ وكان للدراسات الرياضية الفلكية الإسلامية أثرها العميق في الدراسات الغربية أمثال كبلر و رجر باكون و البرتوماجنو و ليونارد فيبوناتشي و غيرهم⁽⁵⁾.
ونبغ علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (ت 551هـ/1156م) عالم بالحساب، من كبار فقهاء الشافعية، ولد بقلعة بني حماد، وبها نشأ وتعلم، رحل إلى المشرق واستوطن العراق، وأخذ عن جماعة من أكابر الفقهاء، ثم انتقل إلى خراسان ومات بأسفرائن، قال السمعاني "إمام فاضل، عالم بالمذهب، بحر في الحساب"⁽⁶⁾.

لكن الغريبي، يقدم لنا صورة مغايرة حيث يقول "وكان الاهتمام بالرياضيات ضعيفا، ولم ينبغ فيها إلا عدد قليل"⁽⁷⁾ ومنهم يوسف بن إبراهيم بن مياذ السدراقي الوردجاني (ت 570هـ/1174م)⁽⁸⁾ الذي سافر كثيرا لتوسيع حقل معرفته، حيث حج إلى مكة المكرمة، وانتقل بعد ذلك إلى قرطبة لدراسة اللغة العربية والحساب⁽¹⁾ حيث ألف كتاب "مرج البحرين، في المنطق والحساب والهندسة"⁽²⁾.

والرياضي أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرّج (ت 601هـ/1204م) أبو جعفر البلنسي الذهبي الذي كان مشاركا في بعض الرياضيات و يقرئ الحساب، وقد توفي في تلمسان وأكد أنه وقع له اتصال هناك بطلبتها وفقهائها⁽³⁾.

-
- 1) هو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص78.
 - 2) العلوم الهندسية: هي علم النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، أو منفصلة كالأعداد، وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص84.
 - 3) هو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قَبْلِ المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك، فاصطلحوا فيها على جعل المجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب، أولها العدد، لأن به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسب المجهول إليه. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص80.
 - 4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص259.
 - 5) محمد عبد الله عنان: ازدهار الحضارة و الفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي و دورهما في تغذية النهضة العلمية و الحضارة الأوروبية، مجلة الأصالة، العدد 26، 1976، ص14.
 - 6) ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص263؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص267.
 - 7) الغريبي: المصدر السابق، ص227.
 - 8) عمر فروخ: المرجع السابق، ص368.
 - 1) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص78-80.
 - 2) عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص341.
 - 3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج43، ص64-47؛ وابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

أما أبا عبد الله محمد بن محمد القلعي (ت 665هـ/1270م)⁽¹⁾ كان له علم بالحساب، سبق فيه الأوائل، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه⁽²⁾.

وبرز في هذا العلم أيضا محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675هـ/1276م) إلى جانب أصول الفقه، والمنطق والتصوف والفرائض والحساب⁽³⁾ قال عنه الغبريني سمعت كثيرا من أهل العلم يثنون عليه ويقولون أنه لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله⁽⁴⁾.

وهذا يعني أن علم الرياضيات نشط، ولو بالقدر القليل، ويشهد بذلك النشاط الصناعي، وحركة البناء والتعمير التي كانت في أيام الموحدين، إذ هي تمثل الجانب التطبيقي لهذا العلم، كما ساعد على نهوض هذا العلم حاجة الدولة الموحدية إلى ضبط أحكامها ومواردها ومصارفها واستخلاص الضرائب وكل ذلك يحتاج إلى دراية في علم الحساب على أن أهم عامل هو حاجة الناس لتطبيق تعاليم الإسلام والمعرفة الدقيقة بأوقات الصلاة والصيام وواجبات الإرث وتوزيعه⁽⁵⁾.

ومن أهم المؤلفات الرياضية الأكثر تديسا كتاب اليوناني إقليدس (ق 3 ق م) الذي يسمى "كتاب العناصر أو الأصول" (Eléments) الذي أسس مدرسة الإسكندرية، ونقل كتابه هذا إلى العربية، وعنى به المسلمون تديسا وشرحا⁽⁶⁾.

كما يعتبر كتاب "اللباب في مسائل الحساب" من الكتب المعتمدة آنذاك، وهو من تأليف علي بن محمد بن فرحون القرطبي (ت 601هـ/1204م)، حيث كان يدرس الحساب والفرائض بفاس، وانتشر كتابه في كل الغرب الإسلامي، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين (ت 601هـ/1204م) له أرجوزة في الجبر والمقابلة⁽¹⁾ إضافة إلى كتاب ابن البناء أحمد بن محمد الموسوم "تلخيص أعمال الحساب"⁽²⁾.

فهذا وغيره مما أغفلنا، فضلا عما جهلناه، يعطيك صورة واضحة لما كانت عليه هذه العلوم من الرواج والانتشار، في المغرب الأوسط على عهد الموحدين، والذين لم يألوا جهدا في البر برجالها والإحسان إليهم.

(1) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 267.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص 227.

(3) الغبريني: المصدر نفسه، ص 86.

(4) نفس المصدر والصفحة.

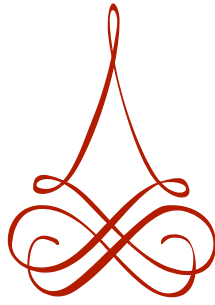
(5) شقرون محمد: المرجع السابق، ص 216-217.

(6) عمار طالي: المرجع السابق، ص 58.

(1) ابن الزبير: المصدر السابق، (تحقيق ليفي بروفنسال)، ص 118؛ وحسن جلاب: الفكر والأدب في عهد الموحدين، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 249، يونيو 1985، ص 84.

(2) ابن مريم: المصدر السابق، ص 106، ص 219.

الخطامة



لقد خضت غمار البحث في كل الجوانب الثقافية والفكرية للمغرب الأوسط إبان العهد الموحدى، واستعرضت في ثنايا الموضوع كل القضايا الثقافية التي تخص هذه الفترة، متخطياً بذلك الجانب المكاني والزمانى، محاولاً الوصول إلى حقائق تاريخية، نبرزها في النقاط التالية:

✓ عاش المغرب الأوسط حياة فكرية وثقافية مزدهرة خلال العهد الموحدى، رغم الوحدة السياسية إلا أنه حاول الحفاظ على الموروث الحضارى السابق، والتفاعل الإيجابى مع الرصيد الجديد، فاحتل مكانة رائدة ضمن المجال الموحدى بفضل النزعة العلمية والثقافية التي تميز بها أهله و ولا ته، ورعايتهم للفنون والآداب والعلوم الشرعية، وتشجيعهم للعلماء والفقهاء واستقطاب مختلف حواضره لعلماء العالم الإسلامى ولا سيما من الأندلس .

✓ بالرغم من ذهاب سلطان المرابطين على تلمسان، وزوال الحماديين من بجاية، إلا أن الناس لم يشعروا بضياغ شيء، لأن حركة التقدم الفكرى والإصلاح الدينى ظلت مستمرة خلال العهد الموحدى، بل ظهرت نتائج تلك الحركة واضحة المعالم صافية الأديم، وازدهرت الحياة الثقافية ازدهاراً عظيماً، فأصبح لعلوم الفلسفة والطب والرياضيات والتنجيم وغيرها الحظ الأوفر، إلى جانب العلوم النقلية التي اعتمد فيها على الأخذ بالكتاب والسنة، فتجدد الاجتهاد، الذي تجمد خلال العهد المرابطى.

✓ ظهرت بالمغرب الأوسط مراكز علمية جديدة، بحكم موقعها وعلاقتها بمركز الخلافة الموحدية بمراكش، مع اختفاء وضعف للحواضر والمراكز العلمية القديمة، وهذا بسبب مجموعة من العوامل بما فيها الدور الذي لعبته القبائل العربية من بني هلال وبني سليم، فصارت كل من بجاية وتلمسان من أهم المراكز الفكرية ليس في المغرب الأوسط فحسب بل في العالم الإسلامى.

✓ في عهد الموحدين ظهرت شخصية متميزة للمغرب الأوسط عن بقية الفترات السابقة واللاحقة في الجانب الفكرى والثقافى، وقد ساعد على إذكاء جذوة الحركة الثقافية ظروف خاصة، منها: الرحلات العلمية التي كان لها الدور الكبير في الاحتكاك بمختلف الشيوخ والأخذ عنهم، بل والاستفادة من مختلف التجارب وحتى نقل الملل والنحل والتوجهات الفكرية والكلامية، كما تم نقل الكتب بين الشرق والغرب ومع العدوتين، ويتوج الدارس على أحد الشيوخ بإجازة تشهد له بدراسته لكتبه أو سماعه عنه، وقد انتشرت الإجازات العامة كثيراً في العهد الموحدى.

كما شهدت الحياة العلمية، مختلف المجالس، وعقد المناظرات العلمية والأدبية، حيث فتحت قصور الولاية في بجاية وتلمسان أبوابها لكل المناظرات، مما جعل الفترة من أغنى فترات التاريخ بالعلماء والأدباء، والمناظرات المتنوعة، فرفعت المستوى العلمى للفقهاء وأثارت حماس الشعراء والأدباء .

✓ كان الموحدون قد دعوا إلى الاجتهاد ونبد التقليد وأحرقوا كتب الفروع، واستمر الحال على عهدهم يسود فيه هذا النمط من التحرر الفقهي أو الأخذ بالمذهب الظاهري، كما يرى بعضهم .

✓ بنى الموحدون رصيدهم المعرفي - في كامل الغرب الإسلامي بما فيها المغرب الأوسط - على أساس التعليم، وقد بدأت دعوة المهدي بن تومرت، وثمنه خلفاؤه من بني عبد المؤمن، من خلال تشجيع العلوم، والعلماء، وعقد المجالس والمناظرات وتطوير حركة التأليف.

✓ تنوعت المؤسسات الثقافية والفكرية من بسيطة شعبية إلى مدارس منظمة حكومية، حيث يبدأها الطالب من الكتاب والمسجد، وصولا إلى المدرسة ثم الدراسات المتقدمة التي عادة ما تتم في الحواضر الكبرى وعلى يد شيوخ قديرين، وقد عملت الدولة على توجيه التعليم وجعله رسميا خادما لسياستها مع ترك الحرية للفكر والإبداع، فكانت مدارس ومساجد وزوايا مختلف حواضر المغرب الأوسط قبلة للطلاب والدارسين من مختلف الأقطار.

✓ اختلف المنهاج التعليمي بين المرينين في ترتيب المواد خلال المراحل الأولى، ليتوحد في المراحل العليا بفضل نشاط حركة الرحلة العلمية، والمنهاج التي حددها ابن تومرت وخلفاؤه، حيث شهدت مناهج خاصة بالجوامع والمساجد، وأخرى للمدارس.

✓ تنوعت طرق التعليم من الإلقاء والإملاء، إلى الحفظ والاعتماد على الاسترجاع، أو طريقة اختيار كتاب معين من العلوم وشرحه أو نقده أو اختصاره، وصولا إلى طريقة المحاضرة أو المناظرة، وكانت تربط الشيخ بطلبته علاقات طيبة كلها قائمة على التفاهم .

✓ كما ازدهر فن النسخ والوراقة بمختلف مدن المغرب الأوسط، فكثرت بذلك المصنفات والمكتبات، التي كانت تحت تصرف الدارسين والطلاب .

✓ نالت الدراسات الدينية الحصة الكبرى، إذا ما قورنت بغيرها من الدراسات كالطب والهندسة والتنجيم والرياضيات، نظرا لقيام الدولة الموحدية على أساس ديني عقدي، وتطور خاصة علم الكلام والفلسفة من خلال كسر الجمود الفكري.

✓ وأكبر دليل على ازدهار الحركة الثقافية في العهد الموحد بالمغرب الأوسط، هو العدد الكبير من علمائه وفقهائه، والعدد الضخم من المؤلفات في جميع العلوم والفنون، وهذا ما نسميه النبوغ الفكري والمساهمة الفعلية والرائدة للمغرب الأوسط في صناعة سواء القرار السياسي أو العسكري أو الثقافي في الدولة الموحدية.

✓ كما يمكن أن نؤكد تبلور الفكر والثقافة في المغرب الأوسط، حيث كان مستمداً من الوحدة الحاصلة، والاتصال المستمر بالأندلس، والمغربين الأقصى والأدنى، والتأثير المشرقي وهو ما يوجز العلاقات الثقافية مع مختلف الأقطار الإسلامية، حيث ربط المغرب الأوسط علاقات روحية تمثلت في الجانب الديني المرتبط سواء بالطرق الصوفية أو بالميل والولاء للمدرسة سواء الشرقية أو الأندلسية، ولم تقف الحدود السياسية والجغرافية في الطريق لإقامة علاقات ثقافية متنوعة سواء بين حواضر المغرب الأوسط، أو مع المشرق والأندلس بل كان التأثير متبادلا مما ولد تفاعلا كبيرا في شتى المجالات العلمية .

✓ إن المتتبع لحركة علماء المغرب الأوسط نحو المشرق العربي يبين أنها زادت كثافة وتواجدا في الفترة المنحصرة بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين، أي السادس والتاسع الهجري، أي في الفترة الموحدية والزيانية.

✓ أما علاقة المغرب الأوسط والدولة الموحدية عموما مع إفريقيا جنوب الصحراء ومع العالم المسيحي فقد كانت ذات طابع سياسي دبلوماسي أو تجاري في غالب الأحيان، ولم نعثر على تبادل للجانب الثقافي من خلال تواجد علماء من الطرفين في أرض الآخر .

وأختم بحثي بقول أحد الصلحاء من بجاية وهو يؤرخ لسقوط دولة بني عبد المؤمن بعد وفاة آخر خليفة وهو أبو العلاء إدريس الملقب بأبي دبوس (665-668 هـ/1266-1248م).

ملك بني مؤمن تولى
فاعتبروا وانظروا وقولوا
وكان فوق السماك سمكه
سبحان من لا يبدي ملكه⁽¹⁾

بقي لنا ونحن نعيش على وقع سنة الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية أن نشيد بالدور التاريخي للمغرب الأوسط سواء في الفترات التي تمتع فيها بالاستقلال السياسي أو خلال الفترات التي اندمج فيها مع كيانات أخرى كالفترة الموحدية، حيث لا يسعنا إلا التنويه بتنوع الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط إبان العهد الموحد، وبمساهمة المغرب الأوسط في إنشاء جزء من تراث هذه الفترة، بتخريجه العديد من الشيوخ والفقهاء والعلماء الذين تركوا تراثا ما زال يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب. وقد أجهدت نفسي قدر الاستطاعة على المثابرة والكد، وتخري الحقيقة، كما حملتها على تحري الموضوعية والتزاهة في الأحكام قدر المستطاع، راجيا أن أبلغ في بحثي هذا مبلغ المجتهد المصيب. وفي الأخير أقول أن هذه باكورة أعمالي البحثية، وأتمنى أن تكون بذرة خير وعلم تزرع في التربة لتكون شجرة يافعة في المستقبل بتشجيع وتوجيه الجميع، مع المثابرة والاجتهاد والبحث، وأنا لا أدعي باكتشافي أسراراً مهمة وحقائق غائبة، وإنما حاولت تجميع معلومات دقيقة ومتناثرة هنا وهناك، وطرحها في شكل موضوع ممتع ومرتب.

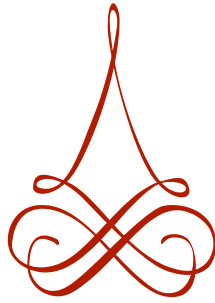
وبالتالي أعتذر عما يمكن أن يكون تقصيرا أو أخطاء، وسأعمل على تصحيحه وتداركه في

القريب العاجل وكما يقول الشاعر

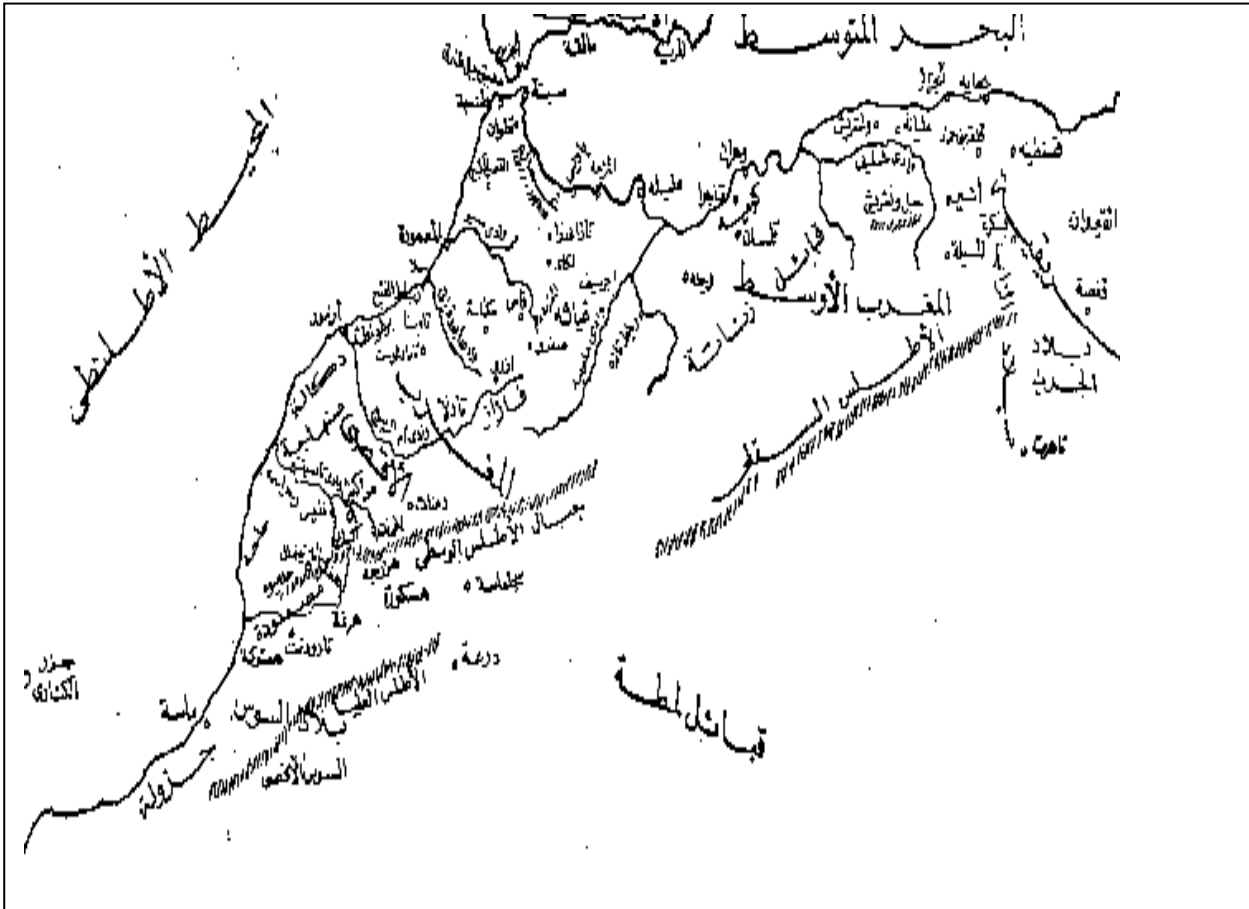
وأبي عيب على من رام مجتهداً
فاصدح أرمته والجهد مبتدلاً
مثل الذي رمته فإعتاقه قدرُ
فالعجزُ بعد ابتدال الجهد مغتفرُ

(1) مجهول: الخلل الموشية، ص170.

الملاحق



ملحق رقم 1 "بلاد المغرب وأهم قبائلها عند بداية الموحدين"⁽¹⁾

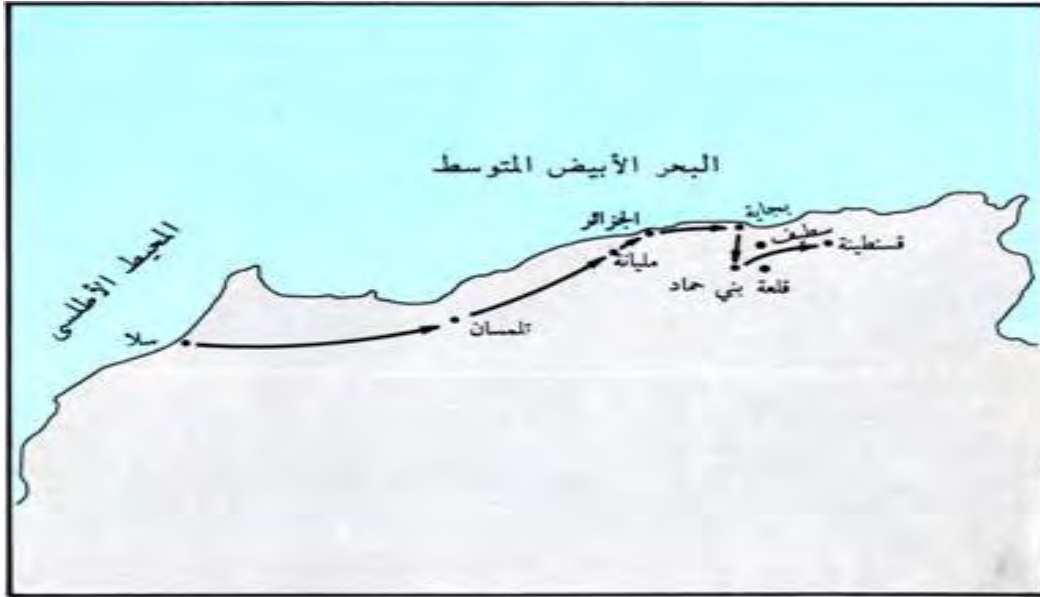


(1) نقلا عن عبد الله عنان دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط2، بالقاهرة، 1990، ج1، ص181

ملحق رقم 2 "حرب سبع سنوات" (d)



ملحق رقم 3 "فتح المملكة الحمادية" (d)



1) قلا ع ش شفت بس شح: عبدان وي، طيسج الإعلام بظوم افنح حط ايش، 1976، ص 20.

1) ان شح غان غلك، ص 30.

ملحق رقم 04¹⁾

الرسالة السابعة"من إنشاء الكاتب أبو جعفر بن عطية"¹⁾

من أمير المؤمنين-أيده الله بنصره، وأمده بمعونته-إلى الشيوخ والأعيان وجميع من بقسنطينة-
وفقههم الله لما يرضاه، وتولى بهم سبيل هداة-سلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.
وبعد حمد الله الذي أيد بنصره المؤمنين، وفتح لأولياته الفتح المبين، وجعل لهذا الأمر المبارك
التبشير والتيسير والتأمين...

ولما قضى الله سبحانه في فتح هذه البلاد المشرقية بخير قضائه، وأجرى لهذه الطائفة المباركة في
الإظهار والإيثار معهود اختياره وارتضائه... رأينا أن نخاطبكم-أرشدكم الله-داعين إلى الله ورسوله،
بما أوجبه سبحانه من الدعاء إلى سبيله، والتحريض على اعتماد الحق وقبوله، والتحذير من التوقف في
مواقف إغواء الشيطان وتضليله...

فبادروا- وفقكم الله-إلى إجابة منادي الحق وداعيه، واسعوا إلى الخير بأعماله المزلفة ومساعدته،
وسارعوا بالتوبة النصوح تسارع الراغب...

وقد كان بحد الأصقاع، من آثار أهل الاختلاف والابتداع ما علمتموه من القبالات والمكوس
والمغارم وسائر تلك الأنواع، وكان الأشقياء من ولائها يرون إيجابها وإلزامها شرعا يلتزمونه، وواجبا
يقدمونه، ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكوات والأعشار، بل كانوا يطرحون ذلك اطراح
أمثالهم من الفجار، وقد قطع الله بفضله أصولهم وفروعهم وأزاح عن عبادته جوهرهم ونزعهم، ورد
الأمر إلى أصله الأكرم ونصابه...

ولا يُلزم-ومعاذ الله- مكسا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيما مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه، ولكم
في علم ذلك ومعرفته دليل على ما سواه، والله يهدي بهداه من اختاره وارتضاه، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

كُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

1) رسائل موحدية، (جمع بروفنصال)، ص17-22.

1) هو أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية من أهل مراکش، أصله القدم من طرطوشة شرقي الأندلس، كان أبوه من أهل الحفظ
للحديث، كتب لعلي بن يوسف المرابطي، ثم لابنه أحمد عن آخر أمراء المرابطين، وبعد فتح مراکش اختفى أحمد ضمن الجند الموحدية
وشارك في حملة الشيخ أبي حفص على النائر الماسي، فكتب رسالة النصر عن الشيخ إلى الخليفة عبد المؤمن، فكانت هذه الرسالة طريقه
إلى الكتابة لدى عبد المؤمن، ثم الكتابة والوزارة معا إلى أن تعرض للنكبة مع أخيه أبي عقيل فقتلا في آخر صفر سنة 553هـ/1158م
رسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق أحمد عزوي، ج1، ص18-19.

ملحق رقم 05: "ولايات الدولة الموحدية في دور الازدهار"⁽¹⁾



ملحق رقم 06 "جدول ولاية تلمسان-انجاز خاص"⁽¹⁾

| مدة الولاية | الوالي | الخليفة |
|-------------|------------------------------------|--------------------------------|
| 549-540 | سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاقي | عبد المؤمن (524-558هـ) |
| 571-549 | أبو حفص عمر بن عبد المؤمن | يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ) |
| -- -- | موسى بن عبد المؤمن | 580هـ |
| -- -- | أبو علي الحسن بن عمر بن عبد المؤمن | يعقوب المنصور (580-595هـ) |
| 580هـ -- | أبو زكريا بن عمر بن عبد المؤمن | 595هـ |
| 584-580هـ | أبو إسحاق بن عبد المؤمن | الناصر (595-610هـ) |
| 604-585هـ | أبو الحسن بن عمر بن أبي حفص | |
| 604-604هـ | أبو الربيع سليمان | |
| 605-604هـ | أبو عمران موسى بن عبد المؤمن | |
| 624-605هـ | أبو زيد بن يوجان | المستنصر (610-620هـ) |

1) (قلا عٍ هض لذن عمر ي عى: ان بْدُ " فلق غش ب الإسلامى، ص 176.

1) (غيت خش جي إن ظادر خلالات ذت.

| | | |
|------------------------|---|--|
| 624-630هـ 630-633هـ | أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور أبو زيد بن يوجان للمرة الثانية | عبد الواحد (620-621) العادل (621-624هـ) المأمون (624-630هـ) الرشيد (630-640هـ) |
|------------------------|---|--|

جدول ولاية مجاية⁽¹⁾

| مدة الولاية | الوالي | الخليفة |
|-------------|---|--|
| 547-555هـ | أبو حفص عمر بن عبد المؤمن والي تلمسان | عبد المؤمن(524-558هـ) |
| 555-560هـ | أبو محمد بن عبد الله بن عبد المؤمن | |
| 561-566هـ | أبو زكريا يحيى بن عبد المؤمن | يوسف بن عبد المؤمن(558- |
| 566-576هـ | سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن | 580هـ) |
| 576-580هـ | أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن | |
| 580-580هـ | أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن | يعقوب المنصور(580- |
| 580هـ---- | احتلال يحيى بن غانية لمدة 6 أشهر | 595هـ) |
| 581هـ---- | أبو زكريا بن عمر بن عبد المؤمن | |
| 581-582هـ | أبو زيد عمر بن أبي حفص | |
| 582-583هـ | أبو عبد الله بن أبي حفص | |
| 583-584هـ | محمد بن أبي سعيد الجنفيسي | |
| 584-604هـ | أبو الحسن علي بن أبي حفص | الناصر (595-610هـ) |
| 604-623هـ | أبو عبد الله بن يغمور | المستنصر(610-620هـ) عبد الواحد (620-621) |
| 623-624هـ | يحيى العطاس التnmالي بن أخي العادل | العادل (621-624هـ) |
| 624-626هـ | أبو عمران بن السيد أبي عبد الله الخرصاني | المأمون(624-630هـ) |

1(غيت خشجي إن ظادر خلال انث ذت.

ملحق رقم 07:

"طرق تحصيل العلم وصيغ أداؤه"¹⁾

| صيغة الأداء | طرق التحميل |
|------------------------|-------------|
| " سمعت وحدثني " | السماع |
| " أخبرني وقرأت " | القراءة |
| " قرئ عليه وأنا أسمع " | |
| " حدثنا وأخبرنا " | الإجازة |
| " أنبأني بالإجازة " | |
| " شافهني " | |
| " ناولني " | المناولة |
| " كتب إلي " | المكاتبة |
| " أخبرني فلان مكاتبة " | |
| " وجدت بخط فلان " | الوجدادة |
| " ذكر فلان " | |
| " بلغني عن فلان " | |

1) محمد ضياء الأعظمي: الرجوع السابق، ص 233-236.

ملحق رقم 8: "طلب الإجازة"⁽¹⁾

أبو عبد الله محمد بن محمد البجائي، من الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني (536-625هـ/1141-1227م):

"يرغب فلان الشيخ الأجل الفقيه الزكي العالم الحافظ المفيد المتقن العلامة الأكمل بقية الجلة الفضلاء الأكابر أهل العلم أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الزكي المرحوم أبي محمد عبد الحق بن سليمان (أكرمهم الله برضاه) وحرس مجدهم، وتولاه معظم مقدارهم وملتزم برهم ومقدارهم، وتوقيرهم، وإيثارهم العارف بحقهم العليم بتقدمهم وسبقهم محمد بن محمد الحسين الخشني في الأنعام عليه بإجازة هذا البرنامج الذي تضمن ذكر أشياخه الجلة الفضلاء رضوان الله عليهم وعليكم أجمعين، بحيث يحمل ذلك عنكم، ويتشرف بأخذه منكم، وفضلكم بذلك كله كفيل وثوابكم عليه عند الله عز وجل جزيل، والله يبقي ببركاتكم الانتفاع، ويحسن عن أرجائكم الوقاع بمنه، وأفضل سلام الله عز وجل وأوفى تحياته وأزكاها، وأعطرها عرفا وأزكاها يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته"⁽¹⁾.

فأجابه بما نصه :

أجبتك بأحسن تحية، وامثالاً لما جاء به خير البرية، نعم وأجبتك إلى ما سألته وطلبتته إجابة من يعلم أنك أهل له، وإذن من تحقق إنك قائم به لشواهد طلبك، وبوارع أدبك إجابة عامة، بشرطها فتلقها تلقى أمثالك، واعمل لحسابها عمل نظراتك، والعمل جمال العلم وخادم له مرتبط به لمن أراد السعادة، وسعى لها، قال الله تعالى: إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه"مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها، جعلنا الله وأياكم ممن استمع القول واتبع أحمله، وممن ختم بالحسنى عمله أمين، قاله وكتبه حامدا ومصليا على نبيه محمد بن عبد الحق بن سليمان، في ذي الحجة عام ثلاثة وستمائة 603هـ/1206م.

(1) الغريبي: المصدر السابق، ص220.

(1) المصدر نفسه ص219.

ملحق رقم 09:

"قصيدة من نظم محمد بن حماد الصنهاجي، يشكر فيها أبا عبد الحق التلمساني على إجازة بعث بها إليه"¹).

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| والعالم الحبر الفقيه الأوحـد | يا أيها الندب السري الأـمجد |
| لا تنتهي، وفوائد لا تنفذ | يا أيها البحر المحيط معارفا |
| نحو الذي أنـحو إليه وأقصد | وصلت إجازتك المجيزة سيدي |
| أملـي الذي أسعى إليه وأحفـد | إن الدراية والرواية منتهى |
| بفوائد يفنى الزمان وتـخلد | لا زلت لي متفصلا فأجزتني |
| فجزاء مثلك عندنا لا يوجد | فجزاك عنا الله خير جزائه |

1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، مصدر سابق، السفر الثامن، ص325.

ملحق رقم 10

جدول لعلماء المغرب الأوسمة في عهد الموحدين "العلوم النقلية" (1)

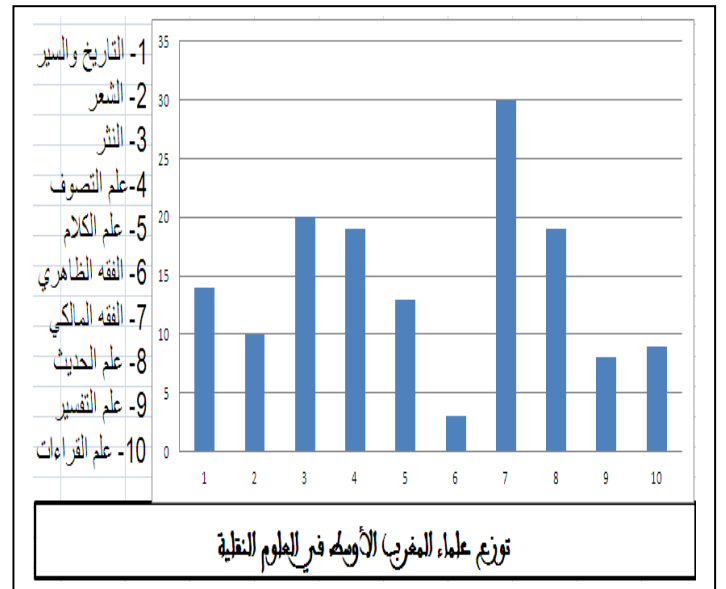
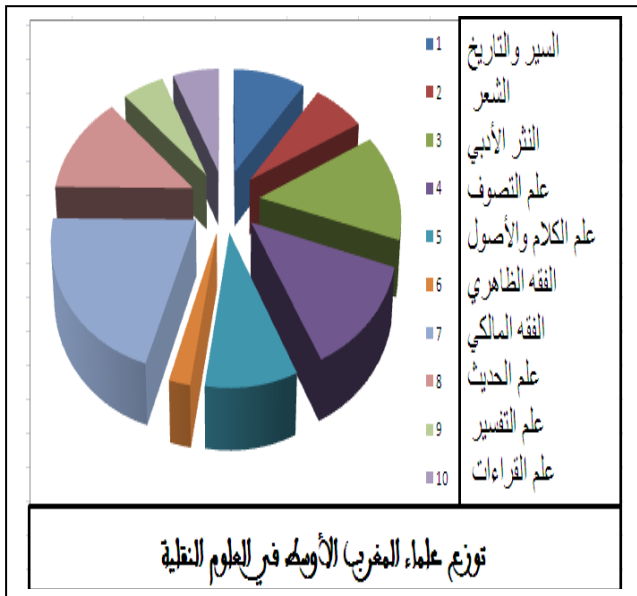
| التاريخ والسير | الشعر | النثر الأدبي الفني | علم التصوف | علم الكلام والأصول | فقهاء المذهب الظاهري | فقهاء المذهب المالكي | علم الحديث | علم التفسير | علم إنشاء الخ | العلوم ان علماء |
|----------------|-------|--------------------|------------|--------------------|----------------------|----------------------|------------|-------------|---------------|---|
| | | | | | | × | | | × | محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي |
| | | | | | | × | | | × | أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي نزل تلمسان |
| | | | | | | × | | | × | أحمد بن عتيق أبو جعفر البلسي الذهبي (ت بتلمسان) |
| | | | | | | | | | × | أبو نصر فتح بن عبد الله المرادي |
| | | | × | | | | | | × | محمد بن أحمد بن الحجام التلمساني |
| × | | × | × | × | | × | × | | × | محمد بن عبد الحق البفري التلمساني |
| | | | | | | | | | × | أبو محمد المجاصي، عبد الله بن عبد الواحد البكاء |
| | | × | | | | | × | | × | أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي |
| | | | | | | | | | × | علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الخضار |
| × | | | | × | | | × | × | | أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني |
| | | | | | | | | × | | محمد بن يثلف بن يوسف بن حسون و موسى بن الحاج بن أبي بكر الأشيري |
| | | | | | | | | × | | أبو الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن |
| | | | | | × | | × | × | | أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني |
| | | | | | | | × | × | | عثمان بن صاحب الصلاة |
| | | × | × | | | × | | × | | أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالزواري |
| | | | × | | | × | | × | | علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التحبي |
| | | × | × | × | | × | | × | | محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي |

1) ملاحظة : تبقى هذه الإحصائيات نسبية وتقريبية لتوضيح الفكرة لأنه قد يوجد هناك من نسيناه من العلماء .

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|--|--|
| | × | × | | | | | × | | | عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري |
| | × | | | | | | × | | | أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الوهراني، المعروف بابن قُرُقُول |
| | | | | | | | × | | | الحسن بن عبد الله التلمساني |
| × | | | | | | | × | | | جاير بن أحمد بن إبراهيم القرشي، الحسيني، من أهل تلمسان |
| × | | × | × | × | | × | × | | | عبد الحق الأشيلي البجائي |
| | | | | | | | × | | | أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي البجائي |
| | × | × | × | | | × | × | | | أبو مدين شعيب بن الحسين |
| × | | | × | × | | × | × | | | محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله المرسي التلمساني |
| | | | | | | | × | | | أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارقي |
| | | | | | | | × | | | محمد بن إسماعيل المتيجي |
| | × | | × | × | | × | × | | | عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد البيجفشي الفزازي القرطبي التلمساني |
| × | × | × | | | | × | × | | | محمد بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي |
| × | × | × | | × | × | | × | | | ابن دحية السبي البجائي والتلمساني |
| | | | | | | | × | × | | أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي |
| | × | | | | | | × | | | الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة |
| | | | × | | | | × | | | علي بن أبي قنون التلمساني |
| | | | × | × | | | × | | | أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي |
| | | | | | | | × | | | وميمون بن جبارة التلمساني |
| | | | | | | | × | | | أبو الحسن القلعي |
| | | | | | | | × | | | الفقيه أبو عبد الله محمد بن يخلفتن بن يوسف بن حسون الجزائري |
| | | | | | | | | | | إبراهيم بن يحيى بن محمد التجيبي |
| | | | | | | | × | | | شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري |
| | | | × | | | | × | | | أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري |
| | | | | | × | | | | | أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك القلعي (ابن بيكي) |
| | | | | × | | | × | | | أحمد بن عبد الله بن حميس بن معاوية بن نصر الأزدي، البنسي الجزائري |
| | | | | × | | | × | | | حسن بن أبي زُكُون التلمساني |

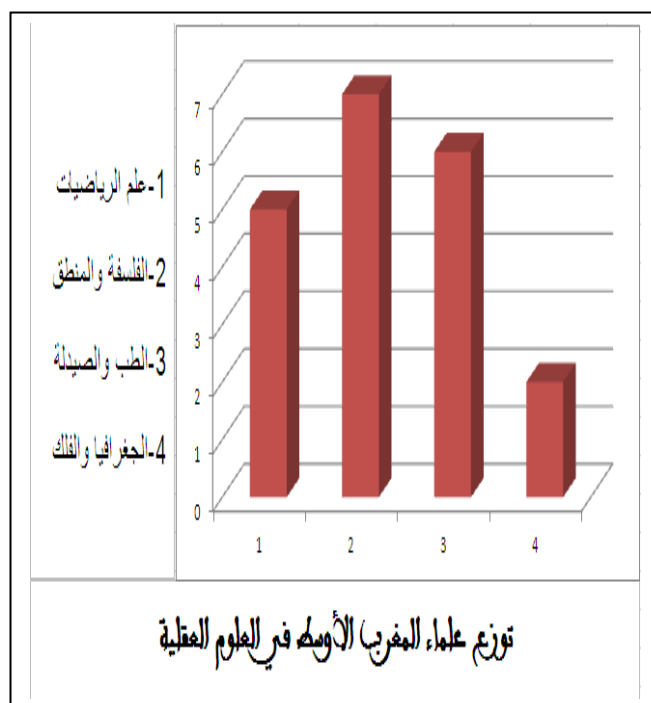
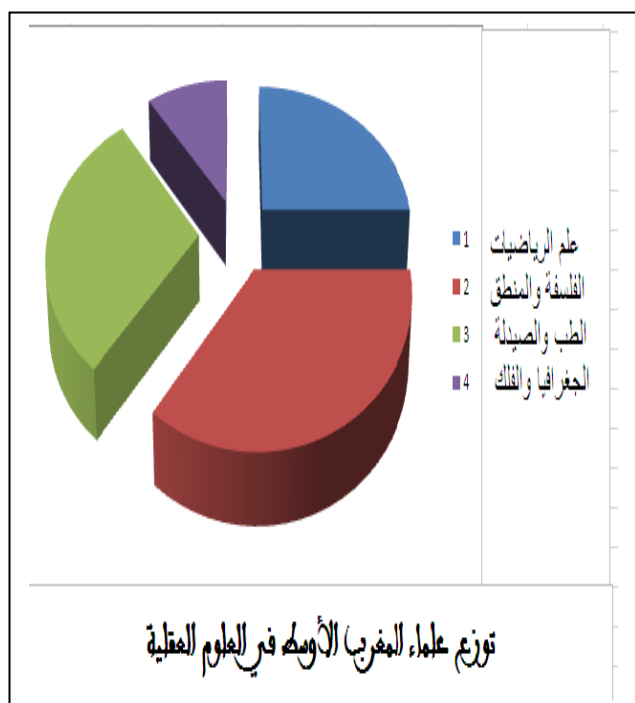
| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|--|---|--|--|--|
| | | | | × | | | | | أبو عمار عبد الكافي الوردجاني |
| | | | × | × | | × | | | إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة |
| | | | | × | | × | | | محمد بن إبراهيم الأصولي البجائي |
| | | | × | | | × | | | محي الدين بن عربي الأندلسي البجائي |
| | | | × | | | × | | | أبو عبد الله الشوذري الأشبيلي المعروف بالخلوي |
| | | | × | | | | | | يوسف بن علي بن جعفر التلمساني |
| | | | × | | | | | | أبو موسى عيسى بن حماد الأوربي التلمساني |
| | | | × | | | | | | أبو محمد عبد الله الشريف الشامي البجائي |
| | | | × | | | × | | | أبو عبد الله محمد بن سعادة |
| | | × | | | | | | | محمد بن محرز بن محمد الوهراني "ركن الدين" |
| | | × | | | | | | | محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البجائي الأشيري |
| | | × | | | | | | | خطاب بن أحمد بن عدي |
| | | × | | | | × | | | أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي البجائي ابن محشوة |
| | | × | | | | | | | أبو علي الحسن بن حجاج الهواري البجائي |
| | | × | | | | | | | أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي |
| | | × | | | | | | | مروان بن عمار البجائي |
| | | × | | | | × | | | أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري |
| | | × | | | | | | | أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عياش التنجيني |
| | | × | | | | | | | عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، القسنطيني |
| | | × | | | | | | | أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني التلمساني |
| | × | | | | | | | | علي بن عمر الكومي بن عبد المؤمن |
| | × | | | | | | | | أبو الربيع سليمان بن عبد الله الكومي بن عبد المؤمن |
| | × | | | | | | | | أبو علي حسن بن علي بن عمر ابن الفكون القسنطيني |
| × | | | | | | | | | أبو بلكو الصنهاجي البيدق |
| × | | | | | | | | | حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني |

| | | | | | | | | | | |
|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|---|
| × | | | | | | | | | | أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني |
| × | | | | | | | | | | أبو سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان الورجلاني، الدرجيني |
| × | | | | | | | | | | أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي البجائي |
| × | | | | | | | | | | عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن فيرة التلمساني |
| × | | | | | | | | | | محمد بن إبراهيم الغساني |
| 14 | 10 | 22 | 19 | 15 | 03 | 32 | 20 | 08 | 11 | مجموع العلماء 78 علما |



جدول لعلماء المغرب الأوسط في عهد الموحدين "العلوم العقلية" (1)

| العلماء | العلوم | علم الجغرافيا والفلك | الطب والصيدلة | الفلسفة والمنطق | الرياضيات |
|---|--------|-------------------------|------------------|--------------------|-----------|
| أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مباد السدراقي الوردجاني | | × | | × | × |
| أبو علي حسن بن علي بن عمر ابن الفكون القسنطيني | | × | | | |
| أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرّاح التلمساني | | | × | × | × |
| أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارقي | | | × | | |
| أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي | | | × | × | |
| أبو العباس أحمد بن خالد المالقي البجائي | | | × | × | |
| شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي | | | × | | |
| محمد بن أحمد بن محمد الأموي المرسي البجائي | | | × | | |
| أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو حامد الصغير | | | | × | |
| أبو عبد الله محمد بن عمر القريشي المعروف بابن قريشة | | | | × | |
| علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التحبي | | | | × | |
| علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي | | | | | × |
| أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي | | | | | × |
| محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري | | | | | × |
| مجموع العلماء 14 عالما | | 02 | 06 | 07 | 05 |



ملحق رقم 11:

"رسالة ابن دحية الكلبي إلى والي بجاية- أبو عبد الله بن حوشتي يرمور- يطلب تسريح خادمه جاء فيها"¹).

" الشيخ الفقيه الأديب الجحجاح، الهرماس⁽²⁾ أبو فلان جحوظ الله قعثبان⁽³⁾ شفرته هذا الغطريس في اليم اخذ رجلا لايملك حد رفوتا⁽⁴⁾ فيرى الزبرقان⁽⁵⁾ فيخاله حوارى⁽⁶⁾ ويرى الجعل فيحسبه زعبجا⁽⁷⁾ وله قرحة امحشت⁽⁸⁾ من الحر وتعطل كبرها فابعث إلي هذا العتري⁽⁹⁾ من يخضد شوكتته والسلام"⁽¹⁰⁾.

1) الغبريني : عنوان الدراية ، ص229.

2) هو الأسد

3) هو الكثير من كل شيء

4) الظالم المتكبر

5) أي شيء

6) الدقيق الأبيض ولباب الدقيق

7) ضربا من الخنافيس حياته في الزبل

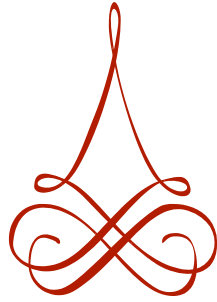
8) أحرق

9) هو الذي لا يجد في طلب الدنيا ولا الآخرة

10) الغبريني: المصدر السابق، ص229.

قائمة المصادر

والمراجع



1) المخطوطات :

- 1- البكري (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، ت ق14هـ/19م): درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار.
- 2- بوجندار (أبو عبد الله، محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي، ت1345هـ/1926م): مخطوط الاغتيال بتراجم أعمال الرباط، الخزانة العامة الرباط، رقم1287، ج1.
- 3- ابن مرزوق الخطيب (محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، ت780هـ/1378م): المجموع، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم20.
- 4- النقاش (عبد الله محمد بن أبي العباس الأموي، ت منتصف ق8هـ/14م): الدرّة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، مخطوط الخزانة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم2691.

2) المصادر

- 1- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البننسي، ت 658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، نشر فرانسيسكو قوديرا، مطبعة روخس، مدريد، 1886م.
- 2- التكملة لكتاب الصلة، نشر ابن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا الشرقية، 1919م.
- 3- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.
- 4- تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
- 5- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، تحقيق خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ت.
- 6- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري، ت 810هـ/1407م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصورة للطباعة والورق، الرباط، المغرب، 1972م.
- 7- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، مصر، ط1، 2001م.
- 8- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار الحياة، لبنان، بيروت، 1956م.
- 9- ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، ت 577هـ/1181م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985م.
- 10- الإيلاني (أبو علي صالح بن عبد الحلیم، كان حيا سنة 712هـ/1312م): مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط2، 2008م.
- 11- البادسي (عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الغرناطي كان حيا سنة 722هـ/1322م): المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993م.
- 12- البرزلي (أبو القاسم بن محمد البلوي التونسي، ت 841هـ/1438م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (فتاوى البرزلي)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م.
- 13- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي، ت 578هـ/1182م): الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.

- 14- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت555هـ/1160م): أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية، 2007م.
- 15- _____ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
- 16- التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن الزيات، ت628هـ/1230م): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010م.
- 17- التجيبي السبي (القاسم بن يوسف التجيبي، ت730هـ/1329م): برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1981
- 18 - التميمي (تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي، ت1005هـ/1596م، أو 1010هـ/1601م): الطبقات السنوية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970م.
- 19- التميمي (محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي أبو عبد الله، ت603هـ/1206م، أو 604هـ/1207م): المستفاد في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، ط1، 2002م.
- 20- التنبوكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي، ت1036هـ/1627م): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، 2000م.
- 21- _____ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م.
- 22- ابن تومرت المهدي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرغني السوسي، ت524هـ/1130م): أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م.
- 23- _____ الموطأ، نشر فولد زيهير، طبعة فونتانة، الجزائر، 1905م.
- 24- _____ كثر العلوم والدرر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة، تحقيق أيمن عبد الجابر البحري، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.
- 25- الجراعي (أبو بكر تقي الدين بن زيد الجراعي الصالحي الحنبلي، ت883هـ/1477م): تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد، تحقيق صالح سالم النهام وآخرون، طبع المراقبة الثقافية، الفروانية، الكويت، ط1، 2004م.
- 26- الجرجاني (شريف علي بن محمد بن علي، ت816هـ/1413م): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1985م.

- 27- ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، ت 833 هـ/1429م): **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
- 28- الجزنائي (أبو الحسن علي الفاسي، كان حياً سنة 766هـ/1365م): **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1991م.
- 29- ابن جزري (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزري الكلبي الغرناطي المالكي، ت 741هـ/1340م): **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية**، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، 2008م.
- 30- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، ت 737هـ/1336م): **المدخل**، دار التراث، القاهرة، مصر، د ت.
- 31- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلي، ت 1068هـ/1657م): **كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون**، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين يالتقايا، و رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت.
- 31- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد الفاسي القرطبي، ت 456هـ/1064م): **رسالة في مراتب العلوم**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
- 32- الحسيني (الحافظ عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني، ت 695هـ/1295م): **صلة التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008م.
- 33- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ت 257هـ/870م): **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.
- 34- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت 626هـ/1228م): **معجم الأدباء**، المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- 35- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي، ت 776هـ/1378م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1974م.
- 36- **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1895م.
- 37- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت 808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

38 ————— المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادى، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.

39- ابن خلدون (أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي، ت 780 هـ / 1378 م) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، 1980

40- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.

41- ابن خير(أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الاشبيلي، ت 575هـ/1179م): **فهرسة ابن خير**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1989م.

42- الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد القيرواني، ت 699هـ/1235م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق وتعليق محمد ماضود، المكتبة العتيقة تونس- مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1978م.

43- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي السبتي، ت 633هـ/1235م): **المطرب من اشعر أهل المغرب**، تحقق إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت لبنان، 1955م.

44- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، ت حوالي 670هـ/1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، د د، ط2، د ت.

45- الدووادي(شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن أحمد، ت 945هـ/1538م): **طبقات المفسرين**، تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1983م.

46- ديوان الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله، تحقيق محمد بن تاويت وآخرون، منشورات كلية الآداب، الرباط، دت.

47- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الدمشقي، ت 748هـ/1347م): **العبر في خبر من غبر**، تحقيق محمد السعيد بن بسيوي زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

48 ————— **أهل المائة**، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

49 ————— **تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

- 50_____ تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط18، 1955م.
- 51_____ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م.
- 52_____ طبقات القراء، تحقيق أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط1، 1997م.
- 53- رسائل موحدية، مجموعة جديدة، نشر أحمد عزوي: مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط1، 1995م.
- 54- الرعيي (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الاشبيلي، ت666هـ/1267م): برنامج شيوخه، تحقيق إبراهيم شوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.
- 55- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني، ت708هـ/1308م): صلة الصلة، نشر محمد بن شريفة، بذييل السفر الثامن من الذيل والتكملة، لابن عبد الملك، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م .
- 56_____ صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1938م.
- 57- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، كان حيا سنة 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.
- 59- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت794هـ/1391م): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1957م.
- 60- الزركشي (محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ أبو عبد الله، كان حيا سنة 894هـ/1489م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.
- 61- الزياني محمد بن يوسف (ت13هـ/19م): دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م.
- 62- ابن سحنون محمد (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون، ت256هـ/869م): كتاب آداب المعلمين، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.
- 63- السنخاوي (أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين، ت902هـ/1497م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
- 64_____ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد آل فهد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط1، 2005م.

- 65- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي، ت 685هـ/1286م):
العصون في محاسن شعراء المائحة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، ط2، 1967م.
- 66- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1993م.
- 67- رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1987م.
- 68- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت 911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط2، 1979م.
- 69- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، القاهرة، ط1، مصر، 1967م.
- 70- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، ت 790هـ/1388م): الاعتصام، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
- 71- ابن شاکر (محمد بن شاکر الکتبي، ت 764هـ): فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، د ت.
- 72- أبو شامة (أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ت 665هـ/1267م): الذيل على الروضتين، أو تراجم رجال القرنين السادس والسابع، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 73- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي، القاهرة، 1962م.
- 74- الشريسي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريسي، ت 619هـ/1222م) شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992م.
- 75- الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت 685هـ/1286م): السير، تحقيق أحمد بن سعود السيبي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1992م.
- 76- ابن الشماخ (أبو عبد الله محمد بن أحمد الهنتاتي، كان حيا سنة 861هـ/1457م): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط، 1984م.
- 77- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي، كان حيا 594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987م.

- 78- ابن سعد (محمد بن أحمد بن أبي الفضل، ت 901هـ/1496م): النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق محمد أحمد الدياجي، دار صادر، ط 1، بيروت، 2011م.
- 79- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت 764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2000م.
- 80- الصنهاجي (أبو عبد الله محمد، ت 628هـ/1230م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 81- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد، ت 599هـ/1202م): بغية المنتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1989م.
- 82- طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى، ت 968هـ/1560م): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1985م.
- 83- العامري (أبو الحسن محمد بن يوسف، ت 381هـ/992م): الإعلام بمناب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
- 84- ابن عباد الرندي (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن مالك إبراهيم النفزي الحميري الشاذلي ت 1390/792م): الرسائل الصغرى، تحقيق الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974م.
- 85- ابن عبدون (أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الاشيلي، من أهل القرن 6هـ/12م): رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
- 86- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، كان حيا سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1985م.
- 87- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983م.
- 88- ابن عسكرك (محمد بن علي بن عبد الله الغساني الملقبي، ت 636هـ/1238م)، و ابن خميس (أبو بكر محمد بن محمد بن علي، كان حيا سنة 638هـ/1240م): أعلام مالقة، تقديم وتخرير وتعليق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م.

- 89- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الصالحي، ت 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 1986م.
- 90- العماد الأصفهاني (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت 597هـ/1201م): خريدة القصر وجريدة العصر، قسم المغرب، الدار التونسية للنشر، ط 2، 1986م.
- 91- ابن أبي العيش (محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي، التلمساني، ت بعد 654هـ/1256م): التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد الهياوي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، ط 1، 2008م.
- 92- ابن غازي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتامي المكناسي، ت 919هـ/1513م): الروض اهتون في أخبار مكناسة الزيتون، د تح، مطبعة المامونية، الرباط، ط 1، 1952م.
- 93- فهرس ابن غازي، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطبع والنشر، تونس، ط 1، 1984م.
- 94- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد، ت 704هـ/1305م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981م.
- 95- الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي، ت 832هـ/1428م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1985م.
- 96- ابن فرحون (إبراهيم بن نورالدين بن علي اليعمري المدني، أبو الوفاء، ت 799هـ/1397م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1996م.
- 97- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، ت 403هـ/1061م): تاريخ علماء الأندلس، د تح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.
- 98- الفزازي (أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليحفشي الفزازي القرطبي، ت 627هـ/1229م): آثار أبي زيد الفزازي، جمعها بعض تلاميذه، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، بيروت، ط 1، 1991م.
- 99- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، ت 749هـ/1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، السفر الأول، المجمع الثقافي أبو ظبي، 2003م.

- 100 — مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثامن "طوائف الفقراء- الصوفية-، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000م.
- 101- القابسي (أبو الحسن علي، ت403هـ/1012م): الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986م.
- 102- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974م.
- 103 — درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحدي أبو النور، دار التراث القاهرة- المكتبة العتيقة تونس، ج1، 1970م.
- 104- ابن القاضي شهبة (تقي الدين ابن القاضي شهبة الأسدي الشافعي، ت851هـ/1447م): طبقات النحاة واللغويين، تحقيق محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1984م.
- 105- القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت544هـ/1149م): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م.
- 106 — الغنية، فهرست شيوخه، تحقيق ما هر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.
- 107 — ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ج2، ط1، 1998م.
- 18 — ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، المغرب، د ت، ج5.
- 109- القرافي (بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، ت1008هـ/1599م): توشيح الديباج، وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.
- 110- القسطلاني (الحافظ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، ت923هـ/1517م): السعي الحثيث إلى جمع فوائد علم الحديث، تقديم وتحقيق بشير ضيف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.
- 111- القشيري (عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم، ت465هـ/1072م): الرسالة القشيرية، وضع حواشيها خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- 112- القضاعي (محمد بن سلامة أبو عبد الله، ت454هـ/1062م): مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985م.

- 113- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي الكتامي، كان حيا سنة 650هـ/1252م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990م.
- 114- القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ت624هـ/1226م): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1986م.
- 115- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي الفزاري المصري، ت821هـ/1476م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب السلطانية، القاهرة، مصر، 1918م.
- 116- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت810هـ/1407م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م.
- 117- الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م.
- 118- أنس الفقير وعز الحقيير، نشر وتصحيح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكذال، الرباط، 1965م.
- 119- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ت774هـ/1373م): البداية والنهاية، تحقيق جودة محمد جودة، ومحمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.
- 120- الماجري (أبو محمد صالح، ت631هـ/1233م): المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
- 121- مجموع رسائل موحديّة، من إنشاء كتاب الدولة المؤمّنية، اعتنى بإصدارها، أفرست لفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م.
- 122- مجهول مراكشي (كان حيا سنة 587هـ/1191م): الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط2، 1986م.
- 123- مجهول (كان حيا سنة 783هـ/1381م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.
- 124- المراكشي بن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفة، القسم الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت.

- 125 ————— الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م.
- 126 ————— الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م.
- 127 ————— الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973م.
- 128 ————— الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.
- 129- المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين، ت 647 هـ/1249م):
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.
- 130- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، ت 1014 هـ/1379م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق ومراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م
- 131- المطرزي (الإمام اللغوي أبو الفتح ناصر الدين، ت 610 هـ/1213م): المغرب في ترتيب المغرب، وهو معجم، تحقيق محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سورية، ط1، 1979م.
- 132- المغراوي (أحمد بن أبي جمعة، ت 920 هـ/1514م): جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي، ورايح بونا ر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
- 133- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني، ت 1041 هـ/1632م): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1942م.
- 134 ————— نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.
- 135- المقرئزي (أبو العباس أحمد بن علي الحسيني البعلبي، ت 845 هـ/1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقرئزية"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987م.

- 136- ابن مكّي الصقلّي (أبو حفص عمر بن خلف بن مكّي الصقلّي، ت 501هـ/1107م): تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ضبط وتقديم مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 137- ابن منجور (أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله (أو عبد الرحمن)، الفاسي المعروف بالمنجور، ت 995هـ/1587م): فهرس ابن منجور، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976م.
- 138- ابن هبيرة (يحيى بن محمد بن هبيرة، ت 560هـ/1164م): الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1996م.
- 139- الوادي آشي (شمس الدين محمد بن جابر التونسي، ت 749هـ/1348م): برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيله، تونس، 1981م.
- 140- ابن أبي الوفاء (محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصراله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ت 775هـ/1373م): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة، القاهرة، مصر، ط2، 1993م.
- 141- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني، ت 914هـ/1508م): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه محمد حجي وجماعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981م.
- 142- الوهراني (محمد بن محرز بن محمد ركن الدين، ت 575هـ/1179م): رقعته عن مساجد دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات الجمع العلمي العربي، دمشق، 1965م.
- 143- منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان، القاهرة، 1968م.
- اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، ت 768هـ/1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

3) كتب الجغرافيا والرحلات

- 1- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني السبيعي، المعروف بالشريف، ت560هـ/1165م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، قسم المغرب العربي، تحقيق محمد حاج صادق، د ط، الجزائر، 1983م.
- 2- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ج1.
- 3- البكري (أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، د ط، د ت.
- 4- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ت717هـ/1317م): **الرحلة**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م.
- 5- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الشاطبي، ت614هـ/1217م): **الرحلة**، دار صادر، بيروت، 1959م.
- 6- ابن الحاج (إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري أبو القاسم، ت768هـ/1367م): **فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 7- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت626هـ/1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.
- 8- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبيعي، ت727هـ/1327م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- 9- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، البغدادي، النصيبي، ت367هـ/977م): **صورة الأرض**، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- 10- ابن رشيد السبيعي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبيعي، ت720هـ/1320م): **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
- 11- **ملء العيبة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج5، 1988م.
- 12- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كان حيا سنة 541هـ/1154م): **كتاب الجغرافية**، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت.

- 13- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد،
ت 685هـ/1286م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،
ط 2، 1982 م .
- 14- العبدري (محمد العبدري البنسبي، ت 720هـ/1320م): الرحلة المغربية، تحقيق بن جدو،
مطبعة البعث، قسنطينة، ط 1، 1964م.
- 15- الغرناطي (أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم المازني القليسي الغرناطي الأندلسي، ت 565هـ/
1170م): تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993
- 16- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، صاحب حماة، ت 732هـ/1331م):
تقويم البلدان، اعتنى به رينود و البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس،
1840م.
- 17- القلصادي (أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، ت 891هـ/1486م): رحلة القلصادي،
دراسة وتحقيق محمد أبو الأصفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.
- 18- مارمول كرنجال (كان حيا سنة 979هـ/1571م): إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار
المعرف، الرباط، 1984م.
- 19- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا الشامي المقدسي المعروف
بالبشاري، ت 379هـ/989م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، مطبعة برييل، ط 2،
1909م.
- 20- الوزان (أبو علي الحسن بن محمد الفاسي، حي سنة 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة
محمد حجي، و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م.
- 21- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب، ت 284هـ/897م): البلدان، وضع حواشيه محمد أمين
ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2002 م.

4) القواميس والمعاجم

- 1- الجوهري (إسماعيل بن حماد أبو العباس، ت 393هـ/1002م): معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.
- 2- الزبيدي مرتضى (ابن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ت 1205هـ/1790م): تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج5، 1969م.
- 3- تاج العروس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ج 14، 1974م.
- 4- الفيروز أبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، ت 817هـ/1414م): القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1933م.
- 5- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت 285هـ/898م): الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1997م.
- 6- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي التونسي، ت 711هـ/1311م): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت.

(5) المراجع

- 1- الإدريسي علي: الإمامة عند ابن تومرت، دراسة مقارنة مع الأمامية الاثنى عشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.
- 2- ارسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت .
- 3- الأعظمي محمد ضياء: معجم مصطلح الحديث ولطائف الأسانيد، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999م.
- 4- البغدادي إسماعيل باشا (ت 1339هـ/1920م): هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة 1951م.
- 5- البقالي محمد: الدولة والولاية في المغرب الوسيط، علائق وتفاعلات، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1، 1997م.
- 6- بكير أحمد: المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، بيروت، 1990م.
- 7- بلعري خالد: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية و حضارية، 632-681هـ/1235م-1282م، دار الريان للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2005م.
- 8- بوروية رشيد: ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- 9- _____ قسنطينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.
- 10- بوعزيز يحيى: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م.
- 11- _____ وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م.
- 12- بوعباد محمود: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1982م.
- 13- بولطيف لخضر: فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن-فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2009م.
- 14- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.
- 15- التازي عبد الهادي: أوقاف المغاربة في القدس، وثيقة تاريخية سياسية قانونية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1981م.

- 16- الترغي عبد الله المرابط: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، المغرب، ط1، 1999م.
- 17- التليدي عبد الله بن عبد القادر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، ط4، الرباط، 2003م
- 18- توات الطاهر محمد: أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- 19- التونجي محمد: معجم المعربات الفارسية، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1998م.
- الجابري محمد عابد: المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.
- 20- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994م.
- 21- حاجيات عبد الحميد: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 22- الحجوي (أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، ت 1376 هـ/1956م): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبعة البلدية، بفاس، المغرب، 1926م.
- 23- حجي محمد وآخرون: تراث الأندلس تكشيف وتقديم، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م.
- 24- حركات إبراهيم: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.
- 25- المغرب عبر التاريخ، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993م.
- 26- حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2011م.
- 27- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.
- 28- الحفناوي محمد (أبو القاسم محمد بن أبي القاسم، الديسي، ت 1361 هـ/1942م): تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فوتتانة الشرقية، الجزائر، 1906م .
- 29- حليمي علي عبد القادر: مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
- 30- خلفات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين (6-9 هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

- 31- ديب صفيية: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، بين القرنين 6-7 هـ/12-13م، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011 م.
- 32- ذنون طه عبد الواحد: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004 م.
- 33- الرقب شفيق محمد عبد الرحمن: شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984م.
- 34- ابن رمضان شاوش الحاج محمد: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م.
- 35- ابن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع داود بريكسي حي الكيفان، تلمسان، ط1، 2001 م.
- 36- الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركليّ الدمشقي، ت 1396هـ/1976م): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2006م.
- 37- زنير محمد: المغرب في العصر الوسيط، الدولة، المدينة، الاقتصاد، مطبعة النجاح الجيدة، الرباط، ط1، 1999م.
- 38- سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 39- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت 1315هـ/1897م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م.
- 40- السملالي (العباس بن إبراهيم قاضي مراكش، ت 1379هـ/1959م): الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1998م.
- 41- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.
- 42- شقرون محمد: مظاهر الثقافة المغربية، في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982م.
- 43- شلي أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، دار الإتحاد العربي للطباعة، مصر، ط5، 1976م.

- 44- الصغير عبد المجيد: تجليات الفكر المغربي ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، الدار البيضاء، مطبعة المدارس، ط1، 2000م.
- 45- الصمدي خالد: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، من النشأة إلى نهاية القرن 7هـ/14م (جذورها آثارها، مناهجها)، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2006م.
- 46- ضيف شوقي: عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1995م.
- 47- أبو ضيف مصطفى: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدون وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- 48- طمار محمد: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010م.
- 49- تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.
- 50- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- 51- الطويل الطاهر: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الهجري الخامس، نشر المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، ط1، الجزائر، 2011م.
- 52- العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د.ت.
- 53- العربي إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 54- العريبي يوسف بن علي: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدون، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1995م.
- 55- عزاوي أحمد: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحد والبربري، طبع دار ربا نيت، ديور الجامع، الرباط، المغرب، ط1، 2010م.
- 56- علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب، في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971م.
- 57- عمر موسى عز الدين: الموحدون في المغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.
- 58- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.
- 59- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1983م.

- 60- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.
- 61- عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، الجزائر، ط1، 1980م.
- 62- عيسى بك أحمد: البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.
- 63- الغنای مراجع عقيلة: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بن غازي، ليبيا، 1988م
- 64- فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، من ق6-9هـ/12-18م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1999م.
- 65- فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1985م.
- 66- الفيتوري عطية مخروم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، جامعة قار يونس، بنغازي، ط1، 1998م.
- 67- فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002م.
- 68- فيلاي عبد العزيز، إبراهيم بحاز: مدينة ميلة في العصور الوسطى، دار البلاد للاتصال والخدمات، قسنطينة، 1998م.
- 69- القبلي محمد: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987م.
- 70- بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.
- 71- الكتاني (أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي، ت1345هـ/1926م): الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، كتب مقدماتها ووضع فهرسها محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، ط5، 1993م.
- 72- الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير، ت1382هـ/1962م): فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، اعتنى به إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
- 73- الكتاني يوسف: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.
- 74- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1957م.

- 75- _____ أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1994م.
- 76- الكعك عثمان: المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، جامعة الدول العربية، 1984م.
- 77- كنون عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961م.
- 78- لعرج عبد العزيز، وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007،
- 79- بن عبد الله عبد العزيز: معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ط3، 1963م.
- 80- _____ معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، دار الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1985م.
- 81- محمد هارون عبد السلام: كناشة النوادر، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط1، 1984م.
- 82- محمد يوسف عواطف: الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القونين 7هـ و 8هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.
- 83- مخلوف (أبو الفضل محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم التونسي المالكي، ت 1360هـ / 1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م.
- 84- مرغي خلف الله ابتسام: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، 1985م.
- 85- مزهودي مسعود وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م.
- 86- محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، دار جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006م.
- 87- ملين رشيد: عصر المنصور الموحد، من سنة 580 هـ إلى سنة 595 هـ، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، د ت.
- 88- ابن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م.
- 89- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.
- 90- _____ تاريخ الوراثة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1991م.
- 91- موسى محمد منير: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1983م.
- 92- الميللي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميللي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط .

- 93- النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
- 94- تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1995م.
- 95- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، ط4، 1983م.
- 96- هلال عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين 9-20م/3-14هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- 97- ولد أباه محمد المختار: تاريخ الحديث الشريف في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو- 2010م.

6) المراجع المترجمة

- 1- أشباح يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م.
- 2- بالنشيا أنخل جنتالت: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1955م.
- 3- بروكلمان كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمه السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1959م.
- 4- تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب بنية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968م.
- 5- برونشيك روبرار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
- 6- بل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- 7- جواتياين س د: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.
- 8- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983م.
- 9- روجي إدريس الهادي: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن 10، إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992م.
- 10- لي تورنو روجر: حركة الموحدين في المغرب، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع "المدارس" الدار البيضاء، ط2، 1998م.
- 11- ليفيتسكي تاديبوس: المؤرخون الإباضيون وكتاب السير والرواة الإباضيون الوهبيون في إفريقيا الشمالية، من القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة ماهر جرار وربما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007م.
- 12- مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، دار المعارف، الإسكندرية، د ت.
- 13- هوبكتز ج، ف، ب: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1999م.

14- هويثي ميراندا أمبروسيو: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكميز، مطبعة النجاح الجديدة "مطبعة الزمن"، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2004م.

في لغتها الأصلية

1-Aschbach Joseph : Gechichte Spaniens und porbugals zur zeit der herrschaft der almorariden und almohaden .

2-Huici MirandaM Abrosio: Historia Politica Del Imperio Almohade,T.I.2004.

3- Le Tourneau , Roger :THE Almohad Movement in north Africa in the twelfth and thirteenth centuries.

4- Lewicki Tadeusz : Les Historiens Biographes et Traditionnistes Ibadites-Wahbites de L'Afrique du Nord du VIIIe au XVIe Siècle .

5- Palencia Angel Gonzalez : Historia de Literatura Arabigo- Espanola (Coleccion Labor no .164- 165) 2= edicion .Madrid 1945.

7) المراجع باللغة الأجنبية

1-Allaoua Amara : La Qal'a des Bani Hammad , l'histoire d'un déclin , .archéologie islamique, 11, 2001

2----- La transmission du savoir historique en andalus et au maghreb .à la fin du moyen age , The Maghreb Review , vol 28 , Nos2-3, 2003

3-Bouruiba, Rachid: ABD AL – MU' MIN flambeau des almohades, 2° Ed, Alger: .S.N.E.D,1982.

4-Bourouiba ,Rachid :Ibn Tûmart, 2°Ed, Alger ,S.N.E.D ,1982.

5-Talbi Mohamed :Ibn Tûmart, ou le parti avant la dynastie almohade, LES Africains, XI, 1978 .

(8) الندوات والملتقيات والمؤتمرات

- 1- إبراهيم عبد النور: إسهامات القيروان وبجاية في البناء المعرفي الإسلامي، ضمن أعمال الملتقى المغربي الأول "الإسهامات المغربية في البناء المعرفي الإسلامي" 21-22 نوفمبر 2011، دار قاعة للنشر، باتنة، الجزائر، 2011م
- 2- البُعزّاتي بناصر: العلم والفكر العلمي، بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 94، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001م.
- 3- الخطيب إسماعيل: الحياة الثقافية في سبتة في القرن السابع الهجري، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، جمعية الثقافة الإسلامية تطوان، المغرب، 1979م.
- 4- ابن زين العابدين بن رستم محمد: المساهمات المغربية والأندلسية في شرح الصحيحين، ضمن أعمال الملتقى المغربي الأول "الإسهامات المغربية في البناء المعرفي الإسلامي" 21-22 نوفمبر 2011، دار قاعة للنشر، باتنة، الجزائر، 2011م.
- 5- الطالبي عمار: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي "أبو يعقوب الوردجاني نموذجاً"، ندوات ومناظرات رقم 118، تحت عنوان الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.
- 6- الطاهري عبد الحق: الإمام ابن تومرت والمذهب المالكي، أعمال الندوة الدولية حول المدرسة المالكية الفاسية أصالة وامتداد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 2007، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2010م.
- 7- العبادي أحمد مختار: دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، ندوة الحضارة الإسلامية 1976، نشر مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر، 2000م.
- 8- المنوني محمد: كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، سبتة ودورها في إثراء الفكر الإسلامي، جمعية الثقافة الإسلامية، تطوان، المغرب، 1979م.
- 9- ميدون عز الدين: عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري، مؤسس الدولة الموحدية، سلسلة إصدارات الجمعية الموحدية، ندرومة، أعمال ملتقى 1998، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

(9) الرسائل الجامعية

- 1- إسكان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط، من القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ/15م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987-1988م.
- 2- إملولي حكيم: الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم "العهد الموحدى نموذجاً" مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.
- 3- بلغيث محمد الأمين: الربط بالغرب الإسلامى ودورها فى عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987م.
- 4- بن داود نصر الدين: بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7 إلى 10هـ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010.
- 5- بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية، بين القرنين 7 و7هجرين، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007-2008م.
- 6- بوشامة عاشور: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه، المعهد الوطنى للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986م.
- 7- رزيوي زينب: مؤسسات التوجيه الثقافى فى مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجرين (13-15 م)، مذكرة ماجستير، جامعة جيلالى اليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009-2010م.
- 8- ساحلى آسيا: إنتاج وانتقال المعارف التاريخية فى المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007-2008م.
- 9- السعيد عقبة: الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجرى، من خلال كتاب عنوان الدراية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008-2009م.
- 10- الطاهري عبد الحق: بنية الحكم الموحدى ووسائله، دكتوراه فى التاريخ الوسيط، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط، 2004-2005م.
- 11- عثمان عبد القادر: الموحدون بإفريقية إلى سنة 627 هـ، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا فى التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991-1992م.
- 12- غربى بغدادى: خطة الكتابة على عهد الموحدى، رسالة ماجستير، جامعة وهران للتاريخ والحضارة الإسلامية، 2006-2007م.

- 13- فيلاي بلقاسم: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004م.
- 14- قدور أحمد: المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987-1988م.
- 15- لدرع أمال: الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني 633-962هـ/ 1236-1555 م، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م.
- 16- مغراوي محمد: العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001-2002م.
- 17- _____ خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986-1987م.
- 18- واعظ نويوة: أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007-2008م.
- 19- الود الود: البنية الإيقاعية في شعر الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحّد، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م.

(10) المجلات والمقالات

- 1- أعراب سعيد: موقف الموحدين من فقه الفروع، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد. 249.
- 2- الأندلسي عليّة: نماذج من المعاهد والمجتمعات التعليمية الموحدية، مجلة ميثاق الرابطة الإلكترونية، العدد 17، ماي 2010م
- 3- الأهواني عبد العزيز: كتب برامج العلماء في الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1955م.
- 4- بحاز إبراهيم: صور من الإباضية في عهد الموحدين، مجلة الحياة، جمعية التراث، غرداية، العدد2، 1999م.
- 5- برادة رشيدة: الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق في المغرب الإسلامي، مجلة الجامعة المغاربية، اتحاد المغرب العربي، طرابلس، ليبيا، العدد1، السنة الثانية، 2007م.
- 6- بلفراد محمد: تلمسان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية- أوت، 1975م.
- 7- بوباية عبد القادر: إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن 7هـ/13م، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011م.
- 8- طرق التدريس في المغرب الإسلامي، فاس وبجاية نموذجاً، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد1، 2011م.
- 9- بوشقيف محمد: المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8 هـ - 9 هـ / 14- 15 م، دورية كان التاريخية، العدد 11، مارس 2011م.
- 10- بوعزيز يحيى: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية- أوت، 1975م.
- 11- بولطيف لخضر: الفقيه محمد بن سليمان اليفريني الكومي الندرومي، صورة من واقع المشهد الثقافي في حاضرة تلمسان، مجلة عصور الجديدة، العدد2، جامعة وهران، الجزائر، 2011م.
- 12- بونابي الطاهر: التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي، مجلة عصور الجديدة، العدد2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2011م.
- 13- نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد2، 2004م.

- 14- ابن تاويت محمد: أصدقاء في الأدب الموحد، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة 11، العدد 9-10، غشت/جمادى الأولى 1968م.
- 15- جلاب حسن: الفكر والأدب في عهد الموحدين، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 249، يونيو 1985م.
- 16- الجيلالي عبد الرحمن: تلمسان والقدس الشريف، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975م.
- 17- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975م.
- 18- العلاقات بين تلمسان وغرناطة، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أبريل-ماي 2011م.
- 19- تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1993م.
- 20- حسيب عبد الهادي: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد 2، 1981م.
- 21- حنشي محمد سعيد: تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، العدد 72، ديسمبر 2010م.
- 22- الخلاصي عبد القادر: أبو مدين الفوث، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975م.
- 23- ذنون طه: القدس وعلماء الغرب الإسلامي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد، 86-87، سنة 2002م.
- 24- زناقي أنور محمد: فهارس علماء المغرب والأندلس، دورية كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس 2011م.
- 25- السائح حسن: الإمام البخاري في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، المغرب، العدد 9، السنة 16، يناير 1975م.
- 26- سعد قاسم علي: قيمة الإسناد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 24، 2006م.
- 27- الشافعي محمد أحمد: الكناشة الأندلسية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج 29، 1997م.

- 28- صاحبي محمد: من مصادر الثقافة والعلم، فهارس الشيوخ أو برامج العلماء، مجلة عصور، عدد13، 2003م.
- 29- طالبى عمار: المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج3-4، أبريل-ماي2011م.
- 30- الطيار مساعد: علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، محافظة جدة، منطقة مكة، العدد1، 2006م.
- 31- عباس الخضري صالح مهدي: النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية، من خلال كتاب عنوان الدراية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، السنة العاشرة، العدد38، يوليو، 2003م.
- 32- عبد الملك محمد مروان: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، مج29، العدد1، 2001م.
- 33- العفاقي رشيد: تلمسانيان في سبتة، مجلة عصور الجديدة"خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية"، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011م.
- 34- علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- 35- عنان محمد عبد الله: ازدهار الحضارة و الفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي و دورهما في تغذية النهضة العلمية و الحضارة الأوربية، مجلة الأصالة، العدد26، 1976م.
- 36- فيلاي عبد العزيز: تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد3-4، أبريل-ماي2011م.
- 37- الكعك عثمان: تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية-أوت، 1975م.
- 38- لعرج عبد العزيز: تلمسان، عمراها وعمارها الدينية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد3-4، أبريل-ماي، 2011م.
- 39- لقبال موسى: زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية-أوت، 1975م.
- 40- لواح محمد: المراكز التعليمية في العهد المريني، مجلة دار الحديث الحسينية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد9، 1991م.
- 41- المسلوقي مصطفى: الإجازة العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد السادس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989م.

42- مصطفىاوي رشيد: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد 1، مارس 1971م.

43- المنوني محمد: الكناشات المغربية، مجلة المناهل، الرباط، العدد 2، 1975.

44- ميقراري عيسى: سيد العارفين وشيخ المشايخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي التلمساني، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أبريل-ماي 2011م.

45- وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، سلسلة الفن والثقافة، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م.

فهرس الموضوعات

| | |
|------------|---|
| ص أ- ف | مقدمة. |
| ص 02- 36 | فصل تمهيدي: ارتباط المغرب الأوسط بالموحدين وتسييره الإداري. |
| ص 03- 09 | أولاً: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في ظل الوحدة. |
| ص 10- 24 | ثانياً: الارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بدولة الموحدين. |
| ص 25- 36 | ثالثاً: المغرب الأوسط والتسيير الإداري الموحد. |
| ص 38- 106 | الفصل الأول: الحواضر العلمية والمؤسسات الثقافية في المغرب الأوسط. |
| ص 40- 73 | أولاً: الحواضر العلمية. |
| ص 42- 50 | أ- تلمسان. |
| ص 51- 58 | ب- بجاية. |
| ص 59- 60 | ت- قلعة بني حماد. |
| ص 61- 65 | ث- قسنطينة. |
| ص 66- 67 | ج- جزائر بني مزغنة. |
| ص 68- 69 | ح- وهران. |
| ص 70- 71 | خ- بونة. |
| ص 72- 73 | د- ورجلان. |
| ص 74- 106 | ثانياً: المؤسسات الثقافية. |
| ص 76- 80 | أ- المساجد. |
| ص 81- 84 | ب- الكتاتيب. |
| ص 85- 88 | ت- الرباط . |
| ص 89- 101 | ث- المدرسة. |
| ص 102- 106 | ج- المكتبات (العامة والخاصة). |
| ص 108- 172 | الفصل الثاني: النشاط الثقافي والفكري، روافده وتجلياته. |
| ص 109- 143 | أولاً: روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية. |
| ص 110- 127 | 1- الرحلة في طلب العلم. |
| ص 128- 135 | 2- المجالس العلمية. |
| ص 136- 141 | 3- الإجازة العلمية. |
| ص 142- 143 | 4- اقتناء الأصول القديمة. |
| ص 144- 172 | ثانياً: تجليات الحركة الثقافية والفكرية. |
| ص 145- 168 | 1- التدريس. |

| | |
|-----------|------------------------------------|
| ص 149-154 | 1-1 المناهج. |
| ص 155-159 | 2-1 البرامج. |
| ص 160-161 | 3-1 الطرائق. |
| ص 162-164 | أ- طريقة الإلقاء والحفظ. |
| ص 165-166 | ب- طريقة اختيار كتاب. |
| ص 167-168 | ج- طريقة المحاوراة والمناظرة. |
| ص 169-172 | 2- الوراثة . |
| ص 174-247 | الفصل الثالث: التأليف وأهم العلوم. |
| ص 176-237 | أولاً: العلوم النقلية أو الدينية. |
| ص 177-183 | 1- علوم القرآن. |
| ص 178-181 | أ- علم القراءات. |
| ص 182-183 | ب- علم التفسير. |
| ص 184-192 | 2) علم الحديث. |
| ص 193-207 | 3) علم الفقه. |
| ص 195-201 | أ-المذهب المالكي. |
| ص 202-207 | ب- المذهب الظاهري. |
| ص 208-211 | 4) علم الكلام والأصول. |
| ص 212-220 | 5) علم التصوف. |
| ص 221-232 | 6) العلوم الأدبية. |
| ص 222-227 | أ- النشر الأدبي الفني. |
| ص 228-232 | ب- الشعر. |
| ص 233-237 | 7) التاريخ والسير. |
| ص 238-240 | ثانياً: العلوم العقلية. |
| ص 238-239 | 1) الجغرافيا والفلك. |
| ص 240-242 | 2) الطب و الصيدلة. |
| ص 243-245 | 3) الفلسفة و المنطق. |
| ص 246-247 | 4) الرياضيات. |
| ص 249-251 | الخاتمة. |
| ص 243-266 | الملاحق. |

| | |
|-----------|-----------------------|
| ص 268-296 | المصادر والمراجع |
| ص 298-302 | فهرس الأعلام |
| ص 303-306 | فهرس الأماكن والقبائل |
| ص 307-311 | فهرس المؤلفات |
| ص 312-314 | فهرس المواضيع |